

مستشرقات اتحاد



القاهرة

مجلة المؤرخ العربي

بصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

المحتويات

- كلمة الافتتاح ٧
- كلمة التحرير ٩
٢. عبدالغني علي الأهجري
 سارتان من دولة الأتمة لزينة ودوش الظاهريين بالماليك الخركسة
 على عهد الإمام الرشدي المتوكل يحيى شرف أمير الحسن ١١
٣. كرم حمصي فرجات أحمد
 الجوانب السياسية والحضارية لنبلاء اخجاز كما تصورهما رحلة ابن بطوطة
 كما تصورهما رحلة بن بطوطة في القرن الخامس لهجري ٤٥
٤. خلف دبلان خضرو انوديشاني
 سياسة السلطان ما يربد الأول لمسيبة في الفتح لعثمانى
 نهاية ضموحاته وتفككه دونته في موقعه المرة ٤ / ٥٨ ٢ / ١٤ ٩٣
٥. محمد قائد حسن التوجيه
 انظرقة لزينة في لاسين ظهوره في القرن الخامس لهجري
 ومعتقداتها وقضاء للإمام عبد الله بن حمزة عليها ١١١
٦. رضوان أحمد تليث
 مسلميون وأهل الذمة في بلاد الشام في عصر خلافة اراتمة ١٩٤
٧. سعيد الهلامي
 تشبيح محمد عمر أمير وعينود من محمد
 لترسة بالنعلم في الخزانة ١٩٣٨ . ١٩٤٤ ٢٣٣

١. هبة بنت علي النعماني

حركة نردة في البحر

عقب وفاة الرسول أُنشئ لله عليه وسلامه حتى عهد عمر بن الخطاب... .. ٢٢٥

٢. محمود بن إبراهيم السعدي

مقتل أمير المؤمنين الحسين

الفرقة الحاشية في عصر أمير المؤمنين... .. ٢٧٩

٣. مبيد محمود: محمد عبد العال

تأنيب الأشراف في عصر أمير المؤمنين

١٩٤٣-١٩٤٣ / ١٦٥٠-١٦٥٠... .. ٢٨٧

٤. جاثم عبد الرحمن الطحاوي

الغنائم في عهد أمير المؤمنين

بودن شاعر ١٢٩٦ ١٦٤٧... .. ٣٣٣

٥. نبي، بنت أحمد عبد الله شافعي

كتاب جراحة في الطبعة المراجعة الثانية

١٦٩٠... .. ٣٧٩

٦. عبد الحميد الدهوري

تأنيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن المنكرات المنقوبة عن المنكرات

١٦٣٠... .. ٤١٣

٧. محمد علي حنفي

سير أمير المؤمنين في عهد أمير المؤمنين

١٦٦٠ ١٦٦٠ / ١٥١٧ ١٥١٧... .. ٤٣٥

سفارتان بين دولة الأئمة الزيدية ودولتي الطاهرين والمماليك الجراكسة

على عهد الإمام الزيدي المتوكل يحيى شرف الدين الحسني

تظل السفارات واحدة من أهم هجتيات العلاقات المشتبكة بين القوى السياسية مهما تباينت طبيعة هذه العلاقات ما بين السلم والحرب، التحالف والتناحر، التقارب والتخاصم، وتعدّ الوثائق المنقولة بين أطراف السفارات - سواء نُقِلَتْ شفاهةً أو كتابياً - واحداً من أهم مصادر المادة التاريخية الأصلية وأكثرها صدقاً، فكانت تلك الوثائق ليسوا بشهود عيان فحسب، بل هم الأطراف التي صنعت الأحداث التي حُرِّزَت الوثائق حولها ومن أجلها، مع افتراضنا وجود مراعاة لاعتبارات المجاملات ومراسم التقرب وألفاظ التودد بين الأطراف أثناء صياغتها، فهي تلقي الضوء - من خلال مضامينها الصريحة أو الضمنية - على جوانب مهمة من تاريخ تلك القوى السياسية في فضاءات لا يتطرق المؤرخون - غالباً - إلى تغطيتها، كما أن دراسة السفارات إجمالاً يساعد في تسليط الضوء على جوانب غالباً ما تكون هامشية في ثنايا الحديث عن الجوانب المختلفة للتاريخ، وخاصة بعض حوادث التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والعسكري .

وفي مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي بقل وجود القدر الكافي من نصوص الوثائق السياسية التي قامت بنقلها السفارات بين القوى السياسية اليمنية أو بينها وبين أساتذة التاريخ الإسلامي المساعد بقسم التاريخ في كلية التربية - جامعة صنعاء، الجمهورية اليمنية .

غيرها من القوى غير اليمينية، ولعل سبب إغفال كثير من المؤرخين اليمينيين لتضمين تلك النصوص في مؤلفاتهم هو نظرهم إليها على أنها من ضروب الاستطراد غير المحمود في تفاصيل الأحداث التي أروها لها .

في هذا البحث نقف مع اثنتين من أهم وثائق السفارات التي تضمنتها المصادر التاريخية اليمينية، تم تحريرهما في العقدَيْن الثاني والثالث من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ولم ينقل إلينا نصهما كاملاً إلا واحداً فقط من المؤرخين اليمينيين، هو المؤرخ الحسن ابن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبدالقادر شرف الدين الحسيني (ت ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م)^(١) في كتابه القيم المواجهُ السَّيِّئَةُ مِمَّا مَنَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْفَوَاحِشِ الْجَنَبِيَّةِ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ الْمُتَوَكَّلِيَّةِ). وهذا المؤرخ من أحفاد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين، ذلك الإمام الزيدي الذي يُعدُّ الطرف الرئيس في هاتين السفارتين، ويبدو أن هذا المؤرخ قد وجد نص الوثيقتين كاملاً ونقلهما، إما لاطلاعه على بعض المصادر الخاصة بالإمام المتوكل شرف الدين نفسه مما لم يطلع عليها غيره من المؤرخين، أو أن محتوى الوثيقتين كان متاحاً لغيره من المؤرخين السابقين غير أنهم لم يُقدِّروا أهمية تضمين النصِّين كاملين في مصادرهم، واكتفوا بالتطرق إلى ذكر حصول تلكم السفارتين .

<http://Archivwebeta.Saknrit.com>

الوثيقة الأولى هي الخاصة بالسفارة التي بعثها الإمام المتوكل على الله شرف الدين بن شمس الدين (ت ١٢٦٥هـ / ١٥٥٧م) - رأس الدولة الزيدية باليمن في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وكانت وجهتها بلاط السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب الظاهر (ت ٩٢٣هـ / ١٥١٧م)، أقوى سلاطين الدولة الطاهرية باليمن وأكثرهم قوة ونشاطاً عسكرياً، وتتنوع محتواها ما بين الوعظ والتحذير والتهديد، وقد جاءت السفارة في سياق الصراع الدموي الكبير بين الدولتين حول مناطق النفوذ على الساحة اليمينية والذي كانت فيه الكفة راجحة لصالح الدولة الطاهرية .

أما الوثيقة الثانية فقد حملتها السفارة التي بعثها الإمام المتوكل شرف الدين نفسه إلى الأمير حسين الكردي، قائد الحملة التي جردها دولة المساليك الجراكسة على عهد السلطان قانصوه الغوري (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م) لمواجهة النفوذ البرتغالي المتزايد في السواحل الهندية وصياح المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي، الذي مثل بؤرة نزيف كبير للمقدرات الاقتصادية

لدول المنطقة بشكل عام، إضافة إلى كونه تهديداً دينياً لوضعه استهداف الأراضي المقدسة بالمجاز ضمن مخططاته الاستعمارية .

السفارة الثانية في أصلها هي نتيجة طبيعية لفشل السفارة الأولى، فقد كانت الغاية منها الاستنجاد بالحملة المملوكية وطلب النصرة والعون من قائدها إزا - العنت الذي واجهه الإمام الزيدي أمام القوات الطاهرية، ومحاولة منه لإيقاف حملة الإبادة التي قادها السلطان الطاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب لأفراد الشريحة العلوية الشعبية الزيدية والفاعلة سياسياً وعسكرياً آنذاك .

ومما يزيد من أهمية هاتين السفارتين هي النتائج المترتبة عليهما، فقد تمخضتا عن أحداث كبيرة بلغت حد تحول الحملة المملوكية عن مسارها المرسوم، والتمتع بالاراضي اليمنية، والدخول في صراع مسلح دموي مع الدولة الطاهرية، كانت فيه الدائرة على الدولة الطاهرية، قتل في آخر أحداثها السلطان الطاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري عند أسوار صنعاء، هو وأخيه الأمير عبد الملك بن عبد الوهاب وذلك سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، وهو ما مثل 'نهياراً شبه كامل' للدولة الطاهرية، واستيلاء القوات المملوكية على مساحة واسعة من أراضي اليمن، ولم يوقف استمرار زحفها على المناطق المتبقية سوى هزيمة الدولة الأم - دولة المماليك المراكسة في مصر - في موقعة مرج دابق الشهيرة في السنة نفسها، ومقتل السلطان قانصوه الغوري على أيدي القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول .

ويجمل بنا في البداية إيراد إشارة تعريفية - بلا إسهاب ولا إخلال- بالشخصيات الثلاث الأهم، التي مثلت المحاور الرئيسة لهاتين السفارتين، وهذه الشخصيات هي: السلطان الطاهري الطاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب، والأمير المملوكي حسين الكردي، والإمام الزيدي المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين.

السلطان الطاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري (٨٩٤-٩٢٣هـ/١٤٨٩-١٥١٧م) :

هو السلطان الطاهر الثاني صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب بن داود الطاهري، الأسوي القرشي نسباً، الشافعي الأشعري مذهباً وعقيدةً، رابع سلاطين الدولة الطاهرية باليمن، وأكثرهم

شُهرةً وسَطوةً وقوةً وهيبَةً، وأطولهم حكماً، يُشار إلى مدة حكمه بالبنان، وتسترعي انتباه الباحثين في تاريخ اليمن - والمُطَّلِعِينَ عليه - فيتوقفون عندها، فهي في نظرهم جذيرة بالدراسة لأُمور عدة، أهمها : أنها أطول مدة حُكْمٍ فيها مُلكٌ طاهريٌّ^{١١١}، ولما عُرفَ به هذا السلطان من الصفات المتميزة حكماً وإدارةً وعلماً وعمراناً^{١١٢}، وكذلك لما تميّز به عهده من شدة الصراع وقوة احتدامه بين القوى السياسية الداخلية الكثيرة، كالصراع في إطار التنافس على العرش بين السلطان نفسه والأمراء الطاهريين من أحواله أبناء السلطان الظاهر الأول عامر بن طاهر^{١١٣}، والصراع الكبير بين الدولة الظاهرية والأئمة الزيدية على مناطق النفوذ والتوسع^{١١٤} - وإن أعطى كل طرف منهما تأصيلاً شرعياً يبرر صراعه مع الآخر - والصراع الشديد بين الأئمة الزيدية أنفسهم - مع بعضهم بعضاً - بعد أن تعدد الداعون إلى أنفسهم بالإمامة منهم، والصراع - شبه الدائم - مع أغلب القوى القَبَلِيَّة في تهامة وبقاع^{١١٥} وبيِّحان^{١١٦} وغيرها من المناطق .

ومما يجعل مدة حكم السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري مميزةً عن غيرها - أيضاً - أنها تُعد من أخطر المراحل التاريخية التي مر بها اليمن، وخاصة العشرين سنة الأخيرة منها، فقد ظهر على المسرح الفولاني - ثم الإقليمي - قوةٌ بحريةٌ استثنائيةٌ عاتيةٌ - بمقياس ذلك العصر - ألا وهي قوة البرتغاليين، وكانت اليمن واحدةً من أكثر الأطراف تضرراً من هذا التحول الكبير، ذلك التحول الذي أحدث هزة عنيفة غيرت موازين القوى على مستوى العالم القديم، وهذا التحول بدوره أدى إلى دخول اليمن في صراعٍ مع بعض القوى الخارجية، في مقدمتها قوة الماليك المرابطة الحاكمة لمصر في هذه الفترة، ونتج عنه - في آخر مراحل هذا الصراع - القضاء على السلطان الظاهر الثاني ؛ وتعريض الدولة الظاهرية عموماً إلى الانهيار .

الأمير حسين الكردي (ت ٩٦٥هـ/١٥٥٧م) :

الأمير حسين الكردي هو أحد القواد البارزين في الأسطول البحري المملوكي، أوكلت إليه مهمة القيام بالتصدي للبرتغاليين في الخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي، وخاصة أمام الشواطئ الهندية التي تمثل المصدر الأم لتجارة التوابل، التجارة الأهم والأثمن على مدار قرون طويلة في العصرين القديم والوسيط، بل حتى مشارف العصر الحديث، وقد قاد الأمير حسين الكردي حملتين في هذا الصدد، وتكللت مساعي الحملة الأولى في سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م)

بالنجاح فيما تغير مسار الحملة الثانية عندما المهجت صوب عمق الأراضي البستية لتدخل في صراع مرير مع الدولة الطاهرية، والذي أسفر عن تمكن القوة المملوكية من القضاء على معظم قوة الطاهريين وقتل آخر سلاطمتهم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب السابق ذكره .

الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين^(١٨) (٩١٢هـ-٩٦٥هـ/١٥٠٦م - ١٥٥٧م):

هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين^(١٩) بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسيني العلوي نسباً، الزيدي المعتزلي مذهباً وعقيدةً، حفيد الإمام الزيدي الشهير المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت. ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) الذي أعلن نفسه إماماً عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م إثر وفاة الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين محمد بن علي الحسيني، كما أنه سيطر الإمام الزيدي المتوكل على الله المظهر بن محمد بن سليمان الحميري الحسيني (ت. ٨٧٩هـ/١٤٧٤م) .

أعلن المتوكل على الله يحيى شرف الدين إمامته للزيدية في ظرف من أحلك ظروف تاريخها باليمن، فقد تمكن السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري من كسر شوكتها، وقهر قوتها، ونشبت جموعها، وزرع الإحباط في نفوس قادتها وأتباعها، إذ انتزع منها أعز حصونها وقلاعها وأمنعها، وفرق كثيراً من رجالها ما بين قتل أو أسير أو هائم على وجهه في البلاد، ولم يبق من متصدي الإمامة الزيدية سوى الإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن الحسيني (ت. ٩٢٩هـ/١٥٢٣م)^(٢٠)، الذي كان منطوقاً على ذاته في أقصى شمال اليمن، ولم يكن بيده من مقاتيح تحريك الأمور ما يجعله يخطو الخطوة الأولى لإقالة العشرة الزيدية أو تحريك ما ركد من مانتها .

لما أعلن الإمام المتوكل شرف الدين إمامته سنة (٩١٢هـ/١٥٠٦م) بعث رسله منطلقاً من حصن الظفير^(٢١) طالباً البيعة من خاصة الزيدية وعامتها^(٢٢)، ولم تكن الاستجابة له كبيرة في بداية أمره نظراً للسلطة التي كانت للدولة الطاهرية وشدتها في التعامل مع العناصر الزيدية ومن تعاون معها، إضافةً إلى أنه لم يكن قد عُرف لديهم كشخصية يعلق عليها الآمال في إحداث الفرق في الوضع القائم يومئذ .

كانت السنوات التالية لإعلان إمامة المتوكل يحيى شرف الدين تشهد بلوغ القوات الطاهرية إلى ما لم تكن قد وصلت إليه من المناطق في عمق الرقعة الجغرافية الزيدية بشمال صنعاء، وغربها، كدخولها حصن تلا وقلعة كوكبان سنة (٩١٧هـ/١٥١١م) مع حصنين آخرين بجوارهما، وفي سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) أرسل السلطان الظاهر الثاني عامر نائباً عنه إلى صعدة مشقوعاً بحامية صغيرة، غير أنه فشل في بلوغ مرآه، ثم وضع يده على مناطق أخرى إضافية لتبلغ الدولة الطاهرية عندئذٍ أقصى امتداد لها على الأرض اليمنية.

كانت الأساطيل البرتغالية في هذه الأثناء قد رقت من وتيرة نشاطها العدواني على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي بما لا يسع القوى المتضررة السكوت عليه، وكانت مصر المملوكية هي المتضرر الأكبر؛ لذلك أرسلت حملتين بحريتين لمواجهة البرتغاليين. انطلقت الحملة الثانية منهما سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) ورسّت في جزيرة كمران، وقد رأى الإمام المتوكل شرف الدين في وجود هذه القوة فرصة لكسب موقفها وتوظيفه في دعم جهوده في مواجهة الطاهريين، لذلك قام بإرسالة أمير الحملة، الأمير حسين الكردي، شاكياً إليه السلطان الظافر الثاني، معدداً مظاهر اضطهاده لآل البيت النبوي ومساوئ حكمه، ومطالباً بإياه بالنصرة^(١١٣). وكان الأمير حسين الكردي في حاجة إلى استئصال موقف السلطان الظافر الثاني من حملته، فلما بلغه موقفه المتخاذل منها، واستعداده لمواجهة بدلاً عن دعمها وتوقيع كل أشكال التعاون معها، رد على الإمام المتوكل شرف الدين بما يؤكد دعمه له.

ولما وقع الصراع بين الحملة المملوكية وبين الدولة الطاهرية سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وتحققت الهزيمة الكبيرة للطاهريين في السنة التالية، ومقتل السلطان الطاهري في هذا الصراع، وسيطرة الماليك على كثير من المناطق اليمنية بما فيها صنعاء، كان موقف الإمام المتوكل شرف الدين سلباً من الطرفين، وذلك في انتظار ما سيسفر عنه الصراع الدائر، ولكنه أحس بأن الماليك عاجزون على مواصلة التوسع في اليمن، وهو ما دعاه إلى رفض هذا التوجه والقيام بأولى خطوات الصدام معهم بدخوله حصن تلا في السنة ذاتها (٩٢٣هـ/١٥١٧م)؛ فضرب عليه الماليك حصاراً لم يرفعه إلا عندما بلغهم خير مقتل سلطانهم فاتصوره الغوري ثم سقوط دولتهم على أيدي الجيوش العثمانية^(١١٤).

الخلفية الفكرية والسياسية للصراع في اليمن عصريته :

من المعروف أن الزيدية هي أحد فرقتي الشيعة الرتبستين^(١١)، والحضور التاريخي الحقيقي للزيدية في اليمن - من الناحية الفكرية والفقهية - قديم، تعود بداياته الأولى إلى أواخر القرن الثالث الهجري، ومن أهم أركان الفكر الشيعي الزيدي القول بالإمامة، فقد تضمنت رسائل المؤسسين والمنظرين للفكر السياسي والعقائدي الزيدي الأوائل إشارات صريحة بأن الإمامة أصل من أصول الدين التي لا يصح إسلام المرء بدونها، ومفهوم الإمامة في الفكر السياسي الزيدي يمكن إجماله في حصر أخصية الفاطميين من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب في الحكم دون غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية، وقد زال إحساس العلويين بكونهم ضيقاً على اليمن منذ السنوات الأولى لوصولهم إليها، إذ اتخذوا من أتباع الفكر الزيدي وتحليله ركيزة للتوسع السياسي على حساب القوى اليمنية الأخرى، واستمر هذا الفكر وتوعداً لمعظم أرجح الصراع الدموي بين اليمنيين من أتباع الفرقة الزيدية وغيرهم طوال فترات تاريخ اليمن حتى مطلع التاريخ المعاصر.

كان العامل الفكري هذا مدججاً إضافياً لمسبات الصراع الأخرى - الجغرافية والقبليّة والاقتصادية - التي كانت تدفع اليمنيين للاشتباك مع بعضهم منذ مراحل ما قبل اعتناقهم جميعاً للدين الإسلامي، ومن ضمن الدوافع الفكرية العقائدية أيضاً التي أسهمت - دائماً - في إذكاء الصراع بين اليمنيين اتهام الأئمة الزيدية وعلماؤها ببقية اليمنيين بأنهم يقولون بعقيدة الجبر، وبالتالي وجب جهادهم وقتالهم، أو دفعهم - على الأقل - عن المساحات الجغرافية التي يقطنها أتباع الفرقة الزيدية، وقد اتضح ذلك بجملاء في مراسلاتهم الثنائية الأدبية، الشعرية والنثرية، منها تلك القصيدة التي نظمها - في المدة ذاتها - الإمام الزيدي المنصور بالله محمد بن علي الوُظلي السراجي (ت ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)^(١٢) يهدد فيها السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب الظاهري (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) في غمرة صراعهما على صنعاء، فقال الإمام الوُظلي:

عَدِمْنَا حَيْلَنَا إِنْ لَمْ نَرَوْهَا وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَيْدِينَا نَعَامُ
وَتَحْزِينُكُمْ يَفْعَلُكُمْ قَدِيمًا خَرًّا لَا حَفَاءَ وَلَا انْكِتَامُ
سَهْرَمَ جَمْعُكُمْ بِنَوْمِ التَّلَاجِي وَلَا يُغْنِي عَنِ الْقَتْلِ انْهَرَامُ

وَلَكِنَّا سَفَقْتُمْ مَنَ أَرْضَنَا
وَتَشْرَبُوا أَرْضَنَا بِالْعَدْلِ^(١١١) فِيهَا
وَنَحْنُ رِثَاةٌ وَنَقُورٌ مُعْنَا
كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ وَقَوْمُ عَادٍ
وَأَهْلُ الْأَيْكَةِ الْقَوْمَ الْبِشَامُ^(١١٢)

ومنه كذلك تحريضه واستنفاذه لإمامين زيديين معاصرين له كان أحدهما يحكم منطقة
صعدة وما حولها - هو الإمام الهادي عز الدين بن الحسن (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م)، بينما تمركز
الأخر في صنعاء - وهو الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد (ت ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) - لكي
يقوما بصد السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب الطاهري، وجعل مدخله لاستشارة حقيقتيهما
التركيز على (الجبرية) باعتبارها معتقداً يقول به السلطان، من وجهة نظره، وهي في حد ذاتها
لدى الزيدية مسوغ كافٍ لقتاله، وسبب مقنع لحربه، وخاصة إذا ما كان قد أصبح خطراً محدقاً
بالمذهب الزيدي نفسه ومهدداً إياه بالإزالة، ولذلك قال الإمام المنصور الوشلي في تحريضهما :

وَصَنَعَا الْمَدِينَةَ فِي بِلَادِ
أَحَاطَ بِسُورِهَا الْقَوْمُ الطُّغَامُ
ذُووُ الْحَبْرِ الَّذِينَ لَهُمْ قِتَالُ
بِلَادِهِمُ الشَّاعَةَ وَالْمَلَامُ
إِلَى الْبَارِي أَحَافُوا كُلُّ فِعْلٍ
فَبِشِجٍ لَا حَيَاةَ وَلَا احْتِسَامُ^(١١٣)
وَأَنْ زَعَمْتَهُمْ زَجَلُ عَشُورُ
عَلَى صَنَعَاءَ يَبُتُّهُ الْمَقَامُ^(١١٤)

وقال أيضاً في السابق نفسه :

فِيَا مَلِكِي صَنَعَا وَصَعْدَةَ أَنْتَمَا
وَمَا مَلِكِي آلِ الرُّسُولِ تَدَارِكَا
هُوَ الْمَذْهَبُ الرَّيْدِيُّ مَذْهَبُ جَدِّكُمْ
فَحَامُوا عَلَيْهِ بِالصُّوَارِمِ وَاللِّقَا
بِفُلُجِكُنِ نَجَاءً فِي بَحَارِ تَعْرِقُ
هَدَى كَمَا فِي بَحْرِ الْعِثَالَةِ بَعْرِقُ
يَطْلُعِيهِ نُورُ الْهَيْدَابِيَةِ يَبْرُقُ
وَأَرْزُوا طَنَاهَا مِنْ دَمِ الْقَوْمِ يُشْرِقُ^(١١٥)

وفيما يتعلق بالمدة التي نتناولها في هذا البحث أضيف عاملان آخران إلى قائمة العوامل السابقة، زادا من حدة الصراع بين الدولة الطاهرية والأئمة الزيدية، أما العامل الأول فهو رغبة السلاطين الطاهريين في الأخذ بالثأر من الأئمة الزيدية الذين قامت قواتهم بقتل السلطان الطاهري المؤسس الظاهر الأول عامر بن طاهر سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٦م)، وأما العامل الثاني فهو اجترار الطريقتين للماضي المتمثل في استحضار عقدة الصراع الجاهلي بين الأمويين الهاشميين في مكة إضافة إلى ما وقع ضمن أحداث الفتنة الكبرى وفي مدة حكم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، إذ أن السلاطين الطاهريين كلهم ينتسبون إلى بني أمية في حين أن الأئمة الزيدية جميعاً من بني هاشم.

ويقتضي الإنصاف أن نذكر أن اليمانيين من غير أتباع الفرقة الزيدية - من جانبهم - قد بادلوا الزيديين نظرة عدم الرضا يمثلها، فقد نظروا إلى الزيدية على أنها إحدى الفرق الضالة، أو على الأقل المتدعة^{١١١}، وذلك لعدد من الاعتبارات الفكرية العقائدية والاختلافات الفقهية المذهبية، إذ أن بعض كبار علماء الزيدية وأئمتها قد حاضروا في مسألة الصحبة والصحابة وقدموا في بعض أعلامهم، إضافة إلى تبنى الزيدية للعقيدة الاعتزالية بينما كان بقية اليمانيين متبنيين إما للعقيدة السلفية الحنبلية أو الأشعرية، وكلاهما خصمان تاريخيان للمعتزلة؛ فانعكس ذلك على موقفهم السياسي من الإمامة الزيدية نفسها، وكان موقفهم متسماً بدعوة الرفض وعدم القبول، وقد شكّلت هذه القناعة أفراد الجيوش التي قادها السلاطين - والطاهريين منهم - في صراعهم مع القوة الزيدية، ومن المعروف بدهاء أن أشرس المعارك هي تلك التي تنور بين طرفين كلاهما يزعم أنه يقاتل باسم الله تعالى وجهاداً في سبيله.

السفارة الأولى : أرسلها الإمام شرف الدين إلى السلطان الظاهر الثاني عامر الطاهري :

هناك أهمية كبيرة لمعرفة المناسبة التي تم بعث هذه السفارة في أحوالها، وقد سبقت الإشارة إلى أن الزيدية قد واجهت ظروفًا قاسية لم تمر بثقلها طوال تاريخ وجودها في اليمن، إذ تمكن السلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب من كسر شوكتها، وقهر قواتها، وتشتيت جموعها، فزرع الإحباط في نفوس قادتها وأتباعها، وذلك لأنه حقق ضدها انتصارات كبيرة جداً، تمكن على إثرها من انتزاع أعز حصونها وأمنع قلاعها، ومد نفوذه إلى معظم الرقعة الجغرافية التي مثلت عمقاً لدولة الأئمة الزيدية، وفرق كثيراً من رجالها ما بين قنبل أو أسير أو هائم على

وجهه في البلاد، ولما فشل الإمام المتوكل شرف الدين في استعادة - ولو بعض - ما فقدته الدولة الزيدية، قام بتحرير هذه الوثيقة وبعثها إلى السلطان الطاهري المذكور وذلك في سنة (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م).

تعليق على وثيقة السفارة الأولى :

تعد وثيقة هذه السفارة - مقارنة مع غيرها من الوثائق السياسية التي تضمنتها المصادر التاريخية البسنية - هي الوثيقة السياسية الأطول، والأكثر تفصيلاً في موضوعها، ويمكننا أن نجعل أهم ملامح هذه الوثيقة في النقاط الآتية:

(١) تعد هذه الوثيقة واحدة من وثائق الفكر السياسي الزيدي المهمة؛ ذلك لأنها تضمنت تمسكاً بفكر الإمامة الذي أرسى دعائمه قديماً - منطري الزيدية ومؤسسو دولتها في اليمن، وفي الوقت نفسه ألمحت بشكل واضح إلى قبول الزيدية - ممثلين بإمامهم يحيى شرف الدين - التفاوض حول حلول وسطى يمكن القبول بها في عمرة حالة الضعف التي أصابت الزيدية تحت وطأة السطوة الطاهرية، وهي نغمة لم تزل عن غيرة من الأئمة الزيديين السابقين .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

(٢) في ثنايا المحتوى الفكري لهذه الوثيقة ثمة موضوع مناسب لدراسته من قِبَل المتخصصين في الفكر السياسي والسياسة الشرعية، لعلمهم بجدون فيها دليل مجدّد تقدمي اضطراري في فكر الإمامة عند الزيدية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، خاصة أنها صادرة عن واحد من أشهر أئمة الزيدية باليمن على الإطلاق.

(٣) استخدم الإمام شرف الدين في كتابة هذه الوثيقة أسلوباً هو أقرب لطريقة الوعظ الديني والنرويج الفكري منه للخطاب السياسي، لذلك تضمنتها عدداً كبيراً من الآيات القرآنية الداعمة لوجهته الفكرية وقناعته السياسية، بلغ عددها ستة وعشرين آية قرآنية، معللاً ذلك بقوله : " ... بل ندعوكم إلى تأمل آيات القرآن المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ ولهذا استكثرنا في رسالتنا من آيات القرآن للقطع بحفظه من الخلل والزيادة والنقصان، ولم نستكثر من إبراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى أولاد فاطمة البتول وسلم؛ لقلة المتواتر منه والمتلقى بالقبول، واحتياج الأحاديث منه إلى معرفة الرجال العدول، والمعروف منهم والمجهول، الذي لا يخيظ فيه إلا العلماء، الفحول ... " (١٢١) .

(٤) قام محرر الرسالة بتكرار التذكير بشواهد التقارب بين المذهب الزيدي والمذاهب السنية الأخرى الشافعية والحنفية والمالكية، ناصحاً السلطان الطاهري الظاهر الثاني بمراجعة أقوال العلماء المتقدمين من علماء المذاهب المشار إليها، والدالة على التزامهم الولاء والمودة لآل البيت النبوي، يتضح ذلك في مثل الفقرة التي يقول فيها: " وإذا كنت من أهل التقليد، لمن لم يعرف حكم الشرائع المقيد، فإن عليك فرضاً واجباً، وحتماً لازماً، وهو التزام من تركن على فضله ووعده، وعدم طمعه في الدنيا وعلعه، أن ينلو عليك نصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية، إذ لم يكونوا ليميلوا عن علماء أهل البيت الطاهرين ...^(١٤١) إلى أن قال: "... فلا تظن أن بين المذهب الزيدي وبين مذاهب الفقهاء الأقدمين عداوة، وكلٌ منهم بصوِّب الآخر في اجتهاده، ولا يخطبه في مذهبه واعتقاده، وإنما فرق بينهم علماء السوء المتأخرون ...^(١٤٢) .

(٥) تضمنت هذه الوثيقة معلومات تاريخية لم تُشرِّ إليها أي من المصادر التاريخية اليمنية المعروفة والمتداولة إطلاقاً، وهي الإشارة إلى أن بعضاً من أقارب الإمام يحيى شرف الدين قد انضم إلى البلاط الطاهري، متبذراً قومه وأهل مذهبه، ومتخذاً منهم موقف الضد السياسي، ولعله كان يلعب دور الدليل والمستشار للسلطان الطاهري الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب في حربه ضد الزيدية وأئمتها، وأشارت الوثيقة إلى أنه كان متولياً بعض المهام لدى الإمام شرف الدين ثم حدث ما جعله يتقم عليه فاتخذ جانب الطاهريين وأخذ في تحريضهم ضده، تقول الوثيقة: "... وكأني بمن عندك من أهل مذهبنا - بل من بعض قرابتنا - يقول: لقد فعلت هذا الوجه بمن هو عنده، وذلك قول غير صحيح، صادر من غير نصيح، فإنه يعلم - وأنت تعلم - أنك غير فاعل لذلك، لأحد من أهل المالک، ولعلك تعلم - ونحن نعلم - بما تقصنا على المشار إليه، عدم صلاحه لما عوِّلَ فيه عليه ...^(١٤٣) .

(٦) تصوّر محرر الوثيقة ما يمكن أن تكون حُججاً للسلطان الطاهري في هجومه الكاسح على الزيدية، فكان يفترضها ثم يقوم بالرد عليها، وهي من أساليب المعتزلة الفلاسفة، والمتضلعين بعلوم المنطق وطرائق الجدل، لذلك نجد تكراراً لعبارة أمثال قوله: فإن قلت ... فلماذا لم ...

(٧) من ملامح البناء اللغوي في هذه الوثيقة حفاظ محررها على ما كان متعارفاً عليه من الإكثار من المحسنات البيعية كالسجع وغيره، واستخدامه التناص واستعارة الألفاظ المشهورة المتداولة، كان أكثر استعارته من ألفاظ الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية .

(٨) عندما أراكم محرر الرسالة الاستشهاد بموقف الإمام أبي حنيفة النعمان المؤيد - أو على الأقل المتعاطف - مع ثورة العلويين الزيديين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة (145هـ/762م)، وقع في خلط بين الزعيمين العلويين الشقيقين: إبراهيم بن عبدالله الثائر في البصرة بالعراق^(١٣٤) وبين أخيه يحيى بن عبدالله الذي أعلن ثورته بعد وفاة الإمام أبي حنيفة النعمان^(١٣٥)، وهو خطأ تاريخي واضح، إذ يقول: "... وقد كان من تلامذة زيد بن علي عليه السلام أبو حنيفة، ونال بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله ما هو معروف في السير، وكذلك نال الشافعي رحمه الله بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله إلى حد الضرب بالسياط، ..."^(١٣٦)، ولعله غاب عن محرر الرسالة أن البعد الزمني بين وفاة الإمامين الشافعي وأبي حنيفة النعمان قريباً من مائة سنة، فكيف يقفان سوياً موقف الموالاته من العلوي الثائر يحيى بن عبدالله ١٢ .

(٩) لم تتضمن هذه الوثيقة أية إشارة إلى كون كاتبها هو أحد رجال حاشية الإمام المتوكل يحيى شرف الدين أم هو نفسه، وهو ما أرجحه، فهو معروف بعلمه الواسع ومعرفته التامة باللغة العربية وآدابها، ويكفي لمعرفة مدى عمق علمه الالتفات إلى أنه يوبخ بالإمامة الزيدية التي تشترط بلوغ درجة الاجتهاد في متصديري إمامتها، كما لم تتضمن هذه الوثيقة - من جهة أخرى - اسم السفير الذي قام بإيصالها إلى السلطان الظاهري الظاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب .

السفارة الثانية: أرسلها الإمام المتوكل شرف الدين إلى الأمير حسين الكردي:

كانت الأساطيل البرتغالية في مطلع القرن الهجري العاشر/السادس عشر الميلادي قد رفعت من وتيرة نشاطها العدواني على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي وامتداداته حتى توقفت الحركة التجارية فيه بشكل كامل - أو كادت- ولم تكن اليمن ومصر والقرى السياسية والعسكرية الفاعلة فيهما بمنأى عن الأحداث الدائرة في المحيط الهندي لما له من أهمية قصوى بالنسبة إليهما^(١٣٧)، وكان لموقع اليمن الجغرافي المتوسط بين المجالين الحيويين للممالك من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى دوره في إجبار اليمنيين على التأثر والتأثر بمحمل ما يدور في المنطقة حتى لو افترضنا - جذاً - وجود الرغبة لديهم في السكون وعدم اللوحج في حلية الصراع، إذ أنه من المستحيل أن يقوم الممالك بأي نشاط عسكري مضاد للبرتغاليين في المحيط الهندي والبحر الأحمر دون الدعم المادي والمعنوي للسلطات القائمة في اليمن، كما أن الاستحالة قائمة في وجه البرتغاليين إذا ما عزموا على سد البوابة الجنوبية للبحر الأحمر في وجه التجار المصريين والشاميين

وبعض الأفارقة، وكذلك الوصول إلى تحقيق الشق الصليبي من أهداف حملاتهم بلوغ الأراضى المقدسة بالحجاز، الاستحالة قائمة في وجههم إذا لم يؤكدوا سيطرتهم على الموانئ اليمنية المهمة وجزرها الكبيرة سواءً في البحرين العربي أو الأحمر، أي : إن اليمن كانت نقطة الارتكاز الجغرافية في أحداث هذه المرحلة من تاريخ المنطقة .

ومن الواضح بجملة أنه لم يكن هناك ثمة مظامع مملوكية في اليمن، سواءً قبل هذه المرحلة المسيرة من تاريخ المنطقة أو قبلها، وكان هذا الأمر - من خلال اضطراد المسيرة التاريخية للعلاقات الودية القائمة بين القوى والدول الحاكمة في المنطقتين - راسخاً لدى الجميع، فلم نشهد مؤشرات لانعدام الثقة أو حلول الشك على هذه العلاقات، وهو ما تعكسه الهدايا المتبادلة بين العروش الحاكمة، وما استغاثته الطاهريين بالسلطان قانصوة الغوري ضد القرصنة البرتغالية ثم الموقف المُشترِك لحاكم عدن - مرجان الظاهري - من الحملة المملوكية الأولى التي قادها الأمير حسين الكردي إلى الهند سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م) ^(١٣١) إلا أدلة إضافية على صفاة العلاقات الثابتة بين الطرفين الطاهري والمملوكي عصرئذ .

بيد أن سوء الفهم الذي صاحبه مسير الحملة المملوكية الثانية سنة (٩٢١هـ / ١٥١٥م) يُعدُّ استثناءً في علاقة اليمن بمصر سياسياً، فقد وصلت الحملة المكونة من حوالي عشرين سفينة - محملة بما يقرب من ستة آلاف جندي معهم كثير من مؤنهم الحربية والحياثية اللازمة - إلى جزيرة كمران، وكان هدفها النهائي هو الهند وتأمين التحصينات العسكرية في البحر الأحمر وطرق الهند ضد الأسطول البرتغالي، وخورقاً من معارضة البرتغاليين الهجوم على البحر الأحمر وجدة على شاكلة ما فعلوا عام (٩١٩هـ / ١٥١٣م) ^(١٣٢) .

ما أن سمع الإمام الزيندي المتوكل بحبس شرف الدين بنزول الحملة في جزيرة كمران حتى حاول استمالة أميرها - حسين الكردي - وإقحامه في الصراع الدائر بينه وبين السلطان الظاهر الثاني عامر الطاهري، فأرسل إليه السفارة التي ننتاولها هنا ^(١٣٣)، وقد أرجأ الأمير الكردي الرد عليه لأنه لم يضع في حساباته أن يُخْرِج الحملة عما جُرِّدَتْ من أجله، ولعله لم يَؤجل الرد عليه إلا تحسباً للظنون التي تمكن الإمام شرف الدين من إثارتها عنده بخصوص السلطان الطاهري ^(١٣٤) .

بعث الأمير حسين الكردي رسالته الثانية إلى السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب - مشغوعاً بهدايا جلييلة من السلطان الغوري - يستعجله في إرسال ما يحتاجه جند الحملة من الزاد

وغيره، فاستشار السلطان بطانته فاختلفوا ما بين مزيد ومعارض، وكانت حجة المعارضين أن دعوى خروج الحملة إلى الهند وجهاد البرتغاليين ما هي إلا ستارٌ لبسط النفوذ على اليمن^(١٣١)، وأن هذه المساعدة إذا ما بُذلت فإنها ستصبح حقاً مكتسباً يصعب رفض بذلها لاحقاً، وقد مال السلطان الظاهر الثاني إلى هذا الرأي، فأغلظ الرد لمبعوثي الأمير الكردي، وأرسل إلى ابنه عبدالوهاب - حاكم زيد - يمنع السفن من التوجه في البحر الأحمر نحو الشمال^(١٣٢)، قاصداً بذلك حرمان الحملة من مصادر غذائها، فصدقت الظنون التي كان الإمام شرف الدين قد أثارها لدى الأمير حسين الكردي، فرد عليه رداً يعرب له عن تضامنه معه.

في مثل هذا الوضع أصبح استمرار الحملة المملوكية في مواصلة طريقها بالغ الصعوبة، خاصةً أن المسافة المتبقية بينها وبين وجهتها النهائية ما زالت بعيدة جداً، وأنها إذا كانت غير قادرة على الحصول على ما يكفيها من المؤن وهي ما زالت في النطاق الحيوبي لها فإنها ستكون أعجز في مواجهة قوة عظمى يحجم البرتغاليين وإمكاناتهم، ولعل الأمير حسين الكردي رأى في موقف الظاهريين هذا ممالأةً للبرتغاليين وولواً إلى صفهم، فوجد نفسه مضطراً إلى معاقبتهم، ولما كنا على علم بمدى قوة شخصية السلطان قاصوة الغوري فإننا ندرك أن تغيير مسار الحملة - كما ستراه - كان عن مشورة منه، وليس عن اجتهاد شخصي من قائد الحملة.

تحولت الحملة بقوامها كاملاً إلى السواحل اليمنية، وتقاطرت القوى المعارضة للحكم الظاهري، من القبائل وغيرهم، إلى الأمير حسين الكردي بإذنين له المساعدة والعون، مقدمين أنفسهم جنوداً في حملته، فمتعب ذلك الأمر على الظاهريين^(١٣٣)، الذين انهزموا أمام المماليك في أول اختبار لهم معهم، فوقعت زيد تحت السيطرة المملوكية سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وسقط الأمير عبدالوهاب بين السلطان الظاهر الثاني جريحاً ليموت بعدها بأيام في تعز، وكان لبتادق المماليك الحديثة التي لم يعهدها اليمنيون دور الفصل في هذه المعارك^(١٣٤)، وتتابعت هزائم الظاهريين أما المماليك، بما قبهم السلطان الظاهر الثاني نفسه الذي خسر أول معركة يقودها أمامهم سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) في منطقة الترتية^(١٣٥)، فانسحب إلى مدينة تعز، ثم غادرها إلى إب أمام زحفهم، فأقاموا الحطبة للسلطان الغوري على منابرها^(١٣٦).

واصلت القوات المملوكية تقدمها حتى دخلت القرانة - مركز الحكم الظاهري، وتقهقر السلطان الظاهر عامر الثاني حتى وقعت بين الطرفين المعركة الفاصلة عند أسوار صنعاء، في ربيع الآخر من

سنة ٩٢٣هـ الموافق مايو ١٥١٧م، وانجذبت المعركة عن مقتل السلطان الطاهري وأخيه عبدالملك^(١١١)، وبذلك استحكمت قبضة الماليك على أهم المناطق في اليمن، في تهامة والجبال، ولم تستعص علىهم من المناطق التي قصدوها سوى عدن .

تعليق على وثيقة السفارة الثانية :

اختلفت وثيقة هذه السفارة عن وثيقة السفارة الأولى من نواح عدة، منها أن هذه الوثيقة تضمنت التصريح باسم السفير الذي تصدر للسفارة وحمل الرسالة بيده من المرسل إلى المرسل إليه، فهو الفقيه العالم العامل صلاح الدين بقية المجاهدين- كما وصفته الوثيقة - صلاح بن سراج الله، وما يؤسف له أن مصادر تراجم علماء اليمن التي صنفها مؤرخو الزيدية أو خصومهم لم تتضمن ترجمة لهذا الفقيه، ومن جانب آخر اختلفت هذه الوثيقة عن سابقتها بأنها صرحت بأن ما تم تدوينه في متن الرسالة ليس كل ما أراد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين تحريره فيها، وأن السفير مفوض في تبين ما لم يتسع مقام كتابة الرسالة له، فقد قال الإمام شرف الدين في آخر عباراتها : "... والفقيه الصالح صلاح يحقن لكم ما لا يتسع له الكتاب، ولا يقوم به إلا المشافهة والمحطاب، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وسلم^(١١٢) بينما نجد وثيقة السفارة الأولى لا تصرح بفتح الباب أمام السفير لإضافة شيء إلى ما تم التطرق إليه من الحجج فيها، وآخر وجوه الاختلاف بين السفارتين أن الأولى كانت بين قوتين يمينيتين في حين أن أحد طرفي الثانية كانت قوة إقليمية غير يمنية .

من ناحية أخرى نجد عدداً من أوجه التشابه في البناء اللغوي لوثقتي السفارتين ومحتواهما الدلالي، فمُخَرَّر كلا الوثيقتين قد حافظ على قدر كبير من زخرفة ألفاظهما بالسجع وأخواته من المحسنات البديعية الأخرى، وذلك ما يدعونا إلى ترجيح أن كاتب الوثيقتين هو الشخص نفسه، وربما يكون الإمام المتوكل يحيى شرف الدين شخصياً، كما أن وثيقة السفارة الثانية أكدت على المعلومات التاريخية التي تضمنتها وثيقة السفارة الأولى عن وجود أحد أقارب الإمام شرف الدين من الزيدية العلويين بين صفوف الطاهريين، بعضهم ويتصره على أهل مذهبه، وهي المعلومة التي لم تتضمنها المصادر التاريخية اليمنية، تقول الوثيقة الثانية : "... وأعانه على ذلك رجل منا أهل البيت، ادعى ما ليس له بحق، فأنكر عليه الإمام الوشلي، فلم يزل صاحبا يعضد هذا الطاغية، وينصر فرقته الباغية، حتى تمكن من الإمام الوشلي محمد بن علي...^(١١٣) .

هناك مجموعة من النقاط المهمة الجديرة بالإبراز في ثنايا ملامح وثيقة السفارة الثانية، يمكننا التطرق إلى أهمها في النقاط الآتية:

(١) مع أن الخلفية الفكرية العقائدية والمذهبية التي يدين بها حكام الدولة الظاهرية بمن فيهم السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب هي نفسها الخلفية العقائدية والمذهبية التي يدين بها الماليك الجراكسة بمن فيهم الأمير حسين الكردي ، التي سبقت الإشارة إلى أنهما من دوافع الصراع بين الزيدية وغيرهم من أبناء اليمن ، إلا أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين لم يجد بأساً في الاستعانة بالأخير ضد الأول ، وهو ما يعزز القناعة بأن القوى اليمنية وظفت الخلاقات الفكرية والمذهبية في صراعها مع بعضها كونها حافزاً كبيراً لأفراد جيوشها للإخراط في صراع تلك القوى على المصالح السياسية والاقتصادية بحماسة كبيرة ، فقد كان الظاهريون - حكاماً ومحكومين - شائعي المذهب أشعري العقيدة ، وذلك بالضغط ما ينطبق على الأمير حسين الكردي ورؤسائه ومرؤوسيه .

(٢) ألمحت هذه الوثيقة بشكل شبه صريح إلى النسب الأموي للظاهرين وسلطانهم الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب ، وهو ما غاب تماماً في ثنايا وثيقة السفارة الأولى ، تقول الوثيقة في معرض مدحها للأمير حسين الكردي : "... أمير الأحرار - الإسلامية ، مفرج كرب العترة الظاهرة الزكية ، الناظم بشأر الحسين من الفرقة القوية ، الظالمة العارمة ، المتحلي من أجل ذلك بكل زين ، المتخلي عن كل شين ، الرافي بحسب سيد الشهداء الحسين ، الأمير الجليل النبيل حسين ، حياه الله من السلام بأسنائه ، ومن الإكرام بأزكائه وأعتابه ...^(١٤) ، وفي ذلك قرينة واضحة تدل على أن إرث الماضي السحيق من الفتنة الكبرى والصراع بين معاوية بن أبي سفيان والإمام علي بن أبي طالب وما تلاه إبان الحكم الأموي كان ماثلاً بين عيني الإمام يحيى شرف الدين ومستحضراً إياه في صراعه مع الظاهريين .

(٣) ربما يتبادر إلى الذهن أن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين لم يتطرق إلى التلميح إلى ما جرى للحسين بن علي على أيدي الأمويين إلا ليستجيش عاطفة الأمير حسين الكردي كونه يحمل الاسم نفسه ولِيحمله على التعاطف مع الزيدية المنتسبين إلى حفيد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما .

(٤) استطاع الإمام المتوكل يحيى شرف الدين في رسالته أن يوجز بعبارة غير مخلة ما أوقعه السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب في رجال الزيدية وقاداتها ، وذلك من مهارته اللغوية ومعرفته القوية بها ، إذ يقول في ذلك : "... بأننا لم نزل إلى الله مبتهلين ، ولما لديه من الفرج منتظرين ، وبالتجدة لما بدت من عدو الله الجائر عامر ، والقيام بالدعا ، إلى دفاعه وجهاده استئثلاً لأوامر الله الملك القادر ، ولكن منع من ذلك عدم المعين والناصر ، وخذلان من أهل الزمان المشؤم القاصر ، وميل من الناس إلى الأطماع الحقيرة ، وانخداع بزخارف الأباطيل الفاضحة المبيرة ، حتى

تمكن منهم هذا الظالم الغشوم، وأوقعهم من الحزبي والوبال والهوان في أقصى التخوم، وشمل شره البرئ والغوري، والضعيف والقوي، والشجي والخلي، وتبع بمعظم جيشه ومكره أهل بيت النبي، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية، ولا أجيب لهم بإجابة نالعة وأعية، حتى يدهم الظالم في البلاد، ويفرق بين الآباء منهم والأولاد، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبدين، يتمنى الولد أن يحضر موت أبيه، والوالد أن يشاهد أحوال بنيه، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في ملك اليمن، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين... ولقد قسم - أخزاء الله - بقصد الحرمين، وإخراج من فيه من ولد الحسين...^{١٤١}.

(٥) أراد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين أن يستحث دواعي الفخر لدى المساليك القادمين من مصر لعله ينجح في تحويلها إلى رد إيجابي على استنجاهه بهم، وذلك من خلال التذكير بسلطان مصر قانصوه الغوري، وما لمصر من ذكر معروف في سيرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: "... فرجعنا ... إلى الله سبحانه وتعالى، وسألناه تعجيل الفرج، وإطفاء وهج المهج، على يد من هو أهل للحماد المبرورة، والمقاصد المشهورة، في حياطة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين، وما ذاك إلا لسرية صالحة، ونجاة رابحة، من السلطان الأكرم، والمستطيل الأعظم، قانصوه أخال الله بقاء وتوفيقه، وأوضح إلى كل مقصود مبرور طريقه، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم، الذي جعله الله في مصر لحليلة إبراهيم، وخاتم أنبيائه محمد عليهما وعلى آلهما أفضل الصلاة والتسليم، وترجو أن الله تعالى قد وفقكم، أيها الغزاة الأعلام، لمشاهدة من قال فيهم الملك العلام : " لسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أدلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم..."^{١٤٢}.

(٦) جعل محرر هذه الوثيقة الشاهد من هذه السفارة وبيت القصيد في هذه الوثيقة الاستنجاهية صريحاً واضحاً، إذ هو طلب المدد من الرجال والعدة لكي يستخلص الزيدية أرضهم من أيدي الدولة الظاهرية، ولم يترك المحرر الاحتمال قائماً في ألا يتضح المطلب الرئيس من السفارة والسفير، تقول الوثيقة: "... وهذا كتابنا يحتوي على التهنة السنية، بما فتح الله به من الفتوحات الهنية، وحث لكم على استدراك هذه البقية، من عترة نبيكم الطاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغية وأعدائه وأنصاره، وقد بقيت لنا بلاد مجاورة لهلاكه، ونحن نفتقر إلى الإعانة منكم، بما أمكن من الرجال والعدة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله خير الناصرين..."^{١٤٣}.

الملاحق

- الملحق الأول : النص الكامل لوثيقة السفارة الأولى التي بعثها الإمام المتوكل يحيى شرف الدين إلى السلطان الطاهري الطاهر الثاني عامر بن عبد الوهاب:

1 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتُنظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَعْدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١٨ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (سورة الحشر). أما بعد : حمداً لله حق حمده، وشهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة خائف توعبه، راج لوعده، والصلاة والسلام على سيدنا رسوله وعبده، وعلى الناحين بنحوه، والقاصدين بقصده، فهذا كتاب ممن هو لجميع أمة محمد كالوالد الشفيق، باعتبار النصيحة التي هي الدين، ينص سيد المرسلين، للخاص والعام والقريب والسحيق، كيف بمن يرحى بقوله للنصيحة صلاح عامة المسلمين، وسداد كافة المؤمنين، ودفع البلية عن أهل بيت الأئمة، وسكون واعتبتهم المحاصلة بما نالهم من التمهيش والتمحيين، وحقن دمائهم ودماء الناس أجمعين. 1 وَتَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (سورة الزاریات)، لا جرم من كان القصد الحسن التصدير بهذا [ص: ٢٢] البلاغ الأثور إلى ملك اليمن، فأقول: ولست مزيكياً نفسي، من العيوب ومقارفة الذنوب، ولكن أقول بالخير المشهور، والأثر الماثور، وأمر بالمعروف وإن لم تفعله كله، واجتنبوا المنكر وإن لم تجتنبوه كله^(١)، واعتصم بالله عن أن تكون من الذين يأمرون الناس بالير ويسنون أنفسهم، وأسأله أن يكون لي حيث قصدتي.

أيها الملك الذي تربت له دنياه، فظن أن رضى مولاه في فعله ما يطابق هواه، وغره قول جهال أوليائه : إن الله أكرمهم بالقهر لأعدائه، سلام عليك، والله وسيتلى إليك، في أن تصح كلامي في كتابي هنا تتبع طالب للرشاد، مفرغ قلبه من الأحقاد، منصف من نفسه، ذاكراً قرب حلول رسنه، وحيداً لا مؤنس له ولا وَزَرَ ولا مهرب ولا مفر إلا ما اكتسب من صدق اليقين، واستصحاب تقوى المتقين، ولا بصدنك أنفة المتكبر عن تأمل ما أتى به مُذَكَّرُهُ، فنصيحة في تحشين، خير من خديعة في لين، إياك أن تتبع هواك فيضلك عن سبيل الله، (إِنَّ الَّذِينَ يَضَلُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ) (سورة ص)، فإن دعاك من جلساتك عبيد هواهم إلى ما فيه بقاء العنادهم...^(٢) (قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ) (سورة الأنعام)، وتيقظ عن سنة الغفلة قبل أن تُسْتَرْخِعَ للرحلة بموقف قول نحن إليه صائرون: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ خَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّحْصِرُونَ) (سورة الأعراف)، وتفكر تفكر الذين إذا

علموا هم يعملون، وفي معنى تهديد (ذُرِّعْتُمْ تَاكُلُوا وَتَنَمَّتُوا وَتُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسُوفَ يَكْفُرُونَ) (سورة الحجر)، (نَسَارُ لُهُمْ فِي الْحَيَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة المؤمنون)، واطفأ تاجع نار الكبر بقوله تعالى: (نَسَارُ لُهُمْ فِي الْحَيَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (سورة البقرة)، ولا بفركن قول المجلس والحليل: إن الذي أنت عليه جليل مقيل، (يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (سورة الفرقان)، وقال - وهو أصدق القائلين - (الْأَخْلَافُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (سورة الزخرف)، وهيهات أن يأتي أماناً من يخيظ في ذنبه خيط العشوى، ويضرب بأسباب الهوى إلى غير سبيل التقوى، (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) (سورة النازعات)، هذا وإن لا نلتبس منكم اتباعنا، والانتقاد لمجرد قولنا، بل ندعوكم إلى تأمل آيات القرآن المجيد، الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (سورة فصلت)؛ ولهذا استكرنا في رسالتنا من آيات القرآن للقطع بحفظه من الخلل والزيادة والنقصان، ولم تستكثر من إبراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى أولاد فاطمة البنول وسلم؛ لقلقة المتواتر منه والمتلقى بالقبول، واحتياج الأحاديث منه إلى معرفة الرجال العدل، والمعروف عنهم والجهول، الذي لا يخيظ فيه إلا العلماء الفحول، قال الله تعالى: (تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (سورة آل عمران)، فحتاج إلى معرفة حقيقة العبادة، ولا تُعرف حقائقها إلا بالنظر في أوامر الباري ونواهيهِ، ثم تتبع أحوالك وأحوال من تعاديه وتناويه، فما وافق الشرع اتبع، وما بعد عنه احتز من واعتنع، عملاً بما تدب إليه قول من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِغَيْرِ وَادِّكْرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (سورة الأعراف) .

وإذا كنت من أهل التقليد، لمن لم يعرف حكم الشرائع المفيد، فإن عليك قرصاً واجباً، وحتماً لازماً، وهو التزام من تركن على فضله ووعده، وعدم طمعه في الدنيا وعلعه، أن يتلو عليك نصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية، إذ لم يكونوا ليميلون عن علماء أهل البيت الظاهرين، ثم تنظر هل أنت في أفعالك وأقوالك أحق بالأمر أم ممن يتأهل لهذا الأمر من أهل البيت الجامع لشروط الزعامة، وأسباب الإمامة، التي هي كلها أمور دينية ومصالح كلية، وإن قلت: إنك لم تحارب من أهل البيت إلا من ظهر ظلمه وجار حكمه، فما سبيلك إلى من لم يظهر منه ذلك ولا سلك في مثل تلك المسالك، بل ما سلطانك على من دأبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتمترع عن المعاصي في صغره والكبر، ولا يفعل فعلاً إلا وقد نظر في موافقته

للشرع الشريف، ومطابقته للدين الحنيف، ثم انظر في فعالك، هل أنت محرم فيها مطابقة ذلك؟ وانظر في أتباعك وأهل مذهبك في زمانك، هل معهم من الزهد والورع مثل أتباع خصومك حتى تأخذ لنفسك؟ فإن قلت: إني ما أجزيت العدل في أهل البيت إلا لقيامه مقام الجاهل، فهلا قمت مع العادل منهم على الجائر حتى يستقيم على الحق وينحط الباطل، ثم انظر إلى أعوانك الذين يتعلقون بالأمر...^{١٤١} على مثل مال الذي أجزيتهم عليه، من فعل المنكر والجور، والفعل بما لم يطابق الشرع المطهر، فيجري لك في هذا أن قصد نفسك وقصدت من معك ليس إلا رقة الدنيا لا غير، وكثير من علماء مذهبك يقول: إنك غير جازٍ على شريعة الرسول.

هذه نبذة من أمور ظاهرة، يفهمها العالم وغير العالم، ولا تسأل في علماء مذهبك إلا من ليس يأخذه في الله لومة لائم، ويخاف عقاب ما أشارت إليه هذه الآيات التي قال الله فيها: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيْسُ مَا يَشْتَرُونَ) (سورة آل عمران)، (لِمَ تَقْسِمُونَ بِالْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (سورة آل عمران)، (إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (سورة البقرة) ولا تقبل منهم من غير نظر منك لنفسك، وافتكار فيما أظنوه إليك من الإختيار، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: استفتت نفسك وإن أفتاك المفتون^{١٤٢}، فإن مجرد التقليد ليس طريقاً إلى السلامة، ولا سبيلاً إلى الأمان عند الندامة، في هذه الأمور القطعية، والعوائد الكلية، بل لا بد فيها من البيان حتى (ص: ٤٤) يسكن الخاطر والجنان، وإلى هذا المعنى أشار الملك الرحمن: (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَوَعَّابَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) (سورة التوبة)، قال ابن عباس: ما عبدوهم، بل قالوا فاتبعوهم من غير برهان، وقال الله تعالى حاكياً عن المقلدين: (إِنْ أَرَادْنَا لَكُمْ تَبَعًا لَقَدْ كُنَّا أَفْئِدَةً نَضِيبًا مِنَ النَّارِ) (سورة غافر)، (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَسْلَمْنَا سَبِيلَ) (سورة الأحزاب)، وذم المقلدين حيث قال: (قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَدَّعْنَا عَلَيْهِ آيَاتُنَا أَوْلَوْا كَانِ آبَاؤَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (سورة المائدة)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من أخذ دينه عن أقواء الرجال ذهب به الرجال من بين إلى شمال، وكان في دين الله على أعظم زوال^{١٤٣}...^{١٤٤}.

وليت شعري هل بقي عند علماء مذهبك شرع الإمام كما هو نص الشافعي وغيره من العلماء الأعلام، فإن كان ذلك عندكم باقياً فهل تعتقد في نفسك أنك إمام المسلمين؟ فإن قلت: لا، فما طريقك إلى فعل أفعال الأئمة؟ وما سلطانتك على من توليت عليهم من هذه الأمة؟ وكيف حالك

عند خالفك؟ وإن قلت : نعم، قلت لهم: هل لها شروط معتبرة، وقواعد محررة، فلا بد أن يقولوا: نعم، فانظر هل قد أدركت شروطها وحقائقها؟ واستكملت أسبابها وطرائقها؟ فلا شك أن الإمام خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها هذا، وتعلم أنك في هذا الزمان قد جردت لعداوة أولاد نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وتفريقهم، وتبديدهم في البلدان، وقد جرى عليهم منك هذا التمهيص، وما خرجوا من الشام إلى اليمن إلا من مثل هذا البلا، والتنعيص، وليس عليهم في هذا حرج عند الله وعند من يعرف ويعقل سنن الأنبياء، والصالحين، وإنما الحرج والمصيبة في الدين والدنيا على من تصدى لمناواتهم، وتعنى بمعاداتهم، وانظر الذين فعلوا مثل فعلك ممن قد تمكّن أكثر من تمكّتك من الأموية والعباسية وقبرهم من الملوك، هل كان لهم بذلك في دينهم ودينامهم أثر صالح؟ أم قد أهلكوا أنفسهم، وبطل أمرهم واضمحل، إلا بكل سوء ذكرهم، ولم يعرف لأحد منهم باقية، وكل لسان عليهم باللثم ناعية، وأولاد على عليه السلام لا يزال يتجدد أمرهم، ولا يبلى على وجه الأرض ذكرهم، وذلك مصداق قول جدهم صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدأ: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير تنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ المحرمين^{١٤٤}، قاله الله في تقصده، احذر أن يكون خصمك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفريق أولاد بنته في البلاد، وقصدك لهم بالهلاك والفساد، فإن قلت: إنك لم تقصد إلا من كان منهم ظالماً لنفسه، وغير عامل لحلول رسمه، فلا تنكر أن منهم من قد كان كذلك، ولو لم يكن منهم ذلك ما وقعوا في المهالك، لكن مالك لا تعين الصالح منهم على الطالح حتى يكون من أهل النظر في المصالح، بل صرت تجعل همك في نكابة أفضلهم وخيارهم، وتقصد بالسوء علماءهم.

هذا ونحن ندعوك إلى أمور: إما إخلاصك إلى صاحب الإمامة، (ص: ٥٢) من أهل الرئاسة بالحق والزعامة، من أولاد بنت نبيك المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار، وعملك على رأيه في الإيراد والإصدار، حتى تكون من جملة أتباعه وأعدائه وأنصاره، فتفوز بخير الدنيا والآخرة، وتظفر بالسعادة التامة، ولا أراك لهذا فاعلاً، والأمر الثاني: أن تعين صاحب هذا الأمر من أولاد بنت نبيك بشئ من المال والبلاد، تقرب بذلك إلى رب العباد، وتقتصر على ما قد صار في يدك من الممالك، ولا تضيق على أولاد بنت نبيك المسالك، وتجمع شملهم في أوطانهم، وتقرب إلى الله باجتماعتهم في أعطائهم^{١٤٥}، والذي تخافه في اجتماعهم لا يضرك مع علم الله بقاء مملكتك، ولا ينفكك حدرك مع علم الله زوالها، (وإن يمسسك الله يضره فلا كاشف له إلا هو وإن يردك

يُخَيِّرُ فَلَا رَادَ لِغَضَبِهِ) (سورة يونس)، مع أن الموت قريب عاجل، والزوال من الدنيا - وإن مُلِكْتِ كلها - لا يشك فيه عاقل، فليست الدنيا تسوى هذا الاحتفال، ولا تقابل بهذا الالتفات إليها والإقبال، ولو كانت الدنيا عند الله تسوى جناح بعوضة ما سقى فيها كافر شرية ما^{١٩١}، فلا تغتر بما ملكت فيها من الملك الزائل، والمال الطائل، فقد تملّكه كافرون في كثير من الأرض، ذات الطول والعرض، وكأني بين عندك من أهل مذهبنا- بل من بعض قرابتنا - يقول: لقد فعلت هذا الوجه بين هو عنده، وذلك قول غير صحيح، صادر من غير نصيح، فإنه يعلم - وأنت تعلم - أنك غير فاعل لذلك، لأحد من أهل الممالك، ولعلك تعلم - ونحن نعلم - مما نعمنا على المشار إليه، عدم صلاحه لما عُورِلَ فيه عليه، وهذا الوجه قد جعله الشيخ علي بن طاهر لحي والدنا الإمام المظهر بن محمد عليه السلام، فإنه أعانه على أخذ دمار، واستصفى ما حولها من الأقطار، وكان عوناً له على أمره، حتى قيل أنه أخذ منه ولاية فيما يقدم فيه ويحجم، ويقطع ويجزم، فإن صح ذلك فهو إذاً من الموقّنين، السعداء، في الدنيا والدين، ولعل أسرار زيارته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وروايته التي تُذكر قد أدركته حتى فاز بجزيل الثواب، ونجى من وويل العذاب .

وإن لم يحصل منك لا هذا ولا هذا، فأمرُ قائم، وهو المهادنة لمن بقي من الزبديّة في هذه البلاد الحقيرة، والقرى البسيطة، فإنها لا تزيد في ملكك إن علم الله بقاء، ولا تمنع من هلاكك إن أراد الله انتقاه، وقد صرت في أمهات بلاد اليمن، والله أعلم ما يكون في حرب من بقي، هل لك أم عليك، (كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (سورة يونس) .

وقد عجبنا من قصدك لنا بالعداوة من غير أن تعرفوا ما عندنا، ولا تتيقنوا قصدنا، وما تنقصون منا إلا أن قلنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآن ما قد جرى بيننا وبينكم ما يجرح الصدور، وقد طلبنا منكم أخذ هذه الأمور، والصلاح فيها لكم ولسائر الجمهور، هذا ولا بد أن يكون من عندكم من الناس في رسالتنا هذه على أنصاف:

- منهم من يقول: هذا رجل مقفل بطلب ما لا يتقدر، ويحاول ما لا يتصور .
- ومنهم من يقول: هذا يجرّ العرض إلى (ص: ٦٢) نفسه .
- ومنهم من يقول غير ذلك .

فعليك أن تنظر في القول لا في القائل، فقد قال سبحانه في حق سيد البشر حسين جرى في حقه مثل هذه الأقوال عن كان في زمنه: (وَإِنَّ بِكَ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) (سورة غافر)، (وَإِنَّ بِكَ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) (سورة محمد) .

واعلم - هناك الله - أنه إذا حصل جمع شمل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على يدك كنت أسعد الملوك والسلاطين، وأرفع مشايخ الأولين والآخرين، فتعلم أن زيد بن علي وأبا حنيفة والشافعي ومالكاً رضي الله عنهم أجمعين على شريعة واحدة، وطريقة غير متباعدة، وقد كان من تلامذة زيد بن علي عليه السلام أبو حنيفة، ونال بسبب موالاته الإمام يحيى بن عبدالله ما هو معروف في السير، وكذلك نال الشافعي رحمه الله بسبب موالات الإمام يحيى بن عبدالله إلى حد الضرب بالسياط، فلا تظن أن بين المذهب الزيدي وبين مذاهب الفقهاء الأقدمين عداوة، وكلا منهم بصوِّب الآخر في اجتهاده، ولا يخطئيه في مذهبه واعتقاده، وإنما فرق بينهم علماء السوء المتأخرون.

ولنختم كتابنا هنا بما ختم الله كتابه الكريم، حيث قال: (وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْتَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (سورة البقرة)، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم^(١٣٣).

- الملحق الثاني : النص الكامل للوثيقة السيفرانية الثانية التي بعثها الإمام المتوكل يحيى شرف الدين مستجداً بالأمير المملوكي حسين الكردي قائد الحملة المملوكية إلى الهند :

« بسم الله الرحمن الرحيم، نعمة سبقت وشملت، ومنحة تمت وكملت، بلغت من لدن حكيم خبير، على أهل بيت نبيه البشير النذير، أجراها على يد ملك السيف الأمير، الهمام الخطير، أمير الأمراء الإسلامية، مفرج كرب العترة الطاهرة الزكية، الناقم بشار الحسين من الفرقة الغوية، الظالمة العاصرية، انتحلي من أجل ذلك بكل زين، المتخلي عن كل شين، الواقي بحق سيد الشهداء، الحسين، الأمير الجليل النبيل حسين، حياء الله من السلام بأسيانه، ومن الإكرام بأزكاه وأهناه، والله المسؤول أن يوفقنا وإياه لإصابة مراده، وهداية عباداه، وإجراء أحكام شريعته الطاهرة في بلاده، وتطهيرها من آثار الجائر وتنويرها من ظلمات جرأته وعناداه، وبعد : فإن كتابنا هذا لتعريف خاطر الأمير، ووقعه الملك القدير، بأننا لم نزل إلى الله مبتهلين، ولما لديه من الفرج منتظرين، وبالتجرد لما بدت من عذر الله الجائر عامر، والقيام بالدعاء، إلى دفاعه وجهاده امتثالاً لأوامر الله الملك القادر، ولكن منع من ذلك عدم المعين والناصر، وخذلان من أهل الزمان المشؤوم القاصر، وميل من الناس إلى الأطماع الحقيرة، وانخداع بزخارف الأباطيل الفاضحة المبيرة، حتى تمكن منهم هذا الظالم العسوم، وأوقعهم من الخزي والويل والهوان في أقصى التخوم، وشمل شره البرئ

والغري، والضعيف والقوي، والشجي والخلّي، وتنبع بمعظم جيشه ومكره أهل بيت النبي، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية، ولا أجيب لهم بإجابة نافعة وأعية، حتى يدهم الظالم في البلاد، ولحق بين الآباء منهم والأولاد، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبدين، يتمنى الولد أن يحضر موت أبيه، والوالد أن يشاهد أحوال بنيه، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في ملك اليمن، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين، وأعانه على ذلك رجل منا أهل البيت، ادعى ما ليس له بحق، فأنكر عليه الإمام الوشلي، فلم يزل صاحبنا يعضد هذا الطاغية، وينصر فرقة الباغية، حتى تمكن من الإمام الوشلي، محمد بن علي، ولم يعذرنا أهل زماننا عن القيام في مقامه الجلي، ولقد همّ - أخزاء الله - بقصد الحرمين، وإخراج من فيه من ولد الحسين، فرجعنا - مع بذل ما بقي معنا من جهد في دفاع مجهود المذاكرة له كثير من الحدود - إلى الله سبحانه وتعالى، وسألناه تعجيل الفرج، وإطفاء وهج المهج، على يد من هو أهل للمحامد المبرورة، والمقاصد المشهورة، في حياطة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين، وما ذاك إلا لسرية صالحة، ومحارة رابحة، من السلطان الأكرم، والمستطيل الأعظم، قانصوه أطال الله بقاءه وتوفيقه، وأوضح إلى كل مقصود مرور طريقه، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم، الذي جعله الله في مصر لحليلة إبراهيم، وخاتم أنبيائه محمد عليهما، وعلى آلهما أفضل الصلاة والتسليم، ونرجو أن الله تعالى قد وفقكم، أيها القزاة الأعلام، لمشاهدة من قال فيهم الملك العلام: (فَسَوَّكَ يَا بِيَّ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة) .

وقد رجعنا إرسال هذه الرسالة بيد صاحبنا الفقيه العالم العامل صلاح الدين، بقية المجاهدين صلاح بن سراج الله، كتب الله هدايته، وأحسن رعايته، وهذا كتابنا يحتوي على التهنئة السنية، بما فتح الله به من الفتوحات الهنية، والحث لكم على استدراك هذه البقية، من عترة نبيكم الطاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغى وأعوانه وأنصاره، وقد بقيت لنا بلاد مجاورة لبلاد، ونحن نفتقر إلى الإعانة منكم، بما أمكن من الرجال والعدة، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والله خير الناصرين، والفقيه الصالح صلاح يحقق لكم ما لا يتسع له الكتاب، ولا يقوم به إلا المشاهدة والمحطاب، وصلاة الله على سيدنا محمد وآله وسلم و^{١٥٨} .

الهوامش

- ١- أديب آل الإمام المتوكل يحيى شرف الدين في عصره، ومؤرخ أخبارهم، توكّنايُّ المولد والنشأة. أخذ عن مشاهير علماء اليمن في زمنه، وكانت له مطارحات ومناقشات ومساجلات مع عدد من علماء وأدباء اليمن، وأشهرهم إبراهيم بن الإمام الشهير محمد بن إسماعيل الأمير الصنعائي. وقد ترك ديواني شعر. أحدهما عامي والآخر بالفصحى. كما اشتهر كتابه المشار إليه (المواهب السنيّة)، انظر زيارة: محمد بن محمد بن يحيى (ت ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، نبيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر. مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ودار العودة، بيروت، (د، ت)، ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٦. الوجه: عبدالسلام عباس، أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عُمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣٢٢، ٣٢٣.
- ٢- قامت هذه الدولة سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م)، وحكمها الملكان الأخوان الظاهر الأول عامر بن طاهر والمجاهد علي بن طاهر مدة ٢٥ سنة، ثم حكمها الملك المنصور عبدالوهاب بن داود مدة ١١ عاماً، وامتدت فترة حكم الملك الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب إلى حوالي ٢٩ عاماً، وبقي الأمراء الظاهريون في نزاع دائم حتى انتهى أمرهم بعد وفاة الملك الظاهر الثاني عامر بعشرين سنة تقريباً، أي أن ظهورها استمر حوالي ٨٥ عاماً، فتكون مدة حكم الملك الظاهر عامر ثلث المدة تماماً، بل تزيد قليلاً.
- ٣- للاطلاع على جهود هذا السلطان وإجازاته العمرانية والعسكرية والعلمية ينظر المدخلي، د- محمد ربيع هادي عمير، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الظاهري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- ٤- ابن الدبيع، أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد علي الأكرع، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، (د، ن)، ص ٤٣١ - ٤٤٦، بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق عبدالله محمد الحشيش، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩م، ص ١٨٥-١٩٨، الفضل الزيد علي بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق د. يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٤١-٢٥٧، الكندي، تاريخ حضرموت السياسي | العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة)، تحقيق عبدالله الحشيش، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج ١ ص ١٥٤، محمد ربيع المدخلي، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية، ص ٧٦ - ٨٨.
- ٥- يحيى بن الحسين، غاية الأمان في أخبار القطر البعاني، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٦١٨ - ٦٢٥، الكيسي، محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٢٦، ١٢٧، أحمد، د. محمد عبدالعال، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٣٢٣، ٣٢٤، زيارة، محمد بن محمد بن يحيى

(ت-١٣٨هـ/١٩٦٠م). أئمة اليمن، مطبعة النصر الناصرية، تعز، ١٩٥٢م، ص ٣٦٠، ابن الذبيح، قرعة العيون، ص ٤٤٢، ٤٤٥، الفضل المزيد، ص ٢٣٤ - ٢٤٧ .

٦- يقع اسم لقبيلة جَستَرِيَّة كبيرة، وأطلق اسمها على المنطقة التي يسكنها أفرادها، وتقع منازلها بين الصَّالِح ونَجح، وهي أرض جبلية صخرية شديدة الوعورة، ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢٢٠٠ قدم، ويبلغ ارتفاع بعض جبالها إلى ٢٥٠٠ قدم، وهي أعلى المناطق في المحافظات الجنوبية من اليمن وأكثرها ارتفاعاً، ويقدر ما أسهمت هذه الطبيعة الصعبة جداً في عزلة أهلها أسهمت أيضاً في إكسابهم قدراً غالباً من الشجاعة والإقدام، وجعلتهم مغرمين بالسفر والهجرة إلى نواح يمنية مجاورة أو أقطار أخرى، بامخرمة، الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م)، النسبة إلى المواضع والبلدان، نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم (٢٥٦٩)، ق ٤٠٢، الحجري، محمد بن أحمد (ت١٣٨هـ/١٩٦٠م)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكرع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج ٤ ص ٧٧٢، ٧٧٤، المفطحي، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٢ ص ١٨٩٤ - ١٨٩٦ .

٧- تَبْحَان حَقْلٌ أَرْبِي واسعٌ في قاعٍ نَسِجٍ يمتد باستقامة ابتداءً من سفوح الجبال الواقعة شمال مدينة البيضاء إلى أطراف رملة السَّعِيَّتَيْنِ التي تعدُّ أحدَ أكبرِ أَسْجَادِ صَعْرَاءِ الرِّيحِ الحَالِي، وتَبْحَانُ أحدُ منازلِ قبيلة مُرَادِ المُدَجَّجِيَّة الشهيرة، التي ينتمي إليها قائلُ الإمامِ عليِّ بن أبي طالبٍ كَرِيمِ اللهِ وَجْهَةِ الخَارِجِيِّ الشَّهِيرِ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمِ الرَّمَادِيِّ، وَأَرْضُ تَبْحَانَ زُرَاعِيَّةٌ حَصْبَةٌ، غَلِيَّةٌ بِالمَاءِ المُتَحَدِّةِ إليها من جبالِ البِيضَاءِ، وصيَّهَا الجَوْفِيَّةُ متوافرةٌ على أعْصَاقِ قَرْيَةٍ، لذلك تكثر فيها مَزْرَعَاتِ المِجْرِبِ وبعضِ الفَوَاكِهِ والخَضْرَوَاتِ، وتكثر فيها المناحل، وتَبْحَانُ تقع على أَطْلَالِ مَدِينَةٍ قَدَّمَ الأَثَرِيَّةُ القَدِيمَةَ، التي كانت عاصمةً لدولة قَتِيَّانِ البَنِيَّةِ في فترة ما قبل المِيلَادِ، وهي تشكل واحدة من مديريات محافظة شَبْوَةَ المُتَأَخِّمَةِ لصَعْرَاءِ الرِّيحِ الحَالِي، بامخرمة، المصدر السابق، ق ٧٥، الحجري، المصدر السابق، ج ١ ص ١٣٢، ١٣٣، المفطحي، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

٨- تناولت المصادر والمراجع الأئمة أخبار هذا الإمام، ابن داغر، صلاح بن داغر المهدي (ت في القرن العاشر الهجري)، سيرة الإمام يحيى شرف الدين، صورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة زيد الحوثي، صنعاء، ق ٤ وما بعدها، زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٦٩ وما بعدها، العفاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين، مطبعة النقام الشريف، صنعاء، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، ص ٧٤، خلاصة المتنون في أنها، ونيلا، اليمن اليمون، تحقيق أحمد محمد زيارة، مركز التراث والبحوث اليمني، ساري، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٥٥ وما بعدها، شرف الدين، الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين (ت١٣٦٥هـ/١٨٤٨م)، المواهب النسبية مما من به الله تعالى من الفواكه الجنة من الحصان الشجرة المتوكلية، مخطوط، صورة عن نسخة إبراهيم عبدالكريم شرف الدين، كوكبان، ص ١٦ وما بعدها، شرف الدين، محمد بن إبراهيم بن المقطل بن إبراهيم (ت٨٥هـ/١٦٧٤م)، السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية، ١٠٥٠، ت، ن

١، وما بعدها، المؤيدي، داود بن الهادي بن أحمد (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)، ذيل البسامة، (ملحق بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عُمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ١٣٩٠، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٣٥ وما بعدها.

٩- حمل الاسمين معاً: يحيى وشرف الدين، أي أن شرف الدين ليس لقباً له، وقد اشتهر باسمه شرف الدين أكثر من شهرته باسم يحيى، انظر مصادر سيرته.

١٠- هو الإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن (ت ٩٢٩هـ/١٥٢٣م)، أعلن دعوته وإمامته فور وفاة أبيه، وبعث رسائله إلى كثير من الجهات، وقبِلَ أمير صعدة محمد بن الحسين الحمزي البهال إمامته. وأقام الدعوة له على منابرهما بالرغم من أنه كان معارضاً لأبيه، ورفض إمامته عدد من كبار أهل بيته. وقد وقعت المناظرة بينه وبين معارضة الإمام المنصور بالله محمد بن علي الزُّنُكِيُّ السراحي في السودة حول مسوغات الخروج والتعارض، ولم يُسْتَمَّ أحدٌ منهما لصالحه، ولم يذكر في عهد الإمام الناصر بعد ذلك ما يشتهر سوى تحالفه مع الشريف محمد بن عبدالله الشوبع - أحد أشراف المنطقة الشمالية الشرقية لليمن - ضد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م)، انظر زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٥٧، تحالف المهتدين، ص ٧٣، خلاصة المتن، ج ٣ ص ٤٢، الكيسى، اللطائف السنية، ص ١١٧، المؤيدي، ذيل البسامة، ص ١٣٧٤ وما بعدها، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٢١ وما بعدها.

١١- أحد أشهر معاقل العلم والمهوسون الشهيرة في تاريخ اليمن، به كهوف عديدة وعميقة، يقع في قمة جبل إلى الشمال من مدينة حجة، ويبعد عنها بمسافة ١٥ كيلومتراً تقريباً، وتنتشر على جوانبه الكثير من المدرجات الزراعية، وهو اليوم مركز إداري من مديرية مَبِين بمحافظة حجة، الحجيري، مجموع بلدان اليمن وقيادتها، ج ٣ ص ٥٦٧، الملقفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج ١ ص ٩٧٥، ٩٧٦.

١٢- زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٧٢، خلاصة المتن، ج ٣ ص ٥٨، شرف الدين، المواهب السنية، ص ١٧، شرف الدين، السلوك اللغبية، ص ١٩، ٢١، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٣٥.

١٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ - ٢٨، شرف الدين، السلوك اللغبية، ص ٢٥ - ٢٩، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٤٢، خطاب، عبدالعظيم، قانسود الغوري ونهاية الدولة الملوكية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م، ص ٢٠٩.

١٤- زيارة، خلاصة المتن، ج ٣ ص ٧٦، شرف الدين، المواهب السنية، ص ٣٦، أئمة اليمن، ص ٣٨٨.

١٥- الفرقة الأخرى هي الشيعة الإمامية، وكل فرقة الشيعة - وإن كَثُرَتْ - ما هي إلا من فروع هاتين الفرقتين الرئيسيتين (الزيدية والإمامية)، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج ٤ ص ٢١١، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

ج ١ ص ٨٨، البغدادي، عبدالقاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، الفرق بين الفرق، دار الأحياء الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٣٨.

١٦- هو الإمام المنصور بالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد الوشلي السراجي الحسيني (ت ٩١٠هـ/١٥٠٤م). أحد أعلام الزيدية، علمياً وسياسياً وعسكرياً، كان معروفاً بالفضل وسعة العلم والشجاعة والإقدام، لهذا كان رأس حرية الزيدية في صراعها المرير مع الدولة الطاهرية على عهد السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالوهاب قبل تمكنه من اكتساح مناطق نفوذ الزيدية، وكان الإمام المنصور محمد الوشلي يستخدم مهارته العالية في البلاغة وجودة نظم الشعر في تحريض جموع الزيدية وأتباعها المتصارعين على منصب الإمامة ليقوموا بمواجهة خطر الطاهريين الناهم، وقد وقع في أسر السلطان الطاهري الظاهر الثاني فألقاه في السجن حتى توفي فيه سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م)، الزحيف، محمد بن علي بن بولس (ت ٩١٦هـ/١٥١٠م)، مآثر الأبرار في تفصيل مجلات جواهر الأخبار، تحقيق عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عُمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ٣ ص ١٢٦٩، زيارة، أئمة اليمن، ص ٣٥٨-٣٦٦، الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، ص ٩٦٩.

١٧- المقصود بالعدل والظلم في هذا البيت - في تقديري - ليس المداول البدعي لهاتين اللفظتين الذي يتبادر إلى ذهن القارئ، بل فيها تضمين لاصطلاح عقائدي، فالقائل هنا يشير إلى العقيدة الزيدية الاعتزالية، الشهيرة بالعقيدة العدل والتوحيد، والظلم التقديرية فيه، فتشجع إلى رفض الزيدية للعقيدة الجبرية التي اتهموا بها أهل السنة في اليمن.

<http://Archivebeta.Bahrii.com>

١٨- إسماعيل بن محمد، سبط الراك في شعر الأهل، مخطوط مصور على صيكر وقلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، تحت رقم (١٨٤٩ أ ب)، ص ٣٣٢.

١٩- ذلك أن الزيدية - كغيرهم من القائلين بالعقيدة الاعتزالية - يقولون بأن الإنسان يخلق أفعاله بنفسه، ومن لا يقول بقولهم - في نظرم - فهو يخلف كل فعل إلى الله سبحانه وتعالى.

٢٠- المصدر السابق، ص ٣٢٩.

٢١- المصدر السابق، ص ٣٣٥.

٢٢- البرهسي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي (ت ٩٠٤هـ/١٤٩٨م)، طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبدالله محمد الحيشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص ١١٣.

٢٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٣.

٢٤- المصدر السابق، ص ٢٤.

٢٥- المصدر السابق، ص ٢٦.

٢٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ج ٧ ص ٥٥٢. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن بن أحمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)، مقاتل الطالبين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٢٢٢-٢٦٥ .

٢٨- الطبري، المصدر السابق، ج ٨ ص ٢٣٥. الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٤٦٥-٤٧٠. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص ١٥٦، ١٥٧ .

٢٩- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ .

٣٠- السلطان، محمد حميد، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والمحلي في الفترة من ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م، ص ٢٨١ .

٣١- ابن الدبيع، بغية المستفيد، ص ٣٠٤، ٣٠٥، خطاب، فائضه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٤ .

٣٢- السلطان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والمحلي، ص ٢٨٢. سليم، محمود رزق، الأشرف قانصوه الغوري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د. ت.)، ص ١١٨ .

٣٣- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦-٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩، يحيى بن الحسين، غاية الأمان، ص ٦٤٢، خطاب، فائضه الغوري ونهاية الدولة المملوكية، ص ٢٠٩ .

٣٤- يبدو أن البطانة السنية كان لها الدور الكبير في إبعاد صدر السلطان الظاهر الثاني عامر بن عبدالرهاب الطاهري على الحملة التي بلغت أبحارها عندما وصلت إلى جازان، فقد أرسل أميرها -حسين الكردي- رسلاً منه إليه يخبره بلوغ الحملة جازان، وأن وجهتها الهند بغرض جهاد البرتغاليين. ويستحده إلى بعث معورته المالية والعينية، انظر شهاب، محمد صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار القازاني، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٧م، ١٤٧، شرف الدين، أحمد حسين، اليمن عبر التاريخ، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الطبعة الخامسة، ص ٢٣٣، ٢٣٤، ويحكى المزوخ بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٦-١، أن السلطان اتزعج للخبر وأعرض عن الجواب، وإذا أخطأنا بهذه المعلومة فإنها مشكوك التفسير القوي لإرجاء الأمير حسين الكردي الرد على الإمام شرف الدين، وكأنه لم يكن قد استوثق بعد من موقف البلاط الطاهري من حملته .

- ٣٥- سالم، د. سيد مصطفى، الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م، ص ٩٩ .
- ٣٦- ابن الديبع، قره العيون، ص ٤٦٠، الفضل المزيد، ص ٣٥٨ . بالفقيه، تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر، ص ١٠٦، ١٠٧ . يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٤٢، ٦٤٣، خطاب، فتاوه العوزي ونهاية الدولة الملوكية، ص ٢٠٥، ٢٠٦ .
- ٣٧- بالفقيه، المصدر السابق، ص ١١٤، يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ص ٦٤٤، ٦٤٥، ابن الديبع، المصدر السابق، ص ٤٦٤، ٤٦٥، الفضل المزيد، ص ٣٦١ .
- ٣٨- المصدر السابق، ص ٣٦١، ابن الديبع، قره العيون، ص ٤٦٤، التهروالي، محمد بن أحمد (ت. ١٥٨٢/٥٩٩م)، البرق اليمني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٢١ .
- ٣٩- تصغير تربة، قرية كبيرة إلى الجنوب الشرقي من مدينة زيد، وليست بعيدة عنها، وهي اليوم إحدى مراكز مديرية زيد الإدارية بمحافظة الحديدة، المقحفى، معجم البلدان والقبايل اليمنية، ج ١، ٢٢٧، ٢٢٨ .
- ٤٠- شيبان، أحمد سالم، الوجود الملوكي في اليمن ٩٢١-٩٤٥هـ/١٥١٥-١٥٣٨م، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الطبعة الأولى، (د، ت)، ص ١٦٥ . بالفقيه، تاريخ الشعر وأخبار القرن العاشر، ص ١٢٥، التهروالي، البرق اليمني في الفتح العثماني، ص ٢٩، ابن الديبع، قره العيون، ص ٤٦٨، الفضل المزيد، ص ٣٦٩ .
- ٤١- المصدر السابق، ص ٣٧٠، ابن الديبع، قره العيون، ص ٤٦٩، ٤٧٠، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى، ص ٦٥١، شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٢٣٥ . Smith, G. Rex, The Tahirid Sultan of the Yemen, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997, p141
- ٤٢- شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٧ .
- ٤٣- المصدر السابق، والصفحة نفسها .
- ٤٤- المصدر السابق، ص ٢٦ .
- ٤٥- المصدر السابق، ص ٢٧ .
- ٤٦- المصدر السابق، والصفحة نفسها .
- ٤٧- المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٨ .

٤٨-الهندي، علاء الدين علي المنفي بن حسام الدين (ت١٩٧٥هـ/١٥٦٧م)، كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، عناية إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، أمريكا، (د، ت)، ج ١ ص ٢٤٧ - برقم (٥٥٢٢).

٤٩- في أصل المخطوطة هنا كلمة لم أستطع تبيئتها فتركت مكانها .

٥٠- وهنا أيضاً كلمة لم أستطع تبيئتها فتركت مكانها .

٥١-الهندي، كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ١ ص ١٠٣٨ - برقم (٢٩٣٣٩)، أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت١٤٣٠هـ/٩٥١م)، حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الفكر، بيروت، (د، ت)، ج ٩ ص ٤٤، ونحوه البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، كتاب التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج ١ ص ١٤٥، برقم (٤٣٢).

٥٢- لم أجد هذا الحديث - لا نصاً ولا معنًى - في أي من كتب الحديث المطبوعة المشهورة التي توافرت لي.

٥٣- هنا أيضاً كلمة لم أستطع تبيئتها فتركت مكانها .

٥٤-الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ/٩٨٩م)، جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، ودار الأعلام، عشان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٨٢٥، برقم (٣٧٨٨)، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين، تصحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٣ ص ٢٧٧ .

٥٥- أعطان، جمع فطن، والعطن للإبل كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض، انظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت٧١١هـ/١٣٣١م)، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د، ت)، ج ٧ ص ٤٤٢، وأراد الإمام شرف الدين هنا معناها المجازي لا الحقيقي.

٥٦-الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج ٢ ص ٣٠٥، برقم (٦٨٦)، الترمذي، جامع الترمذي، ص ٥٢، برقم (٢٣٢٠)، أبو نعيم، حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، ج ٣ ص ٢٥٣ .

٥٧-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢١ - ٢٦، وأشار إليه شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ باقتضاب.

٥٨-شرف الدين، المواهب السنية، ص ٢٦ - ٢٨، شرف الدين، السلوك الذهبية، ص ٢٥ - ٢٩ .

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
* أحمد: محمد عبدالعال (الدكتور)
٢. بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م .
* إسماعيل بن محمد:
٣. سبط اللؤلؤ في شعر الأمل، مخطوط مسطور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، تحت رقم (١٨٤١ أدب) .
* الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت-٩٤١/٥٣٣م)
٤. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م
* الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسن بن أحمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)
٥. مقالات الطالبين، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .
* الألباني، محمد ناصر الدين
٦. صحيح سنن الترمذي، مكتب الترية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م
٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)
٨. كتاب التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .
* الريهني، عبدالوهاب بن عبدالرحمن السبكي (ت٩٠٤هـ/١٤٩٨م)
٩. طبقات صلحاء اليمن، تحقيق عبداللهمحمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م
* البغدادي: عبدالقاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)
١٠. الفرق بين الفرق، دار الأفاق الحديثة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .
* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ/٩٨٩م)
١١. جامع الترمذي، تحقيق عادل مرشد، مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف، ودار الأعلام، عَمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
* الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ/869م)
١2. رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخايمي، القاهرة، 1384هـ/1964م .
* الحجري: محمد بن أحمد (ت-١٣٨هـ/١٩٦٠م)
١٣. مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكرع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .
* خطاب: عبدالعظيم
١٤. فائض الغوري ونهاية الدولة المملوكية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٣م
* داغر: صلاح بن داغر المرهبي (ت في القرن العاشر الهجري)
١٥. سيرة الإمام يحيى شرف الدين، صورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة زيد الحوثي، صنعاء .
* ابن الدبيع: أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م)
١٦. بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٧٩م .
١٧. الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق د. يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٩٨٣م .
١٨. قررة العيون في أخبار اليمن الثموني، تحقيق محمد علي الأكرع، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
(د. ن.)

- * زيارة: محمد بن محمد بن يحيى (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)
١٩. أئمة اليمن، مطبعة النصر الناصرية، تعز، ١٩٥٢م.
٢٠. اتحاد المهتدين بذكر الأئمة الجديدين، مطبعة المقام الشريف، صنعاء، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م.
٢١. خلاصة المتنون في أنباء ونيلاء اليمن الميمون، تحقيق أحمد محمد زيارة، مركز التراث والبحوث اليمنى، ساري، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- * الزحيف: محمد بن علي بن بونس المعروف بابن فتد (ت ٩٢٦هـ / ١٥١٠م)
٢٢. مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللواحق الندية بالمخاتق الوردية، تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عُمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- * سالم، سيد مصطفى (الدكتور)
٢٣. الفتح العثماني الأول لليمن، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
- * السلطان: محمد حميد
٢٤. الغزو البرتغالي للجنوب العربي والمحيط في الفترة من ١٥٠٧ - ١٥٢٥م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٤م.
- * سليم: محمود رزق
٢٥. الأشرف فانصوه الغوري، الفار المصرية للتأليف والترجمة، (د، ت).
- * شرف الدين: أحمد حسين
٢٦. اليمن عبر التاريخ، مطابع الفرقان، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- * شرف الدين، الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد شرف الدين (ت ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م)
٢٧. المواهب السنية مما من به الله تعالى من الفواكه الجنة من أغصان الشجرة المتوكلية، مخطوط، صورة عن نسخة إبراهيم عبدالكريم شرف الدين، كوكبان.
- * شرف الدين: محمد بن إبراهيم بن الفضل بن إبراهيم (ت ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)
٢٨. سيرة الإمام شرف الدين التميمي (السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية)، (د، ت، ن).
- * شهاب: حسن صالح
٢٩. أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار الفارابي، بيروت، لجنة نشر الكتاب اليمني، عدن، ١٩٧٧م.
- * شيبان: أحمد سالم
٣٠. الوجود الملوكي في اليمن ٩٢١-٩٤٥هـ / ١٥١٥-١٥٣٨م، دار الثقافة العربية، الشارقة وجامعة عدن، الطبعة الأولى، (د، ت).
- * الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت- ٣١١هـ / ٩٢٢م)
٣١. تاريخ الأمم والملوك، لجنة في محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- * ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)
٣٢. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- * باقيه: محمد بن عمر الطيب
٣٣. تاريخ الشرح وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحيشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

- * الكبيسي: محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)
٣٤. الطوائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- * الكندي، سالم بن محمد (ت ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)
٣٥. تاريخ حضرموت السياسي (العدة المقيمة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة)، تحقيق عبدالله الحنشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- * باسخرمة: الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)
٣٦. النسبة إلى المراضع والبلدان، نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، تحت رقم ٢٥٦٩.
- * المدخلي، محمد ربيع هادي صبر (الدكتور)
٣٧. الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- * المتحفي: إبراهيم أحمد
٣٨. معجم البلدان والتبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- * ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت ٧١١هـ/ ١٣٣١م)
٣٩. لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- * المؤيدي: داود بن الهادي بن أحمد (ت ٣٥٠هـ/ ١٦٢٥م)
٤٠. ذيل السائمة، (ملحق بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام الرجبة وأخر، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- * أبو نعيم: أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ/ ٩٥١م)
٤١. حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الفكر، بيروت، (د.ت).
- * النهروالي: محمد بن أحمد (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م)
٤٢. البرق البعاني في الفتح العثماني، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- * الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)
٤٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عناية إسحاق الطيبي، بيت الأفكار الدولية، أمريكا، (د.ت)
- * الرجبة: عبدالسلام عباس
٤٤. أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عَمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ/ ١٩٩٩م
- * يحيى بن الحسين: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م)
٤٥. غاية الأمان في أخبار الفطر البعاني، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

الدكتور / كرم حلمي فرحات أحمد*

الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز

كما تصورها رحلة ابن بطوطة

في القرن الثامن الهجري



المقدمة :

جاء هذا البحث شاملاً في موضوعه ، حيث رصد لنا الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز كما تصورها رحلة ابن بطوطة، مما يثبت لنا أن كتب الرحالة تعد من أهم المصادر التاريخية لرصد تاريخ الحجاز.

وهذا البحث يسهم في إلقاء الضوء على أهمية دراسة كتب الرحلات خاصة رحلة ابن بطوطة، ومدى أهميتها، وأسلوب ابن بطوطة ومنهجه في تدوين رحلته، وتسجيل انطباعاته لا سيما وأن كتب الرحلات عموماً تعدّ من أصدق المصادر التاريخية وأكثرها عناية بما يتعلق بالحجاز سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً وجغرافياً، مما نفتقر إليه المصادر الأخرى، إذ اتصف الرحالة - ولو بدرجات متفاوتة - بدقة الملاحظة، والوصف والتقصي وتسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق.

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة قناة السويس.

ولعل هذا البحث يكشف لنا القيمة العلمية لرحلة ابن بطوطة بوصفها مصدراً مهماً من مصادر تاريخ بلاد الحجاز.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومدى أهمية كتب الرحلات كمصدر من مصادر تاريخ الحجاز.

التمهيد: حياة ومكانة ابن بطوطة الاجتماعية والعلمية ثم خصائص ومميزات رحلته والهدف منها.

المبحث الأول: المشاهدات الجغرافية والعمرائية لبلاد الحجاز.

المبحث الثاني: الجوانب السياسية والادارية لبلاد الحجاز.

المبحث الثالث: الجوانب الاجتماعية لبلاد الحجاز.

المبحث الرابع: الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز.

المبحث الخامس: الجوانب العلمية لبلاد الحجاز.

الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

التمهيد

نال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الشهير بابن بطوطة ت ١٣٦٨ هـ / ١٣٦٨ م ، لقب أعظم الرحالة المسلمين على الإطلاق، وكشفت روايات رحلته عن الإنسان المسلم وعن طبيعة الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، حيث أبرزت لنا الجانب المشرق من الحضارة الإسلامية، وإن مما يزيد أهمية الرحلات أنها تكشف لنا النقاب عن الإنسان في فكره وسلوكه وتنظيمه الاجتماعي عبر التاريخ.

لذا فمن الواجب أن نتناول مقتطفات من حياة الرحالة ابن بطوطة ومكانته الاجتماعية والعلمية والهدف من رحلته وخصائصها ومميزاتها. وابن بطوطة هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن^(١) بن يوسف اللواتي الطنجي، أبو عبد الله بن بطوطة (٧٠٣-٧٧٠ هـ/١٣٠٣-١٣٦٨ م)^(٢) الملقب بشمس الدين^(٣) رحالة مغربي، يرجع نسبه إلى «لواته»^(٤) إحدى القبائل البربرية، ولد سنة (٧٠٣ هـ/١٣٠٣ م) يوم الإثنين السابع عشر من رجب بمدينة طنجة^(٥).

ينسب ابن بطوطة لأسرة عليم، فمنها اللغاة والعلماء، وهو ما ذكره تلك الهند عندما خيره بين الوظائف التي يرغبها، فقال: أما الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأما القضاء والمشخة فشغلي وشغلي أبائي^(٦). درس ابن بطوطة بطنجة، وكان يعد نفسه لتولي القضاء. مثل كثير من أفراد عائلته، ويؤيد ذلك حديثه عن نفسه بعد وصوله إلى تونس: «ويعد مدة تعين لركب الحجاز الشريف عند خروجه من تونس قاصداً الحجاز»^(٧). وهذا دليل علمه بالفقه، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ أنه لقي العديد من العلماء^(٨). كان ابن بطوطة سريع الاندماج والتأقلم مع أهل المدن والبلدان التي زارها، وألف عاداتها نظراً لطول مدة سفره، وكان شديد الحرص على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي^(٩)، فلا يكاد يسمع بهرجل صالح أو عالم إلا وسارع إلى لقائه والتبرك بدعائه وهو كثير الزواج، كما عُرف عنه شدة الاعتزاز بوطنه والحنين لأهله طوال غيابهم، ولاشك أن ابن بطوطة حقق فنون الفروسية والقتال، ففي رحلته هذه ما يشهد على اشتراكه في بعض المعارك التي حدثت أثناء تنقلاته.

وما أن بلغ ابن بطوطة الثانية والعشرين حتى تآقت نفسه إلى الرحلة، وعن هذه الرحلة يقول عبدالرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ: كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ هـ وانتهائها سنة ٧٥٤ هـ^(١٠) وقد حدد ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ خروجه للرحلة في رجب سنة ٧٢٥ هـ^(١١).

وبهذا تكون الرحلة قد استغرقت تسعاً وعشرين سنة، جاب فيها جميع الأقطار التي تسنى له الوصول إليها في ذلك الوقت فانهى به الأمر إلى ترحال وراء آخر وسفر إثر سفر، ورحلة تعقبها رحلة أخرى، ومثله كثير من الرحالة والتجار المسلمين، وقد قدم زكي حسن مسخاً وتصنيفاً جيداً لكتابتانهم، وقد تصدر لكتابتة هذه الرحلة محمد بن محمد بن عبدالله بن جزى الكلبى (٦٩٣-٧٥٨هـ/١٢٩٤-١٣٥٧م)، وهو كاتب السلطان أبي عنان فارس المريني حاكم المغرب حينذاك في الفترة (٧٩٤-٧٩٤هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) وبترجوه من هذا السلطان أملى ابن بطوطة تفاصيل رحلته علي ابن جزى، وكانت مهمة ابن جزى أن يسمع الحديث ويدونه ويرتبه وينقحه ويوضح ما أغمض منه، وقد حافظ ابن جزى علي تدوين كل المعلومات التي أملاها صاحب الرحلة ولم يسقط منها شيئاً ولم يتعرض ابن جزى لتحقيق ما أورده ابن بطوطة لأنه كان واثقاً من صحة ما أورده علي وجه العموم، وقد عني ابن بطوطة بالشكل والنقطة لكل ما أشكل أو غمض لئلا يلبس علي القارئ وكان يوضح معاني الكلمات الأعجمية، وقد انتهى ابن جزى من كتابتها في عام (٧٥٧هـ/١٣٥٦م).^{١١١} كان هدف ابن بطوطة من الرحلة والباعث له علي السفر، ومفارقة الأهل هو حج بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أدى فريضة الحج سبع مرات الأولى سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) والثانية سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) والثالثة سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) والرابعة سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) والخامسة سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م)، والسادسة سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م) والسابعة سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م).^{١١٢} ولم يشر ابن بطوطة إلى طلبه العلم في البلدان التي زارها، واكتفى بالإشارة إلى سماعه علي بعض الكبار من العلماء والوعاظ، ولقائه للعديد من العلماء.^{١١٣} من أبرز صفات ابن بطوطة التي تمتع بها قوة المشاعر الدينية، حيث كان الباعث الأول له علي الرحلة والسفر هو حج بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر ابن بطوطة رسول الله إلا ويقرن ذكره بالصلاة عليه والتسليم، ويبدو هذا الشعور الديني العميق في أحاديثه عن المسجد الحرام والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة، وما مائل ذلك، يقول في حديثه عن الرحلة وهو متجه إلى مكة: «ثم أدلجنا من هذا الوادي المبارك، والتفوس مستبشرة ببلوغ أمالها مسرورة بحالها ومآلها»^{١١٤}، وقد قطع في تجواله أكثر من مائة وخمسة وسبعين ألف ميل، واستطاع ابن بطوطة أن يحتفظ بكل مشاهداته في ذهنه دون تقييد، يدفعه لذلك حب الاستطلاع والتعرف علي غرائب وعجائب البلدان.^{١١٥}

كان ابن بطوطة مثقفاً ثقافة دينية، ودرس في المغرب قبل خروجه إلى الرحلة، ثم درس علي مشهورى العلماء في البلاد التي زارها وأجازة كثير من العلماء، يقول عن نفسه: «سمعت بجامع

بنى أمية جميع صحيح الإمام البخارى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم المعروف بابن الشحنة الحجازي، ويقول: ومن أجازني من أهل دمشق الشيخ أبو العباس الحجازي^{١١١} وأكثر ما يلفت الانتباه مدى اهتمامه بالناس بمختلف طبقاتهم وعلى الأخص العلماء والصالحين، فهو بذلك يعدّ مؤرخاً من الناحية الاجتماعية للمسلمين في عصره^{١١٢}، خاصةً وأن رحلته تحتوي الكثير من الموضوعات في مختلف النواحي، مما دفع كثير من المترجمين ترجمة هذه الرحلة إلى الإنجليزية والفرنسية، وقد تناولها بالدراسة والترجمة المستشرق الفرنسي «بلاش ترابيه» في كتابه «الرحالة العرب في العصر الوسيط»^{١١٣}.

كان ابن بطوطة سخياً كثير الإنفاق يستدين بلا حدود وينفق كما يشتهي، يعطى الفقراء ويعطى الأصدقاء، ويهدى إلى الرضا، وعُرف عنه أنه طاهر السريرة طيب القلب حسن الظن بالناس، يمدح الناس ويشهد بشرف النساء ويحب الصالحين ويلزم المرضى حتى يمن الله عليهم بالشفاء، ويشكر الله ويشكر للناس أيادهم.

وكان فارساً مقاتل، وقد حكى مواقف عديدة تدل على شجاعته، يقول: «ثم خرجنا ونحن اثنان وعشرون فارساً وخرج في تلك الصحراء ثمانون رجلاً من الكفار وإيران، وكان أصحابي ذوى نجدة فقاتلناهم أشد القتال قتلنا أحد القارئين منهم وغنمنا فرسه وقتلنا من رجالهم نحو اثني عشر رجلاً، وأصابني نصابة، وأصابني فرس نصابة ثانية، ومن الله بالسلامة منها»^{١١٤} وأول منصب تقلده ابن بطوطة كان قاضى الركب الحجازي الخارج من تونس، ثم تولى القضاء بالهند وجزيرة المهل^{١١٥} وعقب عودته إلى وطنه ولي قضاء بعض المدن^{١١٦} امتازت رحلة ابن بطوطة بطولها، وحفلت بتنوع حوادثها فجمعت الكثير من القران، وحث الكثير من المعلومات عن أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان حريصاً على الاتصال بالملك ليناك أعطيهاهم، ويتمكن من مواصلة رحلته مما يدل على علو مكانتها الاجتماعية.

ومن الملاحظ اهتمام ابن بطوطة بالجانب الاجتماعي من حيث حالة العلماء والملوك وعادات الناس في البلاد التي زارها، وقد تقع بذكرة قوية خاصة في سرد بعض المعلومات الخاصة بوضف المساجد وأبعاها، وحفلت رحلته بالحكايات والروايات دون تحبص فيها ولا تدقيق، لقد جاءت رحلته حافلة بأوصاف دقيقة مع اهتمامه بذكر القصص الغريبة والنادرة في رحلته، مما أكسبه خبرة كبيرة في هذا المجال، وقد قيل عن السفر: «إن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير»^{١١٧}.

المبحث الأول

المشاهد الجغرافية والعمرائية في بلاد الحجاز

رصد ابن بطوطة مشاهداته الجغرافية والعمرائية في رحلته بدقة وصدق وأمانة، وحفظ لنا هذه المشاهد كتاريخ لبلاد الحجاز في وقت غفل عن حفظها كثير من المؤرخين.

١- المشاهد الجغرافية في الطريق إلى الحجاز: تبوك: طريق الحاج الشاسي يبدأ من تبوك، وأرضها خصبة ويكثر به النخيل، ويرى بها مساوون حول عين ماء غزيرة، بنيت على هيئة صهريج كبير، أقيمت لهم حولها أحواض كبيرة، يسقون منها الجمال ويملؤون منها القرب.^(١)

*- العلاء: وهي موضع من ناحية وادي القري بينها وبين تبوك ثمانية أيام وبها أحساء بين الرمال - وهو ماء تشغفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلالة أمسكته، فأتاح لأهلها زراعة النخيل وبعض المزروعات الأخرى، فأصبحت قرية كبيرة جميلة المنظر انتشرت فيها العديد من الدور، واشتهر أهلها بفضولهم وأمانتهم في دفع الكثير من الحجاج إلى ترك الفانض من حاجتهم من الأرواد بها إلى حين لقولهم من الحج وهي أيضاً سوق كبير حيث يقصده تجار الشام التصاري للمبيع والشراء مع الحجاج.^(٢)

*- حجر ثمود: وتعرف اليوم بمذائن صالح بينها وبين تبوك خمسة أيام وقد أطلق عليه ابن بطوطة بئر الحجر أو حجر ثمود، وأشار إلى كثرة الماء بها، وحدد مكان مبرك ناقة صالح عليه السلام، بأنه بين جبلين. بجانبه أثر مسجد يصلى الناس فيه.^(٣)

*- هديّة: آخر وادي العطاس. ماؤها أحساء، وصف بمرارته، يستخرج بواسطة الحفر، وينتشر قطاع الطرق حولها، مما يضطر الحجاج لقتالهم هناك، وبعدها تظهر أعلام المدينة المنورة.^(٤)

٢- المشاهد الجغرافية بالمدينة المنورة: هي مدينة مشرفة جميلة، أرضها سيخة مشرفة على وادٍ ملئ بالنخيل، ولم يتطرق ابن بطوطة لوصفها العام

*- جدة: قال عنها ابن بطوطة: هي بلدة قديمة على ساحل البحر، يُقال إنها من عمارة الفرس وبخارجها مصانع قديمة، وبها جناب للماء، منقورة في الحجر الصلد، يتصل بعضها ببعض وهي كثيرة.^(٥)

*- جبل الطبول: يشرف هذا الجبل على موضع معركة بدر، وقد شبهه ابن بطوطة بكثيب رمل ممتد، وذكر أيضاً جبل الرحمة على مسار مدخل بدر، يُقال إن الملائكة نزلت عليه يوم بدر.^(٦)

٣- المشاهد الجغرافية في الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة:

*- ذو الحليفة : تبعد عن المدينة ستة أو سبعة أميال، وقيل إنها تعرف ببئر علي، وأرض ذي الحليفة بطحا - سهلة تشرف على وادي العقيق.^(١٧١)

*- صحرا - البروا، صحرا - واسعة مسيرتها ثلاثة أيام، مجهولة المسالك عديدة المعالم.^(١٨١)

*- وادي رابغ: آخر البروا، يوجد به الكثير من مستنقعات الماء الجارية، تحت الرمال، يخفر الحجاج لاستخراج الماء النقي منها وفي بعض الطريق عقبة محجرة، وتتكون غدران فيها فترة طويلة خاصة بعد هطول المطر.^(١٨٢)

*- عقبة السوق: على مسافة نصف يوم من خليص، كثيرة الرمل بقصدها الحجاج لشرب السوق بها.^(١٨٣)

*- عسقان: منزل آخر في أرض مُسْتَسْطَة تحف بها الجبال متوفر بها آبار عذبة، وبها الكثير من أشجار المقل وبها حصن حרב.^(١٨٤)

*- خليص: تقع بين جبلين يكثر بها النخل، وبها عين دائمة الجريان، أحدثت في الأرض أخاديد تبدو على هيئة الآبار، ويوجد بها بئر تنسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.^(١٨٥)

*- بطن مرّ أو مرّ الظهران: هو وادٍ خصب يضم قرى كثيرة يزرع بها النخيل والفواكه التي تجلب إلى مكة المكرمة وبها عين ماء كبيرة.^(١٨٦)

٤- المشاهد الجغرافية بمكة المكرمة:

* نظراً لمكانة مكة المكرمة الدينية والعلمية في نفوس المسلمين، فقد وصفها ابن بطوطة وصفاً جغرافياً كوادٍ مجدب ليس فيه زرع، تحيط به الجبال بحيث لا يراها قاصدها إلا عند اقترابه منها، وعلى الرغم من تركزها الجغرافي إلا أنها عامرة بالسكان وامتدادها أخذ في الاستطالة.^(١٨٧)

*- جبل أبي قبيس: أشار ابن بطوطة إلى أنه أقرب الجبال للمسجد الحرام يحيط به الجنوب والشرق، يشرف على الحجر الأسود ويقع في أصله ويرقى إليه من ثلاثة مواضع، من شعب عمر وشعب علي وشعب أجياد الصغير، وبه قبر آدم عليه السلام، وعلى هذا الجبل كان اشتطار القمر للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد الأخشبين.^(١٨٨)

* - جبل قعيقان: يسمى الأحمر ويسمى هو وأبو قبيس الأخشابان والحبيبان، ويقع جبل قعيقان شمال مكة. (١٣١)

* - جبل المحتدعة (١٣٢): وهو المشرف على شعبي أجياد الأكبر وأجياد الأصغر. (١٣١)

* - جبل ثور (١٣٣): وهو على بعد فرسخ من مكة المكرمة على طريق اليمن، وهو الجبل المشهور الذي أوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه عند هجرتهما إلى المدينة المنورة. (١٣٢)

* - جبال التنعيم: وهي أربعة جبال تقع على طريق التنعيم، اثنان من الجهة اليمنى واثنان من الجهة اليسرى، وعليها أربعة أعلام من الحجارة، يقال إنها الجبال التي وضع عليها سيدنا إبراهيم عليه السلام أجزاء الطير. (١٣٣)

* - المزدلفة: وصفها ابن بطوطة بأنها أرض منسطة فسيحة تقع بين جبلين، وقدروا المسافة بينها وبين عرفات بمثل المسافة بين منى ومكة المكرمة (١٣٤) - عرفات: وقد فيزت بانسباط أرضها، وإحاطة الجبال بها، حيث يقع جبل الرحمة في طرفها بعيداً عن الجبال الأخرى، فهو عبارة عن حجارة منقطعة بعضها عن بعض، وأسفل الجبل وعلى مكان غير بعيد منه مكان وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو عبارة عن جبل قليل الارتفاع، وحول جبل الرحمة جبال وصهاريج للماء، وعلى يسار العلمين اللذين وضعاً للمستقبل أيضاً وادي الأراك، وبه أراك أخضر يشد في الأرض امتداداً طويلاً. (١٣٤)

٥- المشاهد العمرانية:

تناول ابن بطوطة المشاهد العمرانية في بلاد الحجاز وشمل هذه الننازل المساجد والأربطة والمباني والحصون والآبار وأماكن الوضوء.

* الحصون الموجودة بطريق الحجاز: شاهد ابن بطوطة حصن بعسفان وهو حصن قديم ذو أبراج، وشاهد أيضاً بخليص حصنين، أحدهما ذو عمارة جديدة منى على ربوة، والآخر منهدم يقع أسفل منه. (١٣٥)

* الآبار وأماكن الوضوء: بالمدينة المنورة: من هذه الآبار بئر أريس، تقع بالقرب من مسجد لبا، وكذلك بئر رومة وهي في جهة الغرب من حصن العزاب بالقرب من الخندق. (١٣٥) كما أشار

ابن بطوطة إلى وجود دار للوضوء عند باب السلام، أمر الملك المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ) ببنائها.^(١٣٦)

*- المساجد الموجودة في المدينة المنورة؛ وفي مقدمتها المسجد النبوي الشريف، وروضة الشريفة، والحديث عن النير الكريم.^(١٣٧) ووصف ابن بطوطة مسجد قبا - بأنه مسجد مربع الشكل له مثذنة طويلة بيضاء. وفي وسطه روضة صغيرة هي مكان مبارك الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، واحتوت قبلة هذا المسجد على عدة محاريب، وله باب واحد.^(١٣٨) ومسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١٣٩)، ومسجد سلمان الفارسي رضي الله عنه^(١٤٠) ومسجد الفتح الذي نزل فيه سورة الفتح على النبي صلى الله عليه وسلم.^(١٤١)

*- الحصون بالمدينة المنورة؛ شاهد ابن بطوطة حصن العزاب وقد نسب هذا الحصن إلى عمر بن الخطاب الذي قام بإسكان عزاب المدينة فيه.^(١٤٢)

المساجد في مكة المكرمة؛ تناول ابن بطوطة المساجد في مكة المكرمة وفي مقدمتها المسجد الحرام، فوصفه ووصف أبوابه، والصفاء والمروة، وشي زميزم والمقام والكعبة المشرفة. وتناول في حديثه الكلام على مأذن هذا المسجد.^(١٤٣) ومسجد فوق جبل أبي قبيس؛ وسطحه مشرف على مكة المكرمة. وقد أراد الملك الظاهر عمارته.^(١٤٤) مسجد الجن؛ ويقع على بين المستقبل لقبرة المعلأة، في وادٍ بين جبلين. ويبدو أن المسجد كان مهتماً في زمن رحلة ابن بطوطة لإشارته إلى خرابه.^(١٤٥) ومسجد على طريق التنعيم؛ يبعد عن مكة المكرمة بنحو ميل، ويقال إن موضع المسجد هو موضع جلوس النبي صلى الله عليه وسلم عند عودته من العمرة مستريحاً، وقد أطلق عليه المنكأ.^(١٤٦) مسجد المزدلفة؛ ويقع بوسط المزدلفة وعليه قبة، وتظهر أنواره ليلاً من بُعد.^(١٤٧) مسجد إبراهيم عليه السلام؛ يقع هذا المسجد قرب آبار الشبيكة بوادي طوى، والظاهر أن المسجد غير معروف الآن.^(١٤٨) مساجد التنعيم؛ وهي عدة مساجد مبنية بالحجارة وتنسب إلى السيدة عائشة رضي الله عنها.^(١٤٩)

*- الأريطة في مكة المكرمة؛ أورد ابن بطوطة أسماء عدد من الأريطة بمكة المكرمة منها؛ رباط الصوفية، وقيل رباط السدرة وبابه يفتح على المسجد الحرام بجانب باب بني شيبه وسماه باب الرباط.^(١٥٠) ورباط بأعلى جبل أبي قبيس؛ وقد أشار ابن بطوطة إلى عزم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري على تعميره.^(١٥١) ورباط الموفق؛ بالقرب من باب إبراهيم وأنه من أفضل الأريطة^(١٥٢) ورباط العباسي؛ وقد خصص لسكنى المجاورين، وقد شيده الملك الناصر ناصر الدين

محمد بن قلاوون (٧٠٩-٧٤١ هـ)، وهو بين الصفا والمروة في سنة (٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م.^(١١٠) ورباط الشرايبي: يقع عند باب بنى شيبه وقد جعله رميشة بن أبي نهي محمد بن أبي سعد (١٣٤٥ هـ/١٧٤٦ م) أمير مكة داراً له.^(١١١) ورباط ربيع وهو من أحسن الأربطة بمكة، وبداخله بئر عذب ورباط كلاله الذي كان شيخه الشيخ سعيد الهندي.^(١١٢)

* المبانى بمكة المكرمة: وصف ابن بطوطة المبانى بمكة المكرمة وخاصة القرية من الحرم، وقد حرص على مشاهدة العديد من الدور بها منها: دار خديجة رضى الله عنها ودار مولد النبي صلى الله عليه وسلم ودار أبي بكر الصديق رضى الله عنه وموضع صلب عبد الله بن الزبير^(١١٣) كما تناول وصف أسوار مكة المكرمة وأبواب هذه الأسوار^(١١٤).

* الحصون بمكة المكرمة: تم تشييد حصن فوق جبل أبي قبيس ولكنه هُدم قبل دخول ابن بطوطة إلى مكة المكرمة بزمان.^(١١٥)

* الآبار وأماكن الوضوء بمكة المكرمة: تحدث ابن بطوطة عن آبار عذبة تسمى آبار الشبيكة على طريق التنعيم، وقد أكد ابن بطوطة على وجود بساتين غناء في منطقة الزاهر مما يؤكد على وجود آبار لسقيها.

<http://Arctivebeta.Bakhril.com>

كما أشار ابن بطوطة إلى وجود بئر عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام، وبئر آخر بداخل رباط ربيع. كما أشار إلى وجود دار للوضوء بجوار رباط العباسي، والذي بناها هو الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٢٨ هـ/١٣٢٧ م).^(١١٦)

المبحث الثاني

الجوانب السياسية والإدارية لبلاد الحجاز

استطاع ابن بطوطة أن يصور لنا العالم الإسلامي من خلال رحلته، وأوضح لنا أنه دولٌ مفككة متناحرة، خلال القرن الثامن الهجري، ولم يقتصر الأمر على أن يستقل كل قطر بكبانه، فقد تفككت بعض الأقطار إلى دويلات متعددة، وكان الحكام يغيرون على جيرانهم ويسلبونهم سلطانهم، ويستولون على مدنهم، ويكون مصير المهزوم القتل أو اللجوء السياسي.¹¹¹ كما يوضح لنا ابن بطوطة أن الحياة السياسية لم تخل من المظالم والمؤمرات ولم تكن بلاد الحجاز بمعزل عن هذه السياسة التي كانت موجودة في العالم الإسلامي آنذاك.

لقد صور لنا ابن بطوطة الجوانب السياسية من خلال بيان إمارة مكة والمدينة وبيان مدة علاقتهما مع سلاطين الدول الإسلامية ومدى سياستهم مع أفراد رعيتهم، ثم أشار إلى مدن بلاد الحجاز التي تعتبر وحدات إدارية، وناول التنظيمات المالية، والموارد المالية، كما تحدث عن التنظيمات القضائية، وكذلك الحسبة ومالها من دور مهم في الحياة العامة في بلاد الحجاز.

<http://Archivebeta.Bekhrit.com>

إمارة مكة المكرمة: عاصر ابن بطوطة أثناء رحلته إلى مكة المكرمة الأميرين الشريفين الأجلين الأخوين أسد الدين ربيعة¹¹² وسيف الدين عطيفة¹¹³ ابني الأمير أبي نجي بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسيني.

وقد أشار ابن بطوطة أن مكة المكرمة كانت تتبع السلطان يوسف بن رسول ٦٤٧١-٦٩٤ هـ / ٦٤٢١-٣٩٢١م) ملك اليمن المعروف بالظفر، فيقول: «وعقره من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن، وكان يكسو الكعبة إلى أن غلبه على ذلك الملك المنتصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ) / (٧٧٢١-٨٨٢١م)». ¹¹⁴ وجاء في كتاب غاية المرام، أن بني رسول وصلوا اليمن بصحبة الملك المعظم توران شاه بن أيوب المتوفي سنة (٥٧٦ هـ / ٥٧١١م)¹¹⁵، وحظي المنتصور نورالدين عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-٦٤٧هـ / ١٢٢٥-١٢٤٦م) بمكانة كبيرة لدى الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل الأيوبي حتى أتاه بمكة المكرمة مرة واستنابه نيابة عامة باليمن مرتين، وأوصى له بالملك من بعده

ملك اليمن^(١١) . وكان للملك المنصور عمر بن علي بن رسول (٦٢٦-٦٤٧هـ) نفوذ سياسي وأدبي ببلاد الحجاز، كان كثير الاهتمام بالحرمين الشريفين وتقديم الخدمات للحجاج. وتقديم الجمال التي تحمل الزاد والماء للمتقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشي، ولا يقل عنه في الاهتمام بالحجاج الناصر محمد بن قلاوون . بل يزيد، فيحدث ابن بطوطة عن زاوية بناها هذا الملك الناصر بسرياقوس خارج القاهرة لخدمة الحجاج المسافرين. وكان هذا الملك يبعث إلى مكة المكرمة مرتبات القاضي والخطيب والأئمة والمؤذنين والقرائين وكل ما يحتاج إليه الحرم الشريف، ومن قول ابن بطوطة متحدثاً عن صلاة الجمعة في الحرم: « فإذا خرج الخطيب أقبل لايساً توب سواد معتما بعمامة سودا . وعليه طيلسان أسود . كل ذلك من كسوة الملك الناصر محمد بن قلاوون^(١٢) »

كما عمر الناصر محمد بن قلاوون رباطاً وبنى داراً للوضوء داخل الحرم، بقول ابن بطوطة: « وبين الصفا والمروة دار العباس رضى الله عنه، وهو الآن رباطاً يقطنه المجارون، وقد عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله، وبنى أيضاً دار وضوء فيما بين الصفا والمروة سنة ثمان وعشرين، وجعل لها بابين أحدهما في الشرق والأخر في العطارين، وعليها بئع يسكنه خدامها^(١٣) »

إن ما ذكره ابن بطوطة عن سلطان اليمن المنصور عمر بن علي بن رسول والملك الناصر محمد بن قلاوون يدل على مدى العلاقة بين أشراف مكة المكرمة وسلاطين مصر واليمن. ولم تقتصر العلاقة على هذين القطرين بل تعدتها إلى بلاد البجة^(١٤) حيث إن الشريف أبا نبي أمير مكة المكرمة قد تزوج بنت ملك البجة، وأنجب منها ولداً يسمى زيد المعروف بابن السواكنية صاحب جزيرة سواكن^(١٥)، فعندما وصل ابن بطوطة إلى سواكن قال: « إن سلطانها الشريف زيد بن أبي نبي^(١٦) وأبوه أمير مكة المكرمة^(١٧) »

كما امتدت علاقة أمراء مكة المكرمة إلى العراق أيضاً، فقد تم الدعاء على قبة زمزم في سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) لسلطان العراق أبي سعيد بن خرند بن أرغون الذي حكم العراق قرابة عشرين عاماً، وتوفي سنة (٧٣٦هـ/٥٣٣١م)^(١٨)، في عهد الشريفين ربيعة وعظيمة أميري مكة المكرمة، ويبدو أن سبب الدعاء لسلطان العراق في ذلك العام عائد إلى كثير صدقات أهل العراق وسلطانها المبعوث إلى مكة المكرمة، فقد ذكر ابن بطوطة وقت وجوده بمكة المكرمة في سنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م . و٧٢٩هـ/١٣٢٨م . وصول الأمير أحمد بن الأمير ربيعة، وصبارك بن

الأمير عطيفة من العراق حاملين صدقات عظيمة للمجاورين وأهل مكة المكرمة من قبل السلطان أبي سعيد ملك العراق، ثم يذكر ابن بطوطة أن الدعاء لصاحب العراق لم يتكرر عقب تلك السنة^(١٤٦)

لقد انفرد ابن بطوطة عن غيره من المؤرخين الرحالة بإلقاء الضوء على علاقات أخرى كجانب من الجوانب السياسية لبلاد الحجاز، وقد أفاض في وصف هذه العلاقة، وهي علاقة أشرف مكة بسلطان مصر الملك الناصر حلوها ومرها، وقد امتدت هذه العلاقة إلى قضاة مكة المكرمة الذين ارتبطوا معه بصلات جيدة، حيث كانت صدقاته وصدقات أمرائه تصل إلى يد قاضي مكة المكرمة نجم الدين محمد بن الإمام محيي الدين الطبري، والذي تولى توزيع أعطيائه على أشرف مكة المكرمة وكبرائها، وخدمة الحرم الشريف وجميع المجاورين، وعلى الرغم من قوة الصلة بين سلاطين الماليك في مصر وأمراء مكة المكرمة، فإن صلتهم بملوك اليمن كانت قوية أيضا وقد أشار ابن بطوطة إلى الدعاء لسلطان بنى رسول وذكر اسمه بعد الدعاء للسلطان المملوكي الملك الناصر في مصر^(١٤٧) مما يدل على سياسة الموازنة التي اتبعها أمراء مكة المكرمة للمحافظة على علاقتهم بنى رسول باليمن وسلاطين مصر، إلا أنه يبدو أن علاقتهم بسلطان مصر الملك الناصر قد شابها نوع من الفتور عقب فتنة أشار إليها ابن بطوطة في حديثه عن علاقة الملك الناصر بأمراء مكة المكرمة، إذ حدث في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م أثناء موسم الحج خلال بين أمير مكة «عطيفة» وبين «أيدمور» أحد الأمراء بالقاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون^(١٤٨) بسبب قيام تجار من أهل اليمن بالسرقة، فرفع الأمر إلى أيدمور الذي أوعد لمبارك ابن الأمير عطيفة باحضار اللصوص، فاعتذر عن ذلك لعدم معرفته بهم، ولعل في هذا إشارة إلى عدم رضى أمير مكة المكرمة عن تدخل أيدمور في شئون مكة المكرمة، وخاصة الحجاج اليمنيين حفاظا على علاقة مكة المكرمة وأهل اليمن، وعندما حدث سرقة لأهل مصر والشام، تكفل أمير مكة المكرمة بحل الأمر فلم يرض عن ذلك أيدمور نظرا لما حدث من قبل فتطاول على أمير مكة المكرمة مما أثار غضب الناس عليه، ثم ركب أيدمور متوجها نحو عسكره فلحقه أمير مكة وأتباعه فقتلوه هو وولده، فوقعت الفتنة بالحرم، واشتدت وحاول القاضى وأهل مكة المكرمة إيقاف ماحدث وعقد الصلح ودخل الحجاج مكة المكرمة، فأخذوا أمعتهم ورحلوا إلى مصر، وبلغ الخبر للملك الناصر فاستاء لذلك، وسير عساكره إلى مكة المكرمة، ففر الأمراء عطيفة وابنه مبارك، ورميت وأولاده إلى وادي نخلة، فلما وصلت عساكر الناصر إلى مكة المكرمة بعث أمير مكة ابناً له يطلب الأمان فأعطوه الأمان، ثم خلع عليه مبعوث الناصر وأعادته إلى الحكم^(١٤٩).

لم تغتر همة أمراء مكة المكرمة عن توطيد أواصر المحبة وحسن العلاقات مع سلاطين الممالك الإسلامية، حيث ارتبط هؤلاء الأمراء بعلاقات ودية مع سلفطان كلوة^(١٢٤) وهو أبو المظفر حسن بن سليمان^(١٢٥) حيث كانوا يقدون عليه لتبيل أعطياته، كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة.^(١٢٦)

ومن الملامح التي ذكرها ابن بطوطة ظلم الحكام لرعاياهم، حيث بين أن مكة المكرمة لم تنج من ظلم الحكام لبعض أفرادها، فيقول: ومنهم الشيخ سعيد الهندي شيخ رباط كلالة، وكان هذا الشيخ قد قصد ملك الهند محمد شاه فأعطاه مالا عظيما قدم به مكة المكرمة فسجنه الأمير عطيفة أمير مكة وطالبه بأداء المال فامتنع فعذبه حتى أعطى خمسة وعشرين ألف درهم وعاد إلى بلاد الهند.^(١٢٧) كما تطرق ابن بطوطة في رحلته إلى معرفة بعض المدن والقرى التي تتبع مكة المكرمة فذكر لنا جدة حيث كانت تتبع شريف مكة المكرمة وعليها عامل من قبله مهمته تحصيل المكوس والضرائب.^(١٢٨) ويشير لنا أن نفوذ أشرف مكة المكرمة قد شمل وادي الصفراء^(١٢٩) وذكر أيضا أن فيها حصناً يسكنه الحسينيون.^(١٣٠)

إمارة المدينة المنورة: عاصر ابن بطوطة أثناء رحلته إلى المدينة المنورة أميرين هما طفيل بن منصور بن جواز الحسيني^(١٣١) وكبيش بن منصور بن جواز^(١٣٢) ولم يكن للمدينة المنورة الحظ الأوفر مثل مكة المكرمة من اهتمام ابن بطوطة، بل إن المدينة المنورة لم تحظ إلا بالقليل من الاهتمام، وبالتالي فالمعلومات السياسية عنها قليلة إذا ما قورنت بما كتبه وما ذكره ابن بطوطة عن مكة المكرمة. كما تحدث ابن بطوطة عن كيفية تولي طفيل بن منصور الإمارة فقال: تولي إمرة المدينة المنورة كبيش بن منصور بن جواز عقب قتله لعمه مقبل بن جواز^(١٣٣) وقبيل توطأ بدمه، ثم إن كبيشاً بن منصور خرج سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م. إلى الفلاة في شدة الحر ومعه أصحابه فأخذوا إلى الراحة وتفرقوا تحت ظلال الأشجار فما راعهم إلا وأبنا مقبل بن جواز في جماعة من عبيدهم ينادون بالثأرات مقبل. فقتلوا كبيش بن منصور صبراً ولعقوا دمه وتولى بعده أخوه طفيل بن منصور.^(١٣٤) وجاء في رواية القلقشندي: أن مقبلاً بن جواز اشترك في إمرة المدينة المنورة مع أخيه منصور على إثر طلبه من الظاهر بيبرس بمصر لذلك، وعندما قام منصور بالإيعاز لابنه في تدبير شؤون المدينة المنورة خلال غيابها فاعتبر مقبل ذلك تعدياً على حقوقه في الإمارة فهجم على ابن أخيه وانتزعها منه، مما دفع بكبيش إلى الخروج من المدينة المنورة واللحاق بأخيه العرب طالباً مساعدتهم واستعاد المدينة وقتل عمه مقبل في سنة ٧٠٩هـ وعاد منصور إلى إمارته ثم مات

سنة ٧٢٥هـ فولى ابنه كبيش فقتله عسكر ابن عمه ودى بن جمار الذي حكم المدينة من قبل الملك الناصر بن قلاوون وعقب وقاته ثولاها طفيل بن منصور وانفرد بامارتها. ^(١٣١)

أورد ابن بطوطة بعض الملامح السياسية حول أمراء المدينة المنورة مثلهم كغيرهم من أمراء العالم الإسلامي، فكما فيهم عدل وانصاف فيهم أيضا سياسة الإغتيال والمؤمرات، فقد عرفت في المدينة المنورة وسيلة القتل في سبيل الإمارة، بل إنها شملت حتى من يتناول على شخص الشريف ولو خطأ، فيقتل جزاء ذلك، وذكر ابن بطوطة أن أحد فقهاء ومدري المالكية بالمدينة المنورة ويدعى أبو العباس الفاسي، تحدث يوما مع الناس فانتهى به الكلام إلى القول أن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يعقب، فبلغ ذلك أمير المدينة طفيل بن منصور بن جمار الحسيني فأنكر كلامه واستعظمه وأراد قتله، ثم عدل عنه ونفاه من المدينة، وقيل بل بعث إليه من قام بقتله، واختفى أثره. ^(١٣٠)

إن ما ذكره ابن بطوطة عن أحوال المدينة المنورة السياسية قليل جداً، لكنه أبرز مدى الصراع على الإمارة والسلطة، كما نجد أن ما ينطبق على مكة المكرمة ينطبق أيضاً على المدينة المنورة من حيث علاقتها بمصر في بعض الأحيان وانقطاعها أحياناً أخرى.

<http://Arctivebeta.Bakrrit.com>

فالعلاقة والارتباط بمصر قائم على أساس الوضع الاقتصادي والاستقرار الداخلي، فمتى توفر الاستقرار وعم الرخاء الاقتصادي أصبحت إمارة مستقلة، ومتى تزعزع الوضع الداخلي نجد الأشراف الحسينيين يسارعون إلى الاستنجاد بملوك مصر ضد بعضهم بعضاً فتعود العلاقة مرة أخرى، وبالمقابل حرصت تلك الدول على إقامة علاقة ودبة مع أشراف الحجاز وإرضائهم في سبيل الدعا. لهم على منابر الحرمين الشريفين. ^(١٣١)، ولذلك فملوك مصر تكتفي عند ذكر نواب الحجاز بإظهار الطاعة. ^(١٣٢)، وأقصى عقاب ينزل بأشراف الحجاز في حالة خروجهم عن الطاعة أو مخالفة ما يصدر إليهم من أوامر هو الاعتقال مدة من الزمن في القاهرة، وإسناد الأمر لمن عليه الدور في تولي السلطة. ^(١٣٣) أما الجوانب الإدارية لبلاد الحجاز؛ فقد أشار ابن بطوطة ^(١٣٤) إلى أن من مدن الحجاز التي تعتبر كوحدات إدارية ينبع، والوجه، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة وحدة ورايع ووادي الصفراء - وخليص. ^(١٣٥)، وبجانب الحديث عن هذه الوحدات الإدارية نتناول الحديث عن أمراء تلك البلاد ونظام ولاية العهد ونظام الوزارة، وعندما وصل ابن بطوطة إلى جدة أشار إلى أن متولى أمرها كان من قبل أمير مكة، ولقبه بالأمير وهو أبو يعقوب بن عبد الرزاق. ^(١٣٦)

وحمل حاكم ينبع لقب أمير، وكان أحياناً يلجأ إلى الاستبداد وارتباطه بمصر، كما تبعت مرَّ الظهران^(١٣١) والصفراء، مدينة مكة المكرمة كناحية إدارية ونظام إداري يختص بالمدن التابعة لبلاد الحجاز.^(١٣٢) نلاحظ من خلال ما ذكره ابن بطوطة أن الأمراء ببلاد الحجاز كانوا أسراً من الأشراف وقد تولوا حكم البلاد وهم من ذرية الحسن والحسين ابني الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً، فهي إمارة عربية في تقاليدها^(١٣٣)، وقد أشار ابن بطوطة وغيره من الرحالة الذين نزلوا بلاد الحجاز إلى بعض حكام مكة فذكروا على سبيل المثال: قتادة بن إدريس، وحسن بن قتادة^(١٣٤)، وأبو سعد الحسن، ثم خلفه ابنه أبو نعي. ثم رميثة وحميضة^(١٣٥)، أما المدينة المنورة فخضعت لأسرة من الأشراف من ذرية الحسين بن علي رضي الله عنهما، وأشار ابن بطوطة إلى بعض حكامها منهم: طفيل بن منصور بن جمار، وكبيش بن منصور^(١٣٦).

كما لم تغفل كتب الرحالة ومن بينهم ابن بطوطة الإشارة إلى الصراع القائم بين الأمراء والأشراف في بلاد الحجاز على السلطة ومحاربتهم الوصول إليها يختلف الوسائل إلى جانب اشتراك اثنين في إدارة شئون البلاد، ومثال ذلك الصراع على السلطة، ودور الشريف أبي نعي فيها، وما حدث بين رميثة وحميضة^(١٣٧)، والملاحظ أن الأمر لم يكن متصوراً على مكة المكرمة، بل تمجد واضحاً في المدينة المنورة في عهد طفيل بن منصور وكبيش بن منصور، واشتراك مقبل في الإدارة مع أخيه منصور عقب مقتل كبيش^(١٣٨).

أما نظام ولاية العهد كجانب من التنظيمات الإدارية في بلاد الحجاز، فإنها لم تكن موجودة في تقاليد الأشراف، ولكن بعدد ولي العهد للحكم عن طريق المشاركة أثناء عهد والده أو أخيه فتتاح له الفرصة لإثبات مدة أهليته لهذا المنصب^(١٣٩)، وأحياناً يعهد الأمير لأحد أبنائه صراحةً مثلما فعل الأمير أبي سعد الحسن لابنه أبي نعي^(١٤٠)، وغالباً ما يكون الفصل في هذا الأمر إما للخليفة ببغداد أو لسلاطين الماليك بمصر، فقد فصل السلطان الناصر في أمر رميثة وحميضة عندما اشتد الخلاف بينهما وبين إخوانهم^(١٤١).

أما نظام الوزارة في بلاد الحجاز فقد أظهرت بعض كتب الرحالة الذين عاشوا في القرن السابع والثامن الهجريين وجود الوزراء في بلاد الحجاز غير أن ابن بطوطة أفقّل ذلك، فربما كان الوزير ينوب عن أمير مكة المكرمة في حضور بعض المناسبات مثل إنابة الوزير عن الشريف أبي نعي في حضور ختم القرآن في المسجد الحرام ليلة السابع والعشرين من رمضان^(١٤٢).

أما من ناحية التنظيمات المالية، فكل ما أشار إليه ابن بطوطة كان يتعلق بالأعطيات والأوقاف في زمن رحلته، حيث كانت الأعطيات والهدايا والهبات تصل إلى أشرف مكة المكرمة مثل التي وصلت من مصر إلى قاضي مكة المكرمة نجم الدين محمد بن الإمام محيي الدين الطبري وكيل السلطان الناصر في مصر، حيث تولى توزيعها على كافة أهل مكة المكرمة.^{١٤١} وتلك التي أهداها وزير الشريف أبي نعيم للمخيطيب في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان^{١٤٢}

وهناك الصدقات والأعطيات التي تصل من العراق لأهل مكة المكرمة. ومنها أيضا التي يأخذها الأشرف من سلطان كلوة.^{١٤٣} أما الأوقاف فقد تمثلت في المساكن التي أسهم الأغنياء في إنشائها من أموالهم الخاصة، سواء من أهل البلاد أو من القادمين عليها، وأوقفت على المجاورين، إلى جانب الأموال المبذولة لهم.^{١٤٤}

كما أشار ابن بطوطة إلى التنظيمات الفضائية في بلاد الحجاز باعتبار أن القضاء أدى دوراً مهماً في الحياة العامة، وهو من أجل المناصب^{١٤٥}، إذ تقوم مهامه على الفصل في الخصومات ومشكلات الأفراد والجماعات، وبين ابن بطوطة أن تعيين القاضي يتم في مكة المكرمة من قبل الخلافة العباسية قبل سقوط بغداد. وشهد انتقالها إلى مصر أصبح مرسوم تعيين القاضي يصدر منها كما يوجد لهؤلاء القضاة ثوابا يلتزمون بأداء أعمالهم في حالة غيابهم.^{١٤٦}

وكذلك الأمر في المدينة المنورة فهناك القاضي وثابته. يقول ابن بطوطة: إن سراج الدين عمر المصري أقام في خطة القضاء بالمدينة المنورة نحو أربعين سنة، وكان يتوب عنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون. فكان القاضي يقوم بإمامة الناس في صلاة الاستسقاء وعند ثبوت هلال شهر ذي الحجة يقوم القاضي بالقاء خطبة شاملة وخاصة بأحكام الحج لكافة الحجاج، موضوعاً لهم الطريق السليم لأداء الفريضة^{١٤٧}

ومن مهام القاضي إلقاء خطبة الجمعة المشتتملة على الوعظ والتذكير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه والدعاة لعيسى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة والعباس رضى الله عنهما، وكذلك أحسن والحسين رضى الله عنهما، وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة الزهراء، ثم الدعاة للخليفة العباسي وأمير مكة المكرمة ثم حاكم مصر وولى عهده.^{١٤٨} وأشار ابن بطوطة إلى الحسبة ومالها من دور مهم في الحياة العامة في بلاد الحجاز، وهي تسهم مع القاضي

في تنفيذ القوانين المتصلة بالمصالح والأدب العامة في الغش والاحتيال، وقد أورد ابن بطوطة اسم أحد الأشخاص الذين تولوا منصب المحتسب وهو إمام الغنابلة محمد بن عثمان، وإلى جانب قيامه بالحسبة فهو نائب في القضاة أيضاً، ويبدو أن أمير مكة المكرمة يقوم بحماية المحتسب ويعطى عمارة في حضور عدد كبير من الناس ضماناً لعدم التعرض له بسوء.^{١٤١} أما التنظيمات الحربية، فالواقع أن الرحالة معلوماتهم عنها قليلة، وعلى الرغم من ذلك فقد ألقى ابن بطوطة بعض الضوء على أسماء بعض القادة، فمنهم: محمد بن إبراهيم، وعلي وأحمد أبنا صبيح، وعلي بن يوسف، وشداد بن عمر، وعامر الشرق ومنصور بن عمر، وموسى المرزوق.^{١٤٢} وقد سبق التجيبي في رحلته ابن بطوطة حيث أخبر أن أمر القادة لم يقتصر على أبنا الأسرة الحاكمة في أن يكون منهم قادة الجيش، بل تعناه إلى الموالى حيث برز منهم أحد القادة من ذوي الكفاءة والشجاعة في عهد الشريف أبي قحى حيث نزل التجيبي أننا «رحلته في داره ويدعى محمد بن الحسن»^{١٤٣}



المبحث الثالث

الجوانب الاجتماعية لبلاد الحجاز

أشار ابن بطوطة في رحلته إلى الجوانب الاجتماعية في المجتمع الحجازي، فتحدث عن طبقات هذا المجتمع وعاداته وتقاليده والاحتفالات التي يقيمها، والملابس التي يرتديها.

١- طبقات المجتمع: استطاع ابن بطوطة أن يوضح لنا صورة المجتمع الحجازي المقسم إلى طبقات بحسب مراتبها الاجتماعية، وظهر من كلامه أن الحياة الاجتماعية في بلاد الحجاز قد تنوعت وأخذت مظاهر عدة، ولاخرابة في ذلك، فالنفاوت الطبقي كان له أثره الكبير في بلاد الحجاز، وأهم هذه الطبقات:

* الطبقة الحاكمة: تولى حكم الحجاز الأشراف من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما في مكة المكرمة، ومن ذرية الحسين بن علي رضي الله عنهما في المدينة المنورة واتسم حكمهم بطابع الإمامة فقط.^(١١) وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة، فذكر أن من حكام مكة المكرمة الأشراف من نسل الشريف أبي عمّ عطفية ورميشة، ومقرها مكة المكرمة.^(١٢) ودارها قرب المسجد الحرام وأقام رميشة أحياناً في حصن الجديد.^(١٣)، وقد عُرف عن رميشة حسن السيرة في أهل مكة المكرمة بينما كان الناس يخشون أخاه حميضة لقسوته^(١٤)، وتولى الحكم من أولاد رميشة عجلان^(١٥)، وثقبة.^(١٦)

أما المدينة المنورة فقد أشار ابن بطوطة إلى حكامها وهما كبيش بن منصور بن جماز، وطفيل بن منصور بن جماز من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما، واعتمد الأشراف على حرس يعرفون بالخرابة، وهم يحقون بالأمير وبين يديه وهم يحملون الخراب باعتبارهم حرس أمير البلد.^(١٧)

* طبقة القواد: وهي من الطبقات التي لها أهميتها الكبرى، وتنسج الشريف، ويتم اختيار أفرادها من أكابر الأشراف، وكانوا يخرجون مع موكب الأمراء مثل موكب الأمير رميشة والأمير عطفية في المناسبات. من هؤلاء القواد: محمد بن الحسن مولى الشريف أبي عمّ في مكة^(١٨). وأحياناً قد يكون القائد لايمت للأسرة الحاكمة بصلة، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة من خلال ما أورده من أسمائهم مثل محمد بن إبراهيم، وعلى وأحمد ابني صبيح، وعلى بن يوسف وشداد بن عمر وعامر الشرق، ومنصور بن عمر، وموسى المزرق وغيرهم.^(١٩)

* طبقة العلماء: حظى العلماء بأهمية كبيرة لدى الناس، وحظيت بلاد الحجاز بزيارة العديد منهم، وجلسوا لإلقاء الدروس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن علماء مكة المكرمة الشيخ الفقيه العالم الصالح إمام المالكية أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الإمام الصالح الورع أبي زيد عبد الرحمن. وإمام الشافعية شهاب الدين بن البرهان، وإمام الحنيفة المحدث الفاضل محمد بن عثمان البغدادي الأصل المحكي المولد، ومن علماء المدينة المنورة بها الدين بن سلامة، وعز الدين الواسطي، وسراج الدين عمر المصري والفقيه أبو عبد الله محمد بن فرحون. وإمام المحدث جمال الدين المطري، وأبو عبد الله الغرناطي.^(١١٠)

* طبقة القضاة: تُختار طبقة القضاة من رجال العلم، فهم يلحقون بفئة العلماء، يقومون بتنفيذ الأحكام الدينية على سائر الناس، وفي بلاد الحجاز أشار ابن بطوطة إلى وجود هذه الطبقة، ووجود قضاة لجميع المذاهب، فكل طائفة تتبع إمامها وقاضياها. ولكل إمام مكان محدد في المسجد، يصلى فيه مع أتباعه، ومن قضاة مكة المكرمة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الإمام العالم محيي الدين الطبري، والعالم شهاب الدين فاضل بن نجم الدين محمد، ومن قضاة المدينة المنورة القاضي سراج الدين حمزة المصري، وبهجة جمال الدين الأسيوطي.^(١١١)

<http://ArchiveBeta.Baharil.com>

* طبقة أصحاب المهن: ومنها طبقة التجار، الذين كانوا أصحاب دور كبير في بلاد الحجاز، التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على التجارة، وكانت حوائث التجارة مصفوفة على جانبي الصفا و المروة، وهناك الفلاحون المشتغلون في بساتين مكة المكرمة المتناثرة في "الزاهر" الذي هو سبتي على جانبي الطريق خارج مكة المكرمة يحتوي على ديار وبساتين، والمتناثرة أيضا في "السفلة" وهو موضع خارج مكة المكرمة بالإضافة إلى مهن أخرى كالسقاين والحيازين، وصناع الحلوى والرعاة^(١١٢)، والأغوات وهم خدم المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة.^(١١٣)، ويعملون على العناية بالمسجد خلال ساعات الليل والنهار ونظافته وإشعال وإطفاء قناديله.^(١١٤)، ومن المهن أيضاً صناعة الثياب، إذ يطلق على أحد أبواب المسجد الحرام باب الحياطين^(١١٥)، إلى جانب مهنة الطوافة حيث يقوم سدة البيت بالطواف بالحجاج مقابل أجر على ذلك.^(١١٦)، بالإضافة إلى مهنة الحماله والجزارة والبنا، والتنجيد وصناعة الدهان^(١١٧)، الذين لهم أجرة معلومة، وهذه مجمل المهن التي أشار إليها ابن بطوطة، واستطعت تتبعها، ولا يعني هذا اقتصار أهل الحجاز على هذه المهن فقط، فربما وجدت غيرها ولكن ابن بطوطة أغفل ذكرها.

* طبقة الفقراء والمجاورين: كان بعض فقراء الحجاز يفرغ نفسه للعبادة، وبعضهم يعيش على الصدقات، يقول ابن بطوطة: ومن المجاورين بمكة المكرمة الإمام الصوفي عفيف الدين عبد الله بن أسعد، كثير الطواف أنا، الليل وأطراف النهار وغيره من المجاورين الكثير والكثير.^(١١٨)

٢- العادات والتقاليد: تحدث ابن بطوطة عن العادات والتقاليد الحسنة والمكارم الجميلة لأهل مكة المكرمة واصفاً إياها بأنها من الأفعال الجميلة، والأخلاق الحسنة، كالإتيان إلى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء، ودليل على ذلك بأنه متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعهم بتلطف ورقق وحسن خلق، ثم يطعمهم، وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالأقربان، حيث يطبخ الناس أخيازهم، فإذا أطبخ أحدهم خبزه واحتمله إلى منزله يتبعه المساكين فيعطى لكل واحد منهم ما قسم له، ولا يردهم خائبين، ولو كانت له خبزة واحدة فإنها يعطى ثلثها أو نصفها عن طيب نفس، ومن عادات المكيين الاحتفاء بالضيوف وإقامة الولائم، كما أدرجوا على إعداد مياه زمزم للشرب في الحرم حيث توضع في دوارق بعد تنظيفها وتوضع حولها الكيزان^(١١٩) البيضاء وتسمى القراريف.^(١٢٠)

ومن عاداتهم الحسنة أيضاً الاعتناء بالأيام ومساعدتهم على تعلم طرق الكسب الحلال، حيث اعتاد الأيتام الصغار الجلوس في السوق ومع كل واحد منهم قفتان، إحداها كبيرة والأخرى صغيرة، ويسمون القفة مكتملاً، فيأتي الرجل من أهل مكة إلى السوق فيشتري الحبوب واللحم والخضر، ويعطى ذلك للصبى يجعل الحبوب في إحدى قفتيه واللحم والخضر في الأخرى، ويحمل الصبى ذلك إلى دار الرجل ليتهيأ له طعام منها مقابل أجر معلوم، في حين يتجه الرجل لفضاء أعماله.^(١٢١)

كما أشار ابن بطوطة أن من عادات أهل مكة المكرمة كثرة استعمالهم الطيب والكحل والسواك، وحرص النساء على الطواف في ليلة الجمعة.^(١٢٢)

ومن عادات أهل المدينة المنورة ما شهده ابن بطوطة في مسجد الفتح حيث يقول: وكانت إقامتنا بالمدينة الشريفة في هذه الوجهة أربعة أيام وفي كل ليلة نبيت بالمسجد الكريم والناس قد حلقوا في صحنه حلقاً، وأوقدوا الشمع الكثير، وبينهم ربعات القرآن الكريم يتلونه وبعضهم يذكرون الله، وبعضهم في مشاهدة التربة الطاهرة، والحداة بكل جانب يترنمون بمدح رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وهكذا دأب الناس في تلك الليالي المباركة، ويوزعون الصدقات الكثيرة على المجاورين والضعفاء والمحتاجين.^{١٣٣}

وإذا كان ابن بطوطة قد أشار إلى العادات والتقاليد الحسنة لأهل مكة المكرمة والمدينة المنورة، فقد أشار أيضاً إلى العادات والتقاليد غير الحسنة والتي تنطرق إلى البدع والشائعات مثل اعتقاد بعض أهل مكة في زيادة ما زمزم في ليلة النصف من شعبان، وقد ذكرها من قبله ابن جبير في رحلته والعبدي أيضاً.^{١٣٤}، وأشيع أيضاً أن حمام الكعبة لا يهبط على الكعبة أو فوقها، وإذا هبط شفى من علته أو مات لحينه.^{١٣٥}

ومن الشائعات ما أثير حول جبل ثور، وقولهم من لم يستطع دخول الغار من الفتحة التي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها فمهر ابن زنا.^{١٣٦} ومن البدع أنه في حالة وجود قحط يخرجون مصحف زيد بن ثابت الصحابي الجليل رضى الله عنه وينعونه في القبة مع المقام بعد فتح باب الكعبة ثم يجتمع الناس وهم حاسرو الرؤوس داعين الله ومتضرعين إليه حتى يتداركهم برحمته.^{١٣٧}

ARCHIVE

ومن العادات غير الحسنة المنتشرة بين بعض أهل المدينة المنورة التي أشار إليها ابن بطوطة، أن هناك قطعة من الخبز الذي حنّ للنبى صلى الله عليه وسلم يقبلها الناس، ويبادرون للتبرك بلمسها ومسح الحدود فيها.^{١٣٨}

من الشائعات التي سجلها ابن بطوطة أثناء طريقه إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، عادة الركب المار بتبوك إعداد الجيش بأسلحته ويتقدم الرحالة والفرسان وخلفهم الركب، في حين يقوم بعضهم بتحميل أكوام الحطب على الدواب لقلته بأرض تبوك، ويقبلون على المدينة بهذه الهيئة زاعمين أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخلها بتلك الطريقة.^{١٣٩}

٣- الاحتفالات: درج أهل مكة المكرمة على الاحتفال بمناسبة معينة منها: احتفالهم يوم الجمعة وطروج الخطيب والمؤذنين، واحتفالهم بشهر رجب والعمرة وغيرها من العبادات، واحتفالهم في شهر شعبان بإيقاد المصابيح والمشاعل، والصلاة والطواف والحجوج للاعتمار.^{١٤٠}

كما يحتفلون في رمضان بضرب الطبول عند باب الأمير، وتفرق الأئمة السنيين استعداداً

لإقامة التراويح، ومجديده فرش المسجد، والإكثار من الشمع والمشاعل، واستمرار عادة ختم القرآن الكريم في الوتر من العشر الأواخر لشهر رمضان، وكذلك الاحتفال ببداية شهر شوال، وتزيين الحرم المكي بالمصابيح والشموع الموقدة في جميع أنحاء الحرم وسطحه، وسطح المسجد الموجود بأعلى جبل أبي قبيس، والاحتفال بشهر ذي الحجة، وضرب الطبول في أوقات الصلاة إلى يوم الصعود إلى عرفات، ويقوم الخطيب يوم السابع من ذي الحجة أثر صلاة الظهر بإلقاء خطبة في الناس يرشدهم إلى الطرق الصحيحة في أداء الفريضة، وكان هذا الاحتفال موجوداً وقت زيارة ابن بطوطة لمكة المكرمة.^(١٢١)

٤- الملابس: حرص أهل الحجاز على لبس الملابس النظيفة المستنة، وقد أشار ابن بطوطة إلى أمير مكة المكرمة وهو بلبس ثوباً أبيضاً وعمامة بيضاء، متقلداً سيفه، ولبس القاضى الخطيب في صلاة الجمعة ملبسه السوداء المزينة بخيوط الذهب وعلى رأسه عمامة سوداء مزينة أيضاً، وعليه طيلسان شرب رقيق، كما يرتدى رئيس المؤذنين وقت صلاة الجمعة ملابس سوداء، ويحمل على عاتقه سيفه، وساد اللون الأبيض ثياب أهل مكة المكرمة، وقيام الأمير باللباس المحتسب عمامة تكون له جوازاً، فلا يجوز أحد على التعرض لهم، ولكنها تصبح عديمة النفع عند رحيل صاحبها عن مكة المكرمة.^(١٢٢)

المبحث الرابع

الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز

سجل ابن بطوطة في رحلته العديد من الجوانب الاقتصادية لبلاد الحجاز سواء على المسار الزراعي أو الصناعي أو التجاري وذلك على النحو التالي:

١- الزراعة: نلاحظ أن بلاد الحجاز قد اعتمدت في الزراعة على المياه، ومن ناحية توفر المياه نجد في القرنين بئر مياه عذبة، وفي مكة المكرمة هناك سقاية للماء، وفي بطن مرّ وخليص ويدر والصفراء، وقبا، مياه آبار عذبة. وبذلك اتسعت الرقعة الزراعية في مختلف مدن بلاد الحجاز. وقد أشار ابن بطوطة إلى المحاصيل الزراعية في بلاد الحجاز فيقول: ولقد أكلت بها من الفواكه والعبن والتين والخوخ والرطب مالا نظير له في الدنيا، وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يماثله سواء طيباً وحلاوة، حيث تجلب لها الفواكه والمخضر من الطائف ووادي نخلة، وبطن مرّ.^(١)

ونلاحظ أن الأراضي الزراعية كانت قريبة من مكة المكرمة وما حولها من القرى والأودية. يقول ابن بطوطة: ثم رحلنا من عسفان، وتولنا بطن مرّ، ويسمى أيضاً مرّ الظهران، وهو وادي خصب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة تسقى تلك الناحية، ومن هذا الوادي تجلب الفواكه والمخضر إلى مكة المكرمة.^(٢)

كما اشتهرت الطائف بخصوبة تربتها الزراعية، حيث تحوى الفواكه وتضم بساكنها النخيل والعبن والخوخ والتين. وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك عند حديثه عن رباط ربيع بمكة المكرمة عندما يأتي أهل الطائف بالفواكه بأنهم يخرجون العشر من الناتج من النخيل والعبن والخوخ والتين.^(٣)

٢- الصناعة: ساهمت الأحجار الكريمة كالجواهر والياقوت وغيرها المجلوبة إلى بلاد الحجاز في ازدهار صناعات رائجة ومعروفة، وهي صناعة الحلي والمجوهرات وغيرها من صناعات الفضة استخدمت في تزيين المسجد الحرام، حيث كانت هذه المادة من الفضة تجلب إلى البلاد. وقد أشار ابن بطوطة أيضاً إلى توفر الفضة والذهب في بلاد الحجاز ورخص أسعارها.^(٤)

٣- التجارة: اعتمدت بلاد الحجاز على التجارة لإقبال الكثير على العمل في مجالها، ويبدو أن طبيعة البلاد قد دفعت السكان إليها ونجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم في دعوة سيدنا إبراهيم الخليل لأهلها: "فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا" سورة إبراهيم (آية ٣٧) وقال تعالى: "أولم نمكن لهم حراماً آمناً يجىئ إليه ثمرات كل شيء" القصص (آية ٥٧). فالآيات تشير إلى المكان وماخصه الله به من مميزات دينية، وهي اتجاه القلوب إليه، ثم الناحية الاقتصادية المتمثلة فيما ساقه الله لهم من رزق ليكونوا شاكرين لنعمه. ومحافظين عليها، أما الآية الثانية فأشارت إلى قدسية المكان، وإلى الأرزاق والخبثات المحسولة إليه من كل مكان، وقد أشار ابن بطوطة إلى المراكز التجارية في بلاد الحجاز مثل، جدة وهو ميناء بحري، ومكة المكرمة، وشيخ وتبوك والعلما والدعنا، ورايح وعسفان وغيرها من المواضع.^{١٩١}

كما أشار ابن بطوطة إلى أن الوردات التجارية تحمل من داخل بلاد الحجاز إلى مكة المكرمة فيحمل إليها الحضر والفواكه من الأودية القريبة مثل وادي نخلة ويطن مرّ ومن الطائف^{١٩٢}

وقد تعددت الأسواق التجارية في بلاد الحجاز وتنوعت مبيعاتها وأوقاتها، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة فذكر أن في مكة المكرمة يوجد سوق تجاري ما بين الصفا والمروة، تباع فيه الأطعمة، وسوق للشباب والأمتعة، وسوق للمعطارين عند باب بني شيبه وسوق الدقاقين أي التوابل في أجياد، يقول ابن بطوطة: وبين الصفا والمروة سوق عظيمة، تباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه.^{١٩٣}

المبحث الخامس

الجوانب العلمية لبلاد الحجاز

حفلت رحلة ابن بطوطة بالجوانب العلمية لبلاد الحجاز، متضمنة المذاهب الإسلامية وبعض المدارس العلمية، وأشهر العلماء الكبار، وذلك على النحو التالي:

١- المذاهب الإسلامية في بلاد الحجاز: تعددت المذاهب الإسلامية في بلاد الحجاز، وقد أشار ابن بطوطة إلى تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب، فكان هناك المذهب المالكي، والشافعي والحنفي والحنبلي، ويمثل كل مذهب من هذه المذاهب إمام كبير فهناك الفقيه العالم إمام المالكية أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمن. وشهاب الدين بن البرهان إمام الشافعية، وشهاب الدين أحمد بن علي إمام الحنبلية، والمحدث محمد بن عثمان البغدادي الأصلي المكي المولد إمام الحنابلة. ^(١١) ولفت انتباه الرحالة الذين سبقوا ابن بطوطة وزاد استنكارهم من وجود الفرقة الزيدية حيث كان الإمام الزيدي موجوداً زمن رحلة ابن جبير عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م. واستمر وجود الزيدية في وقت رحلة التنجيسي إلى مكة سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م. ولكن هذه الفرقة اختفت واختفى وجود إمامها في وقت رحلة ابن بطوطة الذي زار مكة سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م. وبالرغم من تعدد الأئمة والمذاهب بالحرم الشريف إلا أنه لم يحدث اضطهاد أو تحجير لمذهب على آخر، بل سار أئمة وعلماء المذاهب جنباً إلى جنب لنشر العلم، وربما يحدث تفقه العلماء على أكثر من مذهب. ^(١٢)

٢- المدارس العلمية في بلاد الحجاز: سارت المدارس العلمية بمكة المكرمة جنباً إلى جنب مع المسجد الحرام في نشر العلم، وقد أشار ابن بطوطة إلى مدرسة واحدة فقط وهي المدرسة المظفرية، التي بناها ملك اليمن المظفر تور الدين عمر بن رسول. ^(١٣) غير أن المسجد الحرام يعدّ مدرسة علمية ومركزاً لنشر العلم والتعليم من أعظم المراكز العلمية، حيث تعقد فيه حلقات العلم المتنوعة، ليس وفق منهج محدد بل كان الأمر متروكاً لكل عالم في تدريس المفيد. ^(١٤)

وقد أشار ابن بطوطة إلى أن الكثير من طلاب العلم قد حرصوا على طلب العلم بالمسجد الحرام، وليس بالمدارس المنتشرة بمكة وحدها. ^(١٥) ولم يشير ابن بطوطة في رحلته إلى وجود مدارس علمية بالمدينة المنورة بسبب ما كان عليه المسجد النبوي والمسجد الحرام من نشاط علمي بسبب وفرة العلماء والكتب العلمية، وكأنما مكة والمدينة كانتا مقراً للعلم والعلماء.

وبأني المسجد النبوي مركزاً ثانياً من المراكز العلمية بالحجاز، وظلت المدينة المنورة مقصداً لطلبة العلم، وكان العلماء المجاورون يحتفظون بكتبهم داخل المسجد النبوي في أماكن خاصة بهم، كما ضم المسجد النبوي مكتبة كبيرة وبعض المصاحف الموقوفة على المسجد.^(١١)

وقد شاهد ابن بطوطة وغيره من الرحالة الذين نزلوا بلاد الحجاز خزائن للكتب في المسجد الحرام، وهي كتب وقفت على المسجد الحرام إلى جانب الكتب الخاصة بكل عالم يتولى التدريس، إلى جانب الكتب الموقوفة من قبل علماء مكة المكرمة مما يعطى انطباقاً واضحاً عن وجود اتصال حضاري بين المسلمين في بلاد الحجاز وشعوب الدول الأخرى، مما أعطى بلاد الحجاز بعض الخصوصيات الثقافية التي تنفرد بها عن باقي المنطقة العربية^(١٢).

٣- أشهر العلماء الكبار بمكة المكرمة : ضمت مكة المكرمة جمعاً غفيراً من العلماء، سواء كانوا مقيمين بها أو مجاورين للمسجد الحرام، في زمن ابن بطوطة وقد أورد ابن بطوطة عدداً من هؤلاء العلماء، مثل: نجم الدين محمد بن محيي الدين الطبري، المولود في سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، تلقفه وأفتى وتولى القضاء حتى مات في سنة ٧٣هـ/١٣٢٩م، لقيه ابن بطوطة وأثنى عليه لفضله وكثرة صدقاته ومواساته للمجاورين وحسن خلقه، وكثرة عبادته وإطالة مكوثه في المسجد الحرام وقبامه بإطعام الأشراف والأعيان والفقراء، وخدم الحرم الشريف والمجاورين، وحظي بمكانة كبيرة لدى الملك الناصر ملك مصر، إذا يعتبر ركبلاً عنه في توزيع صدقاته وصدقات أمرائه على سكان مكة المكرمة.^(١٣)

والعالم الفاضل جلال الدين محمد الأفشهري، جاور بالحرمين وسمع بها الكثير، وله عناية كبيرة بالحديث الشريف، ولد سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م)، ومات بالمدينة المنورة سنة (١٧٣٩هـ/١٣٣٨م). وقد لقيه ابن بطوطة وأشار إلى جلوسه عند باب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام^(١٤).

وإمام الحنابلة محمد بن عثمان البغدادي، سمع وحَدَّث وناب في القضاء بمكة المكرمة عن القاضي نجم الدين الطبري، وتوفي سنة (٧٣١هـ/١٣٣٠م) ولقبه ابن بطوطة وبيَّن أنه بغدادي الأصل مكِّي المولد، وكان المحتسب بعد قتل تقي الدين المصري، وله عند الناس هيبة وسطوة^(١٥).

ومحمد بن عبد الله بن أحمد الطبري المكِّي الشافعي، ولد سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) بمكة المكرمة وتوفي سنة (٧٣٥هـ/١٣٣١م). وقد مدحه ابن بطوطة كثيراً لبلوغه وحسن بيانه، وكان يكتب لكل جمعة خطبة خاصة بها.^(١٦)

والعالم عز الدين الحسن بن علي الواسطي، ولد سنة (٦٥٣ هـ/١٢٥٥ م) ومات في شعبان سنة (٧٤١ هـ/١٣٤٠ م)، ذكره ابن بطوطة من مكة المكرمة والمدينة المنورة وقال عنه: إنه من أصحاب الأموال الطائلة، يحمل إليه من بلده المال الكثير في كل سنة فيبتاع الحبوب والتمر ويفرقها على الضعفاء والمساكين، ويتولى حملها إلى بيوتهم بنفسه ولم يزل ذلك دأبه إلى أن توفى.^(١٢٧)

والعالم أحمد بن محمد بن أحمد زين الدين الطبري المكي، ولد سنة (٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م)، وتوفى بمكة المكرمة سنة (٧٤٢ هـ/١٣٤١ م) قال عنه ابن بطوطة: إنه الفقيه الصالح زين الدين الطبري شقيق نجم الدين من أهل الفضل والإحسان للمجاورين.^(١٢٨)

والعالم أحمد بن علي بن يوسف شهاب الدين الحنفي المكي إمام الحنفية بالمحرم الشريف، ولد بمكة المكرمة سنة (٦٧٣ هـ/١٢٧٤ م) وتوفى بها سنة (٧٦٣ هـ/١٢٧٤ م)، قال عنه ابن بطوطة: إنه من كبار أئمة مكة المكرمة وفضلائها وكرمائها، قام في كل عام باستدانة أربعين أو خمسين ألف درهم لإطعام المجاورين وأبناء السبيل.^(١٢٩)

٤- أشهر العلماء الكبار بالمدينة المنورة: حفلت المدينة المنورة بالعديد من العلماء القانتين على التعليم ونشر العلم، إضافة إلى العلماء القادمين إليها، وربما جاور بعضهم واستقر بها ذلك في زمن ابن بطوطة من بين هؤلاء العلماء: العالم الجليل سراج الدين عمر بن أبي العباس الأنصاري، ولد سنة (٦٣٥ هـ/١٢٣٧ م) وتوفى سنة (٧٢٦ هـ/١٣٢٥ م)، أشار إليه ابن بطوطة بقوله: قاضي وخطيب المدينة المنورة، ظل قاضي وخطيب المدينة نحو أربعين سنة.^(١٣٠)

والعالم جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد العبادي السعدي الشافعي رئيس المؤذنين بالمحرم النبوي الشريف، ونائب القاضي والخطيب والإمام في المدينة المنورة، ولد سنة (٦٧١ هـ/١٢٧٢ م) وتوفى سنة (٧٤١ هـ/١٢٤٣ م) وقال عنه ابن بطوطة: هو الإمام المحدث الفاضل.^(١٣١)

والعالم محمد بن محمد بن أحمد كمال الدين المصري، نبغ في الفقه، وسمع الحديث، تولى القضاء والخطابة والإمامة بالمدينة المنورة، ولد سنة (٦٧٤ هـ/١٢٧٥ م) في القاهرة، وتوفى سنة (٧٤٥ هـ/١٣٤٤ م)، ولقيه ابن بطوطة قائلاً عنه: إنه من مصر وأشار إلى توليه الخطابة والقضاء بالمدينة المنورة.^(١٣٢)

والعالم أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي. جاور بالمدينة وأخذ الحديث وأتقن الفرائض والحساب، توفي سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م) ولقبه ابن بطوطة وأثنى عليه ونعته بالشيخ المجاور المعروف بالتراس وأصبح فيما بعد أحد القائمين على خدمة المسجد النبوي الشريف.^(١١١)

والعالم محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون التونسي المولد والمنشأ، أشار ابن بطوطة إلى عمله تانياً للقاضي سراج الدين، وله العديد من الأبناء بالمدينة المنورة. ومات سنة (٧٢١هـ/١٣٢٠م) وقد برع في علم الميقات.^(١١٢)

والعالم عبد الله بن محمد بن فرحون قاضي المالكية ومؤرخ المدينة المنورة، ولد سنة (٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، أخذ العلم على يد علماء عصره، واستوطن المدينة المنورة، وعمل تانياً للقاضي مدة أربع وعشرين سنة، ثم انفرد بقضا المالكية، وكان عالماً بالحديث ومعانيه والقرآن الكريم وتفسيره، وله العديد من المؤلفات، قال عنه ابن بطوطة: أبو محمد عبد الله مدرس المالكية ونائب الحكم.^(١١٣)

والعالم البها - بن سلامة المصري الذي قام بالخطابة، والإمامة بالمدينة المنورة، أشار ابن بطوطة إلى إمامته للمسجد النبوي الشريف وقت قدومه إلى المدينة المنورة، وكان من أكابر المصريين^(١١٤)

لقد تمتعت مكة المكرمة والمدينة المنورة بمكانة علمية عظيمة في نفوس المسلمين جميعاً، وهما من أهم المراكز التي تشد إليها الرحال وتضرب إليها أكماد الإبل في سبيل طلب العلم والعبادة، وقام علماؤها بدور كبير في النهوض بالحركة العلمية وأزدهاها.

الخاتمة

لقد اعتمدت في هذا البحث على كتاب رحلة ابن بطوطة لإظهار أهميته، والتأكيد على أن هذه الرحلة من المصادر المهمة لتاريخ الحجاز. وقد تمخض هذا البحث عن عدد من النتائج تتعلق بالجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، ومن هذه النتائج نتائج الجوانب السياسية: حيث ظهر من خلال الدراسة أنه قد حدث اضطراب سياسي في بلاد الحجاز نتيجة تصارع أمراء الأشراف فيما بينهم على الإمارة، وقد استعان الأمراء الأشراف بملوك مصر تارة وملكوك اليمن تارة أخرى في سبيل الحصول على الحكم، وقد ارتبط أشراف الحجاز ارتباطاً وثيقاً في القرن الثامن الهجري بالماليك بمصر، الذين تدخلوا في شئون الحجاز الداخلية، وامتد ليشمل الأمراء أنفسهم من ناحية توليتهم وعزلهم، وامتدت سيطرت أمراء مكة المكرمة على مناطق شاسعة خارج الحجاز ليشمل مملكة سواكن وبلاد البجة.

أما الجوانب الاجتماعية: فقد تعددت الطبقات في المجتمع الحجازي، واختلاف تركيبته السكانية، وظهرت عادات وتقاليد انفراد بها أهل الحجاز عن سائر الأمصار الإسلامية، وكذلك الاحتفالات المرتبطة بأكثر الشهور العربية.

أما الجوانب الاقتصادية: فقد ظهر من خلال الدراسة استقرار الأحوال السياسية بالممالك الإسلامية المجاورة للحجاز بعقبه استقرار سياسي واقتصادي بالحجاز بسبب ما يصلها من أعطيات منها بانتظام، وأن أهل الحجاز لديهم معرفة بأساليب المعاملات التجارية بمختلف أنواعها، وأن للأسواق وانتشارها وجود كبير.

ومن حيث الجوانب العلمية: كانت رحلة ابن بطوطة مشاهدات في بلاد الحجاز بمثابة موسوعة علمية مصغرة عن هذه البلاد لما حوته من معلومات مهمة لكافة أحوال المسلمين في القرن الثامن الهجري.

وتضمنت هذه الرحلة العديد من أسماء العلماء البارزين في مكة والمدينة، كما ضمت مكة المكرمة والمدينة المنورة المذاهب الإسلامية الأربعة وسار علماء هذه المذاهب جنباً إلى جنب لدفع الحركة العلمية والنهوض بها وبروز دور المسجد الحرام العلمي، وكذلك دور المسجد النبوي فكان كل منهما بمثابة جامعة مفتوحة يتوافد إليها طلاب العلم المسلمون من جميع أنحاء العالم الإسلامي.

كما أبرزت الدراسة دور العلماء المجاورين في رواج الحركة العلمية بمكة المكرمة والمدينة المنورة، واطلعت الدراسة من خلال رحلة ابن بطوطة على كثير من المشاهد الجغرافية والعمارة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

هوامش البحث

هوامش التمهيد

- ١- حسين محمد فهميم، أدب الرحلات، طبعة عالم المعرفة العدد ١٢٨، الكويت ١٩٨٩ م. ص ٢٧. وانظر ابن الخطيب ذو الوزارتين لسان الدين ٧٧٦هـ، الإحاطة في أخبار غرناطة، بتحقيق محمد عبد الله عنان، طبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٤ م. ٢٧٣/٣ .
- ٢- ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة دار الجليل - بيروت بدون تاريخ ٤٨٠/٣.
- ٣- ابن بطوطة، الرحلة، طبعة دار صادر بيروت ١٩٨٥ ص ٥.
- ٤- ولواته، بطن من بطون البربر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زهيك. انظر عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ، تاريخ ابن خلدون، طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٩ م. ١١٦/٦.
- ٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤. و«بتنجة»: بلد على ساحل بحر المغرب، وهي مدينة قديمة، آثارها ظاهرة، بناؤها بالحجارة قائمة على البحر، وهي على ظهر جبل، وهي آخر حدود أفريقيا، انظر ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ، معجم البلدان طبعة دار صادر - بيروت. بدون تاريخ. ٤٣/٥.
- ٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ٥١١. <http://Archivebeta.Bahkrit.co>.
- ٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٨.
- ٨- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٨٠/٣.
- ٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤.
- ١٠- ابن خلدون عبد الرحمن ت ٨٠٨ هـ، المقدمة طبعة دار نهضة مصر، الطبعة الثالثة بدون تاريخ، ٣٢٢/١.
- ١١- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة بدون تاريخ، ١٠٠/٤.
- ١٢- انظر مقدمة ابن جزي برحلة ابن بطوطة ص ٩-١٣، وانظر ابن الخطيب، الإحاطة ٢٥٦/٢-٢٥٧-٢٦٥، وانظر زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٩١ م، وانظر:
- M. Zakı: Arab Accounts of India (During The Fourteenth century) dell, Delhi, 1981 .
- ١٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤، ١٧٠، ٢٤٠-٢٤٢، ٢٨٠، ٦٥٤.
- ١٤- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٨٠/٣.

١٥- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤، ١٣٠.

١٦- كرانسكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان، طبعة جامعة الدول العربية ١٩٥٧ م. ٤٢١/١. ونقلوا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب ط ٣، طبعة المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع- بيروت ١٩٨٢ م. ص ١٨٠.

١٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٠٨ - ١١٠.

١٨- نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب ص ١٨٢.

١٩- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب ص ٤١، والسناني، دائرة المعارف ٣٩٩/١.

وانظر :

- Blanche Trapièu : Les Voyageurs Arabes au Mogen Age. Gallimard. 8 eme édition. 1937.

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ٤١٠، ٥١٥ - ٥١٦.

٢١- جزيرة المهيل، وهي ما تعرف اليوم بجزائر المالديف، انظر محمد محمود الصياد، رحلة ابن بطوطة، طبعة دار المعارف للطباعة، والنشر والتوزيع تونس ١٩٨٥ م. ص ٤٩ وشوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، طبعة عالم المعرفة - العدد (١٥٩) الكويت ١٩٩٠، ص ١٩٣.

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٨، ٥٨٢-٥٨٨، وانظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣/ ٤٨٠.

٣٢- انظر مقدمة هذا المرجع :

- C. H. Lockett. the adventure of Travel. Longman ; 15th edition 1960 .

هوامش المبحث الأول

١- ابن رشيد، ملء العيبة، ط دارالغرب الإسلامي- بيروت ١٩٨٨ م. ٧/٥، ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٢.

٢- ابن رشيد، ملء العيبة ١١/٥ - ١٢، ١٥ - ١٦، وابن بطوطة، الرحلة ١١٢ - ١١٣.

٣- البلوي، تاج المفرق تحقيق الحسن السائح - ط بيروت اد - ت ٣٧٨/١، وابن بطوطة، الرحلة، ١١٢ - ١١٣، وابن رشيد، ملء العيبة ١٤/٥ - ١٥.

٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٣، والبلوي، تاج المفرق ١/ ٢٧٩.

٥- التنجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢١٨ - ٢١٩، وابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

٦- العبدري، الرحلة المغربية ص ١٦٣ - ١٦٤، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨ - ١٢٩.

- ٧-البليوي، تاج الفرق ١/٢٧٩، وابن بطوطة، الرحلة، ص١٢٨.
- ٨-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨-١٢٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص١٦٣ - ١٦٤.
- ٩-العبدي، الرحلة المغربية ص١٦٤ - ١٦٥، وابن بطوطة، الرحلة ص١٢٩.
- ١٠-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص١٦٦.
- ١١-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩.
- ١٢-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩-١٣٠.
- ١٣-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٠.
- ١٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣١، وأبو عبدالله العبدي، الرحلة المغربية - تحقيق محمد القاضي - طبعة الرياض - المغرب ١٩٦٨ م، ص١٧٢ - ١٧٣، التنجيني القاسم بن يوسف ت-٧٣٣هـ: مستفاد الرحلة والاعترا ب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، طبعة الدار العربية للكتاب - ليبيا- تونس ١٩٧٥ م، ص٢٣.
- ١٥-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣١-١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص١٧٣، والتنجيني، مستفاد الرحلة ص٣٥١.
- ١٦-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص١٧٣، والتنجيني، مستفاد الرحلة ص٣٥٠.
- ١٧-جبل المحتدمة: المحتدمة جبال مكة الشرقية التي تبدأ من أبي فليس متجهة شرقاً إلى المنجر الذي يفصل بين جبال منى وجبال مكة وتقدم جنوباً حتى تشرف على المنجر الغربي الذي يفصلها عن جبل ثور، انظر البلادى عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، طبعة مطبوعات نادي الطائف الأدبي- السعودية ١٩٧٨ م، ٣/١٦٠.
- ١٨-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والعبدي، الرحلة المغربية ص١٧٣.
- ١٩-وهو الآن يقع داخل عمران مكة، ويشرف على حى الهجرة.
- ٢٠-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٥، والتنجيني، مستفاد الرحلة ص٣٥٥، والعبدي، الرحلة المغربية ص١٨٦.
- ٢١-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤-١٤٥، والتنجيني، مستفاد الرحلة ص٣٦١.
- ٢٢-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص١٨٣ - ١٨٤، والحري، المناسك وأماكن طرق الحج تحقيق حامد الجاسر ط٢ - الرياض ١٩٨١ م، ص٥٠٦ - ٥٠٨، والفاسي، شفا، الغرام ١/٤٩١ - ٤٩٢، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٤ - ٥٠٦.
- ٢٣-العبدي، الرحلة المغربية ص١٨٤ - ١٨٥، والفاسي، شفا، الغرام ١/٤٨٢ - ٤٨٨، وابن بطوطة، الرحلة

ص ١٦٩ - ١٧٠.

٢٤-التجيبى. مستفاد الرحلة ص ٢٢٢. وابن رشيد، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة - تحقيق محمد الحبيب جد ٢ طبعة دار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٢ م. جد ٣ طبعة ١٩٨١ م. ووجه طبعة دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٨ م. ١٥/٥. وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٩ - ١٣٠.

٢٥-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦، عبد القدوس الأنصاري، أثار المدينة المنورة ط ٤، طبعة المطبعة العربية الحديثة - بيروت ١٩٨٥ م. ص ٢٣٩، ٢٤٦، والشنقيطي، الدر الثمين ط ٣، طبعة دار القبلة - مكة ١٩٩١ م. ص ١٦٧.

٢٦-ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٨ - ١١٩.

٢٧-ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٤ - ١١٩.

٢٨-البليوي، تاج المفرق ١/٢٨٧ - ٢٨٨. وابن بطوطة الرحلة ص ١٢٥.

٢٩-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥. والبليوي، تاج المفرق ١/٢٨٨.

٣٠-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥. والبليوي، تاج المفرق ١/٢٨٨.

٣١-البليوي، تاج المفرق ١/٢٨٨. وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٥.

٣٢-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦.

٣٣-البليوي خالد بن عيسى ت ٧٨٠ هـ، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق ومقدمة الحسن السائح، طبعة بيروت (د. ت. ا. ١/٣٠٥ - ٣٠٧، والفاصي محمد بن أحمد الحسيني ت ٨٣٢ هـ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق شمر عبد السلام التدمري طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م. ١/٣٦٩، ٣٨٥ - ٣٨٧، ٣٣٠ - ٣٣١، ٣٤٦، التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٤٣ - ٤٤٦، ٢٢٧ - ٢٢٨، ٣٠٣ - ٣٠٤، ٢٧٩ - ٢٨٠. وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٢، ١٣٦ - ١٣٩، ١٤٠.

٣٤-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٢ - ١٤٤. والبليوي، تاج المفرق ١/٣١٢.

٣٥-البليوي، تاج المفرق ١/٣٠٨. وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩. وسيد عبد المجيد بكر، أشهر المساجد في الإسلام ط دار القبلة - مكة ١٩٨٤ م. ص ١٠٢ - ١٠٤.

٣٦-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٣. والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٤٩. والبليوي، تاج المفرق ١/٣٠٩.

٣٧-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٩.

- ٢٨-التنجيبي، مستفاد الرحلة ص٢٤٩، والبلادي، معالم مكة التاريخية والأثرية ط دار مكة السعودية ١٩٨٠م. ص٢٧٢، وابن بطوطة، الرحلة ص١٦٩ - ١٧٠.
- ٢٩-التنجيبي، مستفاد الرحلة ص١٤٣، والبلوي، تاج المفرق ١/٣١، والفاسي، شفا- الغرام ١/٤٢٩، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف ص-٢١، وابن بطوطة، الرحلة ص١٤٣.
- ٤-الفاسي، شفا- الغرام ١/٥٢٧، وابن بطوطة، الرحلة ص١٣٩، والتنجيبي، مستفاد الرحلة ص٢٤٥.
- ٤١-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٤، والفاسي، شفا- الغرام ١/٥٢٧.
- ٤٢-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠، والتنجيبي، مستفاد الرحلة ص٤٥٦، والفاسي، العقد الثمين ١/١٢٢.
- ٤٣-الفاسي محمد بن أحمد الحسيني ٨٣٢هـ- والعقد الثمين في أخبار البلد الأمين، تحقيق عمر عبد السلام التيمري طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م. ١/١٢٠، وابن بطوطة، الرحلة ص١٤١.
- ٤٤-ابن فهد، إتحاف الوري ٣/٦٠، والفاسي، شفا- الغرام ١/٥٢٨، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨.
- ٤٥-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٤، والفاسي، شفا- الغرام ١/٥٣٢ - ٥٣٥، والفاسي، العقد الثمين ١/١٢٠ - ١٢٢، وابن فهد، إتحاف الوري ٢/٥٦٤، ٣/٦٤.
- ٤٦-التنجيبي، مستفاد الرحلة ص٢٢٣ - ٢٢٦، ٢٢٩، والبلوي، تاج المفرق ١/٣١١ - ٣١٣، والفاسي، شفا- الغرام ١/٤٣٨، ٤٣٩، وابن بطوطة، الرحلة ص١٤، ١٤٢.
- ٤٧-ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣١ <http://Archivebeta.Bahrit.co>
- ٤٨-ابن فهد، إتحاف الوري ٢/٥٣٦ - ٥٣٨، والتنجيبي، مستفاد الرحلة ص٢٥٢، وابن الجوزي، المنتظم ١/٢٦٠.
- ٤٩-البلوي، تاج المفرق ١/٣٠٩، والتنجيبي، مستفاد الرحلة ص٢٣٣، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، والفاسي، شفا- الغرام ١/٥٥٩، ٥٢٢، ٥٤٦ - ٥٥٢، والفاسي، العقد الثمين ١/١٢٠، وابن بطوطة، الرحلة ص١٤١ - ١٤٣، ١٥٤.

هوامش المبحث الثاني

- ١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤، ٢٢.
- ٢- ربيعة بن أبي نجي محمد بن أبي سعد حسن بن أبي علي أمير مكة، ولها نحو ثلاثين سنة. توفي ثامن ذي القعدة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. انظر ابن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهد شلتوت، طبعة مكتبة الحانجي القاهرة (د. ت) ١/٣٠٦.
- ٣- عطيفة بن أبي نجي محمد بن أبي سعد حسن بن أبي علي أمير مكة، ولها إحدى عشرة سنة ونصف، وقتل سنة ٧١٠هـ. انظر ابن تغري بردي، الدليل الشافي ١/٢٧٩.

- ٤- السلطان يوسف بن عمر بن علي بن رسول أحد سلاطين الدولة الرسولية ، الذين حكموا اليمن أكثر من قرنين واتسع ملكهم فشمّل أكثر بقاع اليمن ، وترجع تسمية الدولة بهذا الاسم إلى أن تسلمهم ينتهي إلي محمد بن هارون الفسائي ، وكان أثيراً عند الخليفة العباسي . فأرسله عدة مرات إلى سلاطين الأيوبيين بمصر فأطلق عليه لقب رسول . واعتبر المؤرخون أن دولة بني رسول دولة مبنية وليست دخيلة ولذلك يعتبرون محمد بن هارون من حطّة جملة بن الأيهم آخر ملوك العباسنة . انظر أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٥ م ، ٣٥١/٧ . وانظر ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٤٨ ، ١٤٩ .
- ٥- أحمد بن إبراهيم الحبلي ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تحقيق ناظم رشدي ، ط بيروت (د . ت) ص ٥٠ - ٥٥ ، والزركلي ، الأعلام طبعة دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٦ م ، ٩٠ / ٢ .
- ٦- العزيز بن فهد ، غاية المرام لتحقيق فهم شلوتن - طبعة دار الفنون السعودية ١٩٨٦ م ، ٥٩٦ / ١ - ٥٩٨ .
- ٧- ابن بطوطة ، الرحلة ص ٤٣ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ .
- ٨- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٤٦ .
- ٩- البجة: أرض أسفل مصر ، والبجاة هم جنس من الحبش . ويلاهم بين البحر الأحمر وتيل مصر ، والبجة من مدن الحبشة ، انظر ابن حوقل أثر القاسم الحسيني ٣٦٧ هـ ، صورة الأرض ، طبعة دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٥١ . وبقوت الحسيني ، معجم البلدان ٣٤٠٨ .
- ١٠- سواكن: ميناة سوداني على ساحل بحر الحجاز قرب عيذاب شرقاً إليه السفن التي تقدم من جدة . وأهل بجة سود نصاري ، انظر بالقوت الحموي ، معجم البلدان ٢٧٦ / ٣ .
- ١١- زيد بن أبي لمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسيني . انظر الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني ت ٨٣٢ هـ . العقد الثمين في أخبار البلد الأمين لتحقيق عمر عبد السلام التدمري ، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م ، ٤٨٣ / ٤ - ٤٨٤ .
- ١٢- ابن بطوطة ، الرحلة ص ٢٤٥ .
- ١٣- أبو سعيد بن خريند بن أرقون بغا ملك التتار وصاحب العراق والجزيرة وخراسان والروم ، كان مسلماً حسن الإسلام . أقام في الملك عشرين سنة ، ومات سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م ، انظر ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ٥٠١ / ١ ، ١٣٧ / ٢ .
- ١٤- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٧٢ ، ٢٤١ .
- ١٥- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٤٩ ، ١٦١ .
- ١٦- أيدمور أحد الأمراء ، بالقاهرة في أيام الملك الناصر ، كان أمير جنادر ، وجم بالناس ، انظر ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ٤٠٧ / ١ .

١٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٢ .

١٨- كثوة: موضع بأرض الزنج وعلى بعد نحو ٢٤٠ كم، إلى الجنوب من مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا حالياً. انظر بالقوت الحموي، معجم البلدان ٤/٤٧٨.

١٩- هو أبو الظفر حسن بن سليمان، كان كثير الغزو إلى أرض الزنج والإشارة عليهم، فكثرت شنائمه، وعمل على صرفها وفق تعاليم الشريعة الإسلامية في كتاب الله عز وجل، وقد حكم ٢٤ سنة ومات دون عقب. انظر ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٥٨، والمالكي سليمان عبد الغني، سلطنة كلوة الإسلامية، طبعة دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦، م، ص ٤٣.

٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٥٨.

٢١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٥ .

٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٣ .

٢٣- وادي الصفراء، من ناحية المدينة المنورة، وهي فوق بنع مما يلي المدينة المنورة. انظر بالقوت الحموي، معجم البلدان ٣/٤١٢.

٢٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٢٨

٢٥- هو طفيل بن منصور بن جواز الحسيني، استقر في إمرة المدينة المنورة بعد قتل أخيه كبيش بن منصور بن جواز الحسيني في رجب ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧ م وكان أميراً كبيراً كامل السؤدد وعلى المهمة صاحب جرد، محسناً لاسيما إلى المجاورين، استمر حاكماً إلى سنة ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م. انظر السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عن بطبعه ونشره أسعد طرا بزوي الحسيني، (د.ت) ٢/٢٥٨-٢٥٩.

٢٦- كبيش بن منصور بن جواز الحسيني، ولي إمرة المدينة المنورة بعد قتل أبيه في رمضان سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م، فأقام سنة ونحو خمسة أشهر، وقتل على يد أولاد عمه مقبل بن جواز في رجب ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٧ م، انظر السخاوي، التحفة اللطيفة ٣/٤٢٦-٤٢٧.

٢٧- مقبل بن جواز بن شحنة بن هشام الحسيني، طرق المدينة المنورة في شعبان سنة ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م فتلبظ منه كبيش بن منصور بن جواز وهو ابن أخيه، وكان إذ ذاك يخالف أباه على الإمرة فدهمهم مقبل بن جواز ليلاً ونصب سُلماً خشبياً كان معه وصعد منه على السور فاستيقظ له كبيش وتقاتلا إلى أن قتل مقبل وقتل معه عدد من أقاربه، انظر ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤/٤٢٦.

٢٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٤ .

- ٢٩- القلقشندي، صبح الأعشى شرح وتعليق تبيل الخطيب ط دار الفكر ودار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م.
٣-٤/٤ - ٣٠٥، وأحمد بن محمد بن صالح الحسيني، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، ط بيروت ١٩٧٢م، ص ١١٨ - ١٢١.
- ٣٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٣-١٢٤.
- ٣١- عز الدين بن فهد، غاية المرام ٤١/٢.
- ٣٢- المصدر السابق ١٨/٢.
- ٣٣- الحزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد الأكرم ط ٢ ص ٢٨٠/١ م ١٩٨٣، والقلقشندي، صبح الأعشى ٢٧٨/٤، والعز بن فهد، غاية المرام ٨٠/٢.
- ٣٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨ - ١٢٩.
- ٣٥- ينبع : مكان بين مكة والمدينة، وتسمى بذلك لكثرة بنايها، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤٥٠/٥،
- رابع : واد يقطع الحاج بين الزواء والجحفة، ياقوت الحموي، معجم البلدان ١١/٣،
- وادي الصغراء : من ناحية المدينة كثير النخل والزرع والخير بينه وبين بدر مرحلة، وما هذا الوادي كله عيون، وهي فرق ينبع مما يلي المدينة، النظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤١٢/٣،
- خليص : مكان بين مكة والمدينة، النظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ٣٨٧/٢.
- ٣٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٤٣.
- ٣٧- سر الظهران، موضع على مرحلة من مكة، وهو الوادي وبه عيون كثيرة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ١٠٤/٥.
- ٣٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٨-١٢٩.
- ٣٩- القلقشندي، صبح الأعشى ٢٨١/٤.
- ٤٠- التنجسي، مستفاد الرحلة تحقيق عبد الحفيظ منصور، ط الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس ١٩٧٥م، ص ٣٠٥، والقلقشندي، صبح الأعشى ٢٧٧/٤.
- ٤١- التنجسي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٥ - ٣٠٦.
- ٤٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٣ - ١٢٤.
- ٤٣- التنجسي، مستفاد الرحلة ص ٣٠٥ - ٣٠٧.
- ٤٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٤.

٤٥- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٧-٣، وأحمد بن عمر الزيلعي، نظام المشاركة في الحكم لدى أشرف مكة. مجلة النارة العدد (٣) الرياض ١٤٠٩هـ ص ٧٤ - ٧٥.

٤٦- العصامي، سبط النجوم ٤/٢٢٥.

٤٧- المصدر السابق ٤/٢٢٧.

٤٨- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٣.

٤٩- ابن بطرقة، الرحلة ص ١٩٤، ١٦٠، وانظر ابن فهد، إتحاف الوري ٢/٥٤٦.

٥٠- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٣.

٥١- ابن بطرقة، الرحلة ص ١٧٣، ٢٤١، ٢٥٨.

٥٢- ابن بطرقة، الرحلة ص ١٤٩، ١٧١.

٥٣- القلقشندي، صبح الأعشى ١٢/٢٣٦.

٥٤- ابن بطرقة، الرحلة ص ١٤٩، ١٥١، ١٦١، والتجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤١٥، والقلقشندي، صبح الأعشى ١٢/٢٣٦ - ٢٣٧.

٥٥- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٤٦٥، وابن بطرقة، الرحلة ص ١٢٠، ١٢١، ١٦٩.

٥٦- ابن بطرقة، الرحلة ص ١٦٠.

٥٧- المازودي، الأحكام السلطانية، ط دار الكتب العلمية بيروت (د، ت) ص ٢٩٩، وابن الأخرى، معالم القرية تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م ص ٥١.

والسنامي، نصاب الاحساب تحقيق مونت يوسف ط دار العلوم القاهرة ١٩٨٣ م ص ١٢ - ١٣، وابن

بطرقة، الرحلة ص ١٥١ - ١٥٢، والفاسي، العقد الثمين ٢/١٣٤ - ١٣٥.

٥٨- ابن بطرقة، الرحلة ص ١٦٢.

٥٩- التجيبي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٩، والقلقشندي، صبح الأعشى ٤/٢٨١.

هوامش المبحث الثالث

١- القلقشندي، صبح الأعشى ٤/٢٨١.

٢- ابن بطرقة، الرحلة ص ١٨٤.

٣- الفاسي، العقد الثمين ٤/٤١٥.

- ٤- التنجيسي، مستفاد الرحلة ص ٢٠٦ - ٣٠٧.
- ٥- عجلائ بن رميشة ولي مكة لعدة مرات وتوفى سنة ٧٧٧هـ. انظر ابن تغري بردي، الدليل الشافي ١/٤٤٢.
- ٦- ثقيبة بن رميشة من أسرة قتادة ولي إمارة مكة شريكاً لأخيه، ثم استقل بها إلى أن مات سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م. انظر ابن تغري بردي، الدليل الشافي ١/٢٣١. وانظر الفاسي، العقد الثمين ٤/٥٩ - ٦٠.
- ٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٢ - ١٦٣.
- ٨- التنجيسي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٩. وسليمان المالكي، بلاد الحجاز ط دارة الملك عبد العزيز - الرياض ١٩٨٣م ص ١١.
- ٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٢.
- ١٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٠ - ١٥١ - ١٢٠ - ١٢١.
- ١١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩ - ١٢٠ - ١٢١.
- ١٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨ - ١٤٩. وجليل حرب، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي - ط تهامة السعودية ١٩٨٥م ص ٢٣. وانظر ابن جبير، الرحلة ص ١٢٨، ١٢٧، ١٢٥.
- ١٣- الأغوات، جمع الأفعال. انظر عبد الرحيم عبد الكريم الأنصاري، تحفة المحبين بتحقيق محمد العروس ط تونس ١٩٧٠م ص ٥٣.
- ١٤- السخاوي، التحفة اللطيفة ١/٦١ - ٦٣.
- ١٥- التنجيسي، مستفاد الرحلة ص ٢٤٧.
- ١٦- التنجيسي، مستفاد الرحلة ص ٢٦٤.
- ١٧- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤/٣٣٦. وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨ - ١٤٩.
- ١٨- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٢ - ١٥٣.
- ١٩- الكوز: نوع من الأواني ذو عروة وفي حالة عدم وجودها يسمى كوباً. انظر ابن منظور، لسان العرب (ك.وز).
- ٢٠- التنجيسي، مستفاد الرحلة ص ٢٢٣. ٤٦٣، والمعرفة ما يعرف بها وهي على قدر ملء اليد. ابن منظور، لسان العرب (ع.ر.ف).
- ٢١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٨ - ١٤٩.

- ٢٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩، وابن الجاور. تاريخ المستنصر ضبط وتصحيح أوسكر لونفرين - ط بريل - لندن ١٩٥١ م. ص ٩.
- ٢٣- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٦-١٢٧.
- ٢٤- ابن جبير، الرحلة ص ١١٩، والعبدي، الرحلة المغربية ص ١٧٥ - ١٧٦. وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٧.
- ٢٥- الفاسي، شفا - الغرام ص - ٣، وابن ظهيرة، الجامع اللطيف ص ٢٩، والتجيب، مستفاد الرحلة ص ٢٨٩.
- ٢٦- التجيب، مستفاد الرحلة ص ٣٥٣ - ٣٥٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٥.
- ٢٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٨.
- ٢٨- ذكر هذه البدعة ابن جبير في رحلته ص ١٧٠، والعبدي في الرحلة المغربية ص ٢١٩. وابن بطوطة، الرحلة ص ١١٣.
- ٢٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١١٢.
- ٣٠- ذكرها الأزرق في أخبار مكة لتحقيق رشدي الصالح - ط ٣ دار الثقافة بيروت ١٩٧٨ م. ١/٣١٠، وابن بطوطة في الرحلة ص ١٢٨، ١٥٦، ١٦٥.
- ٣١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٦٦-١٦٩، وابن جبير، الرحلة ص ١٤٩.
- ٣٢- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١-١٥٢.

هواشئ المبحث الرابع

- ١- القرين : مكان بالقرب من جدة ، وهم منزل الحجاج يحرمون منه . ويطن من : موضع من نواحي مكة . عنده يجتمع وادي التخلتين قبصيران وادي واحنا . وخطيب : هو حصن بين مكة والمدينة . والصفراء : واد كثير النخل والزرع من ناحية المدينة المنورة . انظر باقوت الحموي ، معجم البلدان ١/٤٩٩ ، ٢/٣٨٧ ، ٣/٤١٢ . وابن بطوطة ، الرحلة ص ١٣٢ . وقد ذكرها ابن جبير في الرحلة ص ٨٨ - ٨٩ ، ٩٣ ، والتجيب ، مستفاد الرحلة ص ٢٢٣ .
- ٢- ابن الجاور ' تاريخ المستنصر ص ٤١ ، وابن بطوطة ، الرحلة ص ١٣ .
- ٣- ابن بطوطة ، الرحلة ص ١٥٤ ، والقلقشندي ، صبح الأعيان ٤/٢٥٣ - ٢٥٤ ، وابن الجاور . تاريخ المستنصر ص ٩ .
- ٤- العلاء : اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام . الدعنا : منزل بطريق مكة من البصرة . رابع : واد يقطع الحاج بين الزوا . والجحفة . انظر باقوت الحموي ، معجم البلدان ٢/٤٩٣ ، ٣/١١ .

١٤٤/٤، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٧١-١٧٢، ومؤلف مجهول، الاستبصار ص ١١.

٥- انظر العبدري، الرحلة المغربية ص ١٦٥ - ١٦٦، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٢٢، وابن بطوطة، الرحلة ص ١١٢، ١٢٨، ١٢٩.

٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٢، ١٥٤.

٧- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٩، ١٤١، وابن الجاوي، تاريخ المستنصر ص ١٢ - ١٣، وجميل حرب، الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ص ٢٣١، والفاسي، العقد الثمين ٤٤٦/٣، ١٦١، ١٦٦.

هوامش المبحث الخامس

١- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٠ - ١٥١.

٢- ابن جبير، الرحلة ص ٧٨ - ٨٠، والتجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

٣- الفاسي، العقد الثمين ١٩٦/٥ - ١٩٩، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٢٢/٢.

٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٩، والفاسي، العقد الثمين ٤٨٩/٧.

٥- علي حسني الحويطلي، الحضارة العربية الإسلامية تبعة مكتبة الخالجي - القاهرة (د، ت) ص ٢٢٩، وعبد الرحمن بن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة طبعة دار الشروق - القاهرة ١٩٨٢ م ص ٤١، ومحمد الحسيني، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية طبعة الكويت ١٩٧٣ م ص ٣٧ - ٣٨.

٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠.

٧- التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٢٩٦ - ٢٩٧، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٢٣١/٣.

٨- التجيبى، مستفاد الرحلة ص ٣٠٦، ٣٧٦، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٣٨، والفاسي، العقد الثمين ١٠٢/٥، وانظر:

- Kary Campbell, contem porary Tales from Eastern Arabia, in The lood Nights: critical Essay and Annotated Bibliography, Dar Mahjar Publishing and Distribution Cambridge. Mass P.84-85 . 1985 .

٩- الفاسي، العقد الثمين، ٢٧١/٢ - ٢٧٢، وابن شهبة الدمشقي، طبقات الشافعية، ط عالم الكتب - بيروت ١٩٨٧ م، ٢٩٣/٢ - ٢٩٤، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ط دار الفكر - بيروت (د، ت) ٩٤/٦ - ٩٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٩.

١٠- الفاسي، العقد الثمين ٢٨٦/١ - ٢٨٧، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣/٣٠٩، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٤٦٠/٣ - ٤٦٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٤٠.

- ١١- الفاسي، العقد الثمين ١٣٤/٢ - ١٣٥، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١.
- ١٢- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٤٦٦/٣، والفاسي، العقد الثمين ٤٦/٢ - ٤٩، وابن بطوطة، الرحلة ١٤٩ - ١٥٠.
- ١٣- السخاوي، التحفة اللطيفة ٤٨٢/١ - ٤٨٣، وابن بطوطة، الرحلة ١٥٣، ١٢٠.
- ١٤- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٥٢، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٢٤٣/١ - ٢٤٤، الفاسي، العقد الثمين ١١٩/٣.
- ١٥- الفاسي، العقد الثمين ١١١/٢ - ١١٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٥١.
- ١٦- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٠، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٣١٢/٣ - ٣١٧.
- ١٧- الحسيني، ذيل تذكرة الحفاظ للنهجي ط دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ت) ص ١١٠، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٤٦٦/٣، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١.
- ١٨- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ١٥٩/٤ - ١٦٠، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١.
- ١٩- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢١ - ١٢٢، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣٣٦/٤.
- ٢٠- ابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٠ - ١٢١، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٧٠٦/٣ - ٧١٠، <http://Activebeta.Sakart.com>
- ٢١- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة ٣٠٠/٢، والسخاوي، التحفة اللطيفة ٤٠١/٢ - ٤٠٩، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٠ - ١٢١.
- ٢٢- السخاوي، التحفة اللطيفة ٥٤/١، وابن بطوطة، الرحلة ص ١٢٠.

المصادر والمراجع

- ١- أحمد بن إبراهيم الحبلى ت٨٧٦هـ: شفاء القلوب في مناقب بني أبوب - تحقيق ناظم رشدي. ط بيروت (د. ت).
- ٢- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٥ م.
- ٣- أحمد بن عمر الزيلعي: نظام المشاركة في الحكم لدا الأشراف بمكة المكرمة. مجلة الدارة العدد الثالث. ط. الرياض ١٤٠٩هـ.
- ٤- أحمد بن محمد بن صالح الحسيني: المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي، طبعة بيروت ١٩٧٢. ٢.
- ٥- ابن الأخوة محمد بن محمد القرشي ت٧٢٩هـ: معالم القرية في أحكام الحسية - تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م.
- ٦- الأزرق أبو الوليد محمد بن عبد الله ت٢٥٠هـ: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - تحقيق رشدي الصالح الطبعة الثالثة، دار الثقافة - بيروت ١٩٧٨ م.
- ٧- الستانى المعلم بطرس: دائرة المعارف - طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- ٨- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت٧٧٩هـ: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٨٥ م.
- ٩- البلاذى، عاتق بن غيث: معالم مكة التاريخية والأثرية. طبعة دار مكة - السعودية ١٩٨٠ م.
- معجم معالم الحجاز. طبعة نادي الطائف الأدبي، السعودية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م.
- ١٠- البديري حنن بن عيسى ت٧٨٠هـ: تاج الفرق في تحفة علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، طبعة بيروت (د. ت).
- ١١- التنجيبى القاسم بن يوسف ت٧٣٠هـ: مستفاد الرحلة والاعتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، طبعة دار العربية للكتاب - ليبيا- تونس ١٩٧٥ م.
- ١٢- ابن تغري بردي ت٨٧٤هـ: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم شلتوت، ط مكتبة المحامبي - القاهرة (د. ت).

- ١٣- ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد البليسي ت٦١٤هـ: الرحلة، طبعة دار صادر - بيروت ١٩٨٠م.
- ١٤- جميل حرب محمود: الحجاز واليمن في العصر الأيوبي، طبعة تهامة - السعودية ١٩٨٥م.
- ١٥- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة حيدر آباد - الدكن - مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧هـ.
- ١٦- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ت٨٥٢هـ: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة دار الجبل ببيروت بدون تاريخ، وطبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة (د.ت).
- ١٧- الحرابي الإمام أبو إسحاق ت٢٨٥هـ: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة - تحقيق حمد الجاسر الطبعة الثانية - الرياض ١٩٨١م.
- ١٨- حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، الطبعة الثانية - دار الأندلس سنة ١٩٨٣م.
- ١٩- حسين محمد فهم: أدب الرحلات، طبعة عالم المعرفة العدد ١٣٨ - الكويت ١٩٨٩م.
- ٢٠- الحسيني أبو المحاسن محمد بن علي ت٧٦٥هـ: ذيل تذكرة الحافظ الذهبي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- ٢١- ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصيب ت٣٦٧هـ: صورة الأرض، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م.
- ٢٢- الخزرجي علي بن الحسن ت٨١٢هـ: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية - تصحيح محمد بن علي الأكوخ الطبعة الثانية - صنعاء - اليمن ١٩٨٣م.
- ٢٣- ابن الخطيب ذو الوزارتين لسان الدين ت٧٧٦هـ: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، طبعة الشركة المصرية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٤م.
- ٢٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت٨٠٨هـ: تاريخ ابن خلدون، طبعة مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٩م. ومقدمة ابن خلدون، طبعة دار نهضة مصر - الطبعة الثالثة - القاهرة بدون تاريخ.
- ٢٥- ابن رشيد أبو عبد الله محمد بن عمر ت٧٢١هـ: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في

- الوجهة الوحيدة إلى الحرمين مكة وطيبة - تحقيق محمد الحبيب ج ٢ طبعة الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٢ م. ج ٣ طبعة ١٩٨١ م. وج ٥ طبعة دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٨ م.
- ٢٦- الزركلي خير الدين ت ١٣٩٧هـ: الأعلام، طبعة دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ١٩٨٦ م.
- ٢٧- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٢-٩هـ: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عنى بطبعه ونشره أسعد طرا يزوني الحسيني. د.ت.
- ٢٨- سليمان عبد الغني المالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، طبعة دار الملك عبد العزيز الرياض ١٩٨٣ م.
- ٢٩- السنامي عُمر بن محمد ت ٦٩٦هـ: نصاب الاحتساب، تحقيق موتل يوسف، طبعة دار العلوم - القاهرة ١٩٨٣ م.
- ٣٠- سيد عبد المجيد بكر: أشهر المساجد في الإسلام طبعة دار القبلة - مكة ١٩٨٤ م.
- ٣١- الشنقيطي غالي محيد الأمين: التبر الثمين في معالم دار الرسول الأمين، الطبعة الثالثة، طبعة دار القبلة الثقافية الإسلامية - مكة ١٩٩١ م.
<http://Archivebeta.Sakhrri.com>
- ٣٢- ابن شهية الدمشقي أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عُمر ت ٨٨٥هـ: طبقات الشافعية، صححه وعلق عليه المحافظ عبد العليم خان - طبعة عالم الكتب - بيروت ١٩٨٧ م.
- ٣٣- شوقي عبد القوى عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، طبعة عالم المعرفة - الكويت، العدد ٥١ لسنة ١٩٩٠ م.
- ٣٤- ابن ظهيرة محمد جاد الله بن محمد ت ٩٨٦هـ: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبنائها البيت الشريف - الطبعة (٤) الكتبية الشعبية - بيروت ١٩٧٣ م.
- ٣٥- عبد الرحمن بن صالح بن عبد الله: تاريخ التعليم في مكة، طبعة دار الشروق - مصر ١٩٨٢ م.
- ٣٦- عبد الرحيم عبد الكريم الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب - تحقيق محمد العروس، طبعة تونس ١٩٧٠ م.
- ٣٧- العبدري أبو عبد الله بن العبدري ت ٦٨٨هـ: الرحلة المغربية - تحقيق محمد الفاسي - طبعة الرباط - المغرب ١٩٦٨ م.

٣٨- عبد القدوس الأنصاري: آثار المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، طبعة المطبعة العربية الحديثة بيروت ١٩٨٥ م.

٣٩- العز بن فهد بن عز الديم عبد العزيز بن محمد بن فهد ت ٩٢٢ هـ: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام - تحقيق فهم شلتوت، طبعة دار المدني - السعودية ١٩٨٦ م.

٤٠- العصامي عبد الملك بن حسين ت ١١١١ هـ: سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والنوالي، طبعة المطبعة السلفية - مصر (د . ت).

٤١- علي حسني الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، طبعة مكتبة الخانجي - مصر (د، ت).

٤٢- ابن العماد الحنطلي ت ٨٩٠ هـ: شذرات الذهب، طبعة دار الفكر - بيروت (د . ت).

٤٣- الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني ت ٨٣٢ هـ: العقد الثمين في أخبار البلد الأمين، تحقيق عمر عبد السلام التلمزي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥ م. وشقاوة الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق شمر عبد السلام التدمري، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م.

٤٤- ابن فهد النجم عمر بن محمد بن محمد بن فهد ت ٨٨٥ هـ: المحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهم شلتوت، ط، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.

٤٥- الفلقشندي أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق نبيل الخطيب طبعة دار الفكر - ودار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧ م.

٤٦- كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليا توفش: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان، وراجعه أيغور بلباين، طبعة جامعة الدول العربية ١٩٥٧ م.

٤٧- المالكي سليمان بن عبد الغني: سلطنة كلوة الإسلامية، طبعة دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦ م.

٤٨- المازدي علي بن محمد: الأحكام السلطانية والولايات الدينية - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت (د . ت).

٤٩- بن المجاور يوسف بن يعقوب ت. ٦٩٠هـ: تاريخ المستعصر، ضبط وتصحيح أوسكر لونفريز
طبعة بريل - ليدن. ١٩٥١ م

٥٠- محمد الحسيني : الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، طبعة الكويت ١٩٧٣ م.

٥١- محمد محمود الصباد: رحلة ابن بطوطة، طبعة دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع تونس
١٩٨٥ م.

٥٢- ابن منظور محمد بن مكرم ت. ٧١١هـ: لسان العرب. طبعة دار صادر - بيروت (د. ت)
وطبعة دار المعارف -
مصر (د. ت).

٥٣- نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، الطبعة الثالثة، طبعة المطبعة الأهلية للنشر
والتوزيع، بيروت ١٩٨٢.

٥٤- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي
ت. ٦٢٦هـ: معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

المراجع الأجنبية :
ARCHIVE

55- Blanche Tropicu : Les voyageurs Arabes au Mogen Age: Gallimarl. 8eme edition .
1937 .

56- C. H Lockitt. Theadventure of Travel Longman: 15 th edition 1960 .

57- Kary Compbell , contem Porary Toles From Eastern Arabia , in The Lool Nights:
Critical Essays and An nota ted Bibliog raphy, Dar Mahjar Publishing and Distribution ,
cambridge. Mass. p. 84-85. 1985 .

58- M. Zaki : Arab Accountns of India (During The Fourteenth century) dello, Delhi,
1981 .

سياسة السلطان بايزيد الأول الجديدة في الفتح العثماني نهاية طموحاته وتفكك دولته في موقعة أنقرة ٤-٨٠هـ / ٢-١٤٠٢م

قبل تولي السلطان بايزيد الأول الحكم

في سنة ٧٦٦هـ الموافق ١٣٦٠م توفى السلطان أورهان بن أرطغرل بن عثمان، وخلفه ابنه السلطان مراد الأول، لمواجهة في بداية حكمه أعداء دولته في اتحاديين خطرين.

أولاً : كان في المشرق إمارات القرمان السلجوقية التي بدأت تنظر بعين الخوف الشديد في نمو الإمارة العثمانية، واستطاع السلطان مراد الأول أن يوجه لها ضربات أقعدتها عن التحرك ضده طوال حكمه كما سيأتي الحديث عنها مفصلاً في البحث.

ثانياً : في أوروبا كان الإمبراطور البيزنطي يسعى إلى الانقضاض عليه، ولكن السلطان مراد الأول استولى على أدرنة ١٣٦٦م، واتخذها عاصمة لبلاده، الأمر الذي كان له صدى في مختلف العواصم الأوروبية، وخاصة لدى البابا في روما، وقد دعا إلى حملة صليبية دون جدوى، بينما تابع العثمانيون توسعهم واستولوا على سالونيك^(٢).

فكان نمو الدولة العثمانية نحو أوروبا سبباً في قيام التحالف من القوى الصليبية البلقانية لصد الغزو العثماني، ولكن السلطان مراد الأول خاض ضد أعدائه الصليبيين معركة قوصوه

١ - / مشارك- بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - بجامعة أم القرى- مكة المكرمة

الكبرى في ١٥ يونيو ١٣٨٩م، سقط فيها السلطان مراد الأول شهيداً بعد أن أسر فيها ملك الصرب، والذي أعدهم السلطان با يزيد الأول في ساحة المعركة^{١٤١}.

السلطان بايزيد الأول يعتلى عرش الدولة العثمانية :

قتولى السلطان با يزيد الأول عرش الدولة العثمانية بعد موقعة قوصوه المشهورة، وقت بيعته في ميدان المعركة بعد استشهاد والده السلطان مراد الأول (٧٩٢هـ / ١٣٨٩م)، وكان السلطان با يزيد الأول أكثر من أبيه كرهماً للمسيحية، وأقل تعصباً للإسلام، ولكنه خطأ خطو والده في الفتح والجهاد في أول الأمر^{١٤٢}.

حين وأصل حربه وتقدم بجيوشه داخل بلاد الصرب^{١٤٣} حتى انتصر على ملكها استيفن بن لازار وأخذ أسيراً^{١٤٤} ولكن استيفن بن لازار ملك الصرب عرض على السلطان الصلح فوافق على ذلك^{١٤٥}.

فاستهل السلطان با يزيد الأول أعماله بأن عين استيفن ابن ملك الصرب [لازار] حاكماً على بلاد الصرب، وتزوج من أخته^{١٤٦} ملبحة^{١٤٧}، وترك له حكم بلاده على حسب قوانينهم وأنظمتهم وأعرافهم دون التدخل في شئونهم الداخلية على شرط دفع جزية سنوية للدولة العثمانية على أن يدين له بالولاء، مع تقديم عدد معين من الجنود الصربية للالتزام إلى الجيوش العثمانية وقت الحرب خدمة حربية للدولة على أن يقوم ملك الصرب نفسه بقيادتهم عند الحاجة تحت قيادة السلطان العثماني^{١٤٨}، كما تعهد ملك الصرب أيضاً للسلطان با يزيد الأول ببناء المساجد والمدارس والمحاكم للمسلمين في بلاد الصرب^{١٤٩}، وبذلك فقدت الصرب استقلالها منذ ذلك الوقت حتى القرن التاسع عشر الميلادي حين نالت استقلالها في تلك الفترة^{١٥٠}، فأصبح بعد هذا الفتح والتوغل العثماني في البلقان، وجهاً لوجه مع أكبر الشعوب البلقانية عداءاً للعثمانيين (البلغار والمجر)^{١٥١}.

عندئذ أقام السلطان با يزيد الأول علاقات ودية مع ملك الصرب استيفن بن لازار، وكان هدف السلطان من إقامة هذه العلاقات أن يتخذ من دولة الصرب حليفاً له في حروبه في آسيا الصغرى، كما أراد من هذه الدولة أن تكون دولة حاجزة بين أملاكه في البلقان وبين دولة المجر، التي كان يخشى من انتهازها عند غيابها للحرب في آسيا الصغرى فتغير على أملاكه العثمانية بها^{١٥٢}.

وكان من مظاهر هذه الصداقة بين استيفن والسلطان با يزيد الأول أن رد السلطان إلى استيفن كل الميزات والحقوق التي كان يتمتع بها أبيه لازار كملك على بلاد الصرب، كما وعده بمنح

الضرب نصف الغنيمة التي تخرج بها كل من الدولتين في حروبها المنتظرة في آسيا الصغرى، وقد اتبع السلطان با يزيد الأول هذه السياسة، وهو عدم ضم بلاد الضرب إلى أملاكه، بل منحهم الاستقلال الذاتي، ليسكن بال الصربيين حتى لا يكونوا شغلاً شاعلاً له نظراً لشهامتهم وحجمهم للاستقلال^{١١١}، وخاصة أن ملك الضرب استيقن قد وافق على دفع الجزية للسلطان سنوياً، لذلك تمت معاملتهم معاملة أهل الذمة^{١١٢}.

وقد استفاد با يزيد الأول من هذا التحالف مع استيقن ملك الضرب حين برهن هذا الصليبي وقومه الصربيون على إخلاصهم لبايزيد في حروبه مع المجر^{١١٣}، على الرغم من أن السلطان اشتهر بحدة الطبع والقسوة، حيث اتسمت تصرفاته بالاندفاع والتسرع^{١١٤}.

وعلى أية حال فإنه بعد هذا التحالف مع الضرب اطمان با يزيد الأول على حدوده الغربية، فاتجه لغزو آسيا الصغرى لتوحيد الإمارات السلجوقية المسلمة في الأناضول لضنها لأملاكه العثمانية^{١١٥}، وكان في نيته أيضاً القضاء على بيزنطة، وخصوصاً حين ساد الأمن في أوروبا، فأخذ يتدخل في سياسة القسطنطينية مستغلاً أوضاعها المضطربة الداخلية، لأن المدينة تمر بفترة ضعف، فانتهز السلطان هذه الفرصة وسار بنفسه إلى قلعة « الأشهر » المعروفة باسم « فيلادلفيا »^{١١٦}، عند الأروبيين، ففتحها سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩١م، وكانت آخر مدينة مهمة بقيت للقسطنطينية في آسيا الصغرى بالأناضول^{١١٧}.

السلطان بايزيد الأول يتطلع لضم الإمارات السلجوقية :

لذلك بدأ السلطان با يزيد الأول يتطلع لضم الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى، وكانت سياسة السلطان با يزيد شرقية، بمعنى أنه فضل الاتجاه بفتوحاته نحو آسيا الصغرى من أجل تحقيق وحدة الأناضول لتكون تحت راية الدولة العثمانية بعد أن أمن حدود بلاده الغربية^{١١٨}، وكان يتميز هذا السلطان بالطموح في سياسته، فقد بذل جهداً في توحيد منطقة الأناضول ليقود العالم الإسلامي تحت إمرته^{١١٩}، وليس معنى ذلك أنه لم يحدث احتكاك بين الدولة العثمانية والإمارات السلجوقية التركية الإسلامية الواقعة في آسيا الصغرى.

وقد ظهر هذا الاحتكاك قبل حكم السلطان با يزيد الأول في الستينات من القرن الرابع عشر الميلادي بين السلطان مراد الأول والد السلطان با يزيد الأول وبين أمير القرمان كما سبق ذكره، عندما أدرك الأخير أنه لا يستطيع المجازفة بالحرب مع الدولة العثمانية القوية، ولكي يحتفظ باستقلاله وكبريائه، فقد وافق على أن يزوج ابنته لبا يزيد بن مراد الأول.

وبذلك حصل السلطان مراد الأول نتيجة زواج ابنه على أجزاء من إمارة القرمان دون قتال، وكان من هذه الأجزاء، مدينة كوتاهية، ذات الموقع الاستراتيجي الفريد. وكان احتلال العثمانيين لهذه المدينة ضربة قوية لإمارتي تكه وحسيد.

وعندما أدرك أمير إمارة حصيد ضعفه أمام مقاومة الدولة العثمانية، قام ببيع بعض أجزاء من دولته المطلقة على ولاية تكه وكيرمان، والقرمان إلى السلطان مراد الأول، وكان أهمها مدينة عك شهر التي تقع على حدود إمارة القرمان، وتم ضم هذه الأجزاء المهمة إلى أملاك الدولة العثمانية.

ويجب أن نلاحظ ملاحظة مهمة أن السلطان مراد الأول لم يقبض على كل الإمارات السابقة، بل كان هناك ثلاث إمارات أخرى في آسيا الصغرى وهي (آبدین، وصاروخان، ومنتشا) ظلت هذه الإمارات المسلمة على استقلالها لم يسها السلطان العثماني آنذاك، وكانت دولة القرمان من أقوى الدول السلجوقية التركية في الأناضول التي عجز السلطان مراد الأول عن إخضاعها، وكانت تربطه بأميرها علاء الدين أوزار المصاهرة^(١٣٣).

هذا هو الموقف في آسيا الصغرى حين تولى السلطان بايزيد الأول إمارة الدولة العثمانية، حين عزم على توجيه فتوحاته نحو الأناضول بآسيا الصغرى، ذلك التوجه الذي أدى في النهاية إلى سقوطه في معركة أنقرة ٤-٤٨٠م / ١٤٠٢م^(١٣٤).

وكان زعماء الإمارات السلجوقية التركية الإسلامية في الأناضول آبدین^(١٣٥)، وصاروخان^(١٣٦)، ومنتشا^(١٣٧)، الذين احتفظوا باستقلالهم منذ قيام الدولة العثمانية، هي أولى الإمارات التي غزاها السلطان بايزيد الأول. وقد قبلوا في بداية الأمر بحكمه، نتيجة لحوفهم منه، لإتجازاته وفتوحاته العظيمة في أوروبا^(١٣٨).

وكانت هذه الإمارات تطل على بحر إيجه، وكانت في نزاع دائم مع العناصر التجارية اللاتينية ولا سيما منها جنوة، وتتميز هذه الإمارات التركية بطابع تجاري أكثر منه حربي مثل إمارة القرمان وكيرمان، وكان نزاعها الدائم مع العناصر اللاتينية قد أضعفها، مما سهل للسلطان بايزيد الأول استسلامها وبالتالي احتلالها^(١٣٩)، ولتفس السبب ترك أمير آبدین للسلطان أملاكه، وخرج منها ليعيش مطمئن البال في إحدى المدن الخارجة عن النفوذ العثماني.

وتلا ذلك قيام كل من أمير بري منتشا وصاروخان بترك ولايتهما للسلطان با يزيد الأول واحتماتهما لدى أمير قسطنطيني^{١٣٠١}، وخوفاً من السلطان قام حاكم إمارة القرمين الأمير علاء الدين وتنازل للسلطان عن جزء كبير من أملاكه ليؤمن له ما تبقى من أملاك^{١٣٠١}، وباسنيلا، السلطان با يزيد الأول على تلك الإمارات فقد حاز على أهم الموانئ وأعظمها والواقعة على بحر إيجه، (آيدين ومنتشا) وبذلك أصبحت الدولة العثمانية تطل على بحر إيجه، كما حازت أيضاً على أسطول إمارة صاروخان، وقد نفذ به العثمانيون من سواحل منتشا إلى البحر الأبيض المتوسط^{١٣٠١}، وهذا الموقع خلق نقطة جديدة للاحتكاك بين الدولة العثمانية من ناحية، وبين البندقية وجنوة من ناحية أخرى.

استدعى هذا الموقف ظهور العثمانيين على بحر إيجه بتكوين بحرية عثمانية، ولو أن البحرية العثمانية لم تتم وتكبر خلال عهد السلطان با يزيد الأول، إلا أن عهد السلطان با يزيد الأول، كان بداية تفكير الدولة العثمانية بالحاجة الملحة إلى بناء أسطول بحري يعتد به لمواجهة المعارك البحرية^{١٣٠١}، ولكن هذه الإمارات ما لبث أهلها أن استأخوا من اتجاها السلطان با يزيد الأول لعطفه على العناصر المسيحية، بل والاعتماد عليهم كمستشارين لدون المسلمين^{١٣٠١}.

وعلى أية حال فبعد هذه الفشوات التي كان أغلبها بدون حرب، عاد السلطان با يزيد الأول إلى أوروبا، وحاصر ملك الروم في القسطنطينية مانويل باليولوج، وبعد أن ضيق عليها الحصار، ترك حولها جيشاً كبيراً لمحاولة فتحها، وغادرها لغزو بلاد الأفلاق، فاستطاع قهر أميرها (دوك مانيس) والتغلب عليه، وأرغمه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على بلاده، ويتعهد للسلطان فيها بدفع الجزية سنوياً مع بقاء بلاده له بحكمها بمقتضى عوائد وقوانين أهلها، وتم ذلك في سنة ١٣٩٣م^{١٣٠١}.

وفي أثناء حرب السلطان با يزيد الأول مع الأفلاق في أوروبا أراد علاء الدين أمير القرمين استرداد ما تنازل عنه للسلطان، مستغلاً انشغاله في الحرب، وقد اتحدت معه الإمارات السلجوقية الواقعة في جنوب غربي الأناضول، كما اتحد معه القاضي برهان الدين الذي كان يسيطر على مساحات واسعة وسط الأناضول، ويتمتع بنفوذ كبير في أواسط رعاية التركمان في الشرق في حلف ضد السلطان با يزيد الأول لاسترجاع ما أمكنهم استرجاعه من مساحات كبيرة من المدن والأراضي التي ضمها با يزيد الأول إلى أملاك الدولة العثمانية بالقوة.

وقاد علاء الدين جيشاً قوياً وسار به لمهاجمة أنقرة، فاستطاع الانتصار على حاكمها تيمور طاش باشا، وأخذه أسيراً معه، وزحف على بقية المدن الواقعة في الأناضول^(١٣٦).

ولما بلغ السلطان بايزيد الأول الهجوم الذي شنه أمير القرمات على أملاكه في الأناضول، عاد مسرعاً بنفسه لإنقاذ الموقف إلى آسيا الصغرى، فتقابل الجيشان حول أنقرة، فكانت الهزيمة على علاء الدين أمام السلطان ثم أسره^(١٣٧)، واكتسح السلطان إمارات آسيا الصغرى، وأعاد ضم صاروخان وآبدین ومنتشا التي التحدت مع إمارة القرمات من جديد للطاعة العثمانية، وعاد العثمانيون إلى بحر إيجه وأرسوا قواعد قوتهم البحرية، وفي الجنوب استولوا على (أضاليا) آخر مدن أمير تكة، وكانت هذه المدينة أول ميناء عثماني على البحر الأبيض المتوسط^(١٣٨).

ولكن السلطان بايزيد الأول كان قلقاً بسبب الأحداث والتطورات في أوروبا التي كانت تحاك ضد الدولة، فلابد له من العودة بسرعة إلى عاصمة بلاده أدركته وذلك للاستعداد لهذه المؤامرة والقضاء عليها، كما كان هناك بعض الإشكاليات في خطوط مواصلاته الطويلة التي كانت لا تبشر بالخير ولا بالانتصار والهيمنة على الإمارات السلجوقية، لذلك نراه يوافق بمبادرة منه على عقد الصلح مع علاء الدين أمير القرمات منسحباً عن أن يشحبه السلطان من قونية على أن يحتفظ بمدينتي (عك شهر) و(عك سيزا) الواقعة في الشمال الغربي من إمارة القرمات^(١٣٩).

وعلى هذا الأساس عاد بايزيد الأول إلى بلغاريا وذلك عندما وقع أول نزاع بينه وبين ملك المجر (سجموند)، ولكن علاء الدين لم يعتبر من المعركة السابقة، بل انتهز انشغال بايزيد في حربه مع بلغاريا، ووطد العزم على طرد العثمانيين من إمارته، للسيطرة على أملاكهم في الأناضول، وقد التحدت معه الإمارات السلجوقية مرة أخرى، وتمكن بالفعل من استرداد (عك شهر)، واتجه نحو مدينة أنقرة واستطاع الفوز على تيمور طاش باشا في أحد المعارك، وأخذه معه أسيراً مرة ثانية، ثم توجه لأخذ بروسة^(١٤٠).

لذلك عاد السلطان بايزيد الأول من جديد حينما علم بمحاولة علاء الدين انتزاع السيطرة من العثمانيين للأناضول، ولكن بعد أن حقق انتصاراً باهراً على البلغار، وبالقرب من كوتاهية واجه جيش القرمات جيش السلطان وجيوش أتباعه من المسيحيين (البيزنطيين والصربيين والبلغار والولاش) على أمر سراي، فاستطاع السلطان أن يقضي على الجيش القرماني، فانهزم علاء الدين أمام السلطان بايزيد الأول مرة ثانية، وتم أسره مع أبنيه (محمد وعلي)^(١٤١).

وقد رافق الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني السلطان با يزيد الأول في حملته إلى الأناضول الثانية، وكان با يزيد الأول ينتظر إلى الإمبراطور مانويل على أنه تابع له أو من أتباعه، بينما كان الإمبراطور يرى نفسه حليفاً وعلى قدم المساواة مع السلطان با يزيد الأول.

وقد ظل الإمبراطور ضيقاً في سراي بروسة (بورصة) مدة طويلة، وكان يتحدث التركية بطلاقة، وقد التزم باتجاهات السياسة العثمانية الخارجية إزاء بيزنطة^(١١١).

وهذا دليل لما سبق لتشجيع أنصاره الصليبيين على دفع انجباء السلطان با يزيد الأول إلى المشرق، لذلك نراهم يشاركونه في حروبه ضد الولايات السلجوقية المسلمة في الأناضول، وعلى رأس إمبراطور بيزنطة، وكانت هذه السياسة من السلطان سياسة خاطئة، كادت أن تخسر الدولة العثمانية بسببه، تقدمها في أوروبا وتنتهي مدعا في أوروبا إلى الأبد.

وعلى أية حال فقد حاول علاء الدين من أسره أن يعرض على السلطان الصلح على أساس الاتفاقية السابقة، ولم يفلح لأن السلطان با يزيد الأول أدرك أن اتفاقه مع علاء الدين لا طائل من ورائه لعدم التزامه بالعاهدة السابقة، ولأن بعد مصير تهديد للدولة. لذلك وجد السلطان أن الفرصة أصبحت مواتية بين يديه للقضاء عليه وعلى إمارة القرمات نهائياً للتخلص من هذا الخطر، فعلاء الدين قد وفر على السلطان با يزيد الأول منقذة السفر إلى القرمات لإخضاعها عندما حضر بنفسه إلى بروسة (بورصة) لانتزاعها من السلطان، ولكنه خسر المعركة، لذلك رفض السلطان الصلح مع علاء الدين أمير القرمات، وقام بقتله ١٣٩١م، لاستقرار المنطقة، وبذلك انتهت سلطة علاء الدين والقرمات^(١١٢)، وعاد السلطان إلى عاصمة بلاده بروسة بعد أن قتل علاء الدين بن قرمات وحبس ولديه بمدينة بروسة إلى أن أطلق سراحهما تيمور لك بعد موقعة أنقرة سنة ١٤٠٤هـ / ١٤٠٢م^(١١٣).

والحقيقة أنه لم يتم إخضاع القرمات نهائياً فقد ظلت هذه الإمارة حتى سقوط القسطنطينية تقض مضاجع سلاطين الدولة العثمانية بين الفينة والفينة^(١١٤)، وواصل السلطان با يزيد الأول فتوحاته في الأناضول بأسيا الصغرى، واكتسح سيواس وتوقات^(١١٥)، وكان آخر أمراتها برهان الدين أمير سيواس^(١١٦).

في حين أن الإمارة العثمانية في الوقت الذي استشهد فيه السلطان مراد الأول في قوصوه قد أخذت على عاتقها دوراً مهماً وهو الاستمرار في أراضي الأناضول والروملی، وتحولت إلى دولة

كاملة الأركان. ولكن السلطان با يزيد الأول حين اعتلى عرش الدولة (١٣٣٩م)، بدأت الدولة العثمانية بقيادته تطبيق سياسة جديدة خاطئة. كانت من أسباب زوال حكمه ونهاية لظهوراته على يد تيمورلنك في كارثة أنقرة كما سيأتي الحديث عنه في بابها^{١٤٤}. حين فرض سيطرته المباشرة على هذه المناطق التي طرد منها أسرتها الحاكمة وإخضاعها لسلطته المركزية المباشرة، ولقيت هذه السياسة مقاومة ليس فقط في البلدان المفتوحة بل داخل الدولة العثمانية نفسها، وكانت هذه موجة ضد التسرع في ضم المدن والإمارات، واعتبرت ذلك خروجاً عن التقاليد العثمانية^{١٤٥}.

فقد كانت سياسة مراد الأول هي ترك الأراضي على شكل إقطاعات عسكرية للأمراء، وبدأت من بعده سياسة تحويل هذه الأراضي إلى الملكية العثمانية بالفعل، إذ حدث فور سماع خبر وفاة السلطان مراد الأول أن ظهرت انتفاضات في الأناضول والبلقان ترمد فيها أمراء الإقطاع في الأناضول، فقام بايزيد الأول مسرعاً نحوهم (١٣٨٩ / ١٣٩٠م) لإخماد هذا التمرد، وأخذ منهم أراضيهم لتصبح أرضاً عثمانية خالصة.

وأصبحت الإمارات القديمة سناجق عثمانية يتولى إدارتها عمال بحري تعيينهم من العاصمة، وكان نتيجة لهذه الجهود التي بذلها أن انخفض عدد الإمارات المناهضة له في الأناضول إلى مركزين أساسيين، - الأناضول وسبواس - وهذه الأعمال كانت بمثابة التطبيقات الأولى لسياسة استهداف بها السلطان با يزيد الأول، الذي عرف بلقب «الصاعقة» إقامة دولة مركزية قوية تدار من مركز واحد، هو السلطان، وكان هو يفعل ذلك بضع نصب عينيه صفة القائد المجاهد، وقد استطاع أن يصيغ ادعاءات السيادة داخل هذا الإطار^{١٤٦}.

وقد اشتد العثمانيون في انتقاد سلطانهم با يزيد الأول حول إدخاله استعمال الدرتر في النظام الإداري العثماني، يضاف إلى ذلك أنه حاول في الأراضي التي ضمها حديثاً أن يحل عيبه (الغلمان) محل الاستقرابية المحلية فاعتبرت هذه السياسة خروجاً على القاعدة والتقاليد العثمانية، وكانت هذه السياسة من أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى تكية السلطان بايزيد الأول وزال حكمه في موقعة أنقرة، وعودة الأسر الحاكمة في القرماني على أثرها وغيرها من الإمارات السلجوقية الأخرى في الأناضول^{١٤٧} إلى الاستقلال بإماراتهم.

وهذا مما يعزز القول بأن آل عثمان لم يحكوا قبضتهم على إمارة القرماني إلا بعد فتح

السلطان بايزيد الأول يتابع حروبه في أوروبا :

ثم عاد السلطان بايزيد الأول، متابعاً حروبه في أوروبا فأمر بزحف عام على طول حدوده الشمالية والشمالية الغربية، ووصلت قواته الغازية إلى ألمانيا لتثبيت حكمه هناك، وفي عام ١٣٩٣م استكمل احتلال بلغاريا وزود آدين وولستريا وتيكوبولي وغيرها من فلاح الدانوب بحاميات قوية بعد أن قام بتقوية تحصيناتها تحصيناً قوياً، مما عزز من مكانة السكان المسلمين في تلك المدن، الذين ازدادت أعدادهم على طول الحدود الشمالية للدولة العثمانية، على أثر اعتناق عدد كبير من البلقانيين المسيحيين للإسلام، وهجرة عدد من مسلمي الأناضول إلى البلقان.

وما لبث أن حاصر السلطان بايزيد الأول العاصمة البيزنطية، وشدد عليها الحصار، وطلب من الإمبراطور بعد فتره من منطلق القوة أن يعين قاضياً في القسطنطينية للفصل في شئون المسلمين، وقبل الإمبراطور إيجاد محكمة إسلامية وبناء مسجد وتخصيص سبعمائة (٧٠٠) منزل داخل المدينة للجالية الإسلامية، كما تنازل للسلطان بايزيد الأول عن نصف حي غلطة، التي وضع فيها السلطان حامية عثمانية قوامها ستة آلاف (٦٠٠٠) جندي، وزيدت الجزية التي كانت الدولة البيزنطية تدفعها للسلطان العثماني.

<http://ArchiveBeta.Bakhti.com>

وفرضت الجزية العثمانية رسوماً على الكروم ومزارع المحضروات الواقعة خارج المدينة، وأخذت المآذن من تلك اللحظة تنتقل الأذان إلى العاصمة البيزنطية، والتي أطلق عليها العثمانيون بعد الفتح « اسطنبول »^{١٢١}، وقد فرض عليها السلطان الرقابة من خلال الحامية العثمانية وإحكام السيطرة عليها^{١٢٢}.

وبعد هذه المكاسب الجديدة للسلطان بايزيد الأول فقد أشار عليه مستشاروه المسيحيون بترك أوروبا وشأنها والتوجه إلى الأناضول بأسبانيا الصغرى، لاستكمال القضاء على الإمارات السلجوقية المسلمة وتوحيدها تحت السلطة العثمانية، وكان هدف المسيحيين من ذلك هو صرف السلطان عن الفتوحات الإسلامية نحو أوروبا، كما كان يفعل أسلافه لحرمانه أولاً من الأجر ومن ثم الثروات الجديدة^{١٢٣}، وثانياً إبعاد شبح الحرب عن دولهم لتوجه السلطان ومخبره للاضطهاد بالإمارات السلجوقية المسلمة، وذلك لإضعاف قوته وبالتالي إعطاء فرصة للعالم المسيحي لاستعادة أنفاسه لينا قوائمه وتسوية خلافاته لتوحيد جهوده، ضد الدولة العثمانية التي توغلت في داخل البلقان، للاقتضاض عليها في أقرب فرصة لطردهم من أوروبا كلها.

وقد نجح المسيحيون في تحويل أنظار السلطان إلى الشرق، حينما استصوب قولهم، لذلك لفت بعنان فرسه ورايته من الغرب إلى الشرق، مخالفاً لمن سبقه من أسلافه، وعلى أية حال فإنه لم يبق من الإمارات السلجوقية التي ضمها السلطان إلى الدولة العثمانية، والتي قامت على أطلال دولة آل سلجوق في الأناضول سوى إمارة قسطنطيني^(١٦١).

وكانت هذه الإمارة خارجة عن أملاك الدولة العثمانية، وتقف حائلاً بين الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبحر الأسود، وبالإستيلاء على هذه المدينة يعني حصول الدولة على ميناء مهم جداً وهو ميناء سينوب على البحر الأسود^(١٦٢)، وكان أميرها يسمى با يزيد أيضاً. قد احتسب بإمارته الكثير من الأمراء وأبنائهم الذين استولى السلطان على بلادهم بالقوة ولإيجاد مبرر لغارته عليها فقد أرسل السلطان با يزيد الأول، تنقيحاً لتصبحته مستشاريه المسيحيين إلى أمير قسطنطيني يطلب منه تسليم أولاد أميرى (آيدين وصاروخان)، فامتنع عن تسليمهم فسار السلطان على رأس جيشه، إلى إمارة قسطنطيني لأخذها بالقوة وهرب با يزيد أمير قسطنطيني ومعه أمراء الإمارات السلجوقية الذين سبق أن احتسبوا به إلى تيمورلنك يشكون إليه السلطان با يزيد الأول ويستنجدون به لاسترداد بلادهم، فاستجاب تيمور لرو بلادهم^(١٦٣)، وهذا هو سبب غزوه بلادهم من تيمورلنك^(١٦٤)، أما السلطان فقد ضم وهو في طريقه للإستيلاء على قسطنطيني، مدن سامسون^(١٦٥)، وقيصريه^(١٦٦) وجنابك وعشماجق^(١٦٧)، وبذلك انقرضت جميع الإمارات السلجوقية القائمة بالأناضول، وصار العلم العثماني كما أراد السلطان العثماني يرفرف أو يخفق فوق صروحها^(١٦٨)، وبهذا أصبح السلطان با يزيد الأول سيد الأناضول، ولكنه كان سيداً بالاسم، إذ لم يكن العثمانيون قد هضموا بعد هذه المناطق الأسبوية المفتوحة، كما تدل حوادث النزاع بين تيمورلنك والسلطان با يزيد فقد كان سكان هذه المناطق لا يزالون موالين لأسراتها الحاكمة، وقد اتضح ذلك في معركة أنقرة كما سيأتي^(١٦٩).

وهكذا بعد أن قضى السلطان با يزيد الأول على الفتن في الأناضول سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م وبالتحديد بعد ضم الإمارات السلجوقية في الأناضول وتوحيدها، وظن المسيحيون أنهم قد نجحوا في صرف السلطان عن أوروبا ليستريحوا من الزحف الإسلامي نحو بلادهم للأبد، إلا أن السلطان استشعر بمسئولية الجهاد نحو أوروبا مرة أخرى لذلك حشد قواته وواصل سياسته لغزو أوروبا لاستكمال فتح القسطنطينية، فاستولى على مدينة سالونيك^(١٧٥)، وتمركز فيها، ومنها توجه إلى شمال بلاد البلغار، وعندما علم سسيमान ملك بلغاريا داخله الخوف لتفقد بلاده من السلطان، وجاءه بتقسمة إلى الصدر

الأعظم، اعلى بن خير الدين قرة خليل باشا وزير السلطان با يزيد الأول، ومعه ولده، ووضع كل منهما - الأب والابن - في عنقه مندبل الأمان، فأنتهما على حياتهما، وأرسل الأب إلى مدينة فيليببولي في مقدونية، وأبقى ابنه في معسكر السلطان، ولم يلبث الابن كثيراً حتى اعتنق الإسلام دون إكراه، عندما رأى سماحة الإسلام^{١٣١١}، وقد قام السلطان باستكمال فتح بلاد البلغار وضماها إلى أملاك الدولة، فأصبحت تلك المناطق ولاية عثمانية^{١٣١٢}.

وحيث علم سيجموند ملك المجر افتتاح السلطان بعض مدن البلغار التي كان يعتبرها تحت نفوذه وسيطرته، غضب وأرسل إلى السلطان يقول له : من أين لك الحق أن تستولي على بلاد البلغار، فلما حضر الرسول بين يدي السلطان أراه حزمة من الأقواس والنشاب، وقال له : « اذهب وأخبر مولاي بما نظرت ». وكان هذا الجواب دليلاً على الحرب، ولما عاد الرسول وأبلغ مولاه « ملك المجر » بما عاينه ورآه، فكر بأنه لا يقدر على حرب ومقاومة الدولة العثمانية وجنودها^{١٣١٣}، وكان من الطبيعي أن تشير انتصارات الدولة العثمانية جزء الغرب^{١٣١٤}، فعتم الخوف معظم الأوربيين من سرعة تقدم فتوح العثمانيين في أوروبا، فقامت ضجة وفرح للحض على جيوشهم^{١٣١٥} للتصدي للعثمانيين.

سيجموند يدعو لشن حرب صليبية على المسلمين العثمانيين:

لذلك انطلق سيجموند إلى مدينة روما يطلب من البابا بونيفاس الثاني النجدة والمساعدة والمعون^{١٣١٦}، كما دعا حكام أوروبا المسيحيين إلى شن حرب صليبية ضد المسلمين العثمانيين، وكان ذلك ١٣٩٤م، لصددهم عن بلاده، ويعتبر سيجموند المحرك الأول لتلك الحرب الصليبية، لأنه أصبح متاخماً للدولة العثمانية في عدة نقاط، فخاف خوفاً شديداً وخشى فقد مملكته، كما فقدوا البلغارون من قبل سنة ١٣٩٣م^{١٣١٦}، لأن بلغاريا كانت بين السلطان العثماني وسيجموند ملك المجر، وكان الأخير يدرك أنه لا يستطيع وحده إنقاذ البلقان، وفي نفس الوقت كان ملوك أوروبا يدركون أن الطريق أمام العثمانيين إلى قلب أوروبا سيصبح مفتوحاً لو نزلت هزيمة كبيرة بالمجر^{١٣١٧}، وكان من نتائج الاستيلاء على بلغاريا بعد تهديد لبيزنطة بصورة دائمة وخطيرة، فأصبحت الدولة العثمانية تتطلع إلى الأراضي المجرية لتتخطيم النفوذ المجرى هناك، وكان هذا الأمر وراء توحيد دول أوروبا ضد الدولة العثمانية، لتشكيل حملة صليبية^{١٣١٨}.

ومن هنا المنطلق انتعشت الروح الصليبية ولقيت دعوة سيجموند استحابة وتأييداً من البابا - بونيفاس الثاني - الذي دعا أوروبا إلى شن حرب صليبية ضد الدولة العثمانية، لذلك عادت

الفكرة الصليبية التي نسيها الناس في الظاهر منذ أمد بعيد، تعود إلى الظهور من جديد مرة أخرى^{١٤١}.

وتلك الدعوة لقيت صدى قوي وأشعلت ملوك أوروبا وأباطرتها حماساً في حركة واسعة للوقوف صفاً واحداً لطرد العثمانيين من أوروبا^{١٤٢}، فأرسل البابا بونيفاس الثاني من روما أربعة آلاف جندي مقاتل، وكذلك ملك فرنسا كارلوس الثالث بستة آلاف مقاتل للانضمام إلى سيجموند ملك المجر^{١٤٣}، أغلبهم من تيلاء فرنسا، وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا تحت قيادة الشاب الكونت دي نفر^{١٤٤} ابن ملك دوك بورغونيا^{١٤٥}، وقد انضم إلى أولئك الجنود وفرسان القديس يوحنا الارشليمي، أمير الأقالق وبلغاريا اللذان خلعا ولاهما للعثمانيين^{١٤٦}.

وقبل التحق بالكونت دي نفر، وهو في طريقه إلى بلاد المجر، من ألمانيا حوالي ستة آلاف مقاتل ألماني، بقيادة الكونت بلاتين روبرت بن روبرت الثاني، ومن إنجلترا عشرة آلاف مقاتل بقيادة هنتجون، وانحاز إليه حاكم الأقالق في عشرة آلاف مقاتل، وقدم من بولندا وبوهيميا وإيطاليا وأسبانيا حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل، وكان ملك المجر سيجموند ينتظر هذه الجيوش ومعه حوالي ستون ألف مقاتل^{١٤٧}.

<http://ArchiveBeta.Bahari.com>

وعلى أية حال فإنه لا يهسا الأعداد المقاتلة للطرفين، بقدر ما يهسا في النهاية تشكيل جيش صليبي اشتركت فيه كل دول أوروبا الغربية، وكذلك دول المواجهة التي تواجه الزحف العثماني أو مناطق السيطرة العثمانية، وقد توافد هؤلاء الجنود الصليبيون إلى بودا، من إنجلترا، واسكتلنده، وبولنده، وبوهيميا، والنمسا، وإيطاليا، وسويسرا، وكذلك من بلدان جنوب شرقي أوروبا^{١٤٨}، تدفعهم الروح الصليبية لسحق وطرد الدولة العثمانية من أملاكها في أوروبا.

وبعد تردة من البندقية للدخول في هذه الحرب اشتركت وأعدت أسطولاً صغيراً في الدردنيل، وذلك لتفتيش المضيق لجعل خط الإمدادات الأوروبية متصلاً بالثقوات الموجودة في المجر، لمحاولة درء الخطر العثماني من استغلال هذا المضيق لقطع الإمدادات الأوروبية وبالتالي يعمد إلى فشل الحلف الصليبي^{١٤٩}.

وقد استغرقت هذه الاستعدادات الأوروبية وقتاً طويلاً، وكان البابا صاحب الدعوة، وصرفت أوروبا مبالغ كبيرة من الدراهم لم يسبق أن صرفتها أوروبا في القرون الوسطى^{١٥٠}.

وكان الهدف من هذا الحلف الصليبي أو الحملة الصليبية هي هزيمة وسحق الأتراك العثمانيين وطردهم بصورة نهائية من البلقان إلى الأناضول، ثم محاولة الوصول إلى البقاع المسيحية في بيت المقدس بفلسطين، لتخليصها من يد المماليك، وكانت هذه خطة الحملة^(١٤١).

لهذا اجتمع المجلس العسكري الأعلى في بودابست، وتم انتخاب ملك المجر سيجمند الأول للقيادة العامة، فاجتاز الجيش الصليبي الحدود المجرية العثمانية ودخل الأراضي العثمانية^(١٤٢)، عن طريق بلاد الصرب، التي حافظ أميرها على ولائه وعهده للسلطان با يزيد الأول، مما دعا الحلفاء الصليبيون إلى تخريب أراضيه لعدم تحالفه معهم^(١٤٣).

وقد عبر هذا الحلف نهر الدانوب (الطونة) وعسكر حول مدينة نيكولي^(١٤٤) لمحاصرتها والاستيلاء عليها^(١٤٥)، وكانت هذه المدينة من أقوى وأهم المعاقل العثمانية على نهر الدانوب في أوروبا، وكانت محصنة تحصيناً قوياً بأسوار متباعدة^(١٤٦).

وظل هذا الحلف الصليبي متمركزاً حول قلعة نيكولي الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر الدانوب (الطونة) لحصارها والاستيلاء عليها، فلم يستسلم القائد العثماني (دوغان بك) والذي حيدهم عن دخول القلعة وقد مضت لفترة أسبوعين أي (١٥) يوماً على حصار الصليبيين لها دون فائدة، في حين وردت الأخبار بأن العثمانيين أخذوا يفتريون عن القلعة، وكان جيش السلطان بايزيد الأول قد تحرك من تراقيا، فاق فرسانه، خيالة الصليبيين في سرعة الحركة^(١٤٧)، وقد وصلت مقدمة جيشه تحت قيادته إلى نيكولي في يوم الاثنين الموافق ٢٥ سبتمبر ١٣٩٦م، وعسكر بجيشه في التلال على مسافة ثلاثة أميال من الجيش الصليبي^(١٤٨)، يرافقه كثير من الجيش الصربي بقيادة أميرهم استيفن وقاتل للشرط الذي التزم به في الصلح مع السلطان با يزيد الأول، فتقدم السلطان لحرب الحلف الصليبي المذكور، فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين، ولكن فقدان روح النظام عند هؤلاء الصليبيين المحاربين جعل حماسهم عديم الجدوى بالكلية، وذهبت جهود سيجموند لقيادتهم أدراج الرياح^(١٤٩)، حين بادره السلطان با يزيد الأول بالهجوم واشتبك معهم في معركة سال فيها الدم بين الفريقين وانتهت هذه المعركة بفوز العثمانيين على الحلف الصليبي بهزيمة ساحقة^(١٥٠)، بجيش قوامه حوالي سبعين ألف جندي، وكان الجيش الصليبي مؤلفاً من مائة وثلاثين ألف جندي، إلا أنه لم يكن هؤلاء الصليبيين قد شاهدوا حرباً بهذا الحجم ولا طالعوها في الكتب، كانوا جنوداً جديدين، لكنهم لم يعتادوا إلا على مقاتلة خمسة عشر ألف جندي وجهاً لوجه على أكثر تقدير.

فكانوا يجهلون تكتيك الحرب العثمانية، لذلك اضطربوا عندما ضيق عليهم السلطان بايزيد الأول الخناق، وأرادوا النجاة والهرب عن طريق نهر الطونة لكنهم شاهدوا أن النهر من أوله إلى آخره مرصوف بالحجارة الأثراك، فقد حالوا بينهم وبين النهر، فكان العثمانيون الأثراك يقتلون بالسيف من لم يستسلم منهم^{١٤٤١}، أما سيجموند ملك المجر، فقد هرب من المعركة إلى شاطئ البحر الأسود حيث وثب على إحدى السفن من الأسطول النصراني ففرت به إلى أوروبا، وبذلك تضاعفت مكانة المجر في عيون المجتمع الأوربي، وتبخر ما كان يحيط بها من هبة ورهبة واعتداد بقوة ملكها سيجموند، وبهزيمته أصبح الوضع في البلقان أكثر سوءاً وأصبح الطريق ممهداً أمام العثمانيين لمزيداً من الفتح^{١٤٤٢}، وقد أسكن للسلطان إبادة معظم القوة الصليبية الكاثوليكية الضخمة التي احتشدت في (بودا) خلال مدة قصيرة عند قلعة نيكولي، وكانت تلك القوة الصليبية خلال زحفها نحو الأماكن محرق وتهدم ما يصادفها في الطريق وتوقع أنواع المظالم بالسكان الأثرثة كس المحليين، فلما عنيت بالهزيمة، تأكد لديهم الرأي القائل باستحالة طرد العثمانيين من الأناضول^{١٤٤٣}.

وقبل مات من الصليبيين غرباً في النهر وطوراً بالسيف حوالي مائة ألف جندي، وتمكن من الفرار حوالي عشرة آلاف جندي^{١٤٤٤}، كما وقع في الأسر حوالي عشرة آلاف جندي قام الجنود العثمانيون بقتل معظمهم أمام السلطان، منهم كثير من نبلاء قرظنا، وأطلق سراح الباقين منهم يوحنا كونت دي نافر^{١٤٤٤}، فقد عفا عنه السلطان لشجاعته وبسالته^{١٤٤٥}، وكانت خسائر الأثراك غير معلومة لديهم، ولكن المصادر الأوربية تقدر حجم الخسائر العثمانية بثلاثين ألف جندي تركي بين قتييل وجريح^{١٤٤٦}.

وعلى أية حال فقد استطاعت إمارات فييدن البلغارية، من الإفلات والنجاة من السقوط في أيدي العثمانيين ١٣٩٣م، ولكن العثمانيين استطاعوا الاستيلاء عليها في هذه المرة ١٣٩٧م، نتيجة لهزيمة الحلف الصليبي في موقعة نيكولي ١٣٩٦م، حيث أصبح الطريق سهلاً ومهداً أمام العثمانيين كما سبق ذكره، لذلك استطاعوا احتلال أثينا، ثم عبروا مدينة اسميوس، واجتاحوا أرجوس، وانتصروا على القوات البيزنطية هناك، واجتاحوا الشاطئ الجنوبي، وكان ذلك إذناً بأن القسطنطينية قد جا دورها، بعد القضاء على كل العناصر الصليبية أو التي باستطاعتها أن تقم يد المساعدة لمدينة القسطنطينية، التي كانت تمر بفترة ضعف في السنوات العشر الأخيرة^{١٤٤٧}، هذا الأمر عمل على ذوب شعرة السلطان بايزيد الأول في العالم الإسلامي كمجاهد كبير،

وعلى ذلك كان في مقدوره أن يضع القسطنطينية تحت الحصار الشديد ويتطلع إلى احتلال روما، وهذا أثار الخوف في نفوس أهلها، أما الإمبراطور البيزنطي فقد كان يعتقد عن إيمان أن إنقاذ القسطنطينية لن يتم إلا عن طريق المساعدة التي يمكن الحصول عليها من الخارج، كما توقع أن فتح القسطنطينية قرب المثال^{١١٠}، وأعلن السلطان با يزيد الأول أنه سيحتل إيطاليا، بعد فتح القسطنطينية، وأن حصانه سيتناول طعامه على مذبح كنيسة القديس بطرس في روما^{١١١}.

عندما فقدت بيزنطة كثيراً من تأثيرها وهبتها بعد معركة نيكولبي، مما جعل الإمبراطور مانويل الثاني يطلب المساعدة من روسيا والبندقية، وملك فرنسا وبريطانيا لإنقاذ القسطنطينية من تهديد العثمانيين لها، فاستجاب شارل ملك فرنسا لطلب مانويل، فأرسل من المضحك فرقة تتكون من ألف ومائتين جندي تحت قيادة المارشال بوكيكو (Boucicau) الذي سعى لشق طريقه إلى القسطنطينية، ولكن القوة التي كانت معه صغيرة لن تستطيع إنقاذ القسطنطينية^{١١٢}.

في نفس الوقت كان حنا السابع متنافس الإمبراطور مانويل الثاني على العرش يتفاوض في قرنسا لبيع حقه في العرش لملك قرنسا مقابل قصر هناك، ودخل بقدر مائتين وخمسين ألف فلورين ذهبي، فقرر الإمبراطور مانويل الذهاب إلى الغرب لطلب المساعدة وتدخل بوكيكو للصلح بين الإمبراطورين البيزنطيين المتنازعين (حنا ومانويل)، وتقرر أن يحكم حنا السابع كإمبراطور في القسطنطينية في غياب مانويل، ومع ذلك فإن مانويل لم يكن يأمن له، فأرسل أسرته عند أخيه في المورة، وذهب في رحلة لطلب المساعدة من الغرب، فزار البندقية وعدداً من المدن الإيطالية، ثم ذهب إلى باريس، ومنها إلى لندن، ولم تحقق رحلته نتائج إيجابية إلا بعض الوعود، التي لم تتحقق لصعد الهجوم العثماني المحتمل لفتح المدن فرحل إلى باريس مرة أخرى، وأقام بها عامين، إلى أن وصلت أخبار هزيمة السلطان با يزيد الأول على يد المغول مما جعل القسطنطينية تنعم بفترة راحة من الاستقرار^{١١٣} كما سيأتي ذكره.

وفي الحقيقة أن الصربيين قد أنتتوا ولاهم للدولة العثمانية في ساحة نيكولبي، والتي أحرز فيها السلطان با يزيد الأول بمساعدتهم قمة مجده في تلك المعركة، فأرسل من ميدان القتال إلى قاضي بروسه بخيره فيه بانتصاره في نيكولبي^{١١٤}، كما بعث من أدرنه عاصمة بلاده الرسائل إلى كبار حكام المشرق الإسلامي، يزف فيها بشرى انتصاره في معركة نيكولبي، وقد أرسل مع الرسل مجموعة من الأسرى الصليبيين كهدايا من المنتصر دليلاً مادياً على انتصاره، واتخذ لقب

« سلطان الروم » كدليل على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على كل شبه جزيرة الأناضول^(١١٠٨)، وبهذا الانتصار العظيم الذي حققه السلطان با يزيد الأول في معركة نيكولبي رسخت أقدام العثمانيين في البلقان، حيث انتشر الخوف بين الشعوب البلقانية، وخضعت بلغاريا والمجر للدولة العثمانية، وعاقب السلطان حكام جزيرة المورة الذين قدموا المساعدات للحلف الصليبي^(١١٠٩)، ويعني ذلك أن العثمانيين بهذا العمل قد سيطروا على شبه جزيرة البلقان كلها ما عدا مدينة القسطنطينية وما حولها^(١١١٠).

العلاقة المملوكية العثمانية في بداية عهدها تختلف عن نهايته :

وكانت العلاقة المملوكية العثمانية في بداية عهدها طيبة، فلم يحدث بين الدولتين صدام، لعدم ظهور أطماع لأي منهما في أملاك الآخر، وقد زاد من محالهما الخطر المغولي الزاحف نحو الغرب، المتجه نحو بلادهما^(١١١١).

لذلك أرسل السلطان با يزيد الأول إلى الخليفة العباسي المتوكل المقيم في القاهرة، طالباً منه أن يخلع عليه لقب سلطان الروم لكي يسبح على السلطنة التي مارسها أو تمتع بها هو وأجداده من قبل طابعاً شرعياً رسمياً لتزاد هيبة لدى العالمين الإسلامي والمسيحي، ولم يكن في استطاعة السلطان برقوق - حامي الخليفة العباسي - أن يتعلل أو يرفض طلب السلطان، بل وافق عليه، إذ كان يرى في السلطان العثماني حليفه الأوحيد ضد قوات نيمورلنك التي كانت تهدد كلا الطرفين بخطر عظيم^(١١١٢)، لذلك خلع عليه الخليفة العباسي لقب سلطان أقاليم الروم تدعيماً لموقفه هناك، وتوحيداً لجهودهما معاً ضد الغازي المغولي لهما على حد سواء^(١١١٣)، وعلى الرغم من مخاوف السلطان برقوق من الخطر المغولي نحو بلاده، إلا أنه كان يخاف أكثر من أطماع العثمانيين^(١١١٤)، وهنا يجب التنويه أن السلطان با يزيد الأول، وهو أول من لقب «سلطان آل عثمان»، لذلك لم ينتقل آل عثمان من طور الإمارة إلى دور السلطنة إلا في عهد السلطان با يزيد الأول، وعلى يديه أصبحت الأمارة العثمانية الدولة التي عرفت باسم الدولة العثمانية، كما أن هذا السلطان بحق هو أول من فكر في توحيد العالم الإسلامي، وكانت طموحاته أن يقوده تحت إمرته^(١١١٥)، وقد تدفق على الأناضول آلاف المسلمين الذين قدموا لخدمة الدولة العثمانية وسلطانها، وكانت هذه الهجرة لم تقتصر على رعايا التركمان، بل كانت مليئة بالجنود الذين أسهموا في الحياة الحكومية والاقتصادية والثقافية، في إيران والعراق، وما وراء النهر، إضافة إلى الجسوع الفارة أو الهاربة من أمام زحف قوات نيمورلنك من أواسط آسيا^(١١١٦).

وقد صدقت مخاوف السلطان برقوق حين أخذ السلطان با يزيد الأول يتطلع إلى المماليك في آسيا الصغرى، شرق الأناضول، فكان احتكاكه أكثر من مرة بدول المماليك في مصر والشام، فقد هاجم قيسرية، وقبض على أميرها الذي كان يتبع لدولة المماليك، وسيطر على بلاد القاضى برهان الدين وسط الأناضول، وحين بدأت انتصاراته^(١١١١) حضر بنفسه في ٢٠٢ / ١٣٩٩م، إلى سيواس، وشاهد الوضع هناك، وكان ابنه محمد الأول (جلبي)، والياً على هذا الإقليم^(١١١٢)، ولما علم السلطان با يزيد الأول بوفاة الأمير برقوق، وتولى ابنه قرچ الحكم مكانه على مصر أرسل إليه رسولاً يعرض عليه ترك « ملاطية » الأهله بالسكان الأتراك لأنها تخص القاضى برهان الدين التي آلت بلاده للسلطان العثماني، وعندما تلقى الجواب بالرفض من الأمير قرچ المملوكي قام بإعداد جيش لهذا الغرض ونزل به من سيواس إلى ملطية، وقام بحصارها حتى استسلم أهلها في شهر محرم ٢٠٢ / ١٣٩٩م، فأخذها عنوة من المماليك^(١١١٣) وقد أدى ذلك الأمر إلى توتر العلاقات المملوكية العثمانية في الوقت الذي كان فيه خطر تيمورلنك مائلاً على أبواب الأناضول (٢٠٢ / ١٣٩٩م)، فاحتل السلطان العثماني المدن المملوكية الأخرى، كحصن منصور (آدي يمان) كاهته بسني دارنده، ديورغى البستان، حتى تجاوزت الحدود العثمانية نهر الفرات، كما اعترف بتو دلقادر بالسيادة العثمانية في ٢ / ٩ / ١٣٩٩م، وخضعت له مدينة خربوت وأرزبجان، وهكذا تكونت الوحدة الأناضولية التي يسعى من أجلها لإعادة أحياء تركية علا، الدين السلجوقية في آسيا الصغرى^(١١١٤).

هذه السياسة الجزئية منه في الشرق أوقعته فيما بعد لأن يدخل ساحة نفوذ تيمورلنك من ناحية والأراضي المملوكية من ناحية أخرى، حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام تيمورلنك^(١١١٥) كما سيأتي.

وعلى أية حال فقد شعر السلطان با يزيد الأول بما شعر به القاضى برهان الدين أحمد حاكم سيواس آنذاك، لما كان على قيد الحياة بالخطر المغولي عقب استيلاء تيمورلنك على بغداد للمرة الأولى حين لجأ للعثمانيين والمماليك في مصر، وشرح لهم هذا الوضع المرعب من أطماع المغولي، فاقترح بإعداد حلف ضد تيمورلنك، ولكنهما (العثمانيون والمماليك) لم يهتموا بهذا الأمر^(١١١٦).

لذلك أحس السلطان العثماني كما سبق ذكره بهرج موقفه وخطأ ما أقدم عليه، عندما أحس بالخطر المغولي يقترب من بلاده، ولا تصير له في المنطقة سوى دولة المماليك، فقام بالاعتذار

لسلطان المماليك الناصر صلاح الدين بن فرج بن برقوق عما أقدم عليه، وأرسل له هدية ثمينة مع أحد رسله، وظل السلطان بايزيد الأول يؤكد صداقته واحترامه لسلاطين المماليك^(١١٧١)، حتى طلب من السلطان المملوكي فرج ما طلبه القاضي برهان الدين وهو التحالف معه ضد الخطر المغولي الذي أصبح على مقربة من بلادهما، فرفض السلطان المملوكي فرج ذلك التحالف بعد التشاور مع أمراء المماليك، الذين تأثروا باحتلال السلطان العثماني لمطية وغيرها من الممالك التابعة للدولة. ففضى هذا الاحتلال على إمكانية التحالف بينه وبين السلطان فرج بن برقوق، وقد استفاد تيمورلنك من هذا الخلاف والتنافس بين المماليك والعثمانيين في صالحه^(١١٧٢)، حيث تمكن من مداخمة كلا القوتين على انفراد^(١١٧٣)، فقد غزا سيواس العثمانية وقام بتخريبها وبهذا العمل فقد أنزل بالعثمانيين أول ضربة، واكتفى في بداية الأمر بسيواس، ولم يتقدم نحو الأراضي العثمانية.

أما السلطان بايزيد الأول فقد شعر بأن الوضع في سيواس مؤلّم، فقد تأثر كثيراً، لعدم استعداده لملاقاة تيمورلنك على الفور، لكنه سار بقواته إلى قيصري، وانتظر تيمورلنك، لكن تيمورلنك اتجه نحو سوريا^(١١٧٤) وهاجم المماليك في مصر والشام وتمكن من هزيمتهم سنة ١٤٠٠م، بالقرب من مدينة دمشق^(١١٧٥).

ولما رأى السلطان العثماني اتجه تيمورلنك نحو المماليك قاد الجيش العثماني بنفسه إلى الحدود الشرقية، وأخذ مدينة أذربيجان من أميرها مهتران حليف تيمورلنك، وبعد ذلك خيّر بأن يعيد له المدينة على أن يصبح - مهتران - تابعاً له ويكون حاكماً على أذربيجان ثم أخذ عائلة مهتران كرهينة لديه حتى يعرض لواته، وأرسلها إلى مدينة بروسة (بورصة) وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠١م، وبهذه الصورة فقد اتسعت الفجوة بين تيمورلنك وبايزيد الأول لغارته على أمير أذربيجان التابع لتيمورلنك^(١١٧٦).

وبعد ذلك عاد السلطان إلى عاصمته بروسة (بورصة) ليستريح من عناء الحروب، ولتبتعد باللذات^(١١٧٧) ونشوة انتصاراته، وأيضاً مراقبة الزحف المغولي، ورصد اتجاهااته للاستعداد له، وبينما هو على تلك الحال، فقد أرسل تيمورلنك خطاباً أثنأ - حملته لسوريا يهدد السلطان بايزيد فيه، وينبه من الغفلة، لارتكاب الأخطاء - ضد حلفائه وأمراء الإمارات السلجوقية المسلمين الذي اغتصب ممتلكاتهم، وتهديده لدولة المماليك، كما ذكره بغموض أصل أسرته، فأغلظ له السلطان بايزيد الأول الجواب مع رسوله^(١١٧٨)، وبين له أنه من أسرة عريقة ذات أمجاد معروفة، ومن نسب

عالي، وطلب بأن يكون تيمورلنك تابعاً له مفاخراً بتاريخهم العظيم، فانتصرف الرسول المغولي مخلولاً^{١١٣١}.

استغلال الخلاف بين السلطان بايزيد الأول وتيمورلنك :

استغل إمبراطور القسطنطينية وملوك أوروبا هذا الخلاف الذي وقع بين السلطان بايزيد الأول وتيمورلنك، وطلبوا من الأخير مساعدتهم لإتخاذ سقوط القسطنطينية في يد السلطان بايزيد الأول، وكان تيمورلنك قد بدأ مواصلة فتوحاته وزحفه نحو خوارزم وبالتحديد قد وصل إلى ما بين النهرين لمواصلة قتال السلطان بايزيد الأول^{١١٣٢}، الذي كان ينوي حصار القسطنطينية، ولما علم أن إمبراطور القسطنطينية قد استجد بتيمورلنك، تقدم بجيشه لحصار القسطنطينية، عقاباً له على موقفه العدائي، ثم طلب السلطان تسليم المدينة، واتبعتها بالاستيلاء على الشاطئ الآسيوي وعلى جزء ضيق من مضيق البسفور، ولكن الإمبراطور رفض تسليم القسطنطينية، فأحكم السلطان الحصار عليها مضمماً في هذه المرة فتحها^{١١٣٣}.

وفي أثناء هذا الحصار وصل السلطان بايزيد الأول برسالة لتيمورلنك، يأمره فيها بإعادة جميع أراضي بيرنطة التي سبق للسلطان الاستيلاء عليها ورفع الحصار عنها، وفي نفس الوقت بلغه زحف تيمورلنك إلى أطراف بلاده، فشق على السلطان العثماني هذا الأمر، لذلك رأى رفع الحصار عن القسطنطينية - للاستعداد لصد الزحف المغولي عن بلاده - بعد أن شارفت على السقوط واكتفى بالصلح مع ملكها، مع أن أوروبا كانت تتوقع سقوطها في أي لحظة لعدم استطاعتهم تقديم المساعدة المطلوبة خوفاً من السلطان العثماني^{١١٣٤}.

غير أن التقدم الذي أحرزه السلطان بايزيد الأول في الأناضول عقب النجاح الذي حققه في الغرب جعله يقف وجهاً لوجه أمام تيمورلنك الذي ظهر من الشرق على مسرح الأحداث لغزو العثمانيين^{١١٣٥}، نظراً لسياسة السلطان العثماني الحاخنة لتجاهه نحو المشرق مخالفاً في ذلك سياسة أسلافه الذين كان هدفهم الجهاد لنشر الإسلام نحو الغرب، فأكسبته تلك السياسة عداوة الجميع من مسلمين وأوروبيين، فأنقذ هذا الغزو سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني، الذي كان يدعى لنفسه الوصاية في الأناضول كوريث للمغول، ونتيجة لسوء علاقته أيضاً مع سلطان المماليك، وجد نفسه وحيداً أمام تيمورلنك، وكان أمراء الأناضول الذين طردهم من إماراتهم وحوكها أو ضمها لدولته فأصبحت أراضي عثمانية، وكذلك رجال الإقطاع كانوا غير

راضين عن السياسة المركزية التي أتبعها السلطان وطبقها، هؤلاء جميعاً كانوا يرون في تيمورلنك أنه منقذ لهم^(١٣٣).

وكان يمكن ليازيد الأول اكتساح أوروبا، لولا ما قدره الله، من قدوم خطر تيمورلنك، الذي عصف بالسلطنة العثمانية، وتسبب في انهيارها لفترة حتى استعادت وحدتها على يد ابنه السلطان محمد الأول^(١٣٤).

وعلى أية حال فقد حشد السلطان بايزيد الأول جيوشه التي كانت متفرقة في أنحاء أوروبا وآسيا عاتداً بها إلى بروسة (بورصة) عاصمة بلاده للاستعداد لحرب تيمورلنك^(١٣٥)، ويعني ذلك تحوّل جيشه صوب الشرق، لإبعاد الخطر الجديد خطر المغولي تيمورلنك عن الدولة العثمانية^(١٣٦).

وتيمورلنك هذا ينتمي إلى الجنس التركي، ينحدر في أصوله إلى إحدى الأسر الكريمة في بلاد ما وراء النهر، تولى هذا القائد عرش خراسان عام ١٣٦٩م، وعاصمته سمرقند، في الوقت الذي كان فيه السلطانين مراد الأول وابنه بايزيد الأول يرسيان قواعد دولتهما البلقانية، سيطر تيمورلنك على القسم الأكبر من العالم الإسلامي، فقد انتشرت قواته في آسيا من مدينة دلهي إلى مدينة دمشق، ومن بحر آرآل إلى الخليج العربي، واحتل فارس وأرمينيا، وأعلى الفرات ودجلة، والمناطق الواقعة بين بحر قزوين إلى البحر الأسود، وفي روسيا سيطر على المناطق الممتدة بين أنهار القوبغا والدون والدنيبر^(١٣٧)، وأعلن بأنه سيجعل الأرض المسكونة ملكاً له، وكان دائماً يردد هذا القول: « أنه يجب ألا يوجد سوى سيد واحد على الأرض، طالما أنه لا يوجد إلا إله واحد في السماء »، وكان يكره أن تكون هناك قوة أقوى منه أو منافسة له.

وقد اتصف تيمورلنك بالشجاعة والعبقرية الحربية والمهارة السياسية، وكان إذا قرر أمراً يطلع على التقارير التي يبعثها إليه جواسيسه الذين كان يرسلهم إلى ذلك المكان، ليكون ملماً بقوة وضعف أعدائه.

وكان تيمورلنك لا يتسرع في اتخاذ القرارات بل يوازن ويفكر بترو حتى يتخذ القرار المناسب، ثم يتمسك به، لهيبته التي كان يتمتع بها بين جنوده، وكانوا يطيعون أوامره أياً كانت ومهما كانت.

على أن تيمورلنك باعتباره مسلماً صالحاً كان يراعي العلماء ورجال الدين وبخاصة دراويش

الطريقة النقشبندية، وكانت دولته شبيهة بدولة السلطان بايزيد الأول من حيث أنهما قامتا على أنقاض دول صغيرة لجأ أمراؤها إلى كلا الجانبين كما سبق ذكره^(١١١).

ومهما يكن القول فقد واصل تيمور زحفه حتى وصل إلى بغداد في العراق، فهرب حاكمها السلطان أحمد جلجرتي^(١١٢)، خوفاً من بطشه، كما هرب حاكم أذربيجان قره يوسف، والتجأ بعائلتيهما إلى السلطان بايزيد الأول، وكان تيمورلنك يسعى لنصرة أمراء القرمانيين وأوربا الذين استطاعوا استمالته، وقد وافق ذلك ما بنفسه من أطماع لمد نفوذه على بلاد الشام وبلاد الأناضول، لذلك أرسل سفيراً إلى السلطان بايزيد الأول يطلب فيه تسليم أحمد جلجرتي، وقره يوسف ولكن السلطان رفض هذا الطلب، وعاد السفير إلى تيمورلنك^(١١٣).

محاولة للتصالح بين تيمورلنك والسلطان بايزيد الأول :

وفي رواية أرسل تيمورلنك خطاباً إلى السلطان بايزيد الأول يريد التصالح دون قتال حيث قال: « أنت رجل مجاهد في سبيل الله، وأنا لا أحب قتالك، ولكن انظر أي البلاد التي كانت معك من أبيك وجدك، فافتتح بها وسلم إلى البلاد التي كانت من إرثنا ».

وقد أشار الصدر الأعظم العثماني علي باشا علي السلطان بايزيد الأول بأن يتبع سياسة السلم والتصالح مع تيمورلنك، وقد أرسل سفيراً إلى تيمورلنك للتفاهم في التصالح، وكلفه السلطان بعمل معاهدة إذا اتفقا، ولكن تيمورلنك لم يكثر بالأمر، بل زحف إلى حدود الأناضول، وأخبر سفير السلطان العثماني بأنه ينتظر رد سلطانة بايزيد الأول، وسمح للسفير والوفد المرافق له بالعودة وأرسل معهم سفيره الخاص بالشرط التالي :

أن تيمورلنك يريد استلام قره يوسف بصفة خاصة حياً أو ميتاً، لكن السلطان بايزيد أجاب السفير، بأن قره يوسف لم يقدم له أي معلومات أو مساعدة، وأنه في ضيقه الخاصة، لذلك لا يمكن أن يسلم إليه كل من جاء إليه لاجئاً مهما كلفه ذلك من أمر^(١١٤).

بيد أن السلطان العثماني كان لديه خفة وشجاعة، ولم يكن عنده صبر ساعة، كان إذا تكلم وهو في صدر المجلس فإنه لا يزال في حركة زحف أو اضطراب حتى يصل إلى أطراف الإبران، ولما وصل شرط تيمورلنك إليه رفض تنفيذ هذا التصالح واستهجنه في أسلوبه وقرض ما يريد، لذلك ردة عليه مهذواً ومتحدياً قوته ومرحياً بقدمه للقتال^(١١٥) دون ضيقه.

لذلك أدرك تيمورلنك أنه لا يمكنه حرب السلطان العثماني على الأقل في هذا الوقت الحاضر مثل ما كان يفعل في الماضي، واحضر أمام ذلك إلى نقل معظم قواته إلى وسط آسيا وبالتحديد في مدينة «قرباج» حيث قضى الشتاء بها^(١١٤).

وكما لجأ أمراء العراق وأذربيجان إلى السلطان العثماني بايزيد الأول، فقد لجأ من قبلهم إلى تيمورلنك أمراء الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى، وفي كلا الجانبين أصبح اللاجئون يحرصون ويحركون كل طرف لشن الحرب ضد الآخر، ولم نجد هذه التحريضات آذاناً صاغية في بادئ الأمر من الطرفين^(١١٥).

الصلبيون يحرصون تيمورلنك للهجوم على العالم الإسلامي :

وقيل أو أشيع بأنه قد دخل طرف ثالث وهم الصليبيون الذين عمدوا إلى تحريض تيمورلنك على هجوم العالم الإسلامي من جهة الشرق وذلك عن طريق بناتهم اللواتي كن في قصور أمراء وحكام المغول مستغلين هذا عن طريق السياسة والمفاوضات^(١١٦)، وخاصة من المدن الأوربية، (جنوة وقشالة)، الحاقدة على السلطان بايزيد الأول، فقد شجعت تيمورلنك على حرب الدولة العثمانية^(١١٧).

ولكن تيمورلنك لم يستمع إلى رسالهم بسبب تمسكه بالإسلام من ناحية ومن الناحية الأخرى، لم يكن هناك ما يدل على تقديم أي مساعدات مجدية يمكن أن تقدمها كل من جنوة وقشالة له، ولكن هذه الاتصالات قد تكون شجعت تيمورلنك على العمل ضد العثمانيين^(١١٨)، ومستغلاً كراهية الماليك وأمراء الأناضول وشعوبهم الإقطاعيين لحكم السلطان بايزيد الأول، وقد هيأت هذه الظروف المناخ لتيمورلنك لغزو بلاد السلطان العثماني.

إضافة إلى أن الصليبيين قد زوجوا بناتهم، وأهدوا بعض جوارهم الحسان للعمل في قصور حكام المغول وأعبأتهم لاستمالة قلوبهم قبل عقولهم لتحريكهم لغزو الدولة العثمانية من المشرق حتى تتوقف حركة جهادهم عن الفتح في أوروبا، وهم يتولون الهجوم للعكس من الغرب ليتعنكوا من إبعاد خطر العثمانيين عن أوروبا كلها بمساعدة المغول، وقد حاولوا من قبل صرف السلطان بايزيد الأول إلى الشرق ليركز جهوده في توحيد الإمارات الإسلامية بالأناضول لتحويله عن أوروبا، وبالتالي يفسح لهم المجال للزحف إلى بلاد الشام للاستيلاء على القدس الشريف في فلسطين^(١١٩).

وكانت نتيجة حربه مع هذه الإمارات المسلمة والتي فرّ أمرائها للاحتماء بتيمورلنك وطلب المساعدة منه لاسترداد إماراتهم في نظري أهم أسباب غارة المغول على الدولة العثمانية، إضافة إلى أطماع المغول منذ موجهاتهم الأولى. وقد تكون هذه الحملة استمراراً للغارات السابقة التي قامت في وسط آسيا.

إلا أن ما برزه تيمورلنك لهذه الغارة هو خوفه من تحركات السلطان بايزيد الأول ضده، وضربه من الخلف لأنه كان يفكر في غزو الصين لتوسيع ممتلكاته، فخشى تحالف المماليك مع الدولة العثمانية للحرب ضده، وهذا فيه شيء من الصحة لذلك لا بد أن يستثمر التناحر الحالي بينهما في صالحه، وكان يتحين الأسباب والفرص وحين سنحت له، يادر بالزحف على الدولة العثمانية^(١١٢).

والحقيقة أن الدولة العثمانية بدأت هي الأخرى منذ فترة من الزمن تستشعر نوايا الخطر المغولي يهددها من الشرق، مما يتيح لبيزنطة فرصة جديدة بتنفسون من خلالها الصعداء ويتفكون من الضغط العثماني^(١١٣).

وهذه دلالة واضحة على تأثير أوروبا على فكر تيمورلنك وأمرائه عبر بناتهم وجوارهم، لذلك استجابوا لقلوبهم قبل عقولهم، فكانت الكارثة بين المسلمين كما سنأتي.

وقد أدرك السلطان بايزيد الأول حتمية الصراع مع تيمورلنك، ولهذا السبب قبل أنه سعى إلى تقوية مركزه الحربي في آسيا الصغرى عن طريق القضاء على الإمارات التي قامت على أنقاض دولة السلاجقة^(١١٤)، وهذا احتمال ضعيف يؤكد الباحث بل تقوده الأطماع لتوحيد أمارات الأناضول تحت حكمه مهما كلفه ذلك الأمر.

لذلك أخطأ حين اتجه إلى ضم دول إسلامية كانوا كثيري العدد، وغير راضين عن سياسة السلطان الذي أخذ يتدخل في شئونهم الخاصة دون مراعاة لهم، وفي هذه السياسة التي اتبعها قد خالف فيها أسلافه في سياسة الفتح العثماني، وهو الاتجاه نحو الغرب للفتح ونشر الإسلام هناك، دون الالتفات إلى الممالك الإسلامية في المشرق^(١١٥)، وكان ينبغي عليه أن يعقد مع تلك الممالك حلف صداقة وحسن جوار ليستعين بهم في أي لحظة ضد أوروبا، ويكونون بجواره في مثل هذه المحن لا ضده كما هو الحال.

لهذا سقط السلطان في طمرحاته، عندما تعددت عليه الجبهات واتسعت الفجوات في الغرب والشرق الإسلامي، ولم يبق له صديق، مما أكسبه عداوات المسلمين قبل الأوروبيين لتدخله في

شونهم، وكان عليه أن يكسبهم إلى جانبه دون الدخول في صدام معهم والحقيقة أنه كان شجاعاً مقداماً، ولكن يبدو لم تكن عنده حنكة وسياسة أجداده المؤسسين في الفتح العثماني^{١١٦٦}.

أما السلطان بايزيد الأول فكانت تعيب سياسته التعجل في الفتح العثماني، دون تمييز بين الدول الإسلامية والأوروبية. كان أسلافه في فتح أي مدينة في الغرب وليس في المشرق الإسلامي يستريحون حتى تستقر أحوال هذه المدن ويضمثون ولاها وانتظامها ضمن ممالكهم السابقة حينئذ يبدون بغزو جديد، وهكذا كانت سياستهم في فتوحاتهم في اتجاه واحد منذ تكوين دولتهم.

وعلى أية حال فعندما رفض السلطان بايزيد الأول تسليم أعداء تيمورلنك إليه بشكل سافر، والتزم بحمايتهم، مهما كلفه ذلك الالتزام، لذلك تردد تيمورلنك في بداية الأمر في غزو السلطان بايزيد الأول حتى لا يشير المشاكل والمشاعر ضده في العالم الإسلامي. والتي لم تكن أساساً في صالحه، باعتباره أحد قوى العالم الإسلامي. ولكنه كان عازماً على فتح بلاد الصين، وإدخالها إلى الإسلام، وكان يعلم أن الدولة العثمانية لا تنالي بأية حدود بينهما، كما كان يخشى من استمرار استيلائها على الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى والتي لجأ إليه حكامها لتخليصهم منه في استرجاع أقطارهم^{١١٦٧}، وخاصة أن تيمورلنك قد بدأ بغزو الحدود العثمانية.

وكان تيمورلنك يعلم أن غالب جند السلطان بايزيد الأول هم من السلاجقة، أبناء الإمارات المذكورة ففكر في استمالتهم في صفه، لذلك أرسل إلى زعمائهم وكبار رجالهم، يذكرهم بجنسهم ولجو أمرائهم لديه، ويعددهم ويعنيهم صادقاً بإعادة ممتلكاتهم التي سلبها السلطان بايزيد الأول منهم، فوعده سراً بالانضمام إليه عند الحرب^{١١٦٨}، وقد نجح تيمورلنك في هذه المهمة من اختراق صفوف السلطان العثماني بأخذ هذه الموافقة، والتي تعد من أهم العوامل التي أسقطت بايزيد في الميدان كما سيأتي الحديث عنه.

عندئذ بدأ تيمورلنك بعد أن ضمن ولاء أبناء الإمارات السلجوقية داخل جيش السلطان العثماني غارته في سنة ١٤٠٣هـ / ١٤٠٠م، بجيوشه على بلاد آسيا الصغرى التابعة للدولة العثمانية، وفتح مدينة سيواس بأرمينيا، وأسر حاكمها أورخان ابن السلطان بايزيد الأول، ثم قام بقطع رأسه، لرقض والده تسليم أحمد الجلائري، وقره يوسف له^{١١٦٩}.

ثم أعقب ذلك قتل ما أسره من العثمانيين، لكنه اعترف أنه لم يلق صموداً في الحرب طيلة حياته مثل صمود آل عثمان، لذلك أدرك عدم مقدرته إسقاط القلاع الأناضولية، لكنه كان يطمح

في إبادة الجيش العثماني، عندئذ انسحب من الأناضول إلى قفقاسيا، متجنباً الحرب مع السلطان بايزيد الأول، على أمل أن يعترف له بالتبعية مثل ما اعترف له سلطان الهند والمعاليك من قبل، ولكن السلطان بايزيد الأول غيرهم، فقد رفض الاعتراف بتمورلنك، وبصيغة فيها تحقير، فلم يتحقق أمره، وظن السلطان العثماني بعد ذلك الانسحاب أن المشكلة قد انتهت، ولكن الحقيقة أن تيمور كان ينوي العودة بتخطيط جيد لكسب المعركة^{١١١}.

تيمور لنك يستعد لشن الحرب على الدولة العثمانية:

ولكن آراء أمراء تيمورلنك وأتباعه وحتى أولاده وأحفاده انقسمت إلى من يريد منعه من التحرك إلى الأناضول، لأنه لا يليق بهم حرب الدولة العثمانية السنية، حتفية المذهب والتي تنطق أيضاً التركية مثلهم، وحاملة لراية الجهاد الإسلامي، وهناك من يشكك في قدرة انتصاره على السلطان بايزيد الأول لقوة المقاومة التي لقيها جيشه في سراسر واعترف بها تيمورلنك نفسه، وهناك فريق آخر يحرضه على حرب العثمانيين^{١١٢}، ويبدو أنهم أمراء الأناضول اللاتين لديه.

وقد حاول تيمورلنك خلال قضائه الشتاء في قفقاسيا إقناع أمرائه وأبنائه المعارضين لشن الحرب على الدولة العثمانية بدفعه شكك باحتمال ضرب السلطان بايزيد الأول لجيشه من الخلف أثناء حملته المرتقبة على الصين^{١١٣}، لأن السلطان بايزيد الأول كان ينوي الاستيلاء على مناطق أذربيجان والجزيرة، والعراق إذا ترك تيمورلنك هذه الأماكن، لذلك كان لا يريد ترك منافس قوي خلف ظهره، وخاصة إذا كان خصمه السلطان بايزيد الأول، إلا أنه في نهاية المطاف طلب تيمورلنك من السلطان بايزيد الأول قبول شروطه لإنهاء الحرب معه وهذه المطالب هي كالتالي:

(١) إطلاق سراح مهتران حاكم أذربيجان مع عائلته.

(٢) إرسال السلطان لأحد أبنائه كرهينة لديه.

(٣) إرسال ما يدل على خضوع السلطان بايزيد له.

(٤) إعادة إمارات الأناضول إلى أمرائها.

(٥) تسليم قره يوسف وأحمد جلالر وتسليم عائلتيهما مقابل مساعدة العثمانيين في حروبهم

مع الصليبيين.

وكان جواب السلطان بايزيد الأول مع صدره الأعظم الذي كلفه بالتحرك لمواجهة تيمورلنك رداً على شروط الصلح قوله : « إن قواتنا سوف ترد لنا شرفنا ، ولن نعيش عبداً أو خاضعين لأحد » وفي نفس الوقت رفع الحصار عن القسطنطينية ، وعقد مع إمبراطورها مائوبيل معاهدة صلح ، ثم سحب جيشه مضطراً للاستعداد لمقابلة المغولي ، وعندما كتب السلطان بايزيد الأول رسالته إلى تيمورلنك فإنه كتب اسمه بحروف كبيرة واضحة ، بينما كتب اسم تيمورلنك بالحروف السوداء الصغيرة احتقاراً له^{١١٣} .

هذا الرد ساعد تيمورلنك على إقناع قادته بالحرب ضد السلطان العثماني ، وبين لهم سياسة بايزيد المتسرعة لأطماعه وتحقيق طموحاته ، في حين أن قدوم تيمورلنك هو الآخر من الشرق إلى تلك المنطقة تقوده الأطماع والمغامرة للتوسع ، فقد أضرهم نار الحرب من موسكو إلى نهر الكنج حتى وصل إلى سوريا المملوكية ، تدفعه إضافة إلى أطماعه استجابة بعض ملوك أوروبا ، وملك القسطنطينية ، الذين استنجدوا به لصد بايزيد الأول عن فتح القسطنطينية كما سبق ذكره . لذلك اتخذ تيمورلنك من قضيتي أحمد جلالي حاكم العراق وقره يوسف حاكم أذربيجان اللذين لجأ إلى السلطان بايزيد الأول ذريعة للغارة على الدولة العثمانية^{١١٤} .

ويعنى أن أطماع تيمورلنك وتوسعاته لا تقل مكرراً عن السلطان العثماني ، أما السلطان بايزيد الأول فقد قام خلال تلك الفترة ، بإعداد جيوشه التي كانت متفرقة في أوروبا ، وطلب الاستعانة من حلفائه الصرب ، وعاد إلى برومسه العاصمة^{١١٥} ، وخاصة عندما علم بسير تيمورلنك إلى سيواس وخذلان أبطاله في مدينة سيواس ، حين استقوى عليهم تيمورلنك بجيشه الكبير وقتل ابنه ، وملاّت انتصاراته الأسماك ، وألقت الخوف والرعب في قلوب الجيش العثماني لقساوته في معاملة أسراه^{١١٦} ، ولكن هذا الأمر لم يخيف مثل السلطان بايزيد الأول ، الذي سار بجيشه لحرب هذا المغولي الذي أفسد عليه فتح القسطنطينية ، وانتقاماً لدم ابنه^{١١٧} ، حينما علم من عبوته أن تيمورلنك في سيواس ، سار إلى أنقرة ، يريد أخذ بعض الولايات قبل وصول تيمورلنك لها ، مثل مدينة قاضي برهان الدين ، ومدينة اقتراع الجبلية التي استولى عليها تيمورلنك كما سبق ، لأن أغلب جنوده كانوا من المشاة فلا بد أن يختار المواقع المرتفعة ، وقد وفق في هذه الخطة ضد تيمورلنك في أول الأمر ، لأن قوات تيمورلنك أغلبيهم من الفرسان .

ثم أصدر السلطان بايزيد الأول أوامره إلى الصدر الأعظم للدولة على باشا وقادة الجيش بعدم

القيام بحرب ميدانية، وأرسل قوة من الجيش تقطع الطريق على تيمورلنك في المنطقة الموجود بها، واعتراض إمدادات جيشه التي ستلحق به، وكان إقدام السلطان على هذه الخطة لاعتداده بنفسه وفي قواته بالانتصار على قوات تيمورلنك.

وعندما تلاقحت القوتين المغولية والعثمانية في مناطق سيواس وتوقاد، رأى تيمورلنك أنه في خطر إذا حارب في هذه المنطقة لسيطرة القوات العثمانية على المعرقات الواقعة بين سيواس وتوقاد.

لذلك انسحب من تلك المنطقة سراعاً نحو مدينة فيسرية بناه على ما ورد من معلومات عن القوات العثمانية وتمركزها في المواقع المهمة السابقة، لكنه لم يذهب بكل القوات بل بقواته الاحتياطية، وكانت قليلة حتى يتجنب مواجهة العثمانيين، وبسبب انسحاب تيمورلنك وعدم قبوله للحرب بين توقاد وسيواس، فإن السلطان بايزيد الأول ترك قوة صغيرة في الموقع المذكور واتجه نحو الغرب في نفس الاتجاه الموازي لقوات تيمورلنك^(١١٩).

والحقيقة أن تيمورلنك كان يريد أن يسحب أو يستدح قوات السلطان بايزيد الأول خلفه، إلا أن السلطان عرف اللعبة ولم تنطل عليه هذه الخدعة، بل كان ينتظر موعد المواجهة مع تيمورلنك، الذي سار نحو مدينة قره سي، فلما علم بتقدم القوات العثمانية نحوه اضطرت أحواله وفشلت خطته، لأن المكان لم يكن مناسباً للحرب، لذلك تحدث مع أركان جيشه دون حرج لتتأخر هذا الأمر وتغيير الخطط التي تضمن لهم الانتصار، فاستقر الرأي على أن يتقدم بجيوشه بسرعة فائقة، وترك العثمانيون خلفه، فسلك طريق أنقرة، وحين وصلها ضرب الحصار على قلعتها، ولكنه لقي مقاومة عنيفة من محافظها يعقوب بيك من قبل السلطان العثماني، كما توقع أيضاً في هذه المرة أن يأتي السلطان بايزيد الأول من الطريق الذي جاء منه، وكان يتوي السيطرة على أنقرة من ناحية القلعة التي أحكم الحصار عليها والواقعة في الشمال الشرقي لأنقرة، وقيل محي السلطان العثماني وقواته، قام تيمورلنك بقطع المياه عن القلعة، وكان الهدف من ذلك هو الإسراع في سقوطها، لأن تيمورلنك كان يتوقع وصول الجيش العثماني متأخراً، ولكن القوات العثمانية كانت تسير في عدة اتجاهات، كما أسرعت في الخروج من الطريق الذي لم يكن يتوقعه تيمورلنك على الإطلاق، لأنه كان ينتظر وصول الجيش العثماني من الشرق الجنوبي، إلا أن الجيش العثماني جاء من الشمال الشرقي، وبالتحديد من ناحية قلعة جيك روال، وتزلوا بقرية ملكشاه بوادي جوبوك^(١٢٠).

فاضترب تيمورلنك لهذه المفاجأة، وانشغل بالإعداد للقتال، في تلك اللحظة الحرجة، وطوال الليل، وإزاء هذا الموقف أو الوضع الخطير واللحظة الحاسمة فإن تيمورلنك استطاع أن يحافظ على الهدوء لتمضي هذه المواجهة بسلام، وقد عمل تلك الليلة على تغيير جبهة القتال، حيث انسحب من مكانه جانب القلعة ليتجنب الاصطدام مع السلطان العثماني في هذا الوقت.

ونلاحظ فيما سبق أن تيمورلنك دائماً ما يغير خططه الحربية للمرونة التي كان يتمتع بها إذا أحس بحرج خطته، مع أخذ مشورة قادته يعكس خصمه السلطان العثماني وهذه المرونة هي إحدى عوامل النصر على خصمه السلطان بايزيد الأول كما سيأتي.

أما السلطان بايزيد الأول الذي أوقع تيمورلنك في هذا المرح الذي كاد فيه أن يقضى عليه في أول مواجهة لو اتبع مشورة أبنائه وقادة جيشه الذين أشاروا عليه بمبادرة الهجوم السريع لمواجهة تيمورلنك في اللحظة التي كان يشاها تيمورلنك، لكنه رفض الأخذ برأيهم، فقوت فرصة الانتصار على خصمه في تلك المواجهة، حيث رأى أنه من الصواب عدم المواجهة لقرب قاعدة الجيش المغولي، وهذا الأمر أعطى لتيمورلنك وقتاً طويلاً للتفكير للتخلص من هذا الوضع الخطير، وإحطاً الذي وقع فيه حسب توقعاته الحاشية، فقام بتغيير خطته التي تكفل له الانتصار^(١٧٠).

وعلى أية حال فقد بدأت المعركة الحاسمة بين القائدين في يوم الجمعة ١٩ / ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ الموافق ٢٠ يونيو ١٤٠٢م، وقيل في يوم الجمعة ٢٧ ذو الحجة ٨٠٤هـ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٤٠٢م^(١٧١).

قبل بأن جيش تيمورلنك حوالي سبعائة (٧٠٠) ألف جندي، وجيش السلطان بايزيد الأول حوالي مائة وعشرين (١٢٠) ألف جندي^(١٧٢).

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ العثماني إسماعيل حقي بأن جيش تيمورلنك يقدر بمائة وستين (١٦٠) ألف جندي، أما قوات السلطان بايزيد الأول فتقدر بنحو سبعين (٧٠) ألف جندي، وذلك كما ورد في كتاب (فتحنامه) التيموري.

لذلك لم يكن هناك تناسب بين قوات الفريقين، فقد جاء تيمورلنك بقوة كبيرة مجهزة بالدروع الواقية من ما (وراء النهر) أي من أواسط آسيا الوسطى، عندما علم بأن خصمه السلطان بايزيد الأول الذي يتمتع بصفة الشجاعة والإقدام، وبهذه الصورة ترى كثرة أعداد قوات تيمورلنك

(١٦٠) ألف مقاتل، وبصفة خاصة في أعداد الفرسان، إضافة إلى وجود (٣٢) فيلاً في جيشه، مقابل (٧٠) ألف عثماني مقاتل يقلب عليهم كثرة المشاة^(١٧٧)، وقيل جيش السلطان العثماني مائة وعشرون (١٢٠) ألف جندي مقاتل، ولكن كان أكثرهم من المشاة^(١٧٨)، والباحث يميل للأخذ بهذا القول، إذا كان جيش تيمورلنك مائة وستين (١٦٠) ألف جندي مقاتل.

وفي الحقيقة لا يهمننا أعداد جيش الفريقين كما أوردته المصادر السابقة بقدر ما يهمننا نتيجة المعركة، لتناقض المصادر التاريخية في تحديد عدد الجيشين بدقة لما فيها من مبالغات في تقدير أعداد المقاتلين في كل فريق.

خيانة تشطر الجيش العثماني نصفين :

والجدير بالذكر أنه لما دارت المعركة أوصى السلطان بايزيد الأول قاده بالتضحية والإقدام لإحراز النصر على خصمه، فاقتتل الجيشان قتالاً شديداً أظهر السلطان العثماني خلاله من الشجاعة ما أبهر العقول من قبيل شروق الشمس حتى غروبها، ولكن فرار عساكر فرسان الأناضول من فرق (أيدين ومنتشا وصاروخان والقرمان) وسرعة انضمامهم وانحيازهم إلى صفوف خصمه تيمورلنك، حسب اتفاقهم معه السري السابق، لوجود أمرانهم وأبنائهم وكبار رجالهم في صفوف الجيش المغولي، قبل أنهم كانوا يقدرون هؤلاء المقاتلين بحوالي خمسين (٥٠) ألف مقاتل، لذلك لم يبق مع السلطان العثماني سوى عشرة آلاف جندي انكشاري^(١٧٩) والقوات الصربية التي صمدت في القتال، وقد أثبتوا ولاهم وصدقهم للدولة العثمانية حين ثبتوا في الحرب ضد تيمورلنك، وقائلوا ببطولة وسالة شهد لهم تيمورلنك بقدرتهم الحربية^(١٨٠)، على أن ذلك النقص لم يشن السلطان العثماني فقد استمر في الحرب والقتال ضد خصمه^(١٨١).

ولكن هذه الخيانة تسببت في شطر جبهتين داخل صفوف الجيش العثماني وبالتحديد في قلب الجيش الذي كان على رأسه السلطان العثماني، وعلى أثر ذلك تشتت الجيش في اليمنة والميسرة، لتفقد السيطرة على إدارة المعركة، فانهزم الجيش العثماني أمام قوات تيمورلنك، فاقترح قادة الجيش العثماني على السلطان بايزيد الأول، الانسحاب لإعادة ترتيب الأوضاع كما كان يفعل تيمورلنك، ولكن السلطان رفض الانسحاب وفضل الاستمرار في القتال دون الانسحاب^(١٨٢).

ولكن الصدر الأعظم علي باشا وكذلك مراد باشا، وأغا الانكشارية حسن أغا وغيرهم

من كبار قادة الجيش العثماني انسحبوا لعدم تكافؤ القوتين، ولكنهم قاموا بتخليص أولاد السلطان على الرغم من هزيمة الجيش، فأخذوا سليمان الابن الأكبر الذي شاهد الهزيمة ولاد معهم بالفرار إلى مدينة بروسه (بورصة) ومن بورصة غادر سليمان إلى مدينة أدرنه بالقرب من مدينة القسطنطينية^(١٧٧).

وانسحب محمد الأول الذي استطاع بالتدريج من السيطرة على مناطق سيواس وأماسية ومعهم جيش الاحتياط، ولاحق به أخيه عيسى.

أما مصطفى وموسى فقد بقي مع والدهما ولم ينسحبوا كما انسحب أخويهما حتى وقعا في الأسر معه كما سيأتي^(١٧٨). ولاد بالفرار ملك الصرب وقواته بعد أن رأى الهزيمة التي لا يقوى على مقاومتها مفضلاً مبدأ السلامة^(١٧٩).

ولو أخذ السلطان بمشورة أصحابه وحاول الانسحاب لتغيير خطته أو طلب الهدنة للتفاوض على الصلح حتى يستطيع أن يعيد حساباته وتنظيم جيشه من جديد لكان هناك قولاً آخر، ولكنه ثبت في مكانه، ويفضل أن يموت بشرف في ميدان القتال ولا ينسحب كما أشار عليه قاده^(١٨٠).

ARCHIVE

http://Archivebeta.Bakhril.com

هزيمة السلطان العثماني :

لهذا انتهت قوته لاستخدامه الشجاعة والقوة دون العمل بالسياسة والكيافة التي اتبعها خصمه تيمورلنك في عدة لقاءات مع السلطان حيث ينسحب ليتجنب القوة العثمانية ومن ثم يقوم بتعديل خطته التي تضمن له الانتصار والسلطان بايزيد يتعقبه من مكان لآخر دون تخطيط لثفته واعتزازه بقوته حتى أرهق جيشه.

وكان بإمكانه الانسحاب أو الهرب من المعركة حسب رأي مستشاريه كما أسلفنا، لكنه رجل عنيد، وأصل الحرب رغم هذه الظروف^(١٨١)، لأنه لم يبأس من النصر على خصمه وطن أنه لا زال قادراً على هزيمته بما بقي معه من خواص رجاله فقد سعد بهم على روية، كان يقدر عددهم بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، فهاجم بهم قوات تيمورلنك الذين يقدرون بسبعين (٧٠) ألف مقاتل. وبعد قتال شديد، أحاطه المغول بقوات كبيرة، فأخذ بلطة كانت بيده وانقض بها على الجيش الذي أحاط به وقواته حتى يتمكن من الهرب فاستطاع فك الحصار الذي ضرب عليه من

قبل تيمورلنك وجنوده بقوة قليلة، وفقت هذه القوة من فك الحصار عن سلطانها وهرب هذه المرة بصعوبة بالغة من حلقة الحصار^(١١٨٤).

وعندما علم تيمورلنك بخروج السلطان با يزيد الأول من الحصار المضروب عليه، أرسل إليه فرقة تتبعه لقبض عليه، ولما وصلت إليه تلك القوة انقض عليها السلطان للقضاء عليها، فاستمر القتال بين الطرفين حوالي ثلاث ساعات حتى سقط آخر النهار، حين وقع به جواده قضاةً وقدرًا، وقبل أن يمتطيه مرة أخرى تم الإمساك به وأسرته، حيث نقل إلى تيمورلنك، وكان ذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ الموافق ٢٥ يوليو سنة ١٤٠٢م^(١١٨٥)، فقابله باحترام وحاول تيمورلنك أن يروح عنه، فقال السلطان له أنت السبب في هذا الوضع ا ثم ألبسه تيمورلنك عباءة تليق به، وأمر باتخاذ التدابير والإجراءات لعدم هروبه، وقد أسر معه إبناه موسى ومصطفى، وكذلك أمير الأمراء صاري دمردش باشا، وعلي بيك وغيرهم من خاصته وقلوبوا معه في الأسر^(١١٨٦).

يقول الشاعر في شجاعة السلطان با يزيد الأول وإقدامه والغدر به حين انسحب من جنته فرق الأناضول للاتضمام إلى عدوه تيمورلنك وقد سبق أن ذكرنا اتصال تيمورلنك بهم سرًا وعاهدوه على ذلك وقت الحرب بعد أن واعدتهم بإعادة إماراتهم هذه الأبيات من القصيدة التالية :

ورابعهم شمس العلاء «بايزيد» هم لئن كان مع تيمور ما انقل القضاء ولا عجب للأسد أن ظفرت بها فحرره وحشي أسقطت حمزة الردا	مرافقه في الحرب مرة مطعم فإن ارتكاب الغدر منشأ التلثم كلاب الأعداي من فصيح وأعجم وحتف علي من حسام ابن ملجم ^(١١٨٧)
---	---

وبعد انتهاء الحرب بهذه النتيجة سيطر تيمورلنك على الموقف، فأرسل حفيده محمد ميرزا إلى بروسه (بورصة) بقوة تقدر بثلاثين (٣٠) ألف جندي للقبض على الأمير العثماني سليمان بن السلطان با يزيد الأول، ثم أرسل قوة أخرى من الجيش لتعقب القوات العثمانية التي انسحبت من المعركة.

أما تيمورلنك فظل على مشارف مدينة أنقرة لمدة ثمانية (٨) أيام، ثم غادرها إلى مدينة كوتاهية، وأعجبه المكان فصكث فيها شهرًا، وفك فيها أبناء علاء الدين القرمانلي (محمد علي) من السجن، ثم نقلهم ليكونوا تحت نظره في مدينة كوتاهية^(١١٨٨)، كما أعاد إلى أمراء الأناضول

مناطقهم التي سلبها منهم السلطان بايزيد الأول^(١٨٨) وزاد على ذلك تيمورلنك بأن أعطى أبناءه، القرمان مناطق: قيسرى واشكي شهر وبنو دلقادر، وغيرها من المناطق الأخرى التي كانت في الأصل تتبع للعثمانيين.

وأرسل تيمورلنك خطاب إلى هنري الرابع ملك إنجلترا وشارل السادس ملك فرنسا، يخبرهم عن انتصاره في أنقرة، وأنه هزم السلطان العثماني بايزيد الأول، وأسره، الذي لم يتمكنهما القضاء عليه في حربهم معه في نيكوبولي^(١٨٩). ففرحت دول أوروبا بما وقع للسلطان بايزيد، وقيل أن ملك فرنسا بعث تهنئة إلى تيمورلنك بهذه المناسبة، فأجابه تيمورلنك على التهنة^(١٩٠).

والباحث يميل إلى أن أوروبا هي التي أرسلت بالتهنئة بعد أن أرسل لهم تيمورلنك قرحاً بنشوة الانتصار، يخبرهم عن انتصاره على السلطان العثماني الذي لم تستطع أوروبا مجتمعة الانتصار عليه.

أسباب هزيمة السلطان العثماني أمام تيمورلنك :

إن أسباب هزيمة السلطان العثماني بايزيد الأول أمام تيمورلنك - هو أنهم لم يألفوا حرب القيلة التي كانت تجيدها قوات المغول، كما كان انسحاب جنود وفرسان إمارات الأناضول السلاجقة من جيش السلطان العثماني إلى تيمورلنك لوجود أمراتهم معه بعد أن أمطروا العثمانيين بوابل من السهام في شهرهم، وبالتحديد على الجناح الأيسر مما أدى إلى خلخلة الجيش العثماني، إضافة إلى عدم انسحاب السلطان بايزيد من المعركة حسب رأي مستشاريه، لتغيير خطته الحربية حسب الأمر الواقع، كما فعل خصمه عدة مرات كما سبق ذكره، بل أصر على مواصلة الحرب، على الرغم من هذه الظروف القاسية، مفضلاً ذلك على الانهزام، تلك العوامل من الأسباب التي عجلت هزيمة الجيش العثماني وجعلته يطلب النجاة^(١٩١)، تاركه خلفها سلطانها لمصيره لعدم استجابته لكبار جيشه ومستشاريه.

وكان علي حسون له رأى، ذكر أن جيوش النصارى التي كانت تحت قيادة السلطان بايزيد الأول لم تدخل المعركة إلا وهي مكروهة^(١٩٢)، وقد خالفه المؤرخ العثماني إسماعيل حفي (Ismail Hikki) بأن هؤلاء الصرب الذين كانوا تحت قيادة السلطان قد ثبتوا في القتال ضد تيمورلنك، وقد شهد لهم المغول أنفسهم ببطلتهم وسالتهم ضده، لكنهم هربوا بعدما انكسر الجيش العثماني وهرب العثمانيون طلباً للنجاة لعدم استجابة سلطانهم للرأي والمشورة كما سبق ذكره^(١٩٣).

ولكن لعل على حسون على حق بأن بعضهم دخل هذه الحرب وهو مكروه، ولعلهم كانوا يعلمون مدى التحالف الصليبي بين أوروبا والمغول.

وعلى أية حال فقد سعى هؤلاء الصليبيون قبل تقدم المغول نحو العالم بأن يكون هجرهم معاً في آن واحد، مع العلم أن المغول في ذلك الوقت قد دخلوا الإسلام، إلا أن الصليبيين قد استغلوا الخلاف المذهبي بين العثمانيين السنة، وما كان عليه تيمورلنك من التشيع، فأقتنوه بوسائلكم التي تقدمت بغزو العثمانيين من الشرق، وهم بهجوم عليهم من الغرب للقضاء عليهم^(١١١).

ولكننا لم نرى للصليبيين هجوم، كما اتفقوا مع المغول، لأن المصادر العثمانية والأوروبية لم تذكر عن ذلك شيئاً، بل ذكرت دورهم التحريضي للمغول لغزو الدولة العثمانية بالأساليب التي سبق ذكرها، للخوف الذي أوقعه العثمانيون في قلوبهم في معركة قوصوه ونيكوبولي التي لازالوا يتذكرونها، لذلك لم يتقدموا، ولم يحركوا ساكناً، بل أنهم تحرروا من الحاكم العثماني بعد المعركة.

ومن الأسباب الأخرى والمهمة في هزيمة السلطان بايزيد الأول، هي أنه عندما دخل تيمورلنك الأناضول في سنة ١٤٠٢م من شهر يوليو، وصل أنقرة، وتجهز بها مدة طويلة للتعرف على جغرافيتها لاختيار المواقع المناسبة للقتال، وأخذ السلطان بايزيد الأول يتعقبه من مكان إلى آخر، حتى أرهق جيشه التعب، يعكس تيمورلنك الذي وصل مبكراً إلى الأناضول، فاستراح وتنظم جيشه وهياهم للقتال^(١١٢).

وكان على السلطان بايزيد الأول أن يستريح بعد عتاء السفر الطويل من (بروسه إلى أنقرة) إلا أنه لم يتوقف، ليستعد لقتال تيمورلنك، ويبدو أن هدف تيمورلنك فيما تقدم من التحركات هو إرهاق خصمه، لما يعرف عنه من تعجل وخفة عن طريق عيونه في المنطقة، وأيضاً لمحاشي المواجهة معه في بعض المواقع التي ترى أن تيمورلنك ينسحب منها لعدم جدوى المعركة فيها، لذلك كان المغولي يسحب للموقع الذي يناسب جيوشه وهي المواقع المكشوفة، وكان بإمكان السلطان العثماني أن يتنبه لخناق خصمه وهائه.

ومن الأسباب كذلك فقد كانت الغالبية في جيش السلطان بايزيد الأول من المشاة، أما تيمورلنك فكان أغلب جيشه من الخيالة، وهو أصلح للقتال في الميادين الفسيحة المكشوفة كموقع

هذه المعركة^(١٢٦)، الذي اختاره المغولي، وقبل به السلطان العثماني دون أن يفكر في الانسحاب لموقع آخر يناسب رجاله المشاة.

وقد أخطأ كذلك خطأ كبيراً حينما قبل الحرب الميدانية، بدلاً من حرب العصابات مع خصمه تيمورلنك^(١٢٧)، كما أن جهل السلطان في اختيار موقع جيشه للقتال ضد تيمورلنك وضعه في موقف حرج من الناحية التكتيكية العسكرية، فقد فيها توازنه القتالي أمام خصمه، إضافة إلى فارق العدد الكبير في الجيش المغولي. في الوقت الذي هرب فيه معظم الجيش العثماني إضافة إلى أبناء أمارات الأناضول وهو في أحلك الظروف، فتركوه لمسيره، والتحقوا بالجيش المغولي لتيمورلنك^(١٢٨).

كذلك من الأسباب دخول المغول الإسلام، لذلك كان الجيش الانكشاري تنقصه الحماسة الدينية لحره ضد إخوانه المسلمين، وقد كانت هذه من العوامل المهمة في انتصاراتهم ضد البيزنطيين، وتلك من أهم الأسباب في هزيمة السلطان العثماني بايزيد الأول أمام المغول^(١٢٩).

وقد كان العثمانيون قبل هذه الحرب ضد تيمورلنك، يتوسعون وينقلون عاصمتهم من مكان لآخر ليقتربوا بها إلى أرض العدو، أما في حربهم ضد تيمورلنك فوجدوا أنفسهم مضطرين للدفاع عن قلب دولتهم (غرب الأناضول)، لهذا أصبحت المعركة حتمية، وضعت الدولة العثمانية في موقف حرج للغاية، بسبب عداوتها مع القوى البلغارية المسيحية، والإمارات السلجوقية المسلمة في الأناضول، وهذه من العوامل التي أدت إلى خسارة العثمانيين إضافة إلى ضخامة الجيوش التي كان يقودها تيمورلنك، والذي لم يهزم من قبل^(١٣٠)، فكانت معركة أنقرة أكبر حرب ميدانية حدثت على وجه الأرض خلال القرون الوسطى (٤٧٦م - ١٤٥٣م)، وفي هذه الحرب التحم اثنان من أكبر الحكام العسكريين المسلمين في التاريخ، الكل منهما يريد النصر على الآخر، وكان يقتسمان الأقطار ما بين الصين وبحر الأدرياتيك، ومعهما أبناءهما، وقبل كانت خسائر تيمورلنك حوالي أربعين ألف مقاتل وهي خسارة لم يسبق له أن تكبدها، رغم انتصاره الساحق في المعركة^(١٣١).

فسوقة أنقرة كانت ذات أهمية بالنسبة إلى التاريخ العثماني باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التي حلت بالعثمانيين خلال الثلاثة القرون الأولى من تاريخ الدولة، والمرة الوحيدة التي شهدت أسر عاهل من آل عثمان، ولكنها لم تكن من المعارك التي غيرت مجرى التاريخ للمتتصر والمهزوم على حد سواء^(١٣٢).

فالدولة العثمانية كانت تفتقد إلى كل ما يجعل منها دولة في الوقت الذي لم يدرك فيه السلطان بايزيد الأول الاتجاه الحقيقي لإقامة الدولة، فهي دولة غزاه تحارب الكفار، لذلك اتجهت منذ نشأتها الأولى نحو الغرب للفتح ونشر الإسلام، ولكن السلطان بايزيد الأول نراه أخطأ في الاتجاه الحقيقي للدولة، عندما ترك نهج أسلافه في الخط الذي رسموه للدولة واتجه إلى الشرق الإسلامي، لعزم دول إسلامية - الإمارات السلجوقية في الأناضول - وكانت هذه الدول كثيرة العدد، وعلى جانب كبير من النفوذ، وغير راضين عن سياسة السلطان العثماني، وتدخله في شؤونهم، دون مراعاة لظروف المنطقة القائمة آنذاك، مخالفاً في ذلك سياسة أسلافه في الفتح، وكان عليه أن يكسبهم في صفه ضد البيزنطيين والمغول، ولكن السبب يعود إلى أن (مارياد سينا) والحزب المسيحي في البلاط السلطاني كان لهما الأثر الكبير في توجيه السلطان نحو الشرق الإسلامي لعزم الدول الإسلامية وتوحيدها، وكان الهدف من ذلك هو صرف السلطان عن أوروبا وعن نهج أسلافه^(١٢٠)، وقد نجحوا في ذلك عندما أدى ذلك الاتجاه إلى الاصطدام بتيمورلنك وكارثة أنقرة كما سبق^(١٢١)، وتعد هذه كذلك من العوامل المهمة في هزيمة السلطان العثماني أمام تيمورلنك، لتتركه نهج أسلافه في الغزو نحو أوروبا كما أسلفنا من قبل والاتجاه نحو إخوانه المسلمين في العالم الإسلامي، وذلك الأعمال عجبت بسقوطه للأخذ بمشورة أعدائه.

على الرغم من أن السلطان بايزيد الأول قد تهيأ له ما كان مطمح أنظار العثمانيين منذ زمن الغازي عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية، وهو فتح القسطنطينية^(١٢٢)، إلا أن سياسة التسرع في الفتح التي اتخذها السلطان بايزيد الأول، مخالفاً فيها أسلافه الذين كان شأنهم شأن الفاتح الحكيم الذي لا يكتفي بفتح البلاد، وضرب الذلة على سكانها، بل كانوا يستريحون بضع سنين من عناء الفتح، ليعيدوا ترتيب جيوشهم، ويوطئوا أركان بلادهم المفتوحة مع البلاد السابقة للربط فيما بينهما لنشر العلم والعدل والسلام. ثم بعد ذلك يتطلعون إلى فتح جديد نحو أوروبا^(١٢٣)، لذلك نرى هذا السلطان لم ينتهج هذا النهج بل كان يتخبط في حروبه نحو الشرق والغرب^(١٢٤)، ومن أجل ذلك كسب عداوة المسلمين قبل الصليبيين وهذه من الأسباب كذلك التي عجبت بهزيمته أمام المغول.

فتيمورلنك ما كان يهدف إلى غزو المدن العثمانية، بل إن اتجاه السلطان بايزيد الأول نحو الشرق لتوحيد إمارات الأناضول، ودولة الماليك في مصر هي التي أثارت حفيظة تيمورلنك، ودفعته دفعاً للغارة على السلطان العثماني^(١٢٥).

وفي الحقيقة كانت الضربة قاسية على الدولة العثمانية، ولكن ما خفف منها هو أن تيمورلنك لم يكن يرغب في الاستيلاء على الأناضول بقدر ما أربهه الفارين إليه من أمراء الإمارات السلجوقية التي استولى عليها السلطان بايزيد الأول، لذلك أراد وقف الزحف العثماني نحو الشرق لحماية حدوده من العثمانيين، ثم بعد ذلك عاد إلى سمرقند للاستعداد لغزو الصين^(١١٦)، وعلى الرغم من تدخل تيمورلنك في الأناضول لفترة قصيرة، فإن نتائج هذا التدخل قد حطمت قوة الدولة العثمانية، وأخر فتح القسطنطينية، وحماها من الاتيهار لمدة نصف قرن^(١١٧).

لذلك تعد معركة أنقرة في التاريخ العثماني إحدى الكوارث التي أصابت الدولة العثمانية في مقتل، وأطالت عمر البيزنطيين والقرون الوسطى خمسين (٥٠) سنة، بالإضافة إلى أنها أخرجت وحدة الأناضول حوالي سبعين (٧٠) سنة، حتى أن السلطان سليم الأول لم يتمكن من ضم بعض الأراضي التي كانت في عهد السلطان بايزيد الأول أراضي عثمانية إلا بعد مائة وخمسة عشر (١١٥) سنة من معركة أنقرة^(١١٨).

وعلى كل حال فقد كانت نهاية السلطان بايزيد الأول نهاية حزينة وغير سعيدة في نهاية المطاف، ولكن تيمورلنك لم يقتل أسيره، بل استقبله استقبالاً يليق بمكانته كسلطان دولة، وفي رواية أخرى قيل أهانه بعد أن شرع في الهرب ثلاث مرات^(١١٩)، بعد أن كانت هناك بعض المحاولات التي قام الأمير محمد ابن السلطان بايزيد الأول، لتخليص والده من الأسر، إلا أنها باءت بالفشل، ولكن لا يعرف مدى صحة هذه الرواية، وكيفية تنفيذها، وإن كانت المصادر التاريخية البيزنطية والعثمانية لم توضح هذه المحاولات^(١٢٠).

وعلى الرغم مما قيل فقد عاش السلطان بايزيد الأول في الأسر مدة سبعة (٧) شهور واثني عشر (١٢) يوماً، وكانت هذه الهزيمة هي السبب في موته كمدأ وهو في الأسر سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م، وصرح تيمورلنك لابنه موسى بأن يدفن في مقابر سلاطين آل عثمان في يروسة (بورصة)، وهذا يؤكد على حسن معاملة المغولي لأسيره^(١٢١).

وقد دامت سلطنته حوالي ثلاثة عشر (١٣) سنة، وشهر واحد وثمانية (٨) أيام، وقد توفي وعمره ثلاثة وأربعون (٤٣) سنة^(١٢٢).

وبعد هذه المعركة نعمت أوروبا براحة وخاصة بعد نشوب الصراع بين أبنائه بايزيد الأول، فقد تحررت من دفع الجزية التي كانت تدفعها للدولة العثمانية طوال فترة هذا الصراع^(١٢٣)، وهذا ما سوف تناولته في بحث مستقل باسم « فترة فاصلة في الدولة العثمانية ».

الهوامش

- ١- عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، ص ٣٤ - ٣٥.
- ٢- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، بتحقيق إحسان حقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار التفانس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٣٧، عبد العزيز سليمان نوار: المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٣- مؤلف مجهول : سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد - مخطوط، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى تحت رقم ٦٧٥ لوحة ١٦ - ١٧، أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الشروق، ٢- ١٤هـ / ١٩٨٢م، ص ٥١، محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ٣٥.
- ٤- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، بتحقيق إحسان حقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار التفانس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٣٧.
- ٥- زبيده عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى، الناشر: دار الفكر العربي، ص ١٧٢.
- ٦- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧.
- ٧- إبراهيم بك طميم : التحفة الخبيصة في تاريخ الدولة العلية، الطبعة الأولى، مطبعة عموم الأوقاف، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، ص ٤٧.
- ٨- وقيل « أوليفرا » وقيل اسمها « عاريا »، انظر محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.
- ٩- محمد أديب آل تقي الدين الحفصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، تقديم كمال سليمان الصليبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ج ١، ص ٢١٤، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٠.
- ١٠- يوسف أساف : تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام عبد الوهاب الحايي، الطبعة الثالثة، دمشق، دار الطيامة، ٥- ١٤هـ / ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٤١.
- ١١- بيده عطا : المرجع السابق، ص ١٧٢.
- ١٢- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ١٣- إسماعيل سرهناك : حقائق الأخبار عن دول البحار، الطبعة الأولى، مصر، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٢هـ، ج ١، ص ١٣٧، إسماعيل باهي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٤٠، الحفصيني : منتخبات

- التواريخ لدمشق، ج ١، ص ٢١٤.
- ١٤- إسماعيل باشي : المرجع السابق، ص ٤٠.
- ١٥- المحصري : منتخبات التواريخ لدمشق، ج ١، ص ٢١٤.
- ١٦- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ١٧- زبدة عطا : المرجع السابق ، ص ٣٥. Moss Baynes : Byzantium, Ox Ford, 1962, p. 81 - 82.
- ١٨- محمد أنيس المرجع السابق، ص ٣٥.
- ١٩- قبالدليا : تقع غرب الأناضول إلى الشرق من مدينة أزمير الحالية بإسطنبول. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٣٧. حاشية رقم (١).
- ٢٠- إسماعيل برهناك : المصدر السابق، ص ٤٩٥. المحصري : منتخبات التواريخ لدمشق، ج ١، ص ٢١٤.
- ٢١- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٢٢- محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، الناشر دار الفلم، دمشق، ١٩٤٠م/١٩٨٩م، ص ٢١. <http://Archivebeta.Bakhrri.com>
- ٢٣- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٢٤- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥ - ٣٧.
- ٢٥- تقع في جنوب غرب تركيا جنوب قبالدليا. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٣٧، حاشية رقم (٢).
- ٢٦- جنوب آيدين على بحر إيجه. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٨، حاشية رقم (١).
- ٢٧- شمال أزمير على بحر إيجه. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٨، حاشية رقم (٣).
- ٢٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.
- ٢٩- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٧.
- ٣٠- تقع في شمال الأناضول، على بعد نحو (١٠٠) كيلو متراً عن البحر الأسود. انظر محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٨، حاشية رقم (٣).

- ٢١- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧ - ١٣٨، المحصني : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٤.
- ٢٢- يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : عدنان محمود سليمان، تركيا، استانبول، منشورات مؤسسة فيصل للتعمير، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٠٣.
- ٢٣- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٧.
- ٢٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.
- ٢٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٢٦- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٥١، المحصني : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٥.
- ٢٧- يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان، ج ٢، ص ٤١ - ٤٢، المحصني : المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٥.
- ٢٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢.
- ٢٩- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٤٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، محمد أنيس : المرجع السابق، ص ١٣٨.
- ٤١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.
- ٤٢- يلماز أوزتونا : المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٤.
- ٤٣- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢، محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٤٤- أحمد تشليبي القرمانلي : تاريخ سلاطين آل عثمان، لمحقق بشام عبد الوهاب الحايي، الطبعة الأولى، دمشق، دار البصائر، ٥-١٤٤٠هـ / ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٨ - ١٩.
- ٤٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٣.
- ٤٦- سيواس وتوقات : مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا حالياً. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، حاشية رقم (٤).
- ٤٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٤٨- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة : إشراف وتقديم إكمال الدين إحسان أوغلي، ترجمة، صالح سعداوي، الناشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٩٩م، ج ١، ص ١٨.
- ٤٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

- ٥٠- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة : المصدر السابق، ج ١، ص ١٨، محمد فريد بك : المرجع السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ٥١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢ - ٥٣.
- ٥٢- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- 53- Solomn, Modell, Ahistory of the Weaskern world, vol, ١ Newjersex, prentice hall, 1974, p. 497 - 498
- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٣ - ٥٥.
- ٥٤- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٥٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٥.
- ٥٦- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٠.
- ٥٧- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٩، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ٥٨- أحمد نشايي القرماني : المصدر السابق، ج ١، ص ٦٨ - ٦٩.
- ٥٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٦٠- مدينة صغيرة شمال تركيا على ساحل البحر الأسود. انظر : علي حسون، المرجع السابق، ص ٢٠، حاشية رقم (٥).
- ٦١- مدينة تقع في الأناضول وهي تعد عقدة مواصلات برية مهمة. انظر : علي حسون، المرجع السابق، ص ٢٠، حاشية رقم (٦).
- ٦٢- تقع إلى الجنوب الغربي من سامسون. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٠، حاشية رقم (١).
- ٦٣- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- ٦٤- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٩.
- ٦٥- سالونيك : عاصمة مقدونية اليونانية وثاني كبرى مدن اليونان على خليج يعرف باسمها. انظر : يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣، حاشية رقم (١١).
- ٦٦- يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ١٨.
- ٦٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.
- ٦٨- يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣.

- ٦٩- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس منير العليكي، الطبعة السادسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م، ص ٤١٩.
- ٧٠- أحمد شلبي : التاريخ والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م، ج ٥، ص ٤٨٦.
- 71- Norman, I. Ottoman Empire and Islamic Tradition, New York, Alrtd, A. Knop, 1972, p. 14 - 15.
- ٧٢- Norman, Ibid, p. 15 محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤، يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٧، أوزطان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عهده، الطبعة الأولى، الكويت، دار الوثائق، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ١٨.
- ٧٣- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٧٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦ - ١٠٧، عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.
- ٧٥- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٤١٩، Nor man, I pid, p. 15.
- ٧٦- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ١٩.
- ٧٧- يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤، <http://Archive9666>.
- ٧٨- هذا القائد كورت نيفر، هو ابن ملك بورغانيا والتي تقع حالياً في وسط فرنسا من الشرق. انظر : يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤، حاشية رقم (١١).
- ٧٩- بورغونيا : كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا، مستقلة لم يكن للفرانك فرنساً عليها سوى السيادة، وحق طلب الجنود عند الضرورة منها. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦، حاشية رقم (١١).
- ٨٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٣ - ١٤٤، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.
- ٨١- بسام العسلي : الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، الطبعة الأولى، بيروت، دار النفائس، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٢٤٨ - ٢٥٠.
- ٨٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤، Rosetli, The Battle, Ofnicopolis, p. 619.
- 83- Recueil des Historiens des Croisades publ, Academicdes, Inscriptions etBellsletters, paris, 1841 - 1905, p. 609. ١٧٥، زبدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥.
- ٨٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧.

- ٨٥- يوسف أصاف : المصدر السابق، ص ٤٤، علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٠.
- ٨٦- بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٧.
- ٨٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.
- ٨٨- نيكوبلي : نيكوبول : Nikopol] مدينة تقع في شمال بلغاريا على الحدود الرومانية. انظر : يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥، حاشية رقم (١).
- ٨٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ٩٠- بسام العسيلي : المصدر السابق، ص ٥٠.
- ٩١- هذه الحركة : اشتهر بها الجيش العثماني منذ تأسيسه.
- ٩٢- بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧، بسام العسيلي : المصدر السابق، ص ٥١ - ٥٢.
- 93- George Ostrogorsky ; History of The Byzantine state Translated to English by Joan Hussey, Oxford, Basil, Black Well, 1968, p. 546. ٤١٩، ص : المرجع السابق، كارل بركلمان : المرجع السابق، ص ٤٥٤، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤، يوسف أصاف : المصدر السابق، ص ٤٥.
- 94- George ; Ibid, ص ٤٥، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧، ١٠٨.
- ٩٥- بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧، ١٠٨.
- 96- The Cambridge, History, of Islam, vol, 1, Cambridge, 1970, p. 285
إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٨، زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥.
- ٩٧- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩.
- ٩٨- بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.
- ٩٩- قبل إن السلطان با يزيد الأول لما أطلق سراح الكونت دي نفر، كان قد ألزمه بالقسم أن لا يعود لمحارته مرة أخرى. ولكن السلطان قال له : « إنني أجزئ لك أن لا يحتفظ هذا اليمين، فأنت في حل من الرجوع لمحارثتي. إذ لا شيء أحب إلي من محاربة جميع مسيحي أوروبا والانتصار عليهم». انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ١٠٠- يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.
- ١٠١- بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٨.
- ١٠٢- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥، George Ostogorsky : op, cit, p 493.
- ١٠٣- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩.

١٠٤- سالم الرشيدى : محمد الفاتح، الطبعة الثالثة، الناشر دار الإرشاد، جدة، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ٣٣.

١٠٥- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٦، George Ostrogorsky : Ibid, p. 493.

106- Hussey, J : The Byzantine World, Now, York 1957, p. 282 - 283
زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٦ - ١٧٩.

١٠٧- سالم الرشيدى : محمد الفاتح، المرجع السابق، ص ٣٣.

١٠٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

١٠٩- إسماعيل باغى : المرجع السابق، ص ٤٢ - ٤٣.

١١٠- ستانلى بول : الدولة الإسلامية، القسم الثاني، ترجمة محمد صبحى قرزات، مطبعة الملاح، دمشق، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٤٧٤ - ٤٧٦.

١١١- أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني للشام ومقدماته، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص ٤.

١١٢- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٤٢.

١١٣- إبراهيم بك حليم : المصادر السابق، ص ٤٩.

١١٤- أحمد فؤاد متولى : المرجع السابق، ص ٤.

١١٥- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢٦.

١١٦- أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ٥٥.

١١٧- محمد بن أحمد بن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الثالثة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ١، ص ٥٥٢ - ٥٥٣
Ismail Hakkı Uzunc Osmanlı Arşivi Tarihi, 5 Baskı, I Gilt, Istanbul, 1988, s. 300.

١١٨- يلماز أوزتونا : المصادر السابق، ج ١، ص ١٠٦، ابن إياس : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥٢.

119- Ismail Hakkı : a. g. e, s. 300.

120- Ismail Hakkı, a. g. e, s. 300.

١٢١- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٦.

١٢٢- ابن إياس : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥٢.

١٢٣- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ١٨.

124- Ismail Hakkı, a. g. e, s. 304 - 305.

- 125- Mehemet Zeki Pakalin - Osmanli Tarih Deyimleri, s, 443 - 444.
- ١٢٦- أحمد فؤاد منولي : المرجع السابق، ص ٩٠٤ ، ١٠٠٠ . عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٦ ،
aynieser, s, 444
- ١٢٧- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢١ .
- 128- Ismail Hakki : a. g. e, s, 304, 305. ٣٦ : المرجع السابق، ص
- ١٢٩- إن الإشاعات التي تقول بأن السلطان بايزيد الأول كان يشرب الخمر والعريضة غير صحيحة. بل كلها لا ترقى إلى الصحة. ولا تروق لأذهان الشعب على أية حال. وقد تعث بذلك من قبل أعدائه. بل الرجل كان لديه حفة وشجاعة - انظر : Mufassal Osmanli Tarihi, s, 214 .
- ١٣٠- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥ .
- 131- Ismail Hakki, a. g. e, s, 305.
- ١٣٢- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٩ .
- 133- John Hearssy , City of Constantine, Britan, 1880, p, 283
محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤ . يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦ .
- ١٣٤- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨ .
- ١٣٥- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ١٩ .
- ١٣٦- المرجع السابق، ج ١، ص ١٩ .
- ١٣٧- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢٢ .
- ١٣٨- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦ . Solomon Modell, A History of The Weastern
World, 2 vollumes, Newjersey, Prentice hall, 1974, p, 497.
- ١٣٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٥ .
- ١٤٠- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٦ . زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٧ .
- ١٤١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٦ - ٥٧ .
- ١٤٢- أحمد الجلاري : هو آخر الجلاريين في بغداد. وهو الذي استعاد مدينة بغداد من تيمورلنك عام ٧٩٧هـ. وولي عليها الوالي فرج. ثم عاد تيمورلنك واستعاد بغداد في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٣هـ. بعد مذبحه عامة. مما جعل أحمد جلاري ينجأ إلى السلطان بايزيد الأول كما أسلفنا. انظر : يوسف آصاف :
المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧ .

- 143- القرمانى : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.
- 144- Ismail Hakki, a. g. e. s, 306.
- 145- القرمانى : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.
- 146- Ismail Hakki, aynieser, s, 306.
- 147- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧، علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٣.
- 148- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢١.
- 149- عبد العزيز سليمان توار : الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، ص ٢٦ - ٢٧.
- 150- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.
- 151- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.
- 152- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨.
- 153- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٤٢.
- 154- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- 155- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- 156- بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٩.
- 157- بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٩.
- 158- القرمانى : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩.
- 159- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.
- 160- Runicman. S. History of the Crusades, 3 vols, Cambride, 1954, p, 55 - 56..
بلماز أوزتونا : المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٩ - ١١٠.
- 161- Ismail Hkki : a. g. e. s, 306. ١١٠، ص ١١٠، بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧.
- 162- بلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧.
- 163- Ismail Hkki : a. g. e. s, 306 - 308.
- 164- J. A. Rmarriott : Dictatorship, and Democracy, p, 68 - 89، يوسف أصناف :

المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٧، علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٢، Ismail Hkki : aynieser, p. 306.

١٦٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٦٦- قسن معاملة السبئية لأسراء أنه عندما فتح (سيزاوار) بنى فيها برجاً من أجساد محاربهه وأنه أخذ ألفين من الرجال الأحياء، ثم وضع بعضهم فوق بعض نظير الحجارة، وبناهم بالطين واحداً فوق الآخر، وفي واقعة سيواس أخذ فرسان الأرمن وأحصى رؤوسهم بين أرتطهم وألقاهم في خنادق واسعة وردمهم بالتراب، انظر : يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦، وإذا كان لي تعليق على هذه المعلومات فأعتقد أن هذا الكلام مبالغ فيه لا يصدقه العقل.

١٦٧- يوسف أصاف : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٦، Ismail Hkki, a. g. e, s, 309.

168- Ismail Hkki, op, cit, s, 309. aynieser, s, 309.

169- Ismail Hkki, aynieser, s, 309 – 310.

170- Ismail Hkki, Ibid, s, 310. aynieser, s, 310.

١٧١- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٥٠، Ismail Hkki, aynieser, s, 311.

١٧٢- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٥٠.

173- Ismail Hkki, a. g. e, s, 311.

١٧٤- يلماز أورتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.

175- Modell solomon : Ahistory of the Western Warid, vol, 1, p, 497.

إسماعيل مرهتک : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٦.

176- Modell Solomon : I, p, 497, Ismail Hkki, a. g. e, s, 313.

المصدر السابق، ص ٥٠، إسماعيل مرهتک : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٦.

١٧٧- محمد حرب : المرجع السابق، ص ١٣١.

178- Modll Solomon, Ibid, 494 – 497.٥ - المصدر السابق، ص ٥٠، إبراهيم بك حليم :

179- Osmanlia Nsikloped Disi, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174, Turkiye Diyanet Vakfi
İslm, Ansiklope Dedisi, Cilt, İstanbul, 1995, p, 480.

180- Osmanlia Nsik lopedisi, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174.

181- Ismail Haki, a. g. e, s, 314.

- 182- محمد حرب المرجع السابق، ص ١٣١. Ismail Hkki, aynieser, s, 314.
- 18٣- محمد حرب : المرجع السابق، ص ١٣١.
- 184- إبراهيم بك حليم Ismail Hkki, aynieser, s, 314, Modell Solomon, op, cit, p, 497.
- المصدر السابق، ص ٥.
- 185- Osmanlia Nsiklopedisis, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174
- إبراهيم حليم بك : المصدر السابق، ص ٥. Modell Solomon, op, cit, p, 497-498.
- Ismail Hakki, a. g. e. s, 315.
- 186- Osmanlin Nsiklopedisis, Ibid, p, 174, Turkiye Diyanet Vakfi Islm, op, cit, 480.
- 1٨٧- محمد بيوم الخامس التونسي : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، الطبعة الأولى، الناشر مطبعة المتكفل، مصر، ١٣١١هـ، ج ٥، ص ٤٧.
- 188- Ismail Hakki, a. g. e. s, 315.
- 189- Osmanlia Nsiklopedisi, Medeniyet, Kultur, p, 174.
- 190- Ismail Hakki, aynieser, s, 315.
- 1٩١- أحمد جودت : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠. Norman. I. Ottoman Empire and Islamic tRadition, Newyork, 1972, p, 25 - 26.
- 1٩٢- محمد حرب : المصدر السابق.
- 1٩٣- تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٣.
- 194- Osmanli Taihi, op, cit, p, 313.
- 1٩٥- علي حسن : المرجع السابق، ص ٢٣.
- 1٩٦- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- 1٩٧- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨. Runicman. S., op, cit, p, 56.
- 1٩٨- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- 1٩٩- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨.
- ٢٠٠- أحمد شلبي : المرجع السابق، ج ٥، ص ٤٨٧.
- ٢٠١- عبد العزيز سليمان توار : المرجع السابق، ص ٣٧.

- ٢٠٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.
- ٢٠٣- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢٠٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢٠٥- أحمد جودت : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨-٥٩.
- ٢٠٦- أحمد جودت : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠.
- ٢٠٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣١.
- ٢٠٨- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٤. Norman, I, op, cit, p, 25.
- ٢٠٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.
- ٢١٠- عبد العزيز سليمان توار : المرجع السابق، ص ٣٨.
- ٢١١- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ٧٩، يلماز أوزتونا : المرجع السابق، ج ١، ص ١١١، The Cambridge, History, of Islam, voi, I, p, 279.
- ٢١٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٢.
- ٢١٣- سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد : المصدر السابق، ورقة ١٧، إنشايفيل سرهندك : المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٦، أوزخان محمد علي : المرجع السابق، ص ١٨.
- 214- Ismail Hakki, a. g. s, 315.
- ٢١٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٧.
- ٢١٦- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٨.
- 217- George Ostrogor Sky, op, cit, 496.

المطرفية الزيدية في اليمن

ظهورها في القرن الخامس الهجري ومعتقداتها

وقضاء الإمام عبد الله بن حمزة عليها

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Bahkrit.com>

أهم عناصر البحث:

أولاً: نشأة الفرقة المطرفية وإلى من تنسب:

ثانياً: جهود المطرفية لإقامة هجرهم ونشر أفكارهم:

ثالثاً: صراع المطرفية مع الزيدية المخترعة (التقارب والاختلاف):

رابعاً: صراع المطرفية مع الإمام أحمد بن سليمان واستخدام المناظرات للحسم:

خامساً: خلاف المطرفية مع الإمام عبد الله بن حمزة واستخدام السيف للحسم:

سادساً: أهم معتقدات المطرفية:

سابعاً: القضاء على المطرفية نهائياً من قبل الإمام عبد الله بن حمزة:

أولاً: نشأة الفرقة المظرفية وإلى من تنسب:

استمر زيدية اليمن فرقة واحدة تتبع الهادي في الأصول والفروع. حتى ظهر الخلاف والشقاق بين علمائها^(١)، فانقسمت الزيدية^(٢) نتيجة لذلك إلى ثلاث فرق هي: المظرفية، المخترعة، الحسينية، وقد اختلفت المصادر في تحديد زمن ظهور هذه الفرق، فذهب البعض إلى تحديد زمن انقسام الزيدية إلى مظرفية ومخترعة^(٣)، إلى عهد الإمام القاسم بن علي العياني (٣٨٨-٣٩٣هـ/٩٩٨-١٠٠٢م)^(٤)، وإذا كانت اليمن قد استقبلت العديد من المذاهب الوافدة، ومزجت بعضها بظاهرها الإقليمى الخاص، ومنحته السمة والشخصية المتمايزتين، فإنها أفرزت بعض المذاهب ذات الطابع المحلي، مثل: الحسينية والمظرفية، وهما فرقتان انشقتا عن المذهب الزيدي، ومن ثم فقد ولدا في اليمن وتلاشيا على مسرحها دون أن يفتن أحد في العالم الإسلامي إلى وجودهما، ولما كانت هاتان الفرقتان تتميزان بالطابع المحلي الخالص فإن المصادر عنهما ظلت محصورة داخل المصادر اليمنية^(٥)، ولعل قول يحيى بن الحسين هو الأرجح، إذ أن مظرف بن شهاب الذي تنسب إليه المظرفية كان قد بايع الحسين بن القاسم العياني بالإمامة الذي تلاها سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، واستمر إماماً حتى مقتله سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م بل إن مظرفاً سشارك في الحروب التي خاضها الإمام الحسين بن القاسم ضد أعدائه^(٦)، لكنه رجع عن القول بإمامة الحسين بن القاسم^(٧)، عندما صدر عنه الآراء والأقوال التي عارضها المظرفية.

وبما يؤيد هذا الرأي ظهور العديد من العلماء المخترعة الذين تصدوا للمظرفية زمن الإمام الحسين بن القاسم أو بعد مقتله، فمن علماء المخترعة الذين ترجم لهم ابن أبي الرجال في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، واشتهروا بالرد على المظرفية: الفقيه إسماعيل بن عُلّا الذي عاصر الإمام القاسم العياني، وتصدى للمظرفية، وألف العديد من الرسائل ردّاً عليهم^(٨)، أما الحسينية فقد ظهرت في عهد الإمام الحسين بن القاسم، واستمرت بعد وفاته وأخذت بأرائه.

مؤسس فرقة المظرفية^(٩) علي بن حرب، أحد كبار علماء الزيدية في ريدة^(١٠)، وعنه أخذ علماء المظرفية، وفي مقدمتهم مظرف بن شهاب^(١١)، الذي تنسب إليه هذه الفرقة^(١٢)، وقد تباينت الآراء حول نشأة المذهب المظرفي حيث يذكر عبد الله العنسي عن زمن ومكان ظهور المظرفية قائلاً: "إن الزيدية قد طبقت الأمان شرقاً وغرباً، وهذا المذهب، مذهب المظرفية لا يُشنع إلا في هذه البلاد من حدود بلاد بني شريف إلى تقيل صيد طولاً، ومن بلاد بني جبر إلى عنس عرضاً، وما عدا

ذلك لا يعرف فيه اسم المطرفية . دُونَ الوقت الأول الذي هاج فيه مذهبهم . وقد روي أن القوم إنما أتوا من قبل الباطنية، وإلا فقد كانوا زيدية، وكان حدوث مذهب المطرفية بعد الحسين وأربعمئة سنة للتاريخ المبارك، وكان . إذا أُخْبِرَ الواحد منهم بين يدي الشيخ يحيى بن عمار وتناظره قال: لما تناظرني على مذهب أنا أكبر منه سناً^(١١٣)، كما تباينت الآراء أيضاً عن مؤسس المذهب المطرفي فقال البعض أن المؤسس الحقيقي لهذا المذهب هو أحد مفكري الباطنية، بناحية الأهنوم، وكان قد تظاهر باعتناق المذهب الزيدي، واستطاع بحيله البارعة أن يستغل بساطة العامة في التأثير عليهم واقتناعهم بأرائه ومعتقداته، ويقال أنه رأى يوماً حبة شعير تبثت في جانب مسجدهم داخل الجدار، فسألهم هل يجوز لأحد أن يחדش المسجد؟ فقالوا: لا يجوز ذلك، قال ولم؟ قالوا: لأن هذا قبيح، لو زاد الخدش حَرَبَ المسجد، وخرابه قبيح، فتركهم أياماً ثم سألهم ما تقولون في هذه الحبة؟ ألم تחדش جدار المسجد؟ قالوا: نعم، قال: أهذا قبيح أم حسن؟ قالوا: هذا حسن - هنا، على ما كانت عليه الزيدية من المذهب الصحيح - قال: ألم تقولوا بالأمس إن خدش المسجد قبيح؟ وما زال يحاورهم ويناورهم، وكثرت المناظرات، وأن الله تعالى لا يفعل القبيح، ثم وصل بهم إلى النتيجة التي يريدونها، وهي أن هذا الثابت ليس من خلق الله، وإنما هو حاصل من المواد والطبائع.^(١١٤)

كانت بداية افتراق المطرفية عن الزيدية المخترعة ما حدث من المناظرات بين رجلين من الزيدية الأول علي بن شهر، والآخر علي بن حرب^(١١٥).

ولما اشتدت المناظرات بين الرجلين كان لكل واحد منهما أتباعه ومقوده، فصاروا فرقتين، فتعصب أولئك على شبهتهم، واستندوا إلى زهادهم ولم يجدوا أزهق من مطرف، فتبعوه وتسبوا بالمطرفية بأنفسهم، وبقي المسلمون على بصيرتهم يقولون نحن زيدية التزاماً بمذهب العترة الطاهرة الزكية، الذين هم بعد المنصوص عليه زيد بن علي^(١١٦)، ولم يزل مطرف ينشر آراءه بين أتباعه إلى أن اكتسبت لديهم الصورة الكاملة عن القول بالأصول والإحالة والفظرة والتدبير والطرذ والعكس وغير ذلك من الأمور التي صارت تدل على هذا المعتقد الجديد^(١١٧).

من الصعوبة تحديد زمن دقيق لبداية انتشار المطرفية وإن كان المرجح ظهوره زمن الإمام الحسين بن القاسم العباسي، أو بعد وفاته - كما سبق القول - فعبد الله بن حمزة يذكر أن أول من تصدى للمطرفية هو الشريف زيد بن علي بن الحسين^(١١٨)، ويصف مسلم اللحجي بأن زيد بن علي بن الحسين هنا كان من متكلمي المخترعة، ومعلوم أن اسم المخترعة لم يُطلق على الزيدية إلا بعد

الخلاف بين علي بن حرب وعلي بن شهر، وهما من معاصري مطرف بن شهاب، كما يذكر أحد علماء الزيدية ودعاتها أن الشريف زيد بن علي بن الحسين رَدَّ علي مطرف بن شهاب.^{١٣١}

كان مطرف بن شهاب يسكن في بيت حُثْبِص^{١٣٢}، ثم انتقل إلى سِنَاع^{١٣٣}، فابتنى بها هِجْرَةَ^{١٣٤}، ومسجداً ومطاهراً^{١٣٥}، واتخذها مركزاً لتجميع أصحابه، ونشر معتقداته، فأظهر العبادة والطهارة، والزهد، واستدعوا الناس إلى الدراسة، فأقبل إليها كثير من الدارسين والعلماء^{١٣٦}، فأقيمت المناظرات فيها، بين المخترعة والمطرقية من الزيدية، فيذكر مسلم اللحجي أن علي بن حرب أفتع عليان بن سعد بالتوجه معه إلى سِنَاع، فلما وصلها قال: "فأتينا سِنَاع وبها المشايخ الذين من الطراز الأول فلم أحتج مع النظر إليهم وإلى ما هم عليه من الديانة، وإلى حسن ترتيبهم فيها إلى دليل على فضلهم، وتيقنت أنهم الناس، ثم طالبتهم على ما يعلمون، ويتعلمون من الاعتقاد بالأدلة، فأتوا بما لا مزيد عليه من البرهان، ولا شك معه في البيان، فانقطعَتْ إليهم بعد ذلك، ورقتْ أهلي ووضي إلا من الزيارة في الحين والحين"^{١٣٧} ومن سِنَاع انتقل الفكر المطرفي إلى أماكن أخرى في اليمن.^{١٣٨}

وعن زهد المطرقية وما وصلوا إليه من العبادة يقول عبد الله بن زيد العنسي: "...وهم أعتي المطرقية أكثر من رَجَعَ إلى الحق على يدي من الفرق البدعية... وأعانتني على ذلك ما كانوا عليه من الحرف لباري البرية، وكثرة الخضوع له في الجهر والخبية... إلا أن ما حملهم على التعصب على مذاهبهم... ما هم عليه من التشدد والحمية والتقليد لمشايتهم البدعية، وتحسين الظن بهم لما يرون عليهم من آثار التزهيدات الجليلة والهِجْرَةَ منهم، لمخافتهم له في السر والعلانية".^{١٣٩}

أما الحسن بن زيد ومحمد بن حميد اليرسي فقد دخلا سِنَاع "وكانا يومئذ يعتقدان بالاختراع، قال: فكانا يأتیان أشياخ الزيدية في سِنَاع، ويتعرفان على ما هما عليه، وفي يوم امتد بهما الكلام.. في مسجد سِنَاع حتى غرمت الشمس.. فقال الحسن لا أروح حتى أفرغ من هذه المسألة.. وعادوا إلى الكلام، فانقطع الحسن وسلم للمشايع، ثم انتقل إلى سِنَاع، وانتقل معه ابن حميد، وأتقن الحسن التدريس ورسومه"^{١٤٠}، أما تهدي بن الصباح فظل يناظر مطرف بن شهاب أربعين يوماً في فنون العلم ومسائل الدين^{١٤١}.

وتيجة لهذه المناظرات بين المطرقية والمخترعة أخذت سِنَاع شهرة علمية واسعة نتيجة لتوجه العلماء والطلاب إليها، حتى قال مسلم اللحجي: "فكان ذلك مما ازدادت به شهرة الموضوع عند الناس بالعلم والعبادة والتعليم، فقصِد من كل جهة وحتى"^{١٤٢}.

ثانياً: جهود المطرفية لإقامة هجرهم ونشر أفكارهم:

أدى هذا النجاح للمطرفية إلى تفكير علمائها بالمحاولة لنشر فكرهم في مناطق أخرى خارج سناع، فما أن عرض نهد بن الصباح على مطرف فكرة الخروج من سناع لدعوة الناس بقوله: "أبها الشيخ إنك ها هنا شامل ضايح مضيع لعباد الله، قال: فما ترى أن أصنع؟ قال: تسير بنا إلى أرض عس"^{١٣١}، حتى نُحْيِي بها من دين الله ما أمكن. قال: فَعَلِمَ أن هذا من صواب الرأي، فسارا معاً إلى دمار، وكان أهلها مختربة، فلما نزلوا بها أتيا مسجدها، وسمع بهما الناس، فاجتمعوا إليهما.. فافتقر المجلس على موافقة من الجمهور لمطرف.. وغلب على أكثر الناس اعتقاد مذهبه"^{١٣٢}، ثم توجه مطرف إلى بلج التراخم، واستطاع أن يُضْمَ إلى صفه شيخها أبا عبد الله محمد أحمد الترخمي بعد مشقة وعسر"^{١٣٣}.

غير أن هذا الدور الذي قامت به سناع لم يستمر بسبب ما تعرضت له من هجوم من قِبَل الصليحيين في عهد الداعي سبأ بن أحمد الصليحي، والذي سبّازع السيدة أروى بنت أحمد الصليحي شئون الدولة في الفترة ٤٧٨-٤٩٢م/١٠٨٥-١١٠٦م"^{١٣٤}، حيث سيستجيب لبعض خصوم المطرفية، فيعمل على تخريب سناع، وتخريف أهلها"^{١٣٥}، بما دفع المطرفية للبحث عن مكان آخر، يقول مسلم اللحجي: "لما اضطرت الزيدية إلى الخروج عن سناع إلى بعض البلدان.. قالوا: نخشى أن نموت في شعاب الأرض، ونظون الأودية.. فكثرت ترددهم وإحجامهم عن ذلك.. (ف) جعل إبراهيم بن الهيثم بعد ذلك يجول في البلاد ويطلب المساكن.. فأصاب وادي وقش خالياً من السكان"^{١٣٦}.

عندما وجد المطرفية أن القبائل المجاورة لوقش"^{١٣٧} يرحبون بنزول المطرفية بينهم، وبعد أن عُقد الجوار بذلك، انتقل المطرفية إلى وقش، وأقاموا بها "هجرة تقام فيها الصلاة وتؤدى الفرائض وتُعبَد الله فلا يُعصى ويُتعلَّم العلم ويُحَى فيها الدين، حتى قامت بالحجة لله على أهل العصر، فقام الإمام الداعي إلى ربه، المشهر سيفه"^{١٣٨} وقد قَبِلُوا عدداً من الشروط منها أن يكون ابن الهيثم المطرفي حاكماً لا محكوماً عليه، فعقدوا له ذلك،"^{١٣٩}، وأعطت القبائل الحق للمطرفية في أن لا يُذَجَلُوا إلى هجرتهم من لا يرغبون فيه. قال مسلم اللحجي: "وكان (الهم) شروط .. على من يجاورهم، ودم على من يتغلب عليهم في دارهم ممن يكرهون جواره"^{١٤٠}، وقد كان للهجرة كثير من الحقوق التي تتمتع بها، مثل: أنه يجب على جميع القبائل الكف عن الاعتداء عليها،

وأن يلتزموا بحقوقها، كما أن لهذه الهجرة عدم الالتزام بالعادات القبلية، وبالتالي يجب عليها الابتعاد عن المنازعات القبلية، كما يجب عليها أن تتسكك بأحكام الشريعة الإسلامية، وتعمل على تطبيقها، لذلك كانت الهجرة تزخر بالعلماء، سواء القضاة أم المعلمين، لكل ذلك كانت الهجرة آمنة مؤمنة لكل من ورد إليها في ليل أو نهار-سواء كان ظالماً أو مظلوماً حتى يؤخذ الحق منه أو له.^(١٤٦)

وإلى جانب ما كانت تقوم به هجرة وقش من مهام الفرائض والتعليم، فقد كانت ملاذاً لمن "خشى على نفسه من ظالم غاشم، هرب إليها للأمن.. ومن أهّمه أمر معاده ومعاشه، أتى متوكلاً على الله"^(١٤٧)، ونتيجة لهذه الوظائف الهامة التي كانت تقوم بها هذه الهجرة، فقد "سماح بها الناس.. نحو ما كانت السمعة بسناج، فانتهى ذكرها إلى أطراف الأفاق، فعُضِرَتْ إليها أباط الإبل، وطُوِرَتْ إليها المراحل وَتَفَعَّ اللهُ بها من أراد.. من خلقه"^(١٤٨).

وصل المطرفية في هذه المرحلة إلى الاعتقاد بوجود هجر الظالمين واعتزالهم، ورأوا أنه يجب على الإنسان أن يهْرَبَ بنفسه وولده وجرمه من مجامع الناس-وقراهم ومدنهم، لظهور فساد الناس والمدن والقرى في دينهم وديارهم، بوجود المهاجرة للظالمين والاعتزال للفاسقين وذلك فرض من رب العالمين في كل وقت وحين^(١٤٩)، ومن هذا المعتقد قاموا بإنشاء العديد من الهجر^(١٥٠) وبانتشار المطرفية في هذه الهجر دون القرى والمدن اليمينية الأخرى يتبين أن هذه الهجر كانت بالنسبة للمطرفية ملاذاً آمناً يضمنون فيه التمتع بالحرية الفكرية المطلقة في عرض أفكارهم، بل وفي إقامة مناسهم التي يلتقون فيها مذاهبهم لتلاميذهم^(١٥١)، وهكذا كَوَّنُوا مجتمعاً خاصاً بهم له تعاليمه وتقاليده.^(١٥٢)

ثالثاً: صراع المطرفية مع الزيدية المخترعة (التقارب والاختلاف):

حرص المطرفية على إقناع معاصريهم بأنهم لم يأتوا ببدعة جديدة، ولكنهم متمسكون بالتعاليم الصحيحة المنسوبة إلى الإمام الهادي، مؤسس الدولة الزيدية باليمن، لذلك قالوا بأن مطرف بن شهاب أخذ المذهب عن علي بن محفوظ بريدة، وابن محفوظ أخذ العلم ومذهب الهادي عن طريقين أحدهما عن أبي الحسين أحمد بن موسى الطبري، عن المرتضى محمد بن الهادي، والأخرى: عن إبراهيم بن بالغ الوزيري، عن أبيه عن الهادي^(١٥٣).

لهذا عندما سأل مسلم اللححي شيخه إبراهيم بن علي عُمًا إذا كان قد أخذ الاعتقاد من علماء،

سناع ووقش، أو أنه التقى بمطرف أو نهد بن الصباح، فإنه غضب من هذه الأسئلة وقال: "أخذته من شيعة الهادي؛ أو مذهب الهادي قد خفي حتى لا يوجد إلا عند أولئك؟". أخذت عن عامر بن صعتر عن عامر بن تميم عن أبيه عن جده عن الهادي إلى الحق^{١٤١}.

وهو ما يذكره مطرف بقوله: "لا تحسبوا أننا أخذنا.. واعتقدنا هذا العلم من الأوراق، أخذناه من بين شوارب الرجال، يريد الإسناد إلى الهادي"^{١٤٠}، واستشهد المطرفية على صحة آرائهم في مناظراتهم مع خصومهم على كتب المرتضى محمد بن الهادي، وهو ما يذكره مسلم اللحى عندما ناظر المطرفية قوم من آل عَمَّار من المخترعة من مشرق حاشد: "منهم يحيى بن عمار المتكلم في الاختراع، فطالبوهم بالمناظرة، حتى دار بينهم الكلام في ذلك.. فطالبوهم [أي المخترعة] على ذلك شهادة سماعية من كتب آل رسول الله صلى الله عليه.. فاستشهدوا [أي المطرفية] بمسألة العدل من كلام المرتضى لدين الله محمد بن يحيى"^{١٤١}.

خالف المطرفية فرقة المخترعة عندما تناظر علي بن حرب وعلي بن شهر^{١٤٢}، وأخذ كل واحد منهما برأيه^{١٤٣} - كما سبق القول - مما أدى إلى ظهور فرقتي الزيدية (المخترعة^{١٤٤})، والمطرفية)، ودخلا في مناظرات بعد أن اجتمع المطرفية في هجرة سناع، واتخذوها مسجداً وهجرة ومطاهر.

اتخذ المطرفية طريقاً مستقلاً بعد أن تراجعوا عن متابعة الإمام الحسين بن القاسم العياني بالإمامة لما يندرج منه من آراء^{١٤٥}، ثم استمروا في التجمع في هجرهم للعبادة والذكر، حتى ظهر الإمام أبو الفتح الديلمي قدخلوا معه في خلاف، لكن هذا الخلاف ظل في هذه المرحلة خلافاً في الجانب الفكري فقط، فبذكر العنسي أن الإمام أبا الفتح الديلمي ردّ على المطرفية برسالة سماها "الرسالة المهجة في الردّ على الفرقة الضالة الثلج لجة"^{١٤٦}، مما يؤكد اختلافهم مع علي الإمامة.

كما ظل المطرفية على اختلاف مع الشريف حمزة بن أبي هاشم، وابته الحسين بن حمزة، الذي ألف رسالتين في الردّ على المطرفية، والتي يقول عنهما عبد الله بن زيد العنسي في حديثه عن العلماء الزيدية الذين تعرضوا للتأليب في الرد على المطرفية: "وكذلك.. السيد العالم الحسين بن حمزة.. رأيت له قطعتين من الكلام عليهم [أي المطرفية]"^{١٤٧}.

استفاد المطرفية في هذه الفترة من عدم ظهور منافس قوي لهم، سواءً عند الحسينية، أم المخترعة، فزاد نشاطهم، وتعددت هجرهم، وكثر أنصارهم، مستغلين للظرف المحيط بهم، فبعد وفاة الإمام الحسين بن القاسم العياني في سنة ٤٠٤ هـ/١٣٠١ م، تعطلت الإمامة بعده ما يقارب

العشرين عاماً، حتى ظهور الإمام أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن سنة ٤٢٦هـ/٥٤٣٣م-١٠٣٤م. وقد يرجع سبب ذلك لاعتقاد اتباع الإمام الحسين بن القاسم في عودته، لدرجة أن أخاه جعفر بن القاسم لم يفكر في القيام بأمر الإمامة، على الرغم من تأييد بعض القبائل له، ورغم أن الظروف تهيأت له باستدعاء أهل صنعاء له لدخولها، ويرجع ذلك لاعتقاده بعودة أخيه.

استغل المطرفية ذلك الفراغ السياسي لنشر أفكارهم، إذ لم يكن هناك أي شكل من أشكال الدولة في المناطق الشمالية، والتي كانت تسمى اليمن الأعلى، حيث كانت صنعاء مقسمة بين ثلاث قوى قبلية هي البعفرين وآل الضحاك، وابني أبي الفتح-كما مر سابقاً-

وحتى عند ظهور الإمام أبي الفتح الذلمي دخل في صراع مع المحتسبين الحسينيين، فلم يتم أي تعاون بينه وبين جعفر بن القاسم العياني، وبوفاة الإمام أبي الفتح تعطلت الإمامة ما يقارب من ثمانية وعشرين عاماً، نشط خلالها المطرفية وعقدوا المناظرات مع المخترعة^(١٤٤)، فقد كان أبو السعود محمد بن وضاح العنسي (ت. ٤٤٨هـ/١٠٨٧م) من علماء المطرفية المناظرين، وكان في بداية حياته من المخترعة- ثم اعتنق التطرف، وتصدى للفيحاح عنه، والرد على المخترعة، وله قصيدة برّذ فيها على علماء المخترعة بقول فيها:

والله يخترع المعاني عندهم كالطعم والحركات والألسوان
وكذا التكريم والسماحة عندهم فعمل الإله وفطرة الأبدان^(١٤٥)

كما أن العالم المطرفي القاضي شرح بن أسعد الشهابي (ت. ٥٠٠هـ/١١٠٦م) تصدى لعلماء المخترعة مثل عبد الله البشاري، وكان بينهما مساجلات شعراً ونثراً^(١٤٦)، وحين هاجم محمد بن حميد الزبيدي المخترعي عقائد المطرفية^(١٤٧)، قام العالم المطرفي أبو السعود بن زيد بالرّد عليه في أرجوزة شعرية منها:

نحن قلنا النار مثل الماء والقار مثل القُصّة البيضاء^(١٤٨)

الجدير بالذكر أن المطرفية لم تقتصر في مناظراتها مع الفرق الزيدية من الحسينية والمخترعة، بل ناظرت الفرق الأخرى في اليمن، سواء من أهل السنة أم الأباضية والإسماعيلية^(١٤٩)، فقد ناظر مطرف بن شهاب القاضي الشافعي سليمان بن عبد الله النقوي أكبر قضاة الشافعية في صنعاء، فأقنعه مطرف بمذهبه وحكم بمذهب مطرف وأصبح من أنصاره، بل ناظر المطرفية

الفرقة الإسماعيلية، وقد اتسمت العلاقة بين المطرفية والإسماعيلية بالعلاقة السلمية حيث كان الصليحيون يرغبون في انخراط المطرفية في جيوشهم لذلك اعترفت بمذهبهم في أول الأمر، إلا أن المطرفية تجنبوا سياستها، بل نجد منهم من يسفه مذهب الصليحيين ويرد عليه مثل أبي السعود بن زيد بن الحسن، الأمر الذي سيدفع بالدولة الصليحية إلى إرسال ابن أحمد الهليجي ليقتل أبو السعود بن زيد وهو يغسل ثيابه.^(١٣٦)

رابعاً: صراع المطرفية مع الإمام أحمد بن سليمان واستخدام المناظرات للحسم؛

يظهر الإمام أحمد بن سليمان، وإعلان خروجه بالإمامة سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م^(١٣٧)، انتهى الفراغ السياسي الذي طالما نعم به المطرفية، ووظفه لصالحهم، وفي بداية الأمر لم يعلن المطرفية معارضتهم لإمامة أحمد بن سليمان، كما لم يرحبوا بقيامه^(١٣٨)، غير أن قتل حاتم بن أحمد الباسي للشيخ محمد بن عليان^(١٣٩)، كان سبباً لجمع فرقتي الزيدية المطرفية والمختزعة على البيعة للإمام أحمد بن سليمان، طالبين منه التآمر لقتل ابن عليان^(١٤٠).

غير أن هذا الولاة من المطرفية للإمام لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما تقاعسوا عن نصرته يقول سليمان الثقفى: "فَسَدَّ أَكْثَرُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْمُطَرَفِيَّةِ، وَقَعَدُوا عَنِ الْإِمَامِ، وَأَقْعَدُوا النَّاسَ، وَاسْتَمَالَتْهُمْ الدُّنْيَا وَحَطَامُهَا"^(١٤١)، وكانت بداية الخلاف بين الإمام والمطرفية أن قوماً من المطرفية في أشيخ والجاهلي^(١٤٢)، خالفوا الإمام ولم يُقَرُّوا له بالطاعة فخرج لتأديبهم فاستولى على الجاهلي، وأنها، وكاد أن يسيطر على أشيخ لولا توجهه إلى مخالف جعفر بعد أن عين على هذه المناطق ولاية من قَبَلِهِ وطرد المطرفية منها^(١٤٣).

لم يحتدم الخلاف بين المطرفية والإمام أحمد بن سليمان، حتى حدث الخلاف بين القاضي جعفر ابن أحمد بن عبد السلام^(١٤٤)، وبين المطرفية في سِنَاع، حيث كان القاضي جعفر قد ذهب إلى العراق وعاد بكتب كثيرة من كتب المعتزلة^(١٤٥)، وقد تأثر الزيدية في اليمن بشكل كبير بكتب المعتزلة التي أدخلها إلى اليمن القاضي جعفر بن عبد السلام، حيث أقبل السواد الأعظم من الزيدية على قراءة كتب المعتزلة هذه، وتركوا كتب قدامى الزيدية، بل وصل بهم الأمر إلى حد رفضها، ومرقوها وجعلوا بها الكتب الجديدة التي تتضمن أفكار المعتزلة، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور طائفة من علماء الزيدية تندد بهذا التحول وتعمل على إحياء المذهب الزيدي في صورته القديمة، وأطلقوا عليه (مذهب العترة عليهم السلام)، تمييزاً له عن أفكار الزيدية الأخرى المزوجة

بالاعتزال، وأطلقوا على هؤلاء الذين قاموا بعملية المرح- التي أخفت معالم المذهب الزيدي في صورته القديمة النقية- اسم الشيعة المعتزلة.^(١٧٣)

وعده الإمام أحمد بن سليمان النصر للقااضي إن وقف في وجه المطرفية وأنكر بدعتهم^(١٧٤)، يقول صاحب سيرة الإمام أنه لما وصل القااضي جعفر من العراق، قال له الإمام أحمد بن سليمان: "هل علمت يا قاضي أحداً ممن قابلته في العراق يقول بشيء، لما تقوله المطرفية أو تعتقده أو تعمل به، أو وجدت في كتاب أو سمعت بأحد يقول بقولهم. فقال: لا، قال له: فإنه يجب عليك أن تردهم عن جهلهم وتنكر بدعتهم... فقال له القااضي: قد عرفت ما تقول ولكن القوم كثير، وقد صاروا مثل- يميننا هذا، ولو أبئت أنكر عليهم لرموني بقوس واحدة، وأنت يا مولانا تقرب وتبعد، وأنا أخاف القوم ولا طاقة لي بهم، فوقع كلام الإمام في أذن القااضي فعمل به"^(١٧٥).. فناظرهم في سناع ثم في وقش^(١٧٦) ولما لم يسعروا عنه وأذوه وقاموا في وجهه^(١٧٧)، عاد إلى سناع مع مجموعة من أنصاره وكان له مدرسة في مسجد سناع فعارضه المطرفية بمدرسة أخرى في جانب المسجد، فقام أحد أنصار القااضي جعفر فأطفا سراجهم، فعادوا فأطفتوا مصباح القااضي وأصحابه، ووقع بينهم كلام^(١٧٨).

لما علم الإمام بذلك قال: "قد وجدت عليّ قريضة القااضي ونصرة من قد نصره"^(١٧٩)، فهُمَّ بالمخرج إلى المطرفية، ومحاربتهم، فتراجعوا وأقرؤا له بالإمامة وطلبوا الصفح، فقبل منهم، ودخل وقش، وأحل بها القااضي جعفر، وأقام هناك وكتب كتاباً ألفه وسماه كتاب الرد على من طعن في إمامته^(١٨٠).

ويرجع سبب تنكر المطرفية للإمام أحمد بن سليمان إلى تشدهم في أمر الإمامة، والشروط الواجب توافرها في الإمام^(١٨١)، فذهبوا إلى عدم الاعتراف بإمامة أحد بعد الإمام الهادي إلى الحقي يحيى بن الحسين، سوى المرتضى ابنه، وأنكروا على الزيدية حصر الإمامة في قريش^(١٨٢)، يقول صاحب تاريخ بني الوزير "وقد كانت المطرفية لسعة علومهم وصلابة تدينهم وصبرهم على العبادة والقيام والصيام يحترفون معارف غيرهم، ويقع من بعضهم إعجاب بالتحير في العلوم، وللعلم طغيان كطغيان المال، فكان من ذلك أنهم لا يذكرون الإمام أحمد بن سليمان بالإمامة، إنما يسمونه الأكبر^(١٨٣)

خامساً: خلاف المطرفية مع الإمام عبد الله بن حمزة واستخدام السيف للحسم:

خفت حدة العداوة للمطرفية بعد وفاة الإمام أحمد بن سليمان سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م. والقاضي جعفر بن عبد السلام سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م، مما أعطى الفرصة من جديد لازدهار مذهب المطرفية وانتشاره خاصة في عهد الأيوبيين الأوائل في اليمن^(١٤١).

مثل طول الفترة بين موت الإمام أحمد بن سليمان ٥٦٦هـ/١١٧١م. وقيام عبد الله بن حمزة^(١٤٢) لأول مرة محتسباً في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م^(١٤٣). فرصة أمام المطرفية كي تمارس نشاطها وتشر معتقداتها دون أن تصطدم بصعوبات كبيرة تضعها أمام أزمة سواء من الناحية النظرية حيث لم تصل مع الإمامة الزيدية المخترعة إلى حد القطيعة، ومن الناحية العملية لم تدخل في صراع وحرب معها حتى هذا الوقت^(١٤٤). على الرغم من خلو اليمن من حكم الأئمة بعد أحمد بن سليمان لفترة تقارب سبعة عشر عاماً، إلا أن الإمام أحمد بن سليمان كان قد حكم على المطرفية بحكم الكفار. فلا محل مناكحتهم ولا ذبائحهم ولا نفي شهادتهم. وهذا الحكم ترك صدقياً كبيراً بعده في الأوساط العلمية والسياسية، وجرى الجرح حول هذه المسألة من قبل جماعة من العلماء الذين سبقوا الإمام عبد الله بن حمزة بثورة طوفية^(١٤٥).

http://Archivebeta.Baharri.com

بقيام عبد الله بن حمزة سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م. بالإمامة^(١٤٦). بايعة المطرفية بالإمامة بعد أن اجتمع مشايخهم بالإمام وأعلنوا اعترافهم باستحقاقه لها. فرحب بهم الإمام وعينهم ولاية على الأقاليم. يقول ابن دعثم: "نوجه كل منهم عن أمر الإمام لنفاد الأوامر الإمامية والتأهل لوقت الحاجة، وإقامة الجمعة في هجرهم، والقيام بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجييش الجيوش إلى تغور الجهاد"^(١٤٧). وقد ظلت العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية حسنة لفترة غير قصيرة^(١٤٨). إلا أن المطرفية أخفقوا في تنفيذ المهام التي أوكلهم بها الإمام لأنهم لم يتعدوا على العمل بالسياسة، وجباية الأموال وإعداد الجيوش. وانصرفوا إلى ما اعتادوا عليه من عقد المجالس العلمية^(١٤٩). مثل المجلس العام الذي يعقد في وقش مرة كل عام للدراسة والمناظرة^(١٥٠).

بدأ الخلاف بين الإمام والمطرفية عندما قام الإمام بعزلهم عن الولاية، ومنع عنهم أموال الزكاة، لما رآه منهم من ضعف وتواني في القيام بالمهام التي أوكلها إليهم^(١٥١). فضاقت عليهم الأحوال. وتشاوروا، واتفقوا على إقامة الأمير المنتصر بالله محمد بن مفضل^(١٥٢). محتسباً لبدافع عنهم وباعود على ذلك^(١٥٣).

استمرت العلاقة حسنة والصلة مستمرة بين الطرفين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية، فعند انتصار الإمام على الأيوبيين، أرسل الفقيه يحيى بن الحسين البحيري زعيم المطرفية في وقتل في عصره رسالة تهنته للإمام بهذا الانتصار على الأيوبيين في صنعاء^(١٧١)، إلا أن عودة الأيوبيين إلى صنعاء سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، وعقد الإمام الصلح معهم جعلت الخلافات بين الإمام والمطرفية تعود من جديد، لرؤية الأخيرين بضرورة مقاتلة الأيوبيين، وعدم عقد الصلح معهم، فأرسل المطرفية مثلاً عنهم إلى الإمام ليحثوه على قتال الأيوبيين، لكنه تمسك بالصلح الذي عقده، واستمر في تقدمه إلى صنعاء^(١٧٢)، كما عارض المطرفية الإمام في تولية تهامة للمؤيد السليمانى من قبل الإمام، والتي رأت المطرفية في ذلك إغانة له على إحياء رسوم الجور التي جرى عليها الأمراء من بني سليمان، ووصلت المعارضة من المطرفية للإمام إلى حد قال ممثلهم للإمام: "إن جَدَدْتُ له الولاية بغير دليل ولا حجة، فأنا متأخر عن هذا الأمر"^(١٧٣)، يقصد أي عدم اعترافه بإمامته، إلا أن الإمام لم يبال بذلك بقوله: "أنا لا أبالي من تأخر عني، مهما كُنْتُ على بصيرة من أمري"^(١٧٤).

ظل الأمر المنتصر بدافع عن المطرفية، ويراجع الإمام بشأنهم، وكان الإمام يسمع منه لمكانته عنده، ولم تتوتر العلاقة بين الطرفين حتى وفاة الأمير المنتصر في صفر سنة ستمائة هجرية^(١٧٥)، ويتبين ذلك من خلال ما أبداه الإمام من حزن عليه في قصيدة رثاء، وأوقد أخاه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة مع جماعة من أنصاره إلى وقتل للنعنة^(١٧٦).

لم تلبث العلاقة بين الإمام عبد الله بن حمزة والمطرفية أن سادها التوتر من خلال الجهود التي بذلها بعض من أنصار الإمام لإسعاد هذه العلاقة، يقول صاحب تاريخ بنى الوزير: "ثم أن شيعة الإمام أكثروا في المطرفية إلى الإمام، ورووا عنهم أموراً جمة في المعتقدات على صفة شيعية صريحة، وكثرت النقل إلى الإمام في ذلك"^(١٧٧)، يضاف لذلك أن الأميرين يحيى بن منصور ومحمد بن منصور ابني أخي الأمير المنتصر، واللذين كانا متوليين الدفاع عن المطرفية، بعد وفاة الأمير المنتصر، لم يكن لهما من المودة والألفة مع الإمام مثل التي كانت لعمهما، فتغير الإمام تجاه المطرفية ولم يعد يقبل وساطة الأميرين، ودفاعهما عن أمور المطرفية والمحااجة عنها^(١٧٨).

لقد كانت معارضة المطرفية للإمام تشغله لأنها تتميز عن أي معارضة أخرى كونها صادرة من داخل الزبده التي هو إمامها، خاصة إذا كانت المعارضة في مسألة الإمامة ذاتها، فقد اشترطت المطرفية أن يكون الإمام في الغاية من العلم، وهو مستوى من المعرفة يكاد يكون من المستحيل

تجديده، وهذا في حد ذاته مشروع معارضة مستمرة لأي إمام، فالعلم في نظر كل جماعة ما تعتقده صحيحاً، وليس من السهل إقناع أي مُدَّعٍ للإمامة بأنه أقلُّ علماً من غيره، وكل من يتمتع بقدر من المعرفة يرى نفسه أقدر من غيره على فهم أمور الدنيا والدين^(١١٠).

يقول العنسي: "ومن الظاهر المشهور أنهم لا يقولون بإمامة أحد بعد الهادي سوى المرتضى ولا يقولون بإمامة الناصر الأطروش، ولا بإمامة الناصر بن الهادي ولا من بعده من الأئمة، ويبطلون القتال معهم، منذ ظهر مذهبهم، ولم يبق إمام إلا وهم أعداؤه، وهو عدوهم. ولا يرون تقديمهم في الرياسة، بل يوجبون تقديم شيوعهم"^(١١١).

زاد من حدة الخلاف بين المطرية والإمام ما نقله رجل من المطرية يسمى عمار بن ناصر الشهابي، حضر اجتماع المدرسة المنتصورية في ذي مرمر، فتم فيها الحديث عن المطرية، وتم التعريض بمذهبهم، فقام هذا الرجل بنقل ذلك لأهل مذهب من المطرية في وقش، وبث شكواه إليهم، فجرت مكاتبة بين الفقيه المطري علي بن يحيى البحيري والإمام، فيها مديح وعتاب، ودعوة للمناظرة والناقشة^(١١٢). وقد أهدى الإمام استعداده لذلك، وطلب منهم القدوم بجماعة من أهل العقل والعلم لإجراء ذلك^(١١٣). وكان عما قاله الإمام في جوابه على شيخ المطرية البحيري: "فإن رأيت أن تأتي بجماعة من أهل العلم والعقل والإتصاف، فإن كانوا على بصيرة في تأخرهم ازدادوا يقيناً، وإن كانوا على غير بصيرة فأهل التدبیر أولى من رجوع إلى الصواب، لأن فرضهم طلب النجاة، فلا بأس في ذلك بل هو عين الصواب"^(١١٤).

تردد المطرية في بادئ الأمر في القدوم لمناظرة الإمام خوفاً منهم على أنفسهم، فكانوا يظهرون أنهم يخافون على أنفسهم، وأن ذلك هو العائق لهم عن الوصول إلى الإمام لمناظرتهم^(١١٥). ثم أظهروا العزم على القدوم جميعاً إلى الإمام لإجراء تلك المناظرة، وحددوا اللقاء إلى ذي مرمر، أو إلى ثلثه، ولكن الإمام اشترط إن أرادوا ذلك أن يكون وصولهم إلى صعدة^(١١٦)، وهكذا أخذ الفريقان يتخاذلان ويتباطأن عن المناظرة، واتهم كل منهما الآخر بالتهرب والخوف^(١١٧).

لما كثر التباغض والمراسلات بالسب والشتم، وتبارى شعراء الفريقين في هجاء وتفنيذ معتقدات كل فريق وسب مذهبهم^(١١٨)، زاد الموقف تأزماً وإشعالاً لنار الفرقة بين الطرفين^(١١٩)، مما دفع الإمام للحكم بكفرهم، وجعل كفرهم قسمين: إلحاد في ذات الله وإلحاد في فعله، فإلحادهم في ذاته أنهم

أثبتوا لله صفات قديمة، فجعلوه أكثر من واحد، وجعلوا وحدانيته خسة، وأما إحداهم في فعله فلأنهم نفوا عنه أعماله مثل الأمراض والمصائب، والبلايا والمضار، وأضافوا إليه أفعال البرية، فقالوا: بأنه تعالى لم يقصد فعل شيء بعد الأصول وهي عندهم الماء والهواء والريح والنار، وقالوا: بأن تحصل هذه الحوادث بإحالات الأجسام واستحالتها، وبأخذ عليهم عجزهم عن تحديد هذه الإحالات وتصرفها^(١١١١)، بينما يذهب عبد الله بن زيد العنسي إلى أن كفر المطرفية على أربعة أوجه: كفرهم في الله، وكفرهم في أفعاله، وكفرهم في رسله، وكفرهم في الوعد والوعد^(١١١٢).

سادساً: أهم معتقدات المطرفية:

وعن معتقدات المطرفية وجه أئمة الزيدية المخترعة التهم العدة للمطرفية، وأتتوها بالخروج عن الدين، فالإمام أحمد بن سليمان وجه لهم أكثر من نيف وأربعين تهمة. قال بنان المطرفية جمعتها من شتى فرق الضلال، حيث ذكر أنها أخذت عشر خصال من الطبيعية الملهدة، وأربع خصال من المجوس والثنوية، وسبع خصال من اليهود، وخصلتين من النصارى، وخمس خصال من عبدة الأوثان. وأربع من الباطنية، وخصلتين من المشبية، وثمان من القدرية، وثلاث من الحوارج^(١١١٣)، لذلك أخذوا من كل منهب أخته، فخرجوا من جلة المسلمين، وفارقوا أهل الملّة^(١١١٤).

وللتحقق من هذه التهم لابد من عرضها على الفكر المطرفي، الذي لم يبق منه سوى كتاب واحد، وهو "البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق"، الذي يذكر أن للعالم أصولاً أربعة هي الماء والهواء والرياح والنار، وهي أصل ما خلق الله... والعالم على كماله محدث مخلوق، والله تعالى خالقه، سواء خلق ما خلق من ذلك جملةً وتدرجاً، فالذي حصل على معنى التدرج كالحياوان من الماء المهيّن، والأشجار من الماء، والطين والمطر من السحاب، وكثير منه يزيد بعد النقصان كالإنسان وغير الإنسان من جماد وحيوان، فتبين أن من الأشياء فرعاً ومنها أصلاً^(١١١٥).

وقالوا بأن الله تعالى خلق العالم يَجِيل وتَسْتَجِيل^(١١١٦)، ومعنى ذلك يؤثر ويتفع إذا استعمله الإنسان على ما عليم الله سبحانه، ومُتَعَرِّباً إذا خالف تعاليم الله، كل ذلك جبراً، لا اختياراً، فما حصل منه من تأثير في الوجهين جسيماً هو من فعل الله، لا فعل له غيره، ولا موجد له سواء^(١١١٧)، ومعنى قولنا يستجبل هو يتغير.. وذلك كما يقول القائل النار تحرق والماء يروي، والطعام يشبع، والدواء ينفع، والسّم يقتل، كل ذلك بخير الله تعالى له، وكذلك يستجبل أيضاً جبراً من الله سبحانه

لا اختياراً^(١٢١)، لهذا يهتمهم خصومهم بأنهم نقروا جميع الحوادث عن الله تعالى وأضافوها إلى الإحالة والاستحالة^(١٢٢).

كما يعتقد المظرفية بأن الأعراض تسمع سماع العلم ولا تسمع سماع الحس، لأن الحواس لا تقع على الأجسام سواء كان الشيء مسموعاً أم ملموساً أم مسموماً^(١٢٣)، لذلك فنزول القرآن يكون بمعنى نزل ووصل لا بمعنى انحدر وانفصل، فسماعه بهذا المعنى يعنى العلم وليس النزول والانتقال^(١٢٤)، ولهذا تم توجيه الاتهام إلى المظرفية بأنهم يقولون بأن الله تعالى لم ينزل على البشر كتاباً من السماء، وأن كتب الله صفة ضرورة لقلب الملك الأعلى لا تفارقه، فيجدون كتب الله وآياته^(١٢٥)، وهو ما يذكره صاحب البرهان الرائق بقوله: "فإن قلت في قلب الملك فكيف تقولون بنزوله.. جواب: قلنا أن الله سبحانه خلقه في قلب الملك الأعلى"، ويستدل بحديث: بأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل كيف تأخذ هذا الرحي، قال: من ملك فوقي، قال: كيف يأخذه ذلك الملك، قال: يلقبه الله في قلبه^(١٢٦).

ويعتقد المظرفية أن جميع أفعال العباد كلها حسنها وقبيحها فعلهم، لا فعل الله سبحانه، لم يشاركه فيها مشارك، ولم يخلقها فيهم ولا أجبرهم عليها، وإنما أقدروهم على فعلها، ومكنتهم من إحداثها، وعرفتهم خيرها وشرها^(١٢٧)، وأن أفعال العباد لو كانت خلقاً لله تعالى لما جاز أن يأمر ببعضها وينهى عن بعض، لأن أمر الإنسان بما لا يقدر عليه ونهيه عما يعجز عن الامتناع عنه قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح^(١٢٨)، يقول المحلبي: "من قال أنه تعالى خلق لأفعال العباد ولم يفرق بين الحسن منها والقبيح، ومن قال أنه غير خالق لها لم يفرق أيضاً بين الحسن والقبيح منها، وأيضاً فإنه لو كان خالقاً لما هو حسن من فعل العبد، لبطل الأمر كما يبطل النهي، أو كان خالقاً لما هو قبيح من فعله لبطل الثواب كما يبطل العقاب، ولبطل المدح كما يبطل الذم"^(١٢٩).

وتقول المظرفية أن الله سبحانه لا يُكلف أحداً من خلقه ما ليس في وسعه لأن تكليف ما لا يطيق قبيح، وهو تعالى لا يقبل القبيح^(١٣٠)، وأنه تعالى لا يعذب من لا ذنب له ولا يريد الظلم ولا يرضى الكفر ولا يحب الفساد، لأنه تعالى لا يفعل شيئاً من القبايح^(١٣١)، وبناءً على ذلك فلن ينال ما عند الله إلا بطاعته، أو بالفضل، ولا يتفاضل أهل التكليف عند الله سبحانه إلا على حسب تفاضلهم في الأعمال^(١٣٢)، لا في الأعراض، ويقولون بأن كل ما استحقه العبد المؤمن من ثواب أو عقاب لا يكون إلا بالعمل وبالتالي ينفي ذلك الأعراض عما يصيب المؤمن من أمراض

وأفات^(١٤١١)، فالعروض عندهم ثلاثة أوجه: إما أن يكون مساوياً للثواب أو ناقصاً عنه، أو زائداً عليه، فإن زاد عليه فهو أفضل منه، والقليل أفضل من العامل الصحيح، وذلك مخالف لقوله تعالى: "وقضل الله المجاهدين على القاعدین أجرأ عظيماً"^(١٤١٢)، ... وإن كان مثله فقد كان ينال ذلك بعمله، فأين ما في مقابل الألم... وإن كان العوض دون الثواب فما وجه الحكمة في إيصال النازل إلى العبد مع أنه كان يصل بعمله إلى أفضل من عوضه...^(١٤١٣)، وقد وجه خصوم المطرفية الاتهام إليهم بتقيهم للعوض على ما أصاب المؤمنين بأن ذلك إضافة الظلم إلى الله، تعالى الله عنه علواً كبيراً^(١٤١٤).

وقال المطرفية بأن الله ساوى بين الخلق بسنة أمور هي: الخلق والرزق، والموت، والحياة، والتعب، والمجازاة، وخالف بينهم في ثلاثة هي: الصور، والألوان، واللغات^(١٤١٥).

والأرزاق عند المطرفية على ثلاثة أوجه: الأول: المساواة في الرزق بين جميع العباد، فيفقر بعضاً ويغني آخرين بدون سبب، قال تعالى: "الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يمتكم ثم يحييكم"^(١٤١٦)، والضرب الثاني: التفضيل في الأرزاق قال تعالى: "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق"^(١٤١٧)، والضرب الثالث: وهو أن الله يقلل الرزق بالمعصية ويكثره بالطاعة، قال تعالى: "إن شكرتم لأزيدنكم ولأن كفرتم إن عذابي لشديد" فأخبر أنه يزيد في الرزق بالشكر، ويعدب على الكفر بسلب الرزق وغيره^(١٤١٨).

كما ذهب المطرفية بأن الأرزاق لا تنتم إلا بالاكْتِسَاب "ولو لم يكسبه لم يكن معهم، فمن يَمَكَّنْهُ الكسب وتَرَكْهُ كان فقره من نفسه لا من ربه"^(١٤١٩)، وقد تقل الأرزاق بأسباب من العباد كترك العناية بزراعتهم وأراضيهم... وقد تقل الأرزاق بتدخل من المخلوقين، نحو أن يُقْبَل له مالا فَيُغْنَى به، أو يَأْخُذ له الظالم مالا فيفتقر^(١٤٢٠).

واعتبر المطرفية المال الحرام ليس رزقاً^(١٤٢١)، وقد نَسَبَ إليهم خصومهم القول بأن الأرزاق ليست من الله، ولكنها تحصل بالاكْتِسَاب والضرب في الأرض، والتحايل وسائر الأسباب، ونحوها عن الله، وبأنه سبحانه لا يبرق العصاة^(١٤٢٢).

أما في الموت فذهبوا إلى أن الأعمار تختلف باختلاف البنية والأوطان والأزمان... فمن صحت بنيته، واعتدلت مادته وطابت محلته، وبرت من معاصيه ساحتها، حتى طالت مدته، واستوفى

عمره، ما لم يظلمه غيره يقتل بقطع به أجله^(١٤٦٦)، والأجل هو الوقت الذي غلبه الله أن الإنسان يموت فيه، أما أنواع الأجل فثلاثة: الأول: أجل ضربه الله سبحانه لعباده إذا سلبوا الهوارم، قال تعالى: "ولمغنا أجلنا الذي أجلت لنا"^(١٤٦٧)، والأجل الثاني: أجل النعمة قال تعالى: "إن أجل الله إذا جاء لا يأخر"^(١٤٦٨)، الأجل الثالث: أجل محتوم وهو الذي يقطع نَسَب من العبد إما عمداً أو خطأ^(١٤٦٩).

أما عن موت الأطفال فيقول المحلّي: "وأما الأطفال فإن الله خلقهم للعبادة، فإذا ماتوا قبل البلوغ قلنا أنهم ماتوا في ذلك الوقت لجناية الغير عليهم، وهو تعالى تُميتهم وفاعل موتهم، ومن أنكر أن يكون الموت فعلاً لله سبحانه أنكر خلق السماوات والأرض وذلك الغير الجاني عليهم يسمى لهم مُميتاً حقيقة بالجناية الواقعة منه"^(١٤٧٠).

وقد نُسب للمطرفية القول بأن الأعمار والأجال والموت والحياة، تقع بحسب الطبائع والمواد، وأن موت الطفل ليس من رب العباد، كما نسبوا إليهم أن الإنسان يقدر على تأخير عمره إلى مائة وعشرين سنة، بإصلاح معيشتة وغلذاته، ومعرفة دانه من دوانه^(١٤٧١)، وُتتهم المطرفية بأنها كفرت بأربعمائة وثلاث وسبعين آية صريحة لا تحتمل التأويل، ولا خلاف من الأمة بكفر من ردة آية واحدة، فكيف من ردة كل هذه الآيات^(١٤٧٢).

سابعاً: القضاء على المطرفية نهائياً من قبل الإمام عبد الله بن حمزة:

استقر رأي الإمام عبد الله بن حمزة على ضرورة مواجهة المطرفية بما أصبحوا يشكلونه من تهديد خطير له، وقد تناما شعور الإمام عبد الله بن حمزة بالخطر من جانب المطرفية لما يروته من عدم اشتراط العلوية في الإمامة، ونفي شرط العلوية يعني عدم شرعية الإمام عبد الله بن حمزة على حساب مقتضى القواعد الزيدية، خاصة إذا علمنا أن الإمام عبد الله بن حمزة شخصية طموحة، فقد كان يفكر بأن تصل دولته إلى الحجاز والشام^(١٤٧٣)، حيث يذكر يحيى بن الحسين بأنه قرض المكوس على أمراء الحجاز وكانوا يدفعونها على مضض^(١٤٧٤).

فعمز على التحول من سياسة المهادنة والمناظرة إلى سياسة استخدام القوة، وقد ساعدته الظروف في ذلك، إذ استغل عقد الهدنة بينه وبين الأيوبيين في أواخر سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م^(١٤٧٥)، للقضاء على خصومه من المطرفية، فقد قام الإمام بقتل رجل لشهادة الشهود بأنه مطرفي بعد أن رفض التبرؤ من المطرفية^(١٤٧٦)، فلما بلغ ذلك المطرفية اشتد جزعهم

عليه. وعظم عندهم الخطب فيه، وأبقتوا بالهلاك، فأنشئوا الأشعار، وبنوا الكتب في الأقطار، وبعثوا الرسل إلى الأفاق بالرسائل^{١١٧٧}. ويظهر من خلال بعض الإشارات في السيرة المنصورة أن الإمام كان قد أصدر حكمه في المطرفية خلال هذه الفترة باعتبار دارهم دار حرب، فتحكم الإمام على المطرفية بأحكام أهل الحرب، وأن مكاتمتهم التي سموها حجراً حكمها حكم دار الحرب، فتحرم مناكرتهم وموارثتهم، وأكل ذبائحهم، وقترهم في مقابر الإسلام والمسلمين، إلى غير ذلك من أحكام المشركين^{١١٧٨}. فالمطرفية في نظرهم أكثر من النصارى واليهود بما لا يرتاب فيه منصف^{١١٧٩}، بل أجازوا قتلهم غيلة، وغزوهم ليلاً ونهاراً، وتحرقهم^{١١٨٠}.

وقد سعى الإمام عبد الله بن حمزة إلى التكتيل بمذهب المطرفية واعتبار أتباعه كفره ضالين ويجب عليهم التبرؤ من مذهبهم إن هم أرادوا العيش بأمان في مناطقهم، حيث يذكر ابن دعثم أنه قُتل قتل الرجل المطرفي كان قد تم القبض على مجموعة من المطرفية، تبرؤوا من مذهبهم، وبايعوا الإمام، وأعطوه العهد على الخروج من مذهب المطرفية عندها كتب (الإمام) لهم كتاباً فيه أسماؤهم، وصفاتهم، وشبانهم، مخافة أن يُظلموا بمساعدة، أو غيرها فيجري عليهم حكم المطرفية^{١١٨١}.

ARCHIVE

عندما تكررت حوادث قتل الإمام للمطرفية اجتمعوا للتشاور لاتخاذ القرار الذي سيشكل حتمية الصراع بين الفرقتين دون تراجع، ذلك القرار الذي تمثل في إسقاطهم لإمامة عبد الله بن حمزة، وتعيينهم إماماً خاصاً بهم، فاختاروا الشريف يحيى بن منصور بن مفضل، في اجتماعهم في ذي مرمر، وأعلن السلطان بشر بن حاتم تأييده لهم^{١١٨٢}، وأعلنوا قدمهم لمناظرة الإمام في ثلث في الموعد الذي حدده، وإن لم يحضر سقطت إمامته، غير أن الإمام اعتذر عن الحضور^{١١٨٣}، فحاول المطرفية أن يستغلوا ذلك لمصلحتهم، فـ"أشعروا الناس أنهم جاؤوا لمناظرة الإمام وأنه وعدهم لذلك إلى ثلث ليوم عيَّثوه، وأنه إن لم يلقهم لذلك اليوم سقطت الإمامة، واعترف لهم بأنهم على الحق... وأشعروا الناس خلاقهما عليه.. وحضوهم على جمع أهل البلاد والحديث في الأسواق"^{١١٨٤}.

دفع ذلك الإمام إلى كتابة رسالة عامة لكافة الناس يصرح فيها بكفر المطرفية، وردتهم، ويقرر حكمه فيهم إن أظفرو الله عليهم "فإن ظهرنا عليهم بنصر الله قتلنا المقاتلة، وسببنا الذرية، وبنا النساء والعيال، كما يفعل بالمشركين، ولم يكن عندنا لكل حالٍ إلا السيف"^{١١٨٥}.

فعلت هذه الرسالة بالمطرفية فعلها بين القبائل وفي المجتمع، إذ تأثر وضعهم ونظر الناس

إليهم كفرقة مرتدة، فصار الرجل إذا سب صاحبه قال: بامطرفي، وصار الواحد من المطرفية إذا أراد دخول بعض الأسواق لا يدخلها إلا متكسماً أو في ذمة أو جوار^(١١٧٧).

وبعد أول خير عن ابتداء قتل الإمام للمطرفية إلى سنة ١٢٠٦/٥٦٠٣م، عندما أمر أخاه عماد الدين يحيى بن حمزة بمضايقة أهل هجرة قاعة، وقتل من أمكنه منهم، فقطع الأمير موادهم، وأحاقهم في طرقاتهم^(١١٧٨)، فلما ضاقت أحوالهم بقاعة بعثوا صريحاً إلى وقش قاتى إلى مسجدهم وهم على اجتماعهم، فكسر عصاه، وفرق جرابه، وقال: أدركوا إخوانكم وإلا فهم هالكون، وحكى لهم ما انتهى إليه أمرهم، وأن الأمير فرض عليهم الزنار علامة لهم، فلما بلغهم ما حلَّ بأصحابهم من الحزى والتكال تكاتبوا، وأجمعوا رأيهم على الغارة إلى أصحابهم^(١١٧٩).

تقدم الإمام في ثلاث خلت من جمادى الآخرة سنة ١٢٠٦/٥٦٠٣م، إلى قرية مُدَع من مصانع حمير فحفظ بجانب البلد من شرقها وجسع الناس وأبان لهم أمور المطرفية واتضح ردهم وكفرهم، فعظم ذلك على الناس لما كانوا يُجَلِّون المطرفية ويعتقدونهم^(١١٨٠)، وقد حاجج جماعة من الناس من أهل البلد عن المطرفية وسألوا الإمام عن السبب الذي استجلبت به المطرفية اسم الردة؟ فألزمهم إحضار علما - أهل هجرة قاعة إن أرادوا ذلك، وإن لم يقبلوا من مذهب المطرفية، وأمهلتهم حتى صباح اليوم التالي، فلما حضروا ذاتوا للإمام وسلطوا له، ثم أرسل الإمام رجلاً من قبله إلى قاعة يعرض على أهلها من المطرفية العودة عن مذهبهم، وأمهلتهم ثلاثة أيام، فعددوا مناظرة في مسجد قاعة، أقر المطرفية خلالها للإمام بكل مسائل الخلاف، ما عدا مسألة واحدة وهي قولهم بأن فعل العبد لا بعده، ولا يوجد في غيره لظنهم أنهم لا يكفرون بالالتزام بهذه المسألة^(١١٨١).

دخل الإمام هجرة قاعة وعرض على أهلها البراءة من مذهب المطرفية ولعن كبارها، والدخول في الإسلام باللفظ، وقبضت دور وأملاك الذين أجّلوا عنها لبيت المسلمين، واعتبر مسجد قاعة مسجد ضرار، ثم قبضه ووهبه للإمام للفقهاء بها، الدين على بن أحمد الأكرع، وأقيمت المدرسة المنصورية بها لتدريس علوم المخترة، وكلف للتدريس بها من قبل الإمام الفقيه أحمد بن محمد المحلي^(١١٨٢).

لما قبض الإمام على هجرة قاعة وأخرج المطرفية عنها، أقبلت الهجر التي حولها بالطاعة والمبايعة للإمام^(١١٨٣)، ووقت ملاحقة المطرفية في بيت علما^(١١٨٤)، وحصن بكر^(١١٨٥)، الذي كان فيه شيخ مطرفي أعمى كان يعمل على نشر أفكار المطرفية بقوة، وصدق وعزيمة، وانتقل من هجرة إلى

أخرى، فطلبه أنصار الإمام، مما دفع البعض للتقدم إلى الإمام يطلبون منه الأمان لهذا الشيخ، فرفض الأمام وطلب الشيخ المطرفي وقبض عليه، وأمر بضرب عنقه^(١٧٧)، فأقبلت المطرفية من هجرها من جهة المغرب أفراداً وأزواجاً، ودخلوا في طاعة الإمام، واعتنقوا مذهب الاختراع^(١٧٨).

ومن الغريب أن يتهاوى علما -المطرفية في المناظرات التي عقدها مع الإمام بتلك السرعة، وذلك أن تخليهم عن معتقدات مذهبهم وهم المشهور عنهم السعة والتحرر في العلوم أمر يثير الحيرة، ومن ثم فإننا أمام أحد احتمالين:

الأول: أن تكون هذه المناظرات قد تمت تحت تهديد السلاح.

والثاني: أن يكون أبو فراس بن دعشم قد بالغ في وصف انتصار الإمام عبد الله بن حمزة، وغلبته في هذه المناظرات^(١٧٩)، وما يُرجَّح مبالغات ابن دعشم في انتصارات الإمام ما يذكره في السيرة من أن الانتقام الإلهي كان يحل بالمطرفية كلما حاولوا التعرض للإمام بالشتم والسب، فأخذ المطرفية سب الإمام فهاج عليه أحد الكلاب واستخرج لسانه من بين الأضراس وشذخها^(١٨٠)، والمشرقي (محمد بن منصور بن مفضل) شتم الإمام، فزلت به رجله فعصفها وخرَّ معشياً عليه^(١٨١)، وأهل ذي مرمر بهجرة روسج بواذي السر، استقبلوا المطرفية واستنصافوهم فاستدارت عليهم صحابة فأصابتهم ببرد دون سائر البلاد التي حولهم، لم تدع شيئاً من الزروع والأعشاب، فرحل المطرفية إلى موضع يسمى القفار، فحدث لأهل هذا الموضع ما حدث لسابقه، ولما نزل المطرفية هجرة الظهراوين بشطب، وأطلقوا ألسنتهم بالسب والأذى رماهم الله تعالى في موقعهم ذلك ببرد، فاجتاح أعنابهم وزروعهم خاصة دون أهل شطب^(١٨٢).

هدأت الأمور نسبياً بين الإمام والمطرفية حتى سنة ١٢١٢هـ/١٢١٢م، عندما خرج محمد بن منصور بن مفضل وكان يُدعى "المشرقي" لترده بين وقش وممتلكاته في خولان العالية (المشرق)، فجمع المطرفية في وقش وغيرها، وتوجه بهم إلى مسور، وأنكر على الإمام ما وقع من تكفيرهم^(١٨٣)، ولعل سلطان مسور كان قد وعدهم النصرة بالمقاتلين، حيث يتوجه المشرقي ومن معه من المطرفية ومن ناصره من رجال القبائل لحصار قوات الإمام في حصني عمران والمصنعة^(١٨٤).

عمل الإمام على منع هذا التحالف والمناصرة من القبائل للمشرقي أو المطرفية، فكفر المشرقي ومن تبعه، كما جعل موالاته كفر، ومن شك بكفر المطرفية فهو كافر أيضاً، يقول: "الشقي المشرقي رأسهم وستانهم وسيقهم ولسانهم ... المعلوم من حال الشقي أنه بنى أمره على الكذب .. وذلك أنه ادعى الإمامة، وهو غير مستحق لها، وذكر أنه وجد كنوز دقيانوس (دقلد بانوس) وهي

ودائع آل قنبر. فطوقته العار طوق الحمامة، لما استوعب من الوديعة وادعاء من الإمامة^(١١٨١). ثم يقول في تكفير من ناصر المشرقي: "إن حكم من بايع المشرقي كافر شقي وتصويبه كفر، وكذلك جبه والحرب زايد على ذلك، لأنه يتضمن النصرة والولاية.. وحكم تابعه حكمه"^(١١٨٢).

قرر الإمام أن يحسم أمر المطرفية بالقتال، فوجه أخاه يحيى بن حمزة إلى بني الفُلبجي غربي مُدَع "فقتلهم وسباهم، وأرعب قلوب أهل تلك الجهة"^(١١٨٣). كان أمر السبي للنساء في هذه المعركة هو الأول من نوعه عند زيدية اليمن منذ عهد الهادي، حيث سُنسى نساء المطرفية باعتبار دارهم دار حرب، وعلى أنهم كفار في نظر الإمام، وهناك العديد من النصوص الزيدية التي أياحت سبي النساء، وحرضت القبائل عليه منها: ".. فلأجل ما قلناه جاز قتلهم، وسبي ذرارهم، وتغنم أموالهم، لأن هذا حكم المرتدين إذا تغلبوا في دار... وإنما تُنكر سبي الكفار من لا يعرف الأثار... فكيف يرتاب ذو عرقان في جواز قتل المطرفية وسبي ذرارهم وتغنم أموالهم، وتنزيلهم منزلة الحربيين، مع عقاندهم الكفرية التي زادوا في كثير منها على اليهود والنصارى، وغيرهم من الضلال الهيارى"^(١١٨٤). ويقول: "أنزل (الإمام) بهم أنواع النكاح من الفلك والسبي وتغنم المال، وجعلهم بمنزلة الكفار الحربيين لأنهم كفروا وصارت لهم شوكة"^(١١٨٥). كما انطبقت بقية أحكام دار الحرب والدار الكفرية على المطرفية، فمساجدهم حترانية، وإذا باع المظرفي ما ورثه من قريبه المظرفي بعد إسلام اليتام كان يبيعه مختلاً إلا أن تكون الدار دار إسلام وينتقل المظرفي إلى دار الإسلام، فأما في دار الكفر فلا يصح بيع المسلم، وإن أسلم أحد أزواج المطرفية دون الآخر انفسخ النكاح^(١١٨٦). وعن قوة النكاح بالمطرفية قال حميد المحلي: "وقد اجتهد الإمام عبد الله بن حمزة في تدمير المطرفية وصب عليهم كل محنة وبلية، حتى صاروا بين قنبل وطريد، وأجرى فيهم الأحكام من القتل وسبي الذرية في البلاد الحميرية وغيرها من التواحي المغربية"^(١١٨٧).

كما أمر الإمام بهدم مسجد المطرفية في سناع، وهدم هجرة وقنس دورها ومسجدها، وخرج أهلها إلى بلاد آس وخولان، وذهبوا كل مذهب^(١١٨٨).

كتب أحد المطرفية ويدعى ابن النساخ^(١١٨٩)، رسالة وجهها إلى الخليفة العباسي الناصر أحمد بن المستنصر^(١١٩٠). يحرره فيها على حرب الإمام^(١١٩١). لكن هذا الخليفة كان من الضعف، بحيث لا يمكنه فعل أي شيء في حالة افتراض أن هذه الرسالة قد وصلت^(١١٩٢). إلا أن ما بلغت النظر استمرار الإنكار على السبي والقتل للمطرفية، واعتبار دارهم دار حرب، وهو الأمر الذي دفع الإمام إلى كتابة العديد من الرسائل للدفاع عن رأيه في المطرفية، منها: رسالة أسماها "أجوبة تتضمن ذكر

المطرفية، وهي عبارة عن إجابات عن كثير من الانتقادات والتساؤلات، التي وصلت الإمام عبد الله بن حمزة بسبب قتله المطرفية، وسببه لأبنائهم، ومصادرة ممتلكاتهم^(١١٤).

ثم ألف الرسالة الهادية بالأدلة البادية في بيان أحكام أهل الردة^(١١٥)، لإقناع المنكرين بسلامة قراراته، وأنه بنى حكمه فيهم على أدلة لا تقبل الشك، لكن موجة الإنكار تواصلت مما دفع الإمام إلى تأليف رسالة أخرى بعنوان: الرسالة الموسومة بالدرة البشيمة في تبين أحكام السياء والغنيمة^(١١٦)، حيث يقول في سبب تأليفها: "... فلما تكرر السؤال من الأصحاب وحق كل محب أن يُجاب، أنشأنا هذه الرسالة وسميناها الدرّة البشيمة في تبين أحكام السياء والغنيمة..."^(١١٧).

انحسر الفكر المطرفي وضعف أنصاره نتيجة لتلك الضربات الموجعة، وهو الأمر الذي دفع كثيرا منهم إلى الرجوع عن معتقداتهم، واعتناقهم مذهب الإمام، الذي ارتضاه لهم، وبوفاة الإمام عبد الله بن حمزة سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، انحسرت موجة الصراع التي ميزت فترة حكمه، وأفسحت المجال أمام المناقشة والمجادلة التي تنبأها بعض علماء المخترعة دون أن يكون ذلك بتكليف من السلطة الإمامية، ويبدو أن جهود هؤلاء العلماء قد حققت نتائج إيجابية^(١١٨)، يقول أحد دعاة المخترعة -في منتصف القرن السابع- أنه قد صنف تصانيف كثيرة في أصول الدين، ثم قام بكتابة رسائل إلى المخالفين، فرجع كثير منهم، وجماعة وأقرب من رؤساء المطرفية، والمطرفية أكثر من رجوع إلى الحق، وذلك لما كانوا عليه من الخوف لله^(١١٩)، وهذا يعني أن مذهب المطرفية قد خرج من صراعه مع الإمام عبد الله بن حمزة في حالة من الضعف، فبدأ في الذبول، فلم يأت منتصف القرن الثامن الهجري إلا وكان المذهب المطرفي قد تلاشى تماما^(١٢٠)، وقد ذهب البعض بأن الفكر المطرفي استمر في بلاد اليمن نحو ثلاث مائة سنة^(١٢١).

الهوامش

١- عبد الفتاح فؤاد: الإمام الزيدي أحمد بن سليمان وآراءه الكلامية، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٦م، ص١٤٨.

٢- يذهب الأستاذ الدكتور محمد الحريري إلى تقسيم تاريخ زيدية اليمن إلى ثلاثة مراحل: المرحلة الأولى تبدأ من عهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين حتى انهيار دولة الأئمة الزيدية في سنة ٤٤٤هـ. وخلال هذه المرحلة نجح الإمام الهادي في نقل المذهب الزيدي من مرحلة الفكر النظري إلى مرحلة التطبيق العملي، فازدهر المذهب الزيدي وتعددت المؤلفات فيه حيث كان على رأس المؤلفين في هذه الفترة الأئمة الزيدية أنفسهم وأبنائهم، والمرحلة الثانية: تبدأ بانشقاق مطرف بن شهاب عن الزيدية، ونشوء فرقته التي تنسب إليه فرقة المطرفية، ودخولها في صراع مع أئمة الزيدية، ومنهم الإمام أحمد بن سليمان، والقاضي جعفر بن عبد السلام، الذي جلب كتب المعتزلة من العراق، وناظر بها المطرفية، وبذلك تأثر زيدية اليمن في هذه المرحلة كثيرا بكتب المعتزلة، المرحلة الثالثة: تتميز بظهور جبل جديد من علماء الزيدية معارضين للتأثر الزيدي بالترات للمعتزلي، وقاموا بحركة كبرى لأحياء المذهب الزيدي في صورته التي كان عليها زمن قدامى الزيدية، وكانت بداية ذلك في مطلع القرن السادس الهجري، ومن أمثلة هؤلاء العلماء: حميدان بن حيطان، وعبد الله بن زيد العنسي، انظر: (١) محمد عيسى الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة منتزعة من كتاب شفا صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، صفحات (٤٤-٧٥)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، ص٥٣-٥٨.

٣- سُئِنَتِ المخترعة بهذا الاسم لقولها باختراع الله الأعراض في الأجسام، انظر: (علي بن الحسن بن القاسم: ذوب الذهب في محاسن أهل الأدب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ١٠٥٦، تاريخ، ورقة ١٤، باب جمال الدين بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (بني الوزير) علماء الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم ٩٥٦، تاريخ، ج١، ورقة ١٣٤، ج٢، ورقة ٢٠١، أمين فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٩١، ويستند دليل الاختراع لحدود من الآيات القرآنية المثيرة لغفان العقول، في الوقوف على معرفة موجد هذا الكون، وهذه الآيات كثيرة منها: "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار" إلى قوله تعالى: "آيات لقوم يعقلون" (البقرة/١٦٤)، وقوله تعالى: "وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه يأكولون" (يس/١٦٤)، وكما يقول ابن رشد أن هذا الدليل من أدلة الشرع على الصانع، ويحرره بقوله أن: "هذه الطريقة تنبئ على أسلين موجودين بالقوة في قعر الناس، أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات، وكما قال تعالى: "إن الذين يدعون من دون الله لئ يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له" (الحج/١٧٣)

فإننا نرى أجساماً جمادية تحدث فيها الحياة، فتعلم قطعاً أن هاهنا موجد للحياة ومنعماً بها.. أما الأصل الثاني، فهو أن كل مُخْتَرَعٍ قلبه مُخْتَرَعٌ، فيصح من هذين الأصلين أن للموجودين فاعلاً مخترعاً له. وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات كان واجباً على من أراد معرفة الله أن يعرف جواهر الأشياء.. ليقف على حقيقة الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات. (أحمد عارف: أصول الاتفاق في القضايا الكلامية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٤٧، ١٤٨).
 وينذهب المخترعة إلى أن أفعال الله تعالى قسمين: قسم مخترع ابتداءً، وقسم مخترع متولد عن سببه، ولو شاء الله لأبطل سبب السبب، فلم يحصل عنه السبب، وهو ما يذكره الإمام عبد الله بن حمزة إذ يقول في الشافي: "لأنه سبحانه يفعل أفعاله اختراعاً سواء كانت مبتدأة أو متولدة فإن المتولد في حكم المبتدأ". انظر: (بدر الدين المحمدي: حوار حول المطرقة تعليق على مقال: "الجماعات - المساجد في شمال اليمن، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، ص ٧٠).

٤- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية الصغرى، نسخة مصورة لدى الباحث عن نسخة لدى الدكتور عبد الرحمن الشجاع، ورقة ٧٣، ٧٤، أحمد عارف المرع السابق، ص ٣٠. أمين فزاد سيد: مصادر تاريخ اليمن، ص ٩٠.

٥- انظر: عبد الله الحبشي: المطرقة مذهب مجهول في اليمن، مجلة السن الجديد، صفحات (٤٧-٥١)، العدد الثالث، السنة السادسة، نوفمبر ديسمبر، ١٩٧٧م، ص ٤٧، <http://www.4777.com>

٦- يحيى بن الحسين: أنبا، الزمن، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٤٤٧)، ورقة ٣٧، عبد الله الحبشي: المطرقة مذهب مجهول في اليمن، ص ٤٧، ويذكر ماد لونج أن مطرف بن شهاب حاضر الإمام الحسين بن القاسم العياني. انظر: Wilferd Medelung Islam in Yemen, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at The Staatliches Museum für Völkerkunde München (25 April 1987 to 5 April 1988), Published by Pinguin-verlag, Innsbruck, Umschau-Verlag, Frankfurt/Main, PP. 174-177. P. 178

٧- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٢، القاضي إسماعيل الأكوخ: فجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ج ١، ص ١٦٦، ١٦٧.

٨- ابن أبي الرجال: مطلع البدو، مخطوط مصور لدى الباحث عن نسخة الدكتور عبد الرحمن الشجاع، ج ١، ص ١٦٥.

٩- بينما ذهب آخرون إلى أن مؤسس المطرقة هو مطرف بن شهاب. انظر: (ولفرد ماد بلونج: أصول الهجرة اليمنية، ص ٢٠، إسماعيل الأكوخ: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣م، ص ٥٥).

١٠- رثّة: يقنح أوله بمدينة اليمن على مسيرة يوم من صنعاء. ذات عبون وكروم. (يحيى بن الحسين، غاية الأمانى في أخبار القطر اليمني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص ١٧٧ هامش ٢). وهي على بعد ٧٠ كيلو مترا من صنعاء. (إسماعيل الأكرع: البلدان اليمنية عند بالقوت الحموي، الجليل الجديد، صنعاء، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٣٥، هامش ١).

١١- هو مطرف بن شهاب بن عمرو بن عباد الشهابي، (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، يسمي بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، تحقيق: عبد السلام عباس الوجهه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص ١١٢٥، الأكرع: حبر العلم، ج١، ص ١٦٥)، كان يعمل حراثاً، ثم كره العمل واتجه إلى طلب العلم، فترك بيت جنس عربي صنعاء، واستعان بما معه من أموال على الدراسة في صنعاء. وريدة على شيخ عصره. يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٢، الأكرع: حبر العلم، ج١، ص ١٦٥، ١٦٦). لذلك ذهب البعض أن من أبرز مهام المطرفية نشر أفكارها في أوساط القبائل والمزارعين، فنشرت التعليم في أوساط شعبية لم تكن تاريخياً من الأسر والبيوت التي تهتم بالتحصيل العلمي. (علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، في القرن السادس الهجري، المركز الفرنسي، صنعاء، ط١، ١٩٩٧م، ص ٩، وكان مطرف منقطع النظر في المجادلة وإقحام الخصوم بالحجة والدليل، عن ذلك مناظرته لعلي بن محمد الصليحي، الذي حاول إخراجه عن مذهبه، فابتدأ الصليحي مناظرة مطرف بقوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ستختلف أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها حالكه إلا وحدة، فقال مطرف: نعم قال صلى الله عليه وسلم، الحق ما اجتمعت عليه الأمة والباطل ما اختلفت فيه، ولن تجتمع أمتي على ضلالة، وقد اجتمعت أنا وأنت على إمامي، -يعني علياً- واختلفنا عند إمامك، يعني إمامة المهدي العبيدي، فأعرض الصليحي عنه (أحمد عارف، مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية في اليمنيين بين القرن الثالث والخامس الهجري، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص ١٧٨).

٢١- علي بن الحسين بن القاسم بن أحمد بن المنصور: ذوب الذهب في معاصر أهل الأدب، ورقة ١٤، ابن حمال الدين ابن الهادي بن المرتضى: تاريخ السادة العلماء، الفضلاء الأئمة (بني الوزير) علماء الزيدية، ج١، ورقة ١٣٣، ج٢، ورقة ١٩٩، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٢، أحمد عارف، المرجع السابق، ص ١٧٨، د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، قطعة منترجة من كتاب شفاء صدور الناس للشرقي المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، العدد ٢٦، المجلد السابع، ١٩٨٧م، صفحات (٤٤-٧٥) ص ٥٥. Al-Qadi Isma'il Bin Ali al-Akwa', Nashwa'n. ٥٥. Ibn Sa'id al-Himyari and the Spiritual, Religious and Political Conflicts of his Era. Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at- -The Staatliches Museum Fur Volkerkunde Munchen (25 April 1987 to 5 April 1988), published by Pinguin-verlag, Innsbruck Umschau-Verlag, Frankfurt/main, PP.212-231. P.215.

- ١٣- عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطربة الطغام. مخطوط مصور لدى الباحث، عن صورة لدى محمد جعفر الباحث في جامعة أسيوط. ورقة ٦ لوحق.
- ١٤- عبد الله زيد العنسي: التمييز بين الإسلام والمطربة الطغام. ورقة ٥٧ لوحق. ٥٨ لوحقاً.
- ١٥- علي بن الحسين بن القاسم: ذوب الذهب. ورقة ١٤٠. يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية. ورقة ٨٢.
- ١٦- عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطربة. ورقة ٥٨ لوحق. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ١١، ١٢.
- ١٧- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ١٢.
- ٨١- (عبد الله بن حمزة: أجوبة تضمن ذكر المطربة وأحكامها، ص ١٤٣، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن للدكتور عبد الغني عبد العاطي، صفحات ١٤٢-١٧٤) عين للدراسات، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ١٩- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٤.
- ٢٠- بيت حُثيبي قرية في الغرب الجنوبي من صنعاء (المحلي: معجم المثل والنائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٩٨٥م، ص ٦١)، وهي قرية عامرة من مخلاف بني شهاب الأعلى، وكانت قديماً من مخلاف القُعَل من بني مطر وأعمال صنعاء، وهي في الغرب الجنوبي منها، كانت من القرى المشهورة بالعلم والعلماء، وكانت من مراكز المطربة، (الأكويح: هجر العلم ومعالقه في اليمن، ج ١، ص ١٦٣، ١٦٤).
- ٢١- سَبَاح: قرية على بعد ٨ كيلو مترا من صنعاء، كانت مقراً للمطربة. (المحلي: المرجع السابق، ص ١٢٤)، وقيل تبعد عن صنعاء ١٠ كيلواً متراً. (د. الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ١٥٥).
- ٢٢- هَجْرَة: هي مفرد هَجْرَات، وهو موضع يسكنه العُثَاد وأهل العلم. (محمد رضا الدجيلي: الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٥م، ص ١٦٠).
- ٢٣- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٠.
- ٤٢- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري، ص ١٧، ١٦.
- ٢٥- مسلم اللحجي: أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور / عبد الرحمن الشجاع، ج ٤، ورقة ٩٩.
- ٢٦- عبد الله الحبشي: المطربة مذهب مجهول في اليمن، ص ٤٨.

٢٧- عبد الله بن زيد العنسي: التمييز بين الإسلام والمطربة الطعام، ورقة ١٠٤، لوحة أ. ب.

٢٨- اللحيي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ٥٢.

٢٩- المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٢.

٣٠- المصدر السابق، ج٤، ورقة ٥٢.

٣١- غنّس: يفتح أوله وسكون ثانيه، وآخره سين مهملة، مخلاف كان يُتْلَق على كثير من مخاليف ذمار المعروفة اليوم، ولكنه اليوم يطلق على مخلاف عنس السلامة، ويقع في مشرق ذمار، على مسافة خمسة عشر كيلو متر أو أكثر، وينسب إليه العلماء، بنو العنسي الساكنون في ذمار وغيرها. (الأكوع، البلدان الحياتية، ص ٢١٣، هامش ٣).

٣٢- اللحيي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة ١٢. يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٩٢.

٣٣- المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٣.

٣٤- حول ذلك أنظر: (عمارة اليمن: تاريخ اليمن، تحقيق: محمد زينهم، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ٥١، عبد الرحمن ابن الفيلبي: قرية العيون في أخبار اليمن المسنون، تحقيق: محمد علي الأكوع، المكتبة السلطانية، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٢٦٧. عبد الرحمن الوصافي: تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والأخبار، تحقيق: عبد الله الحشني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م، ص ٤٠. يحيى بن الحسين: غاية الأمان في أخبار القطر اليمني، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص ٢٦٧، د. عصام الدين الققي: اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، ص ١٧٠، أمين فؤاد سيد: المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص ١٥١، عارف تامر: أروى ملكة اليمن، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٧٣، السجلات المستنصرية، سجل رقم ٣٧، صفحات (١٢٦، ١٢٧)، وسجل رقم ٣٨، صفحات (١٢٨، ١٢٩) وسجل رقم ٢٢، صفحات (٨٠-٨٢).

٣٥- عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٨، ورغم ذكر ذلك فإنه من غير الواضح أن سباً الصليحي قام بالهجوم على سناح. وإنما قام بتهديد المطربة فيها، وما ذكره مسلم اللحيي يؤكد ذلك. حيث يشير إلى أن المطربة هم من قرر ترك سناح، ليقول: "لما أسد على الزيدية أمر سناح، وأجمعوا على الخروج عنها" (اللحيي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٨٩)، ويقول: "لما اضطرت الزيدية إلى الخروج عن سناح" (اللحيي: المصدر السابق، ج٤، ورقة ١٧٧)، ولكن التساؤل من الذي أسد عليهم مدينتهم؟ أو من أسطرهم للخروج عنها والإجماع على تركها؟ خاصة أنه من المستبعد أن يكون من أسدناح من داخلها.

إذا علمنا أنها كانت هجرة للطرفية وحدهم. ومن تبعهم. أو من قدم لناظرتهم ثم برحل عنهم بعد ذلك. إلا أن خروجهم عنها قد يكون لتأكدهم من هجوم محتمل من قبل سبأ الصليحي عليها. حيث كان قد عزم على ذلك بعد أن استطاع أحد القرين إليه يدعى محمد بن حميد التأثير على سبأ وتغييره لهماه المطرقية. (اللحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة٢١٤٢) وبالتالي فليس هناك ما يؤكد تقدم سبأ الصليحي إلى سناع وتدميرها.

٣٦- اللحجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة٧٧، ٧٨. عبد الله الحبيشي: المطرقية مذهب مجهول، ص٤٨.

٣٧- القبائل التي استشارها إبراهيم ابن الهيثم هي قبائل: بني شهاب، وحمير البدوية، وحضور، وسويد قضاة، وحدثان نهد. (وليفرد مادلونج: أصول الهجرة اليمنية، ص٢١، ٢٢).

٣٨- اللحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة٧٨٨.

٣٩- انظر: اللحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة٧٨٨.

٤٠- اللحجي: المصدر السابق، ج٤، ورقة٥٦٦.

٤١- انظر: د. سيد مصطفى سالم، وثائق يمنية، دراسة وثائق تاريخية، طبعة دار لكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٢٢٠-٢٢١.

٤٢- المصدر السابق، ج٤، ورقة٧٨٨، <http://Archivebeta.Bahkrit.com>.

٤٣- المصدر السابق، ج٤، ورقة٧٨٨، وقد ازدهرت هجرة وقش بالعلم والعلماء حتى بلغ مجموع من فيها من العلماء والمفتين نحو خمسمائة عالماً وقاضياً، وكان أكثر اجتماعهم في خلوة الحديث بمسجد وقش. (عبد الله الحبيشي: المرجع السابق، ص١٤٩).

٤٤- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٢٣٧ لوحة أ.

٤٥- مثل هجرة الروعة بالقرب من حضور الأحبوب، وهجرة جنب، التي تعرف بعين. (اللحجي: أخبار الأئمة، ج٤، ورقة٩٨، ١٠٤)، ويظهر من الواضح التي انتشر فيها المطرقية أنها في معظمها كانت (هجرة) تقع في مناطق قريبة من صنعاء، وفي تهامة، وفي أرض بكيل على الجانب الشرقي للخط الممتد بين صنعاء وصعدة. (د. الحريري: المرجع السابق، ص٤٥).

٤٦- د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص٥٧.

٤٧- د. محمود إسماعيل: الفرق الإسلامية في طور الانحطاط، صفحات(١٤٨-١٥٨). مجلة العصور الجديدة، القاهرة، السنة الأولى، العدد العاشر، يونيو ٢٠٠٠م، ص١٥٣.

٤٨- إبراهيم بن القاسم بن المنيد بالله: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، المجلد الثاني، ص ١١٢٥.
الأكرع: هجر العلم ومعاقله، ج ١، ص ١٦٦، عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ١٣،
١٤.

٤٩- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ١٤، غير أن يحيى بن الحسين يذكر: " إن كانت الأصول التي أحدثها المطرفية من أقوال الهادي بعده قيمة يستدلون به على الإمامة والاستحالة، فإن أقوال الهادي مجسلة لا تصريح فيها بما يذهب إليه القوم، وإنما أحدث هذا الرأي مطرف بن شهاب يفكره ونظرته، وتوهم أنه يوافق أصول الهادي وهي موافقة بعيدة". انظر: يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٨٠-١.

٥٠- يحيى بن الحسين المصدر السابق، ورقة ٨٤، الأكرع: هجر العلم، ج ١، ص ١٦٦.

٥١- مسلم اللحبي: أخبار الأمة، ج ٤، ورقة ٤٠٣، وهو ما يؤكد صاحب البرهان الرائق من أنه سيكتب مصنفه هنا، وينتزع ما يستحسنه من كتب العلماء، مما وافق مذهب الهادي يحيى بن الحسين (سليمان بن محمد بن أحمد المحلي: البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى الدكتور/عبد الرحمن الشجاع، ورقة ٢)، ويستشهد بكلام المرتضى بن الهادي ووالده الإمام الهادي، وخاصة كتاب المسترشد للهادي (المحلي: المناقب الزيدية، ورقة ٧٨، لوجب).

٥٢- علي بن شهر: هو رأس فرقة المخترعة من الزيدية، وكان إماماً واسع المعرفة في علوم الزيدية، وكان مقبلاً في "بيت أكلب" من نواحي جبال عيال يزيد، شمال صنعاء. (ابن المرتضى: تاريخ السادة (بني الوزير)، ج ٢، ورقة ١٩٩، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٧٤).

٥٣- المجزوي: روضة الأخبار، مخطوط معهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٤٣٦) تاريخ بين شمالي، ج ٤، ورقة ١٠، لوحة ب.

٥٤- سبق القول بأن فرقة المخترعة سميت بهذا الاسم لقولها باختراع الأعراض في الأجسام، إلا أن المطرفية ترى في الاختراع أن الأعراض متفرعة من الأجسام وينسبون هذا القول للإمام الهادي، فإذا كانت الأعراض فرعاً للجسم فالقول باختراعها باطل، لأن القتال باختراع الأعراض في الجسم يلزمه أن يُجَرِّد تعرى الجسم منه لا سيما إن أتكر أن له علة. (سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٧٨، لوحة أ، ب).

٥٥- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بضلال المطرفية الزنادقة، ص ٢٨٨، رسالة ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، للدكتور: عبد الغني عبد العاطي، صفحات (٢٧٤-٢٨٩).

٥٦- المصدر السابق، ص ٢٨٨، كما دخل الزيدية في جدال ومناظرة مع العديد من علماء المخترعة، مثل محمد بن حميد الزيدي، والعلامة سيعد بن بريه، (عبد الله بن حميد الدين: الزيدية قراءة في المشروع وبحث في المكونات، مركز التراث، صنعاء، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١١١).

٥٧- كما قام المطرفية بعقد مناظرات مع الأماضية فقد حدث أن رحل رزام بن أحمد من علماء المطرفية إلى شطب قاعدة الأماضية فولى بأصحابه في جماعة منفصلة عن جماعة الأماضية، ولما استنكر عليه أحد علمائهم ذلك قال لهم: رزام: إنما صَدُّنا عنكم ما نرى من تبرج نساتكم وإباحتم دخولهن الأسواق، ومزاحمة الرجال، ثم جرت بينهم مناظرة فلم يستظبعوا إجابته. (عبد الله الحيشي: المطرفية مذهب مجهول، ص: ١٥).

٥٨- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ١٠١.

٥٩- ابن أبي الرجال: مطلع النور، ج ٣، ص ٨٤، ٨٥، ٨٦، يحيى بن الحسين، المصدر السابق، ورقة ١٠٠، ١٠١.

٦٠- من أشعاره ضد المطرفية: يا قوم إنا من هُمُ بَرَاءة هم واليهود عندنا سواء وفي قصيدة أخرى قال: ومرجف برجف في سوق مَنزَر ما بين ذبيان وما بين عفر. (ابن أبي الرجال: مطلع النور، ج ٤، ورقة ٢٠٦).

٦١- يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٩١.

٦٢- د. الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن (ص ٥٦).

٦٣- أنظر: عبد الله الحيشي: المطرفية مذهب مجهول، ص ٥١.

٦٤- بريح للإمام أحمد بن سليمان بالإمامة في صفر سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م. (الثقفي: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، عين للدراسات، القاهرة، ط ١، ٢، ٢٠٠٢م، ص ١٨، أحمد بن صلاح الشرقي: اللاعن المضية في أخبار أئمة الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، بالقاهرة، رقم (١٩٤٠)، تاريخ، ج ٢، ورقة ١٥٨، لوحة ب، ترفيق من قبل الباحث، د. محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن (ص ٥٦)، وإن كان البعض يذهب إلى أن خروجه كان في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م. انظر: H.A.R. Gibb And J.H. Kramerst, Shorter Encyclopaedia of Islam, P. 652.

٦٥- يتضح ذلك من قول شيخ المطرفية عيسى بن محمد الكردي عندما سئل عن الإمام أحمد بن سليمان والثناء عليه، فقال: "إنكم إذا ذكرتم مثل هذا بلغة قطع فيما لا يحل له ولا لكم، فهلك وهدمكم، فلا يسمعن منكم هذا الكلام". (الحيشي: المطرفية مذهب مجهول، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ١٣٨).

٦٦- محمد بن عليان، هو وائد الشبعة في اليمن بقرش، تابع مع خولان للإمام أحمد بن سليمان. (الثقفي: المصدر السابق، ص ١٣٢، ١٣٣).

٦٧- ابن المرتضى: تاريخ السادة (ابن الوزير)، ج ٢، ورقة ٢٢٢.

٦٨- سليمان الثقفى المصدر السابق، ص ١٦٩.

٦٩- الجاهلي: قرية من عزلة مخلاف حضوران، ناحية حضوران قضاء، آسن محافظة ذمار. (المصدر السابق، ص ٢٤٧، هامش ٢ للمحقق).

٧٠- الثقفى: اسيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

٧١- هو القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام. كان في مرحلة مبكرة من حياته يتبع المذهب المطرفي، ثم لم يلبث أن خرج منه والتحق بالفرقة المخترعة، وتناصر الإمام أحمد بن سليمان، تلمذ على يد الشيخ زيد بن الحسن البيهقي الذي فُتد من خراسان، ثم عزم على التوجه معه إلى العراق لإكمال تلمذه على يديه، فمات شبحه في الطريق، ولم يشته ذلك عن إتمام الرحلة. ففعل وظل في العراق يطلب العلم حتى قبل ذهب إلى العراق وهو أعلم أهل اليمن، وعماذ وهو أعلم أهل العراق، كان أبوه باظناً إساعيلياً، حيث كان قاضي الدولة الصليحية في عهد السيدة أروى بنت أحمد، وعماذ القاضي جعفر من العراق بالعلوم التي لم يحصل بها سواه من الأصول والفروع والمعقول والمسروع، وعلوم القرآن، وتوفى بسناع هذه جنوبي صنعاء سنة ٥٧٣هـ. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، المجلد الأول، ص ٢٧٦-٢٧٨، يحيى بن الحسين: طبقات الزيدية، ورقة ٢٢٦، عبد السلام عباس الوجهي: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، الأردن، ط ٩، ص ١٩٩٩م، ص ٢٧٨-٢٧٩، ابن المرتضى: تاريخ السادة (ابن الوزير)، ج ٢، ورقة ٢١١، ٢٢٣، ٢٢٤، علي بن الحسن بن القاسم: ذوق الذهب في محاسن أهل الأدب، ورقة ١٣٩، أحمد صبحي: في علم الكلام، (١) المعتزلة: النهضة العربية، بيروت، ط ٥، ١٩٨٥م، ص ٣٥٣، زيدية، الزهراء، القاهرة، ط ١٩٨٥، ص ٢٢٦).

٧٢- وقد ذهب البعض إلى اعتبار القاضي جعفر بن عبد السلام أول من أدخل كتب المعتزلة إلى اليمن وقالوا بأن اليمن لم تعرف كتب المعتزلة قبل ذلك التاريخ، الذي حددهه بسنة ٥٥٤هـ-الظر: (أ. صبحي: المرجع السابق، ص ٣٥٣، الزيدية، ص ١٢٢). وقد اعتمد هذا القول على ما ذكره يحيى بن الحسن في غاية الأمان: "من أن كتب ومذاهب المعتزلة ظهرت في عهد الإمام أحمد ابن سليمان بعناية القاضي جعفر بن عبد السلام، ولم تكن قد ظهر قبلاً" (غاية الأمان، ج ١، ص ٣١٨)، وكان استجلاب الكتب من قبل الإمام أحمد بن سليمان والإمام عبد الله بن حمزة، من أجل الدفاع عن دولتهم. أمام الفرق المنشقة عنهم مثل المطرفية، فصارت خزائنتهم بالمعارف المختلفة، والمخزون الثمين من تراث المعتزلة. (أحمد عارف: أصول الاتفاق، ص ٥٨-٥٩).

٧٣- محمد الحريري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٦، ٥٧.

٧٤- عبد الله الحيشي: المطرفية مذهب مجهول في اليمن-مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٤١.

٧٥- سليمان الثقفى: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٨١-٢٨٢.

٧٦- لم تقتصر مناظرة جعفر بن عبد السلام للمطرفية بل ناطر أهل السنة، أو كما يسميهم بالمجربة والمشبهة، وهو الأمر الذي دعا العالم السني يحيى بن أبي الخير العمراني الحنبلي أن يتصدى لهذا القاموس، وقد وضع كل واحد منهما مؤلفاً يرد فيه على الاتهامات التي أوردها كل منهما على معتقدات الآخر. (أحمد عارف: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية في اليمن، ص ١١٨٦).

٧٧- الثقفى: سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٢٨٣.

٧٨- المصدر السابق، ص ٢٤٨، ٢٨٣. عبد الله الحشبي: الطرفية مذهب مجهول، ص ٤١، الزحيف: اللواحق الندية، ج ٢، ص ٧٧٣.

٧٩- المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٨٠- المصدر السابق، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

٨١- يرى المطرفية في الإمام أن يكون أعلم الناس وأفضلهم، أحمد شوقي: الزيدية في اليمن ودورهم السياسي، مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان، العدد ١٥، ١٩٩٤ م، ص ١١٨، كما ذهبوا إلى عدم حصر الإمامة في أولاد فاطمة، (فؤاد عبد الفتاح: الإمام أحمد بن سليمان وآراؤه الكلامية، ص ١٥١).

٨٢- محمد المري: تطور المذهب الزيدي في اليمن، ص ٥٥. بل إن بعض علماء المطرفية كالشيخ محمد بن علي الأحمدي كان ينكر قيام أحد من أئمة الزيدية بالإمامة في اليمن إلى يوم القيامة. (المرجع السابق، ص ٥٥).

٨٣- ابن المرتضى: تاريخ السادة (بنو الوزير)، ج ٢، ورقة ٢١٧، إسماعيل الكوكج: هجر العلم ومعاقله، ج ١، ص ٥٣٩.

٨٤- عبد الغني محمود: عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٥.

٨٥- هو الإمام المتصور بالله، عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، (الزحيف: اللواحق الندية، ج ٢، ص ٧٩٩-٨٠٠). ولد سنة ٥٦١ هـ/ ١١٦٥ م، وبيع له بالإمامة سنة ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦ م، وتوفي سنة ٦١٤ هـ/ ١٢١٦ م، (العرشي: بلوغ المراد، ص ٤٠٩، الواسعي: تاريخ اليمن، ص ١٩١، ١٩٢).

٨٦- يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ورقة ٥٥، غاية الأمانى، ج ١، ص ٣٢٩-٣٣٠، حيث تقدر هذه الفترة

بحوالي ١٧ عاماً، ثم ترك عبد الله بن حمزة الاحتساب بعدها وقام بالإمامة سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م. فكان الانقطاع للمرة الثانية بقدر بحوالي عشر سنوات، ما بين احتساب عبد الله بن حمزة وقيامه بالإمامة. أنظر (بحي بن الحسين: غاية الأمان، ج١، ص ٣٢٩، ٣٤١).

٨٧- على محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٥٩.

٨٨- عبد الله الخيشي: المطرفية مذهب مجهول في اليمن. مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٣٩.

٨٩- يحيى بن الحسين: أنبا - الزمن، ورقة ٥٧، غاية الأمان، ج١، ص ٢٤١.

٩٠- أبو فراس بن دعشم: السيرة الشريفة المنصورة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٨٩، حيث ولى الإمام عبد الله بن حمزة على وقش وبلاد بني مطر وبلاد بني شهاب السلطان محمد بن إسماعيل. (المصدر السابق، ج٢، ص ٨٨).

٩١- على محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٦٠.

٩٢- د. عبد الغني محمود عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٥.

٩٣- ابن دعشم: المصدر السابق، ج٢، ص ٨٩، د. عبد الغني محمود عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥.

٩٤- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥.

٩٥- هو الأمير المنتصر محمد بن مفضل، أحد الأعلام وسادات أهل البيت الكرام، كان يرى بعدم كفر المطرفية، وإنما هم أفاضل شيعة الهادي. والقاسم وأتباعهم، ولا مصلحة في حربهم واعتقاد كفرهم. (ابن المرتضى: تاريخ السادة العلماء، الفضلاء الأئمة (بني الوزير) علماء الزيدية، ج١، ورقة ١٣٢).

٩٦- ابن دعشم: المصدر السابق، ص ١٦٩، يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج١، ص ٣٧١-٣٧٢، د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٥، ٣٦.

٩٧- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج١، ص ٣٦٢.

٩٨- المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٢.

٩٩- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج١، ص ٣٧٩.

١٠٠- المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٩.

١٠١- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٦.

- ١٠٢- ابن المرتضى: تاريخ السادة العلماء الفضلاء الأئمة (بني الوزير)، ج٢، ورقة ٢٠٢.
- ١٠٣- المصدر السابق، ج٢، ورقة ٢٠٢، ٢٠٣.
- ١٠٤- المصدر السابق، ج٢، ورقة ٢٠٣.
- ١٠٥- علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٧٥.
- ١٠٦- عبد الله الحبشي: المطرفية مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٣٦.
- ١٠٧- ابن دعمم: السيرة المنصورة، ج٢، ص ٥٣٦، عبد الله الحبشي: المرجع السابق، ص ٤٣، وانظر الملحق رقم (١) ص (٣٠ - ٣١) عن المراسلات بين المطرفية والإمام عبد الله بن حمزة.
- ١٠٨- ابن دعمم: المصدر السابق - ج٢، ص ٥٤١.
- ١٠٩- المصدر السابق، ج٢، ص ٥٤٣.
- ١١٠- المصدر السابق، ج٢، ص ٥٥٥.
- ١١١- ابن دعمم: السيرة المنصورة، ج٢، ص ٥٥٥.
- ١١٢- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣٧.
- ٣١١- ابن دعمم: المصدر السابق، ج٢، صفحات ٨٢٦-٨٢٧.
- ١١٤- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٧.
- ١١٥- عبد الله بن حمزة: العقيدة النبوية، ص ١٣٥. ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، للدكتور عبد الغني عبد العاطي. صفحات ١٣٠-١٤٢. علي محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن، ص ١٧٨.
- ١١٦- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بضلال المطرفية الزنادقة، ص ٢٧٧. ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، للدكتور عبد الغني عبد العاطي. صفحات ٢٧٤-٢٨٩.
- ١١٧- أحمد بن سليمان: الهاشمية لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال، تحقيق: د. عبد الغني عبد العاطي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الثاني والثلاثون، يناير ٢٠٠٣م، ص (٥٠ - ٧١). عبد الله بن حمزة: العقيدة النبوية، ص ١٣٨ - ١٤٠. ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن. صفحات (١٢٩ - ١٤٢).

١١٨- أحمد بن سليمان: المصدر السابق، ص ١١٢، الجدير بالذكر أن خصوم المطربية يحملونهم حتى مسؤولية دخول القوى الأيوبية لليمن يقول عبد الله العنسي: "وكانتوا الظلمة من خلفاء بني العباس.. في زمن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة .. وحملوهم على تصدير العساكر إلى هذه الديار ديار اليمن، وهو سب وصل الغز البلاد..". (عبد الله بن زيد العنسي: التمييز بين الإسلام والمطربية الطغام، ورقة ١٣٣، لوحة أ).

١١٩- سليمان المحلي: البرهان الرائق المخلص من ورط المضايق، ورقة ٦٣، لوحة ب، ٦٤، لوحة أ، عبد الله العنسي: المصدر السابق، ورقة ٤٤، لوحة ب، عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٢٣.

٢١- "ومعنى يحبل بغير، ومعنى يستحيل بتغير، وما أحد منهم على اختلاف مذاهبيهم إلا وهو يقول بالإحالة والاستحالة". (عبد الله بن زيد العنسي: المصدر السابق، ورقة ٤٤، لوحة أ).

١٢١- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ٦٨، لوحة ب.

١٢٢- المصدر السابق، ورقة ٦٨، لوحة ب.

١٢٣- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٢٤.

١٢٤- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ١٠٢، لوحة ب.

١٢٥- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٢٤.

١٢٦- المرجع السابق، نفس الصفحة، عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطربية الطغام، ورقة ١٢، لوحته ب، ورقة ٩٩، لوحة ب، أحمد بن سليمان: حقائق المعرفة، ورقة ٤٦٣.

١٢٧- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٨٤، لوحة أ.

١٢٨- المصدر السابق، ورقة ١٣٧، لوحة أ.

١٢٩- د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٢٧، ٢٨.

١٣٠- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٣٧، لوحة ب، ١٣٨، لوحة أ.

١٣١- سليمان المحلي: البرهان الرائق، ورقة ١٤٩، لوحة ب.

١٣٢- المصدر السابق، ورقة ١٥٢، لوحة أ.

١٣٣- المصدر السابق، ورقة ١٦٦، لوحة ب.

- ١٣٤- المصدر السابق، ورقة ١٦٧، لوحة أ، ب، ١٦٨، لوحة أ. وانظر: عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطربة الطغام، ورقة ٢٩٩، لوحة ب.
- ١٣٥- سورة (النساء) من الآية (٩٥).
- ١٣٦- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٦٧، لوحة ب.
- ١٣٧- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٢٩.
- ١٣٨- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١١٩، لوحة أ، د. عبد الغني عبد العاطي: المرجع السابق، ص ٣٠.
- ١٣٩- سورة (الروم) من الآية (٤٠)
- ١٤٠- سورة (النحل) من الآية (٧١)
- ١٤١- سليمان المحلي: البرهان الراجح، أوراق ١٢، لوحة أ، ب، ١٢١، لوحة أ.
- ١٤٢- المصدر السابق، ورقة ١٣٩، لوحة أ. وانظر: عبد الله العنسي: التمييز بين الإسلام والمطربة الطغام، ورقة ١٢٢، لوحة أ.
- <http://Archiwebeta.Bahri.com>
- ١٤٣- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٢٢، لوحة أ.
- ١٤٤- المصدر السابق، ورقة ١٢٣، لوحة أ، ب.
- ١٤٥- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٣١.
- ١٤٦- سليمان المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٢٤، لوحة ب.
- ١٤٧- سورة الأنعام من الآية (١٢٨).
- ١٤٨- سورة (نوح) من الآية (٤)
- ١٤٩- المحلي: المصدر السابق، ورقة ١٢٤، لوحة أ، ١٢٥، لوحة ب.
- ١٥٠- سليمان المحلي: البرهان الراجح، ورقة ١٢٥، لوحة ب.
- ١٥١- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري، ص ٣٢.
- ١٥٢- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الموسومة بالتنقيف على توبة أهل التطرف، ص ٣٠٣. ضمن كتاب:

الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣). عبد الله العنسي: كتاب الفتاوى النبوية المفصلة عن أحكام المطرفية، ص ٣١٦، ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٩). ابن دعثم: السيرة الشريفة المتصورة، ج ٣، ص (٨٢٤). ويذكر أنه ألف كتاب بأمر من الإمام عبد الله بن حمزة بين مخالفة المطرفية لكل هذه الآيات وسماها "المجموع من آيات القرآن الشريف المبطله منذهب الطبيعيه أهل التطريف". (ابن دعثم: المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٦٥، ٨٢٥).

١٥٣- أحمد عبد الله عارف: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن، ص ١٨٣.

١٥٤- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج ١، ص ٣٦٢.

١٥٥- يذكر ابن دعثم في السيرة عدداً من الحوادث الفردية التي كانت البدايات الأولى لقتل الإمام لأناس ينتسبون للمطرفية في أواخر سنة ٥٠٢هـ. فقد تناظر أحد أنصار الإمام رجلاً من المطرفية في قرية ثريان من أوطان سعيان في المعاضلة، فأنتهى الأمر إلى أن قال المطرفي واسمه علي بن موسى الفتلاني: إن الله تعالى ماوى بين النبي (صلى الله عليه وسلم) واليهودي، وما اختص نبيه بفضله ولا اجتياه لرسالة، فلما حُكِيَ ذلك للإمام أمر بضرب عنقه. (ابن دعثم: المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٢٥).

١٥٦- ابن دعثم: السيرة المتصورة، ج ٣، ص ٣٨٣.

ARCHIVE

١٥٧- المصدر السابق، نفس الجزء والصلحة.

<http://Archivebeta.Bakhril.com>

١٥٨- عبد الله بن حمزة، أجرة مسائل تتضمن ذكر المطرفية وأحكامها، ص ١٤٤، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات ١٤٢-١٧٤، أحمد بن سليمان: الهاشمة لأئف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال، ص ١١٢، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٩٥-١١٢)، عبد الله بن حمزة: الرسالة الهادية بالأدلة البادية في بيان أحكام أهل الردة، ص ١٧٦، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٨، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٧٥-٢٠٢).

١٥٩- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بضلال المطرفية الزنادقة، ص ٢٨٧، ضمن كتاب الصراع

الفكري في اليمن، صفحات (٢٧٤-٢٨٩)، عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الموسومة بالتوقيف على توبة أهل التطريف، ص ٣٠٢، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣).

١٦٠- عبد الله بن زيد العنسي: الفتاوى النبوية المفصلة عن أحكام المطرفية، ص ٣١٨، ٣١٩، ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٤).

١٦١- ابن دعثم: المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٢٧.

١٦٢- المصدر السابق، ج ٣، ص ٨٤٨، ٨٤٩.

- ١٦٣- المصدر السابق، ج٣، ص٨٥.
- ١٦٤- ابن دعثم: السيرة التصورية، نفس الجزء والصفحة.
- ١٦٥- المصدر السابق، ج٣، ص٨٦٥. وانظر الملحق رقم (٤٣) ص(٦١٦-٦١٨) عن السيرة التصورية، ج٣، ص٨٦٤-٨٧١.
- ١٦٦- المصدر السابق، ج٣، ص٨٨٧.
- ١٦٧- المصدر السابق، ج٣، ص٨٩١، ٨٩٠.
- ١٦٨- المصدر السابق، ج٣، ص٨٩٨، ٨٩٧.
- ١٦٩- المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٢.
- ١٧٠- ابن دعثم: السيرة التصورية، ج٣، ص٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤.
- ١٧١- المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٥.
- ١٧٢- المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٨.
- ١٧٣- بيت عُثْمَان، قرية من عزلة المصانع الخارجية ناحية لالا، د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص٤١، هامش (٥).
- <http://Archivebeta.Bahrii.com>
- ١٧٤- حصن بَنَكْر: يقع على بعد ١٢ كيلومترًا جنوب قرية قاعة المرجع السابق، ص٤١، هامش (٧).
- ١٧٥- ابن دعثم: المصدر السابق، ج٣، ص٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠.
- ١٧٦- المصدر السابق، ج٣، ص٩٧٠.
- ١٧٧- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص٤٣.
- ١٧٨- ابن دعثم: السيرة التصورية، (ج٣، ص٨٢٦).
- ١٧٩- المصدر السابق، (ج٣، ص٨٢٦).
- ١٨٠- المصدر السابق، (ج٣، ص٨٥١).
- ١٨١- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج١، ص٣٩٧.
- ١٨٢- المصدر السابق، ج١، ص٣٩٧.
- ١٨٣- عبد الله بن حمزة: أجوبة مسائل تتضمن ذكر المطرقة وأحكامها، ص١٤٧، ١٤٨، ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٤٢١-١٧٤).

١٨٤- المصدر السابق، ص ١٤٩.

١٨٥- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج ١، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

١٨٦- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الناطقة بضلال المطرفية الزنادقة، ص ٢٨٦. ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٧٤-٢٨٩).

١٨٧- عبد الله بن زيد العنسي: الرسالة الموسومة بالترقيف على توبة أهل التطريف، ص ٣٠١. ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٩٩-٣٠٣).

١٨٨- عبد الله بن زيد العنسي: الفتاوى النبوية المفصلة عن أحكام المطرفية، ص ٣٢٦، ٣٢٧. ضمن كتاب: الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٣١٤-٣٣٤).

١٨٩- الحلبي: الحقائق الوردية، ج ٢، ص ١٧١. ويقصد بالنواحي المغربية المناطق الغربية من اليمن. (أحمد عارف: مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن، ص ١٨، هامش ٤٦).

١٩٠- يحيى بن الحسين: غاية الأمان، ج ١، ص ٤٠٠. د. عبد الفتحي عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٤٣. ذكر القاضي الشماخي أن جملة من قبلهم الإمام عبد الله بن حمزة من المطرفية بلغ أكثر من مائة ألف. إلا أنه لا يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومة. انظر: (القاضي عبد الله الشماخي: اليمن الإنسان والحضارة، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٤م، ص ٨٢).

١٩١- ابن النساخ: هو الحسن بن محمد النساخ. أحد فقهاء المطرفية في قاعة، ويبدو من تسميته أنه من أسرة عملت بنسخ الكتب. وهو أحد رجال المطرفية الذين لجروا من مقتل المطرفية في قاعة، ونجوا إلى مسور ثم وقت، وبعد خرابها هرب إلى أنس، وهناك ألف رسالته إلى الخليفة العباسي. اعلى محمد زيد: تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، ص ١٩٢.

١٩٢- هو: الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد أبو العباس المستعصم بأمر الله. ولد يوم الاثنين عاشوراء رجب سنة ١١٥٣هـ/١١٥٨م، وبيع بالخلافة في ذي القعدة سنة ١١٧٩هـ/١١٧٩م. ولم يزل الخلافة أطول منه، فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة. السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٤٣٨. غير أن وقت إرسال الرسالة من قبل ابن النساخ للخليفة العباسي وصلت في مرحلة كان الخليفة في حال من الضعف لا يستطيع أن يعمل معها شيئ، حتى أن السيوطي يذكر في حوادث سنة ١٢٠٣هـ/١٢٠٣م هجوم الفرنج على النيل من رشيد. ودخلهم إلى بلدة (قوة) فسبونها ويستبيحونها، ثم يرجعوا سالمين في عهد هذا الخليفة. (السيوطي: المصدر السابق، ص ٤٤٤). هذا في اقتراض أن الرسالة قد وصلت للخليفة، إذ لا يبدو أنها قد لاقت أي اهتمام يذكر في بغداد. (على محمد زيد: المرجع السابق، ص ١٩٢).

١٩٣- يحيى بن الحسين: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢. أحمد عبد الله عارف: المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١.

١٩٤- علي محمد زيد: المرجع السابق، ص ١٩٢.

١٩٥- انظر: كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٤٣-١٧٤).

١٩٦- انظر: كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (١٧٥-٢٠٦).

١٩٧- انظر: كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٠٦-٢٥٣).

١٩٨- عبد الله بن حمزة: الدررة اليتيمية، ص ٢٥٣. ضمن كتاب الصراع الفكري في اليمن، صفحات (٢٠٦-٢٥٣). كان تكفير المطرفية بالإلزام محل خلاف بين العلماء، فيذكر يحيى بن الحسين: "أن الأمير المنتصر بن محمد المفضل العفيف وهو من المعاصرين للإمام عبد الله بن حمزة لم يرى بتكفير المطرفية. وبتنا على ذلك رأي من لم يكفر بالإلزام والتأويل كالزيد أحمد بن الحسين الهاروني. ورواه عن الجميع من أهل البيت، وقال في (الزيادات) لا أرى أحداً يكفر بالإلزام. وقال مثل ذلك القاضي عبد الله الدواري في "شرح الزيادات" وقال "هو الذي يصححه أصحابنا وهو الموعول عليه". وما يؤيد القول بعدم التكفير بالإلزام ما ذهب إليه جماعة من العلماء المتأخرين كالعلامة ابن الوزير صاحب كتاب فضائل علماء بن الوزير" بقول أنه لو صح التكفير بالإلزام لزم كفر كثير من أهل القاهن وتنسبتهم. والكفر والفسق إنما يكون بما يدين الكلف قولا وعملا، لا فيما ينكره ويتبرأ منه. ... وقال الإمام يحيى بن حمزة: الإلزام هو فني لا يكفر به. وقد نقل أصحابنا عن الهادي والقاسم بن إبراهيم القول بكفر المتأول. فلم أجد لها نعتاً ولا يحدث ما يخرج عليه ذلك من مذهبهم. ويقول يحيى بن الحسين وهو يشرح هذه المسألة: "والتكفير بالإلزام اختلف علمائنا فيه، فالجمهور على أنه لا يكفر به، ولا يفسق". وقد قال بعدم التكفير من المتأخرين جماعة كالإمام شرف الدين والفقهاء المعاصرين له، والإمام عز الدين بن الحسن، والعلامة محمد بن إبراهيم الوزير وغيره. انظر: احمد الله الحيشي: المطرفية مذهب مجهول، ص ٤٣- ٤٤، والإلزام: (هو أن تزعم الغير على ما يقول به ما لا يقول به)، انظر: (إسماعيل الأكوخ: الزيدية نشأتها ومعتقداتها، ص ٥٧، جبر العلم ومعالقه، ج ١، ص ١٦٧). فالإلزام طريقة خطيرة لا ينبغي رأياً سليماً، إذ في وسع كل خصم أن يلزم صاحبه بما يريد. أزيد بن علي الوزير: تحقيق على مقال العلامة بدر الدين المحوي -حوار حول المطرفية-، مجلة السار، مركز التراث والبحوث اليمنى، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠١، ص ١٧٩.

١٩٩- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٤٤، وعن ذلك يقول محمد سالم عزان: "إنه لا تلازم بين تزيم المطرفية والظعن في الإمام عبد الله بن حمزة على كل حال. لأنه يمكن أن يقال إن الإمام حكم بما أدى إليه نظره، وهو مجتهد، ومعنى بالأمر أكثر من غيره، فقد نسي فعله تجاه المطرفية على أمور

لا تعلم جميعها بالتفصيل. وهذا يوجب له الحمل على السلامة. وشأنه في ذلك شأن الأئمة الذين وقعت بينهم حروب، قُتِلَ فيها كثير من الناس. ومع ذلك لم يجزم أحد من الزيدية بهلاك فريق معين منهم وترك أمر الجميع إلى الله تعالى... ومع ذلك فلا يصح الحكم سلفاً على مخالفه بأنهم مخطئون خطأ يوجب لهم القتل والتشريد. وسبي الأهل والذرية. اللهم إلا إذا كان معصوماً وحُجِّفَ تشريح يوجب هذا النوع من التنكيل. والإمام عبد الله بن حمزة وسائر أئمة الزيدية لا يدعون العصمة لأنفسهم ولا يقطعون بعدم وقوعهم في الخطأ، يقول الإمام زيد بن علي: "إنما نحن مثل الناس، منا الخطيئة ومنا المصيب، فساتلونا ولا تقلبوا منا إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه" صلى الله عليه وسلم. (محمد سالم عزان: المطرقة بين الحقائق والإشاعات، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمنى، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠٦م، ص ٧١، ٧٢).

٢٠٠- د. عبد الغني عبد العاطي: الصراع الفكري في اليمن، ص ٤٤.

٢٠١- المرجع السابق، ص ٤٤. يذكر صاحب ذوب الذهب الذي عاش في القرن الثاني عشر، أن المذهب المطرفي سكث في اليمن ثلاثمائة سنة، وانتشر في بلاد الزيدية، ولم يبق منهم أحد في زمنه. أعلى بن الحسن بن القاسم: ذوب الذهب في محاسن أهل الأديب، ورقة ١٤٠، لوحة أ١. وربما كان يقصد بهذه الفترة من بداية إظهار المطرقة الخلال للخطرمة، لأنهم عاشوا أكثر من ذلك. وقد بقي من المطرقة جماعة حتى زمن الإمام المهدي علي بن محمد في القرن الثامن الهجري، ثم تلاشي أمرهم ودخل اتباع هذا المذهب في زمرة الناس فاعتنقوا المذهب الزيدي، فكان في هذا الرجوع قائدة وطنية. حيث ضمن لنا وحدة البلاد وعدم تفرقتها. (عبد الله المحيشي: المطرقة مذهب مجهول، ص ٤٤).

٢٠٢- الأكرم: حجر العلم، ص ١٦٧.

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات :

- الحجوري، محمد بن يحيى بن يوسف (ت ٦٣٦هـ/١٢٣٨م).
-روضۃ الأخيار، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٤٣٦)
تاريخ، بين شمالي، ج٤.
- ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح بن محمد (ت ١٠٩٢هـ/١٦٨١م).
-مطلع البدر ومجمع البحور، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/
عبد الرحمن الشجاع.
- الشرقي، أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م).
- الأئمة الماضية في أخبار أئمة الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة،
رقم (١٩٤٠) تاريخ، جزآن، مخطوط غير مرقم، (توقف عن قبل الباحث).
- علي بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن المنصور (ت ١٢٧هـ/١٧م)؛
- ذوب الذهب في محاسن أهل الأدب، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية،
القاهرة، رقم (١٠٥٦) تاريخ.
- العنسي، عبد الله بن زيد العنسي،
- التمييز بين الإسلام والمطرقية الطغمام، مخطوط مصور عن مخطوط لدى
الباحث/ محمد جعفر الباحث بجامعة أسيوط.
- اللحجي، مسلم بن محمد بن جعفر (ت ٥٤٥هـ/١١٥٠م).
- أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن، الجزء الرابع، مخطوط مصور لدى الباحث عن
صورة لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.
- المحلي، حسام الدين حميد أحمد المحلي (ت ٦٥٢هـ/١٢٥٤م).
- الخدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور
لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع، مخطوط مصور بالأوقست.
- المحلي، سليمان بن محمد بن أحمد المحلي (ت ٦٥٢هـ/١٢٥٤م)
- البرهان الرائق المخلص من ورط المضائق، مخطوط مصور لدى الباحث عن صورة لدى
الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع، ورقة ١٢.

ابن المرتضى، ابن جمال الدين بن الهادي بن إبراهيم بن علي المرتضى (ت ١٥٧٧هـ/ ١١٧٧م).

- تاريخ السادة العلماء الفضلاء والأئمة (بني الوزير) علماء الزيدية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، رقم (٩٥٦) تاريخ.

يحيى بن الحسين ابن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد الحسن (ت ١٦٨٩هـ/ ١١٠٠هـ).

- أنباء الزمن، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، رقم (٤٤٧).

- طبقات الزيدية الصغرى، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

ثانياً: المصادر المطبوعة :

إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله (ت ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م).

- طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، ويسمى بطوخ المراد إلى معرفة الإسناد، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

ARCHIVE

- الثقلنى، سليمان بن يحيى.

- سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق: عبد الغنى، عبد العاطي، عين للدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن عمر الشيباني (ت ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م).

- قصة العيون في أخبار اليمن الميسون، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

- تاريخ الخلفاء، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

أبي قراس ابن دعم.

- السيرة الشريفة المنصورة، سيرة الإمام عبد الله بن حمزة (٥٩٣-٦١٤هـ)، تحقيق: عبد الغنى عبد العاطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

الوصابي، وجيه الدين عبد الرحمن (ت ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م).

- تاريخ وصاب المسمى الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق: عبد الله محمد الحيشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٣م.

يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ/١٦٨٩م) :

- طبقات الزيدية الصغرى، مخطوط مصور لدى الباحث عن مخطوط مصور لدى الدكتور/ عبد الرحمن الشجاع.

-غاية الأمانى فى أخبار القطر البعاني. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٩٦٨م. القسم الأول.

اليعنى، عمارة بن أبى الحسن الحكيمى (ت ٥٦٩هـ/١١٧٤م).

-تاريخ اليمن، تحقيق: محمد زتهم محمد عزب، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

ثالثاً : المراجع العربية لحدیثة:

إبراهيم المحففى -معجم المدن والقائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٩٨٥م

الزيدية، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

-فى علم الكلام (دراسات فلسفية لأراء الفرق الإسلامية فى أصول الدين)، النهضة العربية، بيروت، ط ٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

-الإتجاهات الفكرية فى اليمن قديماً بين القرن الثالث والقرن الخامس الهجرى، المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

http://Archivebeta.Bakrri.com

-البلدان اليمنية عند باتوت الحوى، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجبل الجديد، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

إسماعيل بن على الأكرع (جمع وتحقيق)

الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

.....

.....

.....

بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

أمين فزاد

سيد الدكتور)

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

- تحقيق على مقال العلامة بدر الدين الحوثي - حوار حول المطرفية -
مجلة المسار، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء، المجلد الثاني،
العدد الثاني، ٢٠٠١م
وثائق يمنية، دراسة وثائق تاريخية، طبعة دار لكتيب المصرية، القاهرة،
١٩٨٢م
-أرؤى ملكة اليمن، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد الثقافية، الأردن، ١٦،
١٩٩٩م.
- الإمام الزيدي أحمد بن سليمان وآراءه الكلامية، دار
الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
-الزيدية قراءة في المشروع وبحث في المكونات، مركز الرائد، صنعاء،
الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
- الصواعق الفكرية في اليمن بين الزيدية والمطرفية، دراسة ونصوص،
عين للدراسات، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
-اليمن، الإنسان والحضارة، دار الكلمة، صنعاء،
١٩٨٤م.
- اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة
الأولى، ١٩٨٢م.
- تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري، المركز
الفرنسي، صنعاء، الطبعة الأولى، 1997م.
- الحياة الفكرية في اليمن، في القرن السادس الهجري، المكتبة
الوطنية، بغداد، ١٩٨٥م.
- المطرفية بين الحقائق والإشاعات، مجلة المسار، مركز التراث والبحوث
اليمني، صنعاء، المجلد الثاني، العدد الثاني، ٢٠٠١م.
- زيد بن علي الوزير:
سيد مصطفى سالم
عارف تامر
عبد السلام عباس
الوجيه
- عبد الفتاح أحمد فؤاد
عبد الله حميد الدين
- عبد الغني عبد
العاطي
عبد الله الشماحي
- عصام الدين
الفقي (الدكتور)
- علي محمد زيد
- محمد رضا الدجيلي
محمد سالم عزان

محمد عيسى الحريري -تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، صفحات (٤٤-٧٥).

رابعاً: المقالات العربية
أحمد بن سليمان
أحمد شوقي العمرجي
عبد الله المحيشي

رابعاً: المقالات العربية
أحمد بن سليمان
أحمد شوقي العمرجي
عبد الله المحيشي

الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرقة الجهال، تحقيق: د. عبد الغني عبد العاطي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الثاني والثلاثون، يناير ٢٠٠٣م

الزيدية في اليمن ودورهم السياسي، مجلة كلية آداب سوهاج، جامعة أسيوط، العدد ١٥، إبريل ١٩٩٤م.

المطرقة مذهب مجهول في اليمن، مجلة اليمن الجديد، العدد الثالث، السنة السادسة، نوفمبر ديسمبر ١٩٧٧م، صفحات (٤٧-٥١).

تطور المذهب الزيدي في اليمن قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد السادس والعشرون، المجلد السابع، ربيع ١٩٨٧م، صفحات (٤٤-٧٥).

الفرق الإسلامية في طور الانحطاط، صفحات (١٤٨-١٥٨)، مجلة العصور الجديدة، القاهرة، السنة الأولى، العدد العاشر، يونيو

٢٠٠٠م

محمد عيسى الحريري

محمود إسماعيل

سابعاً: الرسائل

العلمية:

أحمد عبد الله عارف -أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة، رسالة ماجستير، قسم فلسفة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢.

-Al-Qadi Isma'il Bin Ali al-Akwa, Nashwa'n Ibn Sa'k al-Himyari and The Spiritual, Religious and Political Conflicts of his Era, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at The Staatilches Museem Fur Volkerkunde Munchen (25 April 1987 to 5 April 1988), Published By Pinguin-VerlalnnsbruckUmschau-Verlag, Frankfurt/Main, PP.212-231.

-Wilferd Madelung, Islam in Yemen, Yemen 3000 Years of Art and Civilisation in Arabia Felix, at The Staatilches Museem Fur Volkerkunde Munchen(25 April 1987 to 5 April 1988), Published by Pinguin-verlag, Innsbruch Umschau-Verlag, Frankfurt/Main,PP.174-177.



الملاحق

المراسلات بين المطرفية والإمام عبد الله بن حمزة

في بداية الخلاف بين الطرفين. (١*)

قدم رجل من المطرفية يقال له عمار بن ناصر الشهابي إلى ذي مرمر فحضر المدرسة المنصورية هناك. وجرى فيها الحديث عن مذاهب الخصوم ومن بينهم المطرفية. ولما رجع الرجل المطرفي إلى هجرة وقش بث شكواه وحكى غير ما شاهده وسمعته أذناه وذكر ما دار في المدرسة المنصورية من السب للمطرفية فشق ذلك عليهم وزادهم نفاقاً. وكتب إليهم الإمام يدعوهم فلم يزداهم دعاؤه إلا فرار. وجاء كتاب الفقيه علي بن يحيى البحريري معرضاً بذلك وعاتباً فيما جرى من السب والأذى. وما خص به ذلك الرجل من الاستخفاف والبذاء. وجعل في صدر كتابه أبياتاً قال فيها:

مقام أمير المؤمنين بن حمزة أجل وأعلى أن يحيط به وصفي
 رقت إليه الطرف فارتد خاستا ولا غرو أن يرتد من خجل طرفي
 وأيقنت أن الصيد ما ضمه الفرا فقلتُ لكفى عن كتابته كفى
 على أنني في القرب والبعد عنده مولائه حصني المتبع ولا أخفي

ومما جاء في كتابه: ... ولعل العواطف الإمامية، والآراء الموقفة المنصورية، أن تؤنس المملوك بكف أهل تلك الأذية، والخيار إليه سلام الله عليه من قبل أن تزيغ قلوب فريق منا. فإلتسان خلق خلوعاً، فقد كان في أول الأمر أصبح الناس رحماً بينهم، لا تسمع إلا سلاماً سلاماً، وكل شي على منتهى أملة من سكون الدهماء وحسن الحال، ويقام النعما، والدعا، لأسير المؤمنين بطول البقاء. لما ساق الله إلى الجميع بسبيهم، وأجراه من الصلاح على لسانه ويده، بالرفق الذي لا تضعف معه، والشدة التي لا يشوبها عنف، وعلو الهمة وقلة الغفلة، وأحكام السياسة وصواب التدبير. فأشد الناس بعداً عنه كالقريب، وأقربهم منه في حق الله كالغريب، فما أحد يعدو قدره ولا يتجاوز حده، ولا يتكلم إلا فيما يعنيه.

ومع ذلك تزداد الأمور إلا إحكاماً، ولا عقود الدولة الميمونة إلا انتظاماً حتى انطلقت الألسن المعقودة، وانهدت الأيدي المعقولة بعدل أمير المؤمنين، ولم يكن ينبغي لصاحبه في العموم فما

* - نقلنا عن أبي فراس بن دلفيم: السيرة الشريفة المنصورية ج ٣ ص ٥٢٦-٥٢٥.

شأن الخصوص وأمير المؤمنين يعلم ما الواقر كالمقصود، فإن رأى الإنصاف ممن تولي كبره، ولكل امرئ منا ما اكتسب من الإثم، وليت أنا بقدر الحب نيسم.

... وفي هذه الدلالة صفة العلة ولعل جوابها أن يروى من الغلة وقد تضمنت فصولاً كثيرة هيح دقيقتها وصول الشيخ عمار بن ناصر الشهابي، وما انقلب به من تشريف الإخوان. قاله بيقهم والسلام.

وقد رد عليه الإمام عبد الله بن حمزة كتابها نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. سلام عليك.. أما بعد. فإن كتابك وصل إلينا بتحقيق الموجب لما تقدم وتأخر من المراجعة، فيما يقطع المشاحة والمنازعة، ويؤدي إلى الأئمة، ويمنع الخلفه، وتلك سبيل الصالحين، وشعائر أهل الدين، وقد كان ذلك كما ذكرت أولى، وجرت به السنن أولاً ثم نجم بعد ذلك ناجم الخلاف بالظعن والتخلف لغير حدث أوجب ذلك، ولا رأي يقبل، بل على منهاج السلف الصالح... وأهم الأمور علينا ما يعود على الزيدية أصلحها الله بلم الشمل وطرد دواعي الجهل وقد كان فيما تقدم لهم عنبر، فإن كان غير واضح في الاختلاف فما العذر بعد قيام قائم من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم، إنما الخلاف قبله، وعنده يرجع الجميع إلى وأبه، وتقطع دواعي الفتنة يمسرون نظره.... هذه منابر آل محمد صلوات الله عليهم معظلة من ذكرهم منذ دهر طويل، وفيهم مأخوذة، وحققهم مغبوب، وثأرهم مطلول، والفرقان فيما اختلفوا فيه موجود، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، فأما إذا لم تبق إلا المغالبة فما أحد يخشى عن نفسه ما يجده كما قال ضرار بن الخطاب: وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل، وكان صاحب الأمر إذا اضطرتته الأمر هادن، وإن قام عمودها فأتان، فأبي الفريقين كان أو متى وصل الأرض قبل صاحبه. فانظر في ذلك بما يوفيك الله سبحانه ويعينك عليه، فصاحب هذا الأمر على وجهين إما أن يظهر. فأقبح الأمور على من ينتسب إلى الدين أن يظهر وليس معه لسان صدق، وإما أن لا يظهر وتد حق له استحقاقه، كانت حسرة، فأكثر الأئمة لم يطبق على إمامته إلا بعد موته، وإن لم تظهر له حجة على استحقاقه كان شبهة يجب أن يكون في حلها على يقين، ولم يرتكها على الخطر ويتمسك بحبل الغرور وهن متمكن الاستبصار بالوصول إليه، والمراجع له في أموره، والسلام، وصلى الله على محمد وآله وسلم.



المسلمون وأهل الذمة في بلاد الشام في عصر الخلافة الراشدة

بعد الدين الإسلامي ديناً عالمياً لكل البشر، ولذلك تجده يتجاوز حدود البلدان والأقاليم، لأنه ليس ديناً قومياً خاصاً بالعرب، وإنما لكافة الناس في الأرض، يقول الله عز وجل (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)^١.

وما أن الإسلام خاتم الرسالات السماوية قلابه على أتباعه من إيصال دعوته إلى كل الناس من قبيهم أصحاب الديانات ذات الأصول السامرية وأتباع العقائد الوثنية، والدعوة تقوم على أساس البلاغ فقط لقوله عز وجل (وما على الرسول إلا البلاغ المبين)^٢. وكذلك عدم إكراه الناس على اعتناق الإسلام، لأنه لا يجوز شرعاً لقول الله تبارك وتعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)^٣، وإنما الدعوة تقوم على أساس التوجيه الإلهي القائل في محكم كتابه (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)^٤.

فقام النبي صلى الله عليه وسلم، بناءً على هذا التوجيه الرباني بدعوة اليهود في يثرب إلى الإسلام، لكنهم رفضوا وفضلوا الاحتفاظ بدينهم مقابل دفع الجزية، وعرض الإسلام أيضاً على نصارى نجران، لكنهم فضلوا البقاء على دينهم مقابل تسليم الجزية، ولم يحدث أن تعرض اليهود أو النصارى إلى مضايقات أو اعتداءات بسبب عدم إسلامهم، لأنه لا يجوز طالما وقد أقروا بالجزية ودفعها للمسلمين. كما أمر الله تعالى (بأبها الذين آمنوا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)^٥.

وتنا . على هذا فقد صار على المسلمين حمايتهم ، وعدم التعرض لهم بسوء ، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين من ذلك بقوله (من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)^{١٣١} ، وأمام هذه النصوص وغيرها ، لا بد أن يتم التعامل مع أهل الذمة على ضوابطها .

وهنا لا بد علينا أن نتعرف على سلوكيات المسلمين مع أهل الشام أثناء الفتح وبعده . سواء كانوا خلفاء ، أم قادة أم أفراداً ، هل وجد تطابق بين النصوص والعهود وتعامل المسلمين مع أهل الذمة ؟ أم كانت النصوص والعهود في وادٍ والتعامل في وادٍ آخر؟ وماذا عن ردة فعل سكان بلاد الشام تجاه المسلمين أثناء الفتح ، هل كانت عدائية أم حيادية أم متناصرة للروم ، أم مؤيدة للمسلمين ؟

وهل تغيرت أحوال سكان بلاد الشام بعد أن أصبحوا من رعايا الخلافة الإسلامية ؟ أم ظلت على ما كانت عليه في عهد الروم ؟ وإذا حدثت تغيرات فما هي وهل كانت سلبية أم إيجابية؟ ولعرفة ذلك تم تقسيم البحث إلى محورين رئيسيين :

المحور الأول: المسلمون وأهل الشام عند الفتح من خلال وصايا الخلفاء الراشدين تجاه سكان البلاد المفتوحة، وتعامل المسلمين مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح، وكذلك موقف سكان الشام من المسلمين .

أما المحور الثاني فهو : حقوق أهل الذمة من سكان بلاد الشام بعد الفتح، ويتناول الحقوق التي صارت لسكان بلاد الشام بعد أن أصبحوا من رعايا المسلمين ، مثل : حرية الاعتقاد ، الحرية السياسية، حماية الملكيات، حرية التجارة والكسب، حرية التقاضي والعدل، كما يتناول أيضاً واجبات أهل الذمة .

المحور الأول : المسلمون وأهل الشام أثناء الفتح :

محققاً للتكليف الرباني بعد أن انتشر الإسلام واستقرت أركانه في أنحاء الجزيرة العربية كان على المسلمين أن يستكملوا ما كان قد بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام خارج الجزيرة بدءاً بأقربها داراً وهي بلاد الشام .

فقد تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان أول عمل بعد قضائه على حركة الردة، إعداد الجيوش الإسلامية، وإرسالها للقيام بالفتوحات الإسلامية ومنها بلاد الشام، وحرص

على تقديم الوصايا والتعليمات لقادة الجيش الإسلامي، تتضمن الإحسان إلى سكان بلاد الشام، وعدم التعرض لهم بسوء.

إن إقامة العدل بين الناس من الأمور المطلوبة والأساسية، وما أنزل الله سبحانه وتعالى الشرائع إلا للتوحيد وإقامة العدل ورفع الظلم عن المظلومين، وردع الجبارين.

والشريعة الإسلامية اهتمت بهذا الجانب، ولم يحد عن هذا الخلفاء والمسلمون، لأنهم ملزمون ومكلفون من رب العالمين لقوله تعالى: [إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى] ^(١٧١)، ويقول سبحانه وتعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل] ^(١٧٢).

وأمام هذه النصوص وغيرها، لا بد على المسلمين أن يوفوا بها ويسيروا عليها، فكانت رعاية الخلفاء لهم كبيرة، والاهتمام بأحوالهم واجبة، فمن توحى الخليفة أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما المتجه نحو بلاد الشام قوله: "يا يزيد، إني أوصيك بتقوى الله وطاعته، والإيثار له، والحرف منه، وإذا لقيت العير فأظفركم الله بهن، فلا تغلل ولا تقتل، ولا تغدر، ولا تجبن، ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا حرقوا نخلاً، ولا تعرقوه، ولا تقطعوا شجرة مشرة ولا تعرقوا بهيمة إلا لما كلفه، وسترون بقوم في الصوامع يزعمون أنهم حسوا أنفسهم لله، فدعوه وما حسوا أنفسهم" ^(١٧٣).

هذه الوصية من خليفة رسول الله أمراً صريحاً بأن على المسلمين المشركين في عملية الفتح (قادة أم أفراد) أن يتجنبوا بعد انتصارهم على القوى المانعة لوصول الإسلام إلى السكان، الغلل أي الحقد والضعف، وكذلك عدم التمثيل بجثث أعدائهم بعد النصر لأنه لا يجوز، وعدم الغدر، وعدم قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وعدم حرق الأشجار وتقطيعها لأن الإنسان المسلم وغير المسلم، يستفيد منها، ولأن الإسلام يبنى ولا يهدم، لقول الله تعالى (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) ^(١٧٤).

وقصر العلماء هذه الآية بأن المقصود هو التعمير ^(١٧٥).

وتلزم وصية الخليفة السابقة المسلمين، عدم التعرض ليهائم سكان البلاد التي يتم فتحها إلا بالحق، والأهم من هذا عدم التعرض لرجال الدين، والمتعبدين في دور عبادتهم من النصارى.

ويبدو أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه، لم يكتف بتلك الوصايا، بل كانت توجد لديه عيون لمراقبة أعمال المسلمين في بلاد الشام، وكيفية تعاملهم مع سكانها، والرفع إليه في حالة المخالفة بصورة مباشرة دون علم القادة، فعندما فر أهالي قرى الدارين من قراهم خوفاً على أنفسهم من القتل ظناً منهم أن المسلمين لن يتركوهم وشأنهم كما صور لهم، وصاحب هروهم ترك دورهم وأراضيهم، وربما وجد بعض المسلمين من ذهب ظننه بأنه أحق بها، فلما وصل الحير بفساد المسلمين إلى الخليفة كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح رسالة قال فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم - من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: أمتنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الدارين، وإن كان أهلها قد جلوا عنها، وأراد الداريون أن يزرعوها، فإذا رجع أهلها إليها فهي لهم، وأحق بهم والسلام عليك"^(١١٦).

ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالة إلى الدارين أصحاب تلك البلاد يطمئنهم على أراضيهم وحمابيتها من العائنين، ويكلف عمرو بن العاص بحراستها والدفاع عنها من كل طامع، جاء فيها "هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله الذي استخلف في الأرض بعده، كتبه للدارين ألا يفسد عليهم ما أثرتهم قرية خيبر"^(١١٧)، وبيت عيتون"^(١١٨)، فمن كان ينسج ويطنع فلا يفسد منها شيئاً، وليقم عمرو بن العاص عليهما فليمتعهما من المفسدين"^(١١٩).

وهذا الكتاب يمثل اهتمام قيادة الدولة الإسلامية بسكان البلاد أثناء الفتح وحرصها على المحافظة على كافة ممتلكاتهم المالية والعينية، فلم يكن دافع الفتح بالنسبة للمسلمين الحصول على الغنائم بأي صورة من الصور، كما يصوره البعض، ولكن قد يوجد منهم من له رغبة في الغنائم، غير أنه يواجه بالشدة والمنع والمعاقبة.

وبما أن المتبع المُستقى منه واحد فلم يختلف عمر بن الخطاب عن سلفه، أبي بكر رضي الله عنهما في توصية الجيش الإسلامي المنجه نحو الأمصار ومنها بلاد الشام التي لم يكن قد استكمل فتحها في عهد أبي بكر رضي الله عنه ويتمثل ذلك في قوله "بسم الله وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله، والنصر، ولزوم الحق، والصرير، فانتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ثم لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تملوا عند القدرة، ولا تسرقوا عند الظهور، ولا تتكلموا عند الجهاد ولا تقتلوا امرأة، ولا هرمًا، ولا وليداً، وتوقوا قتلهم إذا التقى الجمعان، وعند حمة النهضات، وفي شن الغارات..."^(١٢٠).

ولمجد هنا أن وصية عمر رضي الله عنه لم تخرج عن وصية أبي بكر رضي الله عنه، فالرؤيا واحدة تجاه سكان البلاد المفتوحة من أهل الذمة، ونلاحظ هنا تأكيدها على تجنب قتل الأطفال والشيوخ والنساء. مع تفصيل ما أجملته وصية أبي بكر في هذا الجانب من حيث طلب عمر في وصيته أن يتجنبوا قتل الفئات السابقة، حتى وإن كانوا يوجدون في ميدان القتال، ولهي مختلف مراحل المعركة، ولم يرد في الأمر إلا من ناحية وصيته في لزوم الحق، وأن يتجنبوا الاعتداء على كل شيء مملوك للسكان.

وبلغ حرص الخليفة عمر رضي الله عنه بشئون أهل الذمة، أنه في مرضه الذي مات فيه أوصى بهم من سيخلفه على المسلمين بهم بقوله "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً أن يوف لهم بعهدهم، وأن يقاتل من درأهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم"^{١١٧١}.

وهذا دليل على الحرص على الإبقاء بما عاهد به المسلمون أهل الذمة، بل والدفاع عنهم من أي اعتداء قد يتعرضون له، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم سواءً أكان ذلك بالجزية أم الحراج، وهذا من الناحية المادية أو تكليفهم بأعمال لا يستطيعون القيام بها، فالواجب الرفق بهم.

أما في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، فقد صارت البلاد المفتوحة تحت حكم المسلمين، ولذا كانت وصيته إلى الولاة على الأقاليم ومنها بلاد الشام، أن يستوصوا بأهل الذمة خيراً فقال: "... ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم مالهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بأهل الذمة فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم"^{١١٨١}.

وبما أن أهل الذمة صاروا من رعايا الخلافة الإسلامية، فكانت وصية الخليفة عثمان رضي الله عنه بالتعامل معهم وفقاً بما أوجبه الشرع الإسلامي بإعطائهم حقوقهم، وإلزامهم بما عليهم من واجبات.

وبذلك نجد أن وصايا الخلفاء الراشدين نفسها، لم تخرج عن الوصايا التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

تعامل المسلمين مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح:

كان المسلمون أثناء الفتح الإسلامية يمثلون تعاليم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والتي تمثلت خلاصتها في وصايا الخلفاء الراشدين التي سبق الإشارة إليها.

فالتأمل في العهود التي منحها المسلمون لأهالي المدن الشامية، يجد أن مضمونها وأهدافها واحدة، لم تختلف منذ فتح أول مدينة وحتى اكتمال الفتح للشام، فهذه بُعِثَ أول مدينة فتحت وعقد أهلها صلحاً مع المسلمين بوجبه يتم منحهم الأمان على دمايتهم وأموالهم وأولادهم مقابل دفع الجزية^(١١١).

وسار المسلمون بالأسلوب نفسه الذي ساروا عليه مع سكان بُعْثَ، حيث أعطى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عهد الأمان لأهل لُدَّ ونصه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَعْطَى عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ لُدَّ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ فَلَاسْتَيْنِ أَجْمَعِينَ، أَعْظَاهُمْ أَمَانًا لِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَلِكَنَانِسِهِمْ وَصَلْبِهِمْ وَسَقِيمِهِمْ وَرَيْثِهِمْ وَسَائِرِ مَلْتَمِهِمْ أَنْ لَا تَسْكُنَ كَنَانِسُهُمْ وَلَا تَهْدِمَ، وَلَا يَنْتَقِصَ مِنْهَا وَلَا مِنْ حِرْزِهَا وَلَا مَلْكُهَا، وَلَا مِنْ صَلْبِهِمْ وَلَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَلَا يَكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ، وَلَا يَعْضِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَعَلَى أَهْلِ لُدَّ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ فَلَاسْتَيْنِ أَنْ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ كَمَا يَعْطَى أَهْلَ مَدَائِنِ الشَّامِ"^(١١٢).

ولم تخرج العهود التي أعطتها أبو عبيدة رضي الله عنه لمدينة الشام، من حيث المضمون والالتزام مع العهد الذي أعطاه أمير المؤمنين عمر لأهل لُدَّ وسائر أهل فلسطين، فقد أعطى أبو عبيدة عهد الأمان لأهل بعلبك على الحرية الدينية، وعدم الاعتداء، على كنانسهم وأموالهم: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابُ أَمَانٍ لِفَلَانِ بْنِ فَلَانٍ وَأَهْلِ بَعْلَبَكِ رُومِيًّا وَفَرَسِيًّا وَعَرَبِيًّا عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَكَنَانِسِهِمْ وَدَرَرِهِمْ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ وَخَارِجَهَا، وَعَلَى أَرْحَانَتِهِمْ، وَلِلرُّومِ أَنْ يَبْرَعُوا سَرَحَهُمْ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خَمْسَةِ عَشْرِ مَيْلًا وَلَا يَنْزِلُوا قَرْيَةَ عَامِرَةَ، فَإِذَا مَضَى شَهْرُ رَيْبَعٍ وَجَمَادَى الْأُولَى، سَارُوا إِلَى حَيْثُ شَاءُوا، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ فَلَهُ مَالُنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا، وَلِتَجَارَهُمْ أَنْ يَسَافِرُوا إِلَى حَيْثُ أَرَادُوا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي صَالِحُنَا عَلَيْهَا، وَعَلَى مَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ وَالْحَرَجَ، شَهِدَ اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا"^(١١٣).

إن العهود التي أوردناها سابقاً على سبيل المثال، لم تختلف عن العهود التي عقدت مع بقية المدن الشامية، فقد تضمنت الآتي:-

- الحرية الدينية فلا يكرهون على اعتناق الإسلام، ولا ينزل المسلمون كنانسهم بغرض السكن أو تهدم أو ينتقص من أجزائها.

- إعطائهم الأمان على أموالهم ودورهم، فلا يجوز التعرض لأموالهم بالمصادرة أو النهب، أو فرض إتاوات بغير حق تتجاوز ما هو مقرر عليهم من الجزية والخراج.

- منح أهل الذمة الأمان على أنفسهم، فلا يجوز التعرض لهم بالأذى الجسدي أو النفسي بالضرب أو الحبس أو السب أو القتل لمجرد الاختلاف في العقيدة، وكذلك عدم التمييز بينهم.

- المساواة بينهم في دفع الجزية، فلا يوجد تمييز بين شخص وآخر، أو مدينة وأخرى، بل الجميع متساوون في تسليمها ومقدارها.

- وعلى الرغم من أن الجنود الروم يعدون أعداء للمسلمين كونهم هم الذين يعدون العدة ويحاربون المسلمين، ومع ذلك نجد أن المسلمين لا يخرجونهم عن عهد الأمان، فأعطوهم مساحات لرعي مواشيتهم، ومنحوهم مهلة شهرين للتفكير إما في دخول الإسلام أو البقاء على دينهم، وعليهم الجزية، وإما الخروج إلى حيث يشاؤون، وهذا يمثل قمة العدل والتسامح مع أعدائهم.

ويبلغ من حسن تعامل المسلمين مع سكان البلاد التي تم فتحها، احترام رغباتهم فيما يريدون، فقد طلب أهل إبلها من أبي عبيدة الأمان والصلح مثل ما صلح عليه أهل مدن الشام، وشرطوا عليه أن يكون المتولي لعقد الصلح معهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوافق أبو عبيدة وأرسل إلى أمير المؤمنين بالخبر، الذي وافق على ذلك وقدم الشام، وانعقد الصلح معهم^(١٣١).

ولو كانت المسألة غالب ومغلوب لرفض المسلمون طلبهم وأصروا على فتحها، ولكن احترام رأي الأهالي وسماع ما يقولونه مطلوب، حتى يكتمل الخير وتعم الفائدة للجميع.

وقد التزم المسلمون أثناء الفتح الإسلامي بوصايا الخلفاء، وطبقت على أرض الواقع فيما يخص عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ سواءً عند المعارك أو شن الغارات على المدن التي لم تدخل في صلح مع المسلمين. ففي معركة من المعارك حمل صفوان بن المعطل على رومي وقتله وجواره زوجته عليها سلاح، فلما رأت زوجها قتل، حملت على صفوان الذي لم يتعرض لها فأومأ إليها بالسيف ولم يضربها، لكنه حمل عليها فولت المرأة من بين يديه^(١٣٢). وكان بإسكان صفوان أن يأخذها سببه له أو أن يستمر في ملاحقتها حتى يبيت الرعب في قلبها ويخفيها، لكنه فضل تركها.

ومثال آخر يؤكد مدى التزام المسلمين بوصايا الحلفاء ، وعدم مخالفتها أنه أثناء إغارة المسلمين على المعرة^(١٤) وبلدة العواصم^(١٥) وقرنين^(١٦) وكفر طاب^(١٧) ، وقع في الأسر نساء وأطفال ورجال، وأصطحبهم الجيش الإسلامي إلى مركز القيادة، فلم يتلذذ عياض بن غنم بمنظر النساء والأطفال وهم يبكون، فأمر بإطلاق سراح الجميع بعد أن أقر الرجال بدفع الجزية^(١٨)، ولم تذكر المصادر التاريخية بأن رجلاً من المسلمين انتهك عرض امرأة سواء كانت أسيرة أم غير ذلك.

ومما يحسب أيضاً للمسلمين أثناء الفتح عدم ترويع سكان البلاد المفتوحة بعدم مهاجمتها مباشرة وإثارة الفرع والخوف بين سكانها، وكانوا يعسكرون خارج المدن، وهذا ما حصل في بعلبك، فلم يدخلها المسلمون بل عسكروا خارجها، ولم يسمح لأي فرد من المسلمين بدخولها^(١٩).

والأمر ذاته حدث مع أهالي حمص، فقد عسكر المسلمون خارجها، ونتيجة لأخلاق المسلمين وحسن تعاملهم مع المدن الأخرى، نجد أهل حمص يعرضون على أبي عبيدة الدخول إلى مدينتهم ليقبضهم يصدق المسلمين والتزامهم بعهودهم في عدم التعرض لأموالهم وممتلكاتهم، ولكنه رفض عرضهم واستقر مع جيشه خارج المدينة، وظل المسلمون في معسكرهم ولم يدخلوا حمص إلا بعد معركة اليرموك ١٥هـ / ٦٣٦م^(٢٠).

<http://Archivebeta.Bahkrit.com>

إن عدم دخول المسلمين المدن ويقائهم خارجها، لا يعني عدم الاختلاط مع سكان بلاد الشام أثناء الفتح، فقد كانت العلاقات بين الجانبين تقوم على الاحترام المتبادل، وازدهرت المدن الشامية تجارياً بوجود المسلمين .

فنجد حدود وراج تجاري في بعلبك لأن المسلمين كانوا يغيرون على المناطق الساحلية التي فيها الروم والعرب الذين لم يدخلوا في صلح معهم، فيعودون محملين بالغنائم فيبيعونها لأهل بعلبك الذين يفرحون ببيع المسلمين وشراهم. "وربحوا في تلك المدة اليسيرة مالاً عظيماً"^(٢١).

ولو كان المسلمون شرهين ومحبين للأموال وجمعها، لجعل ذلك أهل بعلبك ينفرون منهم ويقاثلونهم، ولكن الأموال الطائلة التي جنوها من وراء وجود المسلمين كان بالنسبة إليهم نعمة، حلت عليهم من السماء .

غير أن فرحتهم بما ربحوه من تلك التجارة لم تكتمل ، لأن تلك الأرباح التي جنوها فتحت شهية بطريق بعلبك الروماني للأموال، فطالبهم بالعرض من أرباحهم فوافقوا لكثرة أرباحهم، فقطع

بهم أكثر وظالهم ببيع أموالهم. وما قاله لهم: "أنا أعلم أن هذه المدينة في كسب عظيم وتجارة رابحة، ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبداً"^(٣٧١).

إن ما قام به بطريق بعلبك، يعد شهادة للمسلمين على تعاملهم الراقى مع سكان بلاد الشام أننا -الفتح القائم على إعطاء كل ذي حق حقه، والبعد عن الجشع والطمع في أموال الآخرين، وأن خروجهم كان للدعوة، وما يحصلون على غنائم يتم بيعها برخص للسكان كونهم لا يريدون إلا متطلبات احتياجاتهم فقط دون تكديس الأموال وجمعها، ولأن هذا يتعارض مع التصوص الشرعية، وأهداف خروجهم.

ونتيجة للفارق الشاسع بين تعامل البطريق وتعامل المسلمين مع السكان، ثار الأهالي ضد البطريق وقتلوه مع غلمانهم، وظلبوا من المسلمين دخول المدينة"^(٣٧٢).

إن التجارة لا يستقيم أمرها في حالة عدم الاستقرار وثغيب الأمن والأمان، وشيوع الحروب أو وجود إدارة فاسدة، تعبت بالأموال والممتلكات.

ومع وجود الجيوش الإسلامية في بلاد الشام، كان تجار اليمن يسعون إلى عقد صلح مع المسلمين الذين كانوا يتمتعون برؤية صائبة تجاه التجارة التي يستقيم حال السكان بها، ويضمنون لتوفر احتياجاتهم وسهولة الحصول عليها ببسر وأمان. فعندما ذهب أهل حلب من التجار والعاملين بالسوق وغيرهم إلى أبي عبيدة بظليون منه عقد الصلح معهم حفاظاً على مصالحهم، قال: "إن هؤلاء أهل متجر وسوق وصناع وهم مستضعفون، وقد رأينا أن نحسن إليهم ونصالحهم ونطبق قلوبهم"^(٣٧٣).

أما تجار وسوق حمص فكانوا يخرجون إلى معسكر المسلمين، بعد عقد صلح معهم فيبيعون ويشترون، ويرحون الأموال الكثيرة، وسهل لهم الأمر ساحة المسلمين في بيعهم وشرايتهم"^(٣٧٤).

والمعروف أن التجار لا يمكن أن يخرجوا للبيع والشراء في معسكر للعدو، لا يأمنوا فيه على تجارتهم وأموالهم، ولكن لما زال الخوف من الجيش الإسلامي، ولعرفتهم من شواهد سابقة لمسوها أن هؤلاء لا يتعرضون لحقوق الآخرين مهما كانت.

موقف سكان بلاد الشام من المسلمين أننا -الفتح:-

لم تكن الانتصارات العسكرية التي حققها المسلمون هي السبب في ضم بلاد الشام إلى دار الإسلام، بل كان هناك ما هو أعظم منها تأثيراً على السكان، ألا وهو الجانب الأخلاقي، فقد كان له تأثير عظيم على هؤلاء السكان، حيث كان المسلمون يمتنعون بأخلاق عالية وإن شذ عنهم القليل، فلم يقدروا أو يخالفوا ما عقده مع السكان من عهود الصلح، أو يعترضوا الطرق بهدف السلب والنهب، فكانت أخلاقهم النابعة عن الدين الإسلامي، تؤثر في السكان وتجعل أهل البلاد التي لم تفتح بعد يسعون بأنفسهم لعقد الصلح مع المسلمين، ليس خوفاً منهم، وإنما لما سمعوه عن سلوكهم وأخلاقهم.

فهذا أمير "قدمه" يجمع رعيته عند ساعه يقدم المسلمين، ويقول عنهم لقومه "إن قومنا يتحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم، وإنهم لا يظليون الفساد"^{١٣٦١}. ولما عرض عليهم عقد صلح مع المسلمين فرحوا واعدوا مستلزمات الضيافة لهم دون تكليف أو إكراه من أحد^{١٣٦٢}.

وأما أهل حمص فخرجوا ومعهم الإجماع يعرضون الصلح على أبي عبيدة، ويقولون له "نريد أن نكون في صلحكم وذماصكم فأنتم أحب إلينا"^{١٣٦٣}. والواضح من ذلك أن سعة المسلمين الطيبة وحسن أخلاقهم في التعامل مع الأهالي، وكذلك عدلهم ذاع في أنحاء بلاد الشام، حيث صار الأهالي يتحدثون عن مساوئهم ويشنون عليهم، فأثنا فدوم الجيش الرومي لقتال المسلمين قبل معركة اليرموك، وكان معهم أحد نصارى العرب والذي روى ذلك بقوله "وأقبلت مع الروم فجعلنا لا نمر بأحد من أهل البلد، إلا وجدناهم أحسن شيء. ثنا على العرب في كل شيء من أمرهم وفي سيرتهم"^{١٣٦٤}.

إن ما ذكره هذا العربي النصراني صحيح فلو كان الأمر خلاف ذلك لذكره، وما يؤكد صدق كلامه أن أهل الذمة في بعض المدن صاروا عيوناً للمسلمين، فنجد أهل شيرز (٥) بعد استقبالهم لأبي عبيدة وعقد الصلح معه، يخبرونه بأن هرقل قد بعث جيشاً بقيادة جيلة بن الأبهم الغساني ومعه العرب المنتصرة والروم بعشرة آلاف فارس بعد استنجاد صاحب قنسرين، ونزولهم بجسر الحديد، وطُلب منه أن يكون على حذر منهم^{١٣٦٥}. فكان ينبغي على أهل شيرز أن يلقوا مع الروم إخوانهم في العقيدة ضد المسلمين، ولكن حدث العكس، فقد صاروا عيوناً للمسلمين يراقبون تحركات الروم، وينقلون الأخبار إليهم بدون إكراه أو إزام، لثقاتهم بعدل المسلمين وإحسانهم، قصاروا أحب إليهم من إخوانهم في العقيدة.

ولم يلب حدث انقسام بين والي المدينة الرومي الذي استعد بحيشه وخرج لقتال المسلمين، وبين الأهالي المرحين بقدمهم، حيث خرج ممثلو الأهالي سراً وبدون إذن البطريرك إلى أبي عبيدة يطلبون الصلح "جئنا نطلب منكم الصلح"^{١٤٦}. بما يشير إلى رفضهم مبدأ القتال. ولولا حسن تعامل المسلمين مع السكان، لما فعل أهالي حلب ما فعلوه، ولو رافق دخول المسلمين للمدن والقرى القتل، والسلب والنهب والاعتداء، على الأعراس لصد الأهالي مع الجيش الرومي، وقتلوا معه وسينتصرون في النهاية، لأن من يقاتلونهم عبارة عن لصوص وقتله لا هم لهم إلا أنفسهم وتحقيق مصالحهم.

أما سكان حمص فقد يادروا إلى طلب صلح المسلمين قبل وصولهم وكذا طلب الأمان لهم. فأمنهم المسلمون، فرحبوا بهم عند وصولهم وأخرجوا لهم الطعام ولبهاهم العلف^{١٤٧}.

ووجد من أهل الشام أفراد يتعاونون مع المسلمين، لأنهم لم يروا منهم إلا كل خير، ومن هؤلاء شخص حمل رسالة من المسلمين إلى بطريرك حمص، ويندو أنه كان شخصية لها مكانتها ومعروفة في المجتمع الشامي، حتى إن البطريرك استغرب من تصرفه، وسأله: "أرجعت عن دينك إلى دين العرب؟ قال: لا، ولكن في قلوبهم وعيهم أنا وأولادي وأهلي وأهلي، وما رأينا من القوم إلا خيراً..."^{١٤٨}.

<http://Archivebeta.Bahkrit.com>

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن أهالي حمص استعدوا لقتال الروم إلى جانب المسلمين بعد انسحاب المسلمين منها، وتعاهدوا على قتال جيش هرقل إذا حاول اقتحام المدينة، وأقسم اليهود: "والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب وبمحمد"^{١٤٩}. وأغلق الأهالي الأبواب، وتناوبوا الحراسة عليها، ولما علم أهل الذمة الذين صالحوا المسلمين في مدن الشام الأخرى، بذلك استعدوا لقتال الروم إلى جانب المسلمين، خوفاً من عودتهم إلى العبودية الرومية، بعد أن حررهم الإسلام منها ورفع عنهم الظلم.

ولو سار المسلمون على نهج الروم لوقف أهل الذمة على الحياد، لأنهم لا يريدون الجميع، وربما وقفوا إلى جانب الروم بحكم الرابط الديني، ولكنهم رأوا مصلحتهم أن يكونوا تحت حكم المسلمين، لأنهم أرحم بهم، وقالوا: "إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه"^{١٥٠}.

وبعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك فتح أهل الذمة مدنهم للمسلمين، وعادت العلاقة بينهم بموجب العهد السابقة.

ويرغم ترحيب الغالبية العظمى من أهل الذمة بالمسلمين، إلا أنه وجد من بينهم من يُكن للفاحش الكراهية ويرغب في القضاء عليهم، مثل أهل بيت المقدس، الذين سعوا في البداية إلى الصلح واشتروا عقده مع الخليفة عمر رضي الله عنه، وعلى الرغم من مجيئه وعقد الصلح معه، إلا أنهم حاولوا بعد ذلك الغدر بالمسلمين وقتلهم وهم في الصلاة بدون سلاح، غير أن بعضهم نصح بعدم الإقدام على هذا العمل، حتى لا ينقضوا الصلح، وطلب منهم بدلاً عن ذلك بإفرائهم بما يملكون من الأموال والمتاع، بعرضها في طريقهم، فإذا اعتدوا عليها كان لهم الحق في قتالهم^{١١٧}.

فعمل الأهالي بهذه النصيحة وأخرجوا كل ما لديهم من مال ومتاع ووضعوه في الطريق، فكان المسلمون ينظرون إلى ذلك في دخولهم وخروجهم، وهم يعجبون من ذلك الأمر، ويقولون: الحمد لله الذي أورتنا ديار قوم لهم مثل هذا^{١١٨}.

ومن ثم فقد حدث عكس ما كان يخطط له، فلم يلتفت أحد من المسلمين لما تم عرضه بل تحمدهم يستغربون من تصرفات سكان بيت المقدس، وربما أصاب أهل الذمة الخبرة والدعشة من تصرفات المسلمين، وتغيرت نظرتهم تجاه المسلمين بعد تأكدهم من رقي سلوكهم بعد هذا الاختبار العملي، إذا لم نذكر المصادر التاريخية التي أطلعنا عليها، وحسبنا تكرار مثل هذه الحادثة أو غيرها خلال الفترة الزمنية لهذا البحث.

وقد لفت سلوك المسلمين الراقي انتباه بطريق دمشق ومعه قادته، وأعجبوا بهم، فعندما كانوا يغيرون على أطراف دمشق وأصابوا نغلاً أتوا به في المقسم فلم يستحل أحد أن يغل شيئاً حتى أن الرجل من المسلمين، كان ربما أتى بكبة من غزل وكبة من الصوف والشعر والإبرة والسلة، وما فوق ذلك فيسلمه إلى صاحب المقسم^{١١٩}.

والمطلع على كتب التاريخ لا يجد مثلاً مشابهاً لما قام به أهالي بلاد الشام مع المسلمين، ولولا الرعاية لهم والمحافظة على العهود من قبل المسلمين لما حدث من الأهالي هذا التأيد والترحيب وتذليل كافة الصعوبات التي تعترض طريقهم.

المحور الثاني : حقوق أهل الذمة من سكان الشام بعد الفتح :

تغير وضع سكان بلاد الشام بعد أن صاروا من رعايا الخلافة الإسلامية، وأصبح وضعهم

أفضل مما كانوا عليه في عهد حكم الروم، الذي استمر سبعة قرون^{١٤٠}. حيث أصبح لهم حقوق عديدة لم يكونوا يتمتعون بها مثل : حرية الاعتقاد والحرية السياسية، وحماية ممتلكاتهم، وحرية التفاوض والعدل، وحرية التجارة والكسب، وغيرها من الحقوق، وأصبحوا في الوقت نفسه ملزمين بتأدية واجبات تجاه الخلافة الإسلامية.

فقد كفل الإسلام لهم هذه الحريات ورعاها وحافظ عليها، ولم تكن هبة منحها المسلمون - قادة وأفراد - إذ لو كان الأمر كذلك لتغيرت السياسة من قائد إلى آخر وفقاً لأهوائهم .

حرية الاعتقاد :

الحرية بالنسبة للإنسان من ضروريات حياته، فلا يمكن أن يستغنى عنها بأي حال من الأحوال، والحرية تشمل نواح عدة من بينها حرية الديانة وممارسة شعائرها بدون تدخل من أحد، والإسلام لا يدعو أتباع الديانات الأخرى مثل النصرانية واليهودية وغيرها إلى اعتناق الإسلام بالإكراه، وإنما ترك لهم حرية الاختيار وهذا ليس اجتهاد من المسلمين، وإنما أمر ملزم من رب العالمين (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)^{١٤١}. وبالتالي فما على المسلمين سوى التنفيذ، والالتزام بما ورد

فقد انتشر الإسلام بالدعوة القائمة على الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وسار المسلمون في بلاد الشام على هذا النحو، فقد عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء وجوده في بلاد الشام الإسلام على امرأة نصرانية عجوز، لكنها رفضت وفضلت الاحتفاظ بدينها حيث قال لها: "أسلمي تسلمي، بعث الله محمداً بالحق، فكشفت عن رأسها فإذا مثل الثغامة"^{١٤٢}، فقالت: عجوز كبيرة، وإنما أموت الآن، قال عمر: اللهم اشهد"^{١٤٣}.

وهذا جيلة بن الأيهم الغساني يعرض عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإسلام فأبى ذلك وقال: أقيم على ديني"^{١٤٤}.

ويفهم من النصين السابقين أن التبليغ والتعريف بالإسلام من مهام المسلمين وإلا فهم محاسبون على التقصير أمام الله، وأن الدعوة قد بلغت ويرث ذمة الخليفة أمام ربه في تبليغ رسالته، ولم يمارس الخليفة أي ضغط لتغيير دين من دعاهم إلى الإسلام، وفي المقابل لم يخافوا أو يعتنقوا الإسلام إرضاء للخليفة.

وكذلك كان الحال بالنسبة لقادة الفتح الإسلامي لبلاد الشام، فكان واجبه الإبلان دون الإكراه. فقد عرض خالد بن الوليد الإسلام على البطريرك الرومي على الرستاق الذي وقع في أسر المسلمين، فكان رده: "لا أريد بدينى بدلاً"^(١١١). فلم يعامل معاملة سيئة لأنه رفض الإسلام، بل أطلق سراحه وخرج مع أفراد أسرته إلى حمص، ولم تكن قد فتحت بعد^(١١٢).

وحدث الموقف نفسه مع القائد البيزنطي ماهان، فقد عرض عليه خالد بن الوليد الإسلام، فرد بقوله: "أما أن تدخل في دينكم، فما أبعد من ترى من الناس من يترك دينه، ويدخل في دينكم"^(١١٣).

أما بالنسبة لسكان بلاد الشام بشكل عام فقد منحوا حرية الاعتقاد بموجب العهد التي منحت لهم من قبل قادة الفتح الإسلامي^{١٥٨}. ولم يجبر إنسان أو جماعة على اعتناق الإسلام، فقد منح خالد بن الوليد أهل الرستاق حرية الاعتقاد "فأسلم منهم كثير وبقي الأكثر يؤدون الجزية"^(١١٤).

أما حاضر^(١١٥) قنسرين التي تسكنها بعض القبائل العربية، ومنها تنوخ، فقد دعاهم أبو عبيدة ابن الجراح إلى الإسلام، فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية بنو سليح^(١١٦). ولم يسلموا إلا في عهد الخليفة العباسي المهدي^(١١٧).

وهؤلاء أهل طرابلس يُعرض عليهم الإسلام "فأسلم البعض بينما بقى البعض الآخر على دينه مع دفع الجزية"^(١١٨).

إن إكراه الناس على اعتناق الإسلام غير جائز شرعاً، ولا يجدي نفعاً لأنه يولد العناد والتمسك بعقيدتهم، والدفاع عنها حتى الموت، والتاريخ يشهد ذلك، فقد حدث في بلاد الشام صراع شديد بين أهل الشام المعتنقين للمذهب المونوفيزي، الذي يؤمن أتباعه بأن للمسيح طبيعة لا هوتية واحدة، وبين المذهب الملكاني الذي يؤمن أتباعه ومنهم الروم (البيزنطيون) بأن للمسيح طبيعتين بشريه وإلهية، ونتيجة لهذا الاختلاف المذهبي، استخدمت الدولة الرومية وسائل عدة لإجبار أهل الشام على اعتناق المذهب الملكاني منها القتل والتعذيب بأبش صورته^(١١٩). فهل نفع القتل وخاف الشاميون منها وتحولوا عن مذهبهم؟ وهل نجحت وسائل التعذيب في تحقيق ذلك الهدف؟ .. والجواب على ذلك أن الدولة الرومانية فشلت في تحويلهم إلى مذهبها.

وتجد هنا الصراع المذهبي لم يزد الشاميين إلا تمسكاً بمذهبهم ومقاومة أساليب القتل والتعذيب بالصبر.

إن الانتقال من دين إلى دين آخر لا يمكن أن يتم إلا عن قناعة وإيمان عميق بالدين الجديد.

لقد منح أهل الذمة حرية الاعتقاد وممارسة طقوسهم الدينية، وحفظت أماكن عبادتهم من كنائس وأديرة، ومثلما كان الأذان يرفع من المآذن للإعلان بدخول وقت الصلاة، فقد كانت تضرب نواقيس الكنائس فيسمع أجراسها حتى إن بعض المسلمين قد تضرع منها، لأنها طفت على أصوات المؤذنين فتمنع سماعهم، وهذا بعلم وموافقة الوالي^(١٤١)، الذي لا يتدخل لتوقيفها أو منعها لأنها مرتبطة بالناحية العقدية لأهل الذمة، وهذا يؤكد على الحرية الدينية التي تمتعوا بها في بلاد الشام.

إن حرية الاعتقاد لأهل الذمة التي منحت لهم من المسلمين تشهد بها المصادر التاريخية، ويشهد بها الكثير من المؤرخين الغربيين فيقول سيدبو^(١٤٢) عن المسلمين أنهم "أبدوا من الإبقاء بالعهد ما أبدوا مبتعدين عن كل جور".

أما جرجي زيمان^(١٤٣) فيشهد بعدم تدخل المسلمين في شؤون أهل الذمة في كافة نواحي حياتهم، فيقول: "كان العرب إذا فتحوا بلداً أقرؤا أهله على ما كانوا عليه من قبل، لا يتعرضون لهم في شيء من دينهم أو معاملاتهم أو أحكامهم المدنية أو القضائية أو سائر أحوالهم".

ولا يشك عن هذا الرأي غرستاف لوبون^(١٤٤) الذي يؤكد أن المسلمين عرفوا: " كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبعدون عن أعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وأعرافها وعاداتها مكتفين بأخذهم في مقابل حمايتها جزية زهيدة".

بينما نجد سالفان^(١٤٥) يقول عن علاقة المسلمين بأهل الذمة من الناحية العقدية أنهم: "سحروا لهؤلاء الرعايا بممارسة طقوسهم الدينية المحلية... وعلى عكس ما هو معروف لم يحاول المسلمون إجبار رعاياهم على اعتناق الإسلام".

كما يذكر لوثروب^(١٤٦) بأن الخليفة عمر رضي الله عنه "يرعى حرمة الأماكن المقدسة النصرانية أهم رعاية، وقد سار خلفاؤه من بعده على أثره، فلا ضيقوا على النصارى ولا نالوا بمسأة طوائف الحجاج الوافدين كل عام إلى بيت المقدس من كل فج من أفجاج العالم الإسلامي".

هذه الشهادات وغيرها تؤكد بأن المسلمين منحوا أهل الذمة الحرية العقدية في ممارسة طقوسهم

الدينية والمحافظة على أماكن عبادتهم مثل الكنائس والأديرة والمعابد من الهدم والمصادرة.

الحرية السياسية :

عند الفتح الإسلامي لبلاد الشام أهدت الخلافة الإسلامية الولاة الروم في المدن التي كانوا يحكمونها ، وذلك بعد عقد الصلح معهم ، وأبقت النظم الإدارية المعمول بها دون تغيير ، فظل الولاة والموظفون في مناصبهم.

فقد ظل صاحب بيت المقدس والياً عليها بعد انعقاد الصلح مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وحاول هذا الوالي عمل وليمة طعام لأمير المؤمنين ، لكنه رفض حتى لا يهينه ويحصله ما لا طاقة له^(١٣١).

وعند فتح الرها لم يتم عزل واليها الروماني ميثوليس الذي عمل طعاماً كثيراً ودعا عياض بن غنم ومن شاء من المسلمين لتناوله ، لكنه اعتذر اقتداءً بأمير المؤمنين عمر ، فصار البيطريق محرماً بين أصحابه وقادته ، فطلب من عياض أن يأمر أصحابه بتلبية دعوته ، فقال : " ما كنت بالذي أمرهم ولا أنهارهم"^(١٣٢)

<http://Archiwebeta.Baharrit.com>

فازداد أمير الرها حرجاً ، وزعماً ظهرت عليه علامات الخوف حتى أن عياض طمأنه وقال له : " أيها البيطريق إنما أنت تفعل بنا ذلك خوفاً على أرضك ، وإنما يجب عليك أن تفعل هذا بمن يأتيك بعدنا ، فأما نحن فقد ولينا لك بالصلح فلا تخف منا ظمناً ، ولا أن تحملك ما لا تطيق"^(١٣٣) ، ويحمل هذا الجواب حُسن تعامل المسلمين مع أهل الذمة ووفائهم بالعهود وعدم نكثها مهما كانت الظروف ، وعدم تحميل أهل الذمة ما لا يطيقون ، وهذا منهج سار عليه جميع المسلمين .

وعلى الرغم من أن بلاد الشام قد صارت تابعة للخلافة الإسلامية إلا أنها لم تتدخل في شئون أهل الذمة الداخلية ، فالولاة كانوا يعينون من قبل الدولة الرومية ، ولا يحدث اعتراض من قبل المسلمين ، لأنهم يعتبرون هذا شأن داخلي خاص بأهل الذمة ، طالما وأمر دعوتهم قانسة.

فبعد وفاة بطريق شيزر الذي عقد صلح مع المسلمين ، أرسل هرقل امبراطور الروم بطريقاً على شيزر اسمه نكس ، وكان غائباً جباراً ، وكان أول عمل قام به هو إلغاء الصلح مع المسلمين ، ثم أساء السيرة مع أهل شيزر بالاعتداء عليهم والاستيلاء على أموالهم ، ومصادرة ممتلكاتهم ، ولما

علم أبا عبيدة بالغاؤه (نكس) الصلح مع المسلمين ، أعد جيشاً لمقاتلته ، وقدر للمسلمين عدم الدخول في قتال معه لأن أهل شيزر ثاروا عليه وعلى أتباعه وقتلوهم جميعاً ، ثم خرجوا إلى أبي عبيدة الذي كان معسكراً خارج المدينة وقالوا له : " أيها الأمير إنا قتلنا بطريقنا في محبتكم ، فقال : يا أهل شيزر بيض الله وجوهكم وأدرر رزقكم ... " (١٤٦) .

وتجد هنا أن المسلمين لم يتدخلوا في شئون أهل الذمة الداخلية مهما كان الصراع بينهم حاكماً ومحكوماً وأنهم لم يتجهأوا للتحرك ضد والي شيزر الروماني إلا لكونه نقض صلحهم فقط وليس لقيامه بظلم أهالي المدينة الذين قاموا بهذه المهمة وتخلصوا من نكس وأتباعه بدون تحريض من المسلمين أو دعم مادي ومعنوي قديم لهم . فكل ما قاموا به هو كراهبتهم لبطريقهم الذي أساء السيرة فيهم ، ومحية في المسلمين لما أسوه من الصدق والوفاء عندهم .

وتكرر الحدث نفسه في بعلبك ، حيث عقد المسلمون صلحاً مع بطريقها الروماني ، وظلوا في معسكرهم خارج المدينة ، ولكن التعامل بين المسلمين وسكان المدينة كان قائماً وخاصة في الناحية التجارية . ولما كسب تجار المدينة الأجزاء المجاورة من تجارهم مع المسلمين ابتزهم البطريق وفرض عليهم تسليم عشر أرباحهم ، وزعم استجابتهم لطلبه فقد زادت أطماعه وفرض عليهم تسليم ربع أموالهم ، فثاروا عليه وتم قتله مع أتباعه . وبعد هذا الحادث طلب أهل بعلبك من المسلمين دخول مدينتهم ، لكنهم فضلوا التشاور مع أبي عبيدة بن الجراح الذي وافق على دخولهم بناء على طلب أهلها ، وهذا ليس مخالفاً للعهد معهم (١٤٧) .

إن الدولة - أي دولة - عندما تستولي على بلاد تسعى بكل ما تستطيع إلى ربطها بملكها عن طريق تعيين ولاية من قبلها ، وبواسطتهم تفرض القوانين والأعراف والتقاليد حتى تضمن ولايتهم ، لكن الخلافة الإسلامية أبقّت الولاية والنظم السائدة في بلاد الشام كما هي دون تغيير ، لأن هدف المسلمين ليس سياسياً أو مالياً وإنما دينياً يقوم على الدعوة إلى الإسلام .

يقول ساليغان (١٤٨) بأن المسلمين أبقوا " النظم الحكومية كما هي في البلاد التي فتحوها " ، كما يقول جرجي زيدان (١٤٩) عن المنهج الذي سار عليه المسلمون : " كان العرب إذا فتحوا بلداً أقروا أهله على ما كانوا عليه من قبل لا يتعرضون لهم في شيء " .

احترام عادات وتقاليد أهل الذمة :

مع إن العهد التي منحها المسلمون لأهل الذمة لا تتضمن بنشأ صريحاً يلزم المسلمين باحترام عادات وتقاليد أهل الذمة من سكان بلاد الشام إلا أن حرص الولاة على الإبقاء - بتلك العهد جعلهم يعدون تلك الأمور من بين الأسباب التي يمكن أن يؤدي الاختلاف فيها إلى نقض تلك العهد وبالتالي اعتبارها من خصوصيات أهل الذمة التي ينبغي احترامها عند التعامل معهم، وما يذكر أنه لما قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلاد الشام استقبله جمع من أهل الذمة بالسيوف والريحان ، فاستنكر الأمر وأمر بردهم ومنعهم " فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم أو كلمة نحوها وإنك إن تمنعهم منها يروا في ذلك نقضاً لعهدهم فقال عمر : دعوهم "١٧٨١ .

واستقبال هؤلاء الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالسيوف والريحان كان لعبة ترحيبية تقوم بها فئة من أهل الشام تعرف بـ (المقلسين) بين أيدي الأسياد الذين يقدمون إلى بلادهم^(١٧٨١)، وبالتالي فعندما عرف الخليفة أنها من عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة فقد أقرها رغم كراهيته لها ، ولم يستخدم سلطته في إجبار أهل الذمة على تركها

حماية ملكيات أهل الذمة:

كان لأهل الذمة ممتلكات مختلفة مالية وعينية كاليوت والأراضي وما أن حماية تلك الملكيات حقاً من حقوق أهل الذمة فقد حفظها المسلمون لهم وتولت من النهب والمصادرة بموجب النصوص الشرعية الإسلامية ووصايا الخلفاء والعهد التي عقدت معهم ..

فيالنسبة ليوت أهل الذمة فقد كانت محرمة على المسلمين دخولها إلا بإذن أصحابها ، فعندما عقد المسلمون صلحاً مع أهل الرها نادى عياض بن غنم في جنده : " ألا إن أهل الرها في ذمتنا وعهدنا ، فلا تؤذوهم ، ولا تدخلوا عليهم في منازلهم إلا بإذن ... "١٨٠٠ .

ولمجد في هذه الرواية أن الأوامر لجند المسلمين لم تقتصر على عدم دخول المسلمين البيوت إلا بإذن أصحابها ، وإنما عدم إيذائهم في مدينتهم بشكل عام ، سواء كان ذلك بالجلوس في الطرقات ومزاولة المارة أم التصنت على السكان في بيوتهم ومرآقتهم ، أو كشف عوراتهم ، وهذا يعني الحفاظ على حرية العيش لأهل الذمة .

ووجدت بيوت خالية من سكانها أثناء الفتوحات تركها أصحابها وفروا منها خوفاً من المسلمين ، وما قد يتعرضون له بحسب رأيهم ، ورغم هذا نجد المسلمين هنا لا يحلون لأنفسهم هذه البيوت الخالية من سكانها وما فيها من ممتلكات ، وإنما تركت حتى يعود أصحابها إليها^(١٨١) ، وصار لزاماً على المسلمين حمايتها من أي طامع أو معتد ، وكان هذا هو تعامل المسلمين مع بيوت أهل الذمة في معظم بلاد الشام .

أما بيوت دمشق فستوقف عندها قليلاً ، ونتناول الخلاف بين المؤرخين حولها ، فنجد الطبري^(١٨٢) يورد رواية عن سيف بن عمر التميمي دون إبراد بنود الصلح أو العهد ، لكنه يذكر بأن الصلح مع أهل دمشق " كان على المقاسمة ، الدينار والعقار " وأخذ بهذه الرواية العديد من المؤرخين^(١٨٣) .

أما البلاذري^(١٨٤) فقد أورد رواية انفرد بها ، تضمنت العهد الذي أعطاه خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل دمشق " بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها وأعطاهم أماناً على أنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسور مدينتهم لا يهدم ، ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء والمؤمنين ، لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية " ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إننا نجد يتغنى مسألة المناصفة المذكورة وتقتل ذلك في قوله : " وزعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وقال محمد بن سعد قال أبو عبد الله الواقدي : قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس ، وقد روى ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية ، فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون^(١٨٥) .

وأمام هذا التباين بين ما ورد عند المؤرخين حول هذا الأمر ، فإننا نقبل إلى ما ذكره البلاذري لاعتبارات عدة هي :

- إن هذا العهد لا يختلف عن العهود التي منحت لأهل الذمة في مدن الشام كافة .
- لماذا يتم تقسيم دور أهل دمشق دون غيرهم من أهل الذمة في مدن الشام ؟ وما هو الجرم الذي قاسوا به حتى يتم تقسيم أموالهم ودورهم ؟

- إذا أقر أهل الذمة بالجزية وسُلمت للمسلمين بعد الفتح ، صار لهم حقوق كما نص العهد وبحسب الشرع بأن أهل الذمة الذين يعطون الجزية " لم يؤخذ منهم شيء من ثمارهم ولا تجارتهم ولا زروعهم ^(١٨١) فكيف للمسلمين أن ينتهكوا العهد ويقاسوا أهل الذمة في دمشق أموالهم وبيوتهم ، وهذا يُعد مخالفة للشرع الإسلامي ولأهداف الفتوحات .
- إن كتب الفتوح لم تشر إلى المناصفة ^(١٨٢) .

ويبدو أنه حدث خلط بين الرواة حول هذا الأمر ، فالبيوت التي نزل فيها المسلمون كانت خالية من سكانها كما ذكرنا سابقاً ، ولو كانت عامرة بأصحابها لما نزلها المسلمون على الإطلاق ، فلم تذكر المصادر التاريخية بأن المسلمين أخرجوا أصحاب تلك البيوت عنها بالقوة ، وقت مصادرتها ، ولو حدث مثل هذا لذكرت ذلك .

وبالنسبة لحمص فقد أورد الطبري ^(١٨٣) أيضاً أن المسلمين صالحوا أهل حمص " على انصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم ويهبانهم لا ينزلونه عليهم ، فتركوه لهم " . ونجد أن هذا تكرار لما ذكره عن صلح دمشق ، والثمن " الجديد فيما أورده عدم المناصفة في أموالهم ، وترك أموال الروم وبيوتهم لأهل حمص .

<http://Archivebeta.Bekhrit.com>

ونحن لا نميل إلى ما أورده الطبري لأنه يتناقض مع ما ورد في بقية المصادر ^(١٨٤) ومنها فتوح البلدان ^(١٨٥) ، الذي ذكر أن أبا عبيدة عندما صالح أهل حمص " أمتهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم ، واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد " . أما الأزدي ^(١٨٦) فذكر أن أبا عبيدة كتب لهم " كتاباً بالأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ... " .

إن عهد الصلح التي عقدها المسلمون مع أهالي مدن الشام لا اختلاف بينها من حيث المضمون والذي منه الأمان لبيوتهم وعدم نزولها ومصادرتها ، وإن اختلفت مآنها .

وفي بعض الأحيان والظروف خاصة تستدعي ذلك يضطر المسلمون إلى إخلاء السكان من دورهم إذا اقتضى الأمر مثلما حدث مع سكان مدينة عرب سوس ، والسبب الذي جعل عمير بن سعد يقوم بهذا العمل أنها كانت عبارة عن مركز تجسس للروم على المسلمين مما ألحق الأذى بهم ، وقبل قيام عمير بذلك استأذن الخليفة : " يا أمير المؤمنين بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها عرب سوس يُطلِّع عدونا على عوراتنا ويفعلون ويفعلون ، فقال عمر : خيِّرهم بين أن ينتقلوا من مدينتهم وتعطيهم مكان كل شاه شاتين ، ومكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شيء شيئين ، فإن فعلوا فاعطهم ذلك ، وإن أبوا فانيذ إليهم على سوا . ثم أجلبهم سنة ^(١٨٧) " .

ولما عرض عمير أمر الخليفة على سكان عرب سوس رفضوا ، فاضطر إلى إخراجهم بالقوة وصاحب إخراجهم حدوث أضرار في دورهم ، فوصلت الأخبار إلى أمير المؤمنين فلم يسامحه وشره بالدرة^{١٤١} . وما قام به عمير شي - طبيعي أن يصاحب عمله ضرر سواء للسكان أو البيوت نتيجة لرفضهم ، ومع ذلك لم يغفر له الخليفة للأذى الذي لحق بأهل الذمة ، وهذا يمثل قمة الأخلاق في التعامل والمحافظة على شعور أهل الذمة .

والإجلاء لم يكن دائماً وإنما كان مؤقتاً ومحدداً بمدة زمنية (لمدة عام) ، ثم يسمح لهم بالعودة ، ولم يذكر بأن المسلمين قد نزلوا هذه البيوت خلال مدة الإجلاء ، وإنما ظلت خالية ، وربما كلف من المسلمين من يحرسها حتى عودة أصحابها .

وقد كفلت العهود أيضاً حماية أراضي أهل الذمة فلا يجوز الاستيلاء عليها أو مصادرتها أو الاعتداء عليها ، وأولها الخلفاء - جل اهتمامهم من خلال المتابعة لما يجري في بلاد الشام ، وقد ذكرنا سابقاً رسالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأبي عبيدة بن الجراح يطلب منه منع أي فساد قد يلحق بأراضي الدارين ، ويعلنه أن أهلها أحق بزراعتها ، وأنه بعث أيضاً برسالة إلى الدارين بظمتهم على أراضيهم بمنع المسلمين عنها .

ولم يكتف المسلمون بذلك ، بل اتجهوا بحفاظون على أشجارها من الاعتداء عليها . فعندما كان أبو عبيدة بن الجراح في شيزر كانت عبيد المسلمين تأتي بالأحطاب من أشجار الزيتون والرمان وغيرها من الأشجار ، فلما علم أنكروا عليهم ذلك وقال : " ما هذا الفساد ، فقالوا : أهبها الأمير إن الأحطاب متباعدة منه ، وهذه الأشجار قريبة ، فقال الأمير أبو عبيدة : عزمة مني على كل حر وعبد قطع شجرة لها طعم وثمار لأجازته ولأنكلن به . فلما سمع العبيد ذلك التكال جعلوا يأتون بالأحطاب من أقصى الديار^{١٤٢} .

ومثال آخر يؤيد ذلك لنفسه فيما ذكر عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قاتنا وجوده في الحجابة جاء إليه رجل من أهل الذمة يشكو إليه قيام بعض المسلمين بالتعرض لعنبة ، فسارع الخليفة عندها إلى مزرعة ذلك الذمي ولما تأكد بنفسه من ذلك الأمر بعد رؤيته أحد المسلمين يحمل عنياً أمر " لصاحب الكرم بقيمة عنبه^{١٤٣} .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن الخليفة - تبرأ إلى أهل الذمة من معرة الجيش^{١٤٤} واستخدام الخليفة كلمة معرة يعني أنه نظر إلى ذلك الفعل أنه من الأفعال المستقبحة والمكروهة لدى المسلمين لأن ذلك هو مدلول تلك الكلمة كما يذكر ابن منظور^{١٤٥} .

والأمثلة السابقة توضح دور الجانب الرسمي في المحافظة على أراضي أهل الذمة وما تحويه من أشجار وثمار ، أما على المستوى الشخصي فيتضح ذلك فيما قام به أبو الدرداء - رضی الله عنه حيث كان ينزل في قرية لأهل الذمة ولا يزيد أثناء جلوسه فيها عن شرب مائهم والاستقلال بأشجارهم وعندما ترعى دابته في كلاتهم كان يعطيهم مالاً مقابل ذلك^{١٤٨} .

ومما يذكر أيضاً أن أبا هريرة قال لرجل يريد الغزو : " لا تطأ حرفاً وتطلع شرفاً إلا بإذن إمامك ، وإياك والمخلاة ... من أموال أهل الذمة ثم تقول : أنا غازٍ .. ثم لقي الرجل ابن عباس ، فقال له مثل ذلك^{١٤٩} .

وهنا نلاحظ إلتزام المسلمين على المستويين الرسمي والفردى بحماية أراضي أهل الذمة واحترام ملكيتهم لها بما تحويه من ثمار وكلاء ، وأن العلماء كان لهم دور كبير في التزام بقية المسلمين بتلك الأمور وأن الأمر لم يقتصر على ما ورد في العهد فقط .

ومثلما كانت هناك أراضي مملوكة لأهل الذمة ، كانت هناك أراضٍ غير مملوكة من قبلهم أو غيرهم ، وأيضاً كانت توجد أراضي تعود ملكيتها إلى الروم قادة وأفراداً ، وأثناء الفتوحات الإسلامية تركوها فصار ملكيتها للمسلمين ، فتم توزيعها على المسلمين لبناء مساكن لهم ، بعد تخطيطها وتقسيمها فيما بينهم ، كما حدث في حصص^{١٥٠} .

وبالنسبة للأراضي التي كانت تعود ملكيتها للدولة الرومانية فقد كان لها وضع خاص ، حيث تم إقطاعها للجنود المسلمين على سبيل المنفعة ، وليس على سبيل التملك ، والسبب الذي جعل القيادة في بلاد الشام تتجه نحو هذا أن القوات الرومانية كانت تُغير على سواحل بلاد الشام من تلك المناطق ، فاضطر المسلمون إلى مهاجمتها ، وعندما فر الروم منها تم إقطاعها للمسلمين وذلك أواخر خلافة عمر وبداية خلافة عثمان رضي الله عنهما^{١٥١} .

والإقطاع (من أقطع) يعني إعطاء المسلمين أراضي غير مملوكة لأهل الذمة ، وقد يقول البعض أن هذا مخالف للعهد ، وحتى لا يلتبس الأمر نحب أن نوضح أمرين حتى تتضح الصورة عن أراضي بلاد الشام :

الأول : أن الأراضي التي فُتحت عنوة هي ملك المسلمين الفاتحين ، يتم تقسيمها بينهم ، ولكن هذا لم يتم لأن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفض تقسيمها ، لأنه كان يرى أن ذلك يؤدي إلى

حرمان من يأتي بعدهم من المسلمين حيث بعث برسالة إلى سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه الذي طالبه المسلمون بتقسيم الغنائم ومنها الأراضي عند فتح العراق : " .. ما أجلب الناس عليك من كراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأثهار لعمال ليكون ذلك في أعطياب المسلمين ، فإنك إن قسمتها فيمن حضر لم يكن لمن يجي ، بعدهم شيء " (١٠٠٢)

الثاني : إن الأراضي التي فتحت صلحاً تكون لأهلها وللمسلمين المخرج فقط (١٠٠٣) .

حرية المتاجرة والكسب :

ومن الحقوق التي كانت لأهل الذمة والتي تمتعوا بها في عهد حكم المسلمين حرية المتاجرة والكسب مهما بلغت ثرواتهم فلا يتم التعرض لتجارتهم سواء تلك التي مع المسلمين أو تلك التي تخصهم في نوعها والمتاجرة فيما بينهم .

فسبق وذكرنا أن أهل بعلبك رحبوا أموالاً كثيرة من البيع والشراء مع المسلمين ، فلم يتدخل المسلمون في شئونهم بعد رجوعهم تلك الأموال أو أهلها والرغبة في المقاسمة ، لأن ذلك رزقهم لا يجوز مشاركتهم فيه طالما وهم ملتزمون بقاوية الواجبات المالية التي عليهم (١٠٠٤) .

وهو ما افتقدوا وجوده لدى حاكم المدينة الروماني المسيحي الذي سعى إلى مفاستهم تلك الأرباح مما جعلهم يشورون عليه ، ويقومون بقتله مع جنده (١٠٠٥) .

وبما يتدرج أيضاً ضمن حرية المتاجرة لأهل الذمة بعد الفتح حرية بيع وشراء الخمر ، رغم أنها تعد من المحرمات عند المسلمين ، فقد وجدت محلات تجارية لبيع الخمر لأهل الذمة .

وبما يذكر عن ذلك أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ثقب قطارة لحمل خمر لأحد حجار أهل الذمة ، ولما علم والي الشام معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه بذلك شكاه إلى الصحابي الجليل أبي هريرة وطلب منه أن يمنع عبادة من تكرار ذلك الفعل لأنه : " يغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرتهم " (١٠٠٦) .

وفهم من هذه الرواية أن أمير الشام رأى بحكم ولايته جواز متاجرة أهل الذمة للخمر فيما بينهم لإدراكه في الغالب أنها من خصوصياتهم وتدخل في حرياتهم الشخصية من دون أن يعنى ذلك علاقة الأمر بتوجيهات أو وصايا الخليفة عثمان رضى الله عنه .

حرية التقاضي والعدل :

لم يتدخل المسلمون في شئون أهل الذمة فيما يخص المنازعات بينهم ، احتراماً لخصوصياتهم الدينية المرتبطة بذلك الأمر وتركوا لهم حرية القرار ، كما التزموا بإنفاذ العدل في الحالات التي يكون فيها التنازع بين مسلم وذمي . فغيما يخص حرية التقاضي بذكر ابن أعمش^(١١٠) بأن امرأة نصرانية اختلفت مع ابن عمها فاحتكما إلى عياض بن غنم في شيء كان بينهما فقضى عياض على المرأة بالحق . ويبدو أنها قبلت حكمه ولم يذكر المصدر خلاف ذلك مما يرجح أنها قبلت حكمه ولم تعترض عليه لأنه أحق الحق وأبطل الباطل وهذا يؤكد على عدل المسلمين في أحكامهم ، ولو لم يكونوا كذلك لما احتكما إليهم وكان بإمكانهما أن يذهبا إلى كبار أهل ملتهن للتقاضي أمامهم .

أما فيما يخص التزامهم العدل عندما يكون النزاع بين مسلم وذمي فتتمثل أولى شواهد ذلك في شكوى تقدم بها رجل يهودي لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عندما قدم الشام ضد أحد المسلمين فقال : " يا أمير المؤمنين إن رجلاً من المسلمين صنع بي ما ترى . وهو مشجوج مضروب . فغضب عمر غضباً شديداً ثم قال لصهيب : انطلق فانظر من صاحبه . فأنتى به . قال : فانطلق صهيب فإذا هو عوف بن مالك الأشجعي^(١١١) فقال له عمر : مالك ولهذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع ، فلم تصرع فدفعها فصرعت . فغشيتها . أو أكب عليها . قال : أنتنى بالمرأة فلتنصدق ما قلت . فأناها عوف بن مالك . فقال أبوها وزوجها : ما أردت إلى صاحبنا ؟ قد فضحتنا . فقالت : والله لأذهبن معه . فقال أبوها وزوجها : نحن نذهب فنبلغ عنك . فأنتى عمر فأخبراه بمثل قول عوف فأمر باليهودي وصلب . وقال : ما على هذا صالحناكم^(١١٢) .

لقد غضب أمير المؤمنين من الصحابي عوف بن مالك لما رأى ما وقع لليهودي ، ومثل هذا الغضب مطلوب عندما يرى الظلم يقع على إنسان ، فأراد إنصافه ممن اعتدى عليه مهما كانت مكانته لأنه مسئول عن إقامة العدل ، ولما اتضحت الحقيقة أمر الخليفة بقتل اليهودي وصلبه لأنه انتهك حرمة المرأة المسلمة ، وهذا مخالف لما صرحوا عليه .

وماذا لو ارتكب عوف عمله هذا ظلماً وعدواناً ، هل يمكن لأمير المؤمنين أن يسامحه ويتجاوز عن جرمه ؟ وللإجابة نقول : لا ، لأنه في هذه الحالة يُعد ظالماً ومخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في عدم إقامة العدل بين الناس .

وعندما تثبت القران على مخالفة أي إنسان يجب الفصاح منه بحسب جرمه وإن كان صحابياً مثل عبادة بن الصامت رضى الله عنه الذي " دعا نبطياً يمك له دابته عند بيت المقدس ، فأبى فضره فشهجه ، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب ، فقال له : ما دعاك إلى ما صنعت بهذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أمرته أن يمك دابتي فأبى ، وأنا رجل قبيح فضرته ، فقال : اجلس للقصاص ، فقال زيد بن ثابت : أتقيد عبدك من أخيك ؟ فترك عمر القود وقضى عليه بالدية " (١١٠) .

فعلى الرغم من مكانة عبادة إلا أن الخليفة لم يتركه بدون عقاب إحقاقاً للحق وإنصافاً للمظلوم .

ومثلما وجد من المسلمين من تكون طبيعتهم حادة تؤذي الناس بغير حق ، فقد وجد منهم من يحرص على عدم إيذاء أهل الذمة حتى بالكلمة ، حفاظاً على مشاعرهم ، والرفق بهم واللين معهم ، فقد رفض عمير بن سعد أن يحدد له العهد بولاية حمص ، وكان رده لعمر رضى الله عنه : " إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك جواله ما سلمت بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني أخزاک الله ، فهنا ما عرضتني له يا عمر " (١١١) .

http://ArchiveBeta.Bakrrit.com

لقد عدَّ عمير كلمة أخزاک الله للنصراني بمثابة جريمة ارتكبتها ، وأراد أن يحي آثارها بعدم الموافقة على تجديد ولايته ، وهذا يدل على المستوى الأخلاقي الرفيع في المحافظة على شعور رعاياهم ، وإذا كان الإحساس بالذنب من كلمة فهل من المعقول أن يعتدى على حقوق أهل الذمة في ظل أمثال هؤلاء الولاة .

ولم يقتصر الأمر على الخلفاء والولاة في إقامة العدل بين رعاياهم من أهل الذمة ، بل شاركهم العلماء ، لأن رفع الظلم مستولية الجميع ، فقد مرَّ قس فلعهنه بعض المسلمين ، فسمع أبو الدرداء فقال : " من هذا الذي لعنتم أنفاً ؟ فقالوا قس مرُّ بنا فأعجبنا سنه ، قال : فلا تفعلوا ، فإنه لا يتبغي للعان أن يكون عند الله صدقاً " (١١٢) .

وإذا وجد من يجهل بما أمر الله به ، فقد وجد من يرددهم إلى الصواب ، لأن الإسلام يأمرهم بهذا وينهى العمل به وعدم مخالفته .

ومن عدل المسلمين لرعاياهم من أهل الذمة احترام رقباتهم الشخصية كونها من حقوقهم التي

يجب أن نضام ويحافظ عليها ، فقد رأى عباس بن غنم في الرها امرأة نصرانية تتمتع بالحسن والجمال ، فلم يعط لنفسه الحق في التعرض لها بل عرض عليها الزواج ، فوافقت بشرط الاحتفاظ بدينها ، فأعرض عنها وتركها ، وهذا السلوك الحسن جعل تلك المرأة تحبه وتوده ، حتى أنها رقصت من تقدم لخطبتها بعده . وظلت توده حتى أنها كانت تصنع له الطعام وترسله إليه ، فيقبل منها ويبادلها نفس الود حتى أنه وهب لها جارية لتكون خادمة لها^(١١١) .

ومن عدل المسلمين ووفائهم وأمانتهم في الإيلاء بالعهد أن جعلت موقف سكان بلاد الشام يتغيرون في موقفهم من العداة والحقد المفرط ضد المسلمين إلى إظهار المودة لهم وإبداة استعدادهم لمشاركتهم حرب الروم ، فتجد أن أهل حمص قبل دخول المسلمين إليها يحملون في قلوبهم الحقد والكراهة الشديد لهم ، لدرجة أنهم هموا برمي الرسول الذي يحمل إليهم رسالة أبو عبيدة بالسهم والحجارة وهو نصراني على دينهم^(١١٢) ، فما الذي جعلهم يتغيرون بهذه الصورة ويصيرون قلباً واحداً مع المسلمين، ومثلما كانوا متحسين لقتال المسلمين ، صاروا ينفس الحماسة والشدة مدافعين عنهم ويعملون معهم ، أليس العدل والأمن وصورون ممتلكاتهم والحربة التي وجدوها مع الإسلام والمسلمين واقتفدوها مع أبنائنا، جلدتهم وعقببتهم.

ولذلك محصل أهل الذمة لولا - المعارضة ضد الروم ، فقد تعاهد أهل حمص بعد انسحاب المسلمين منها على مقاتلة جيش هرقل إذا حاول اقتحام المدينة ، وأقسم اليهود بأن لا يدخل الروم المدينة * والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ويجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود^(١١٣) .

والذي جعلهم يفعلون هذا ويقفون إلى جانب المسلمين ، الخوف من الرجوع إلى عهد الظلم والتعسف الرومي بعد أن عاشوا في جو يسوده العدل والحربة في عهد المسلمين .

واجبات أهل الذمة :

محدثنا عن الحفوق (الحريات) التي تمتع بها أهل الذمة في بلاد الشام بعد الفتح ، ولا بد أن نتعرف على الواجبات التي كانت عليهم فقد كان من الواجب عليهم الالتزام بواجبات مالية وغير مالية أما فيما يخص المالية فتتمثل في الآتي :

الجزية :

هي موضوعة على رؤوس أهل الذمة ، وتجب على الرجال الأحرار العقلاء ، وتسقط الجزية عنهم بالإسلام^(١١١١) . وأموال الجزية هي مقابل الحماية والدفاع عنهم^(١١١٢) .

وعندما لا يفي المسلمون بما تم في الصلح مع أهل الذمة ، مثل حمايتهم والدفاع عنهم تسقط الجزية عنهم ولا يجوز أخذها ، وطبق هذا المبدأ أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه الذي أمر سويد بن كثوم القرشي أن يرد على أهل الذمة في دمشق ما كان اجتبى منهم ، فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم : " نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم ونحن معيدون لكم أماناً ومتمنون لكم ما كنا صالحناكم عليه^(١١١٣) .

ولم يقتصر الأمر على دمشق عندما انسحب المسلمون منها إلى اليرموك لمواجهة الروم ، بل أمر أبو عبيدة بن الجراح عند الانسحاب أيضاً من حصص لنفس السب حبيب بن مسلمة المتولي حراج حصص يرد أموال أهل الذمة الذين كانوا قد صالحوا المسلمين : " اردد على القوم الذين كنا قد صالحناهم من أهل البلاد ما كنا أخذنا منهم ، فإنه لا ينبغي لنا إذا لم تمنعهم أن نأخذ منهم شيئاً وقل لهم : نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح ، لا نرجع عنه ، وإنما ردنا عليكم أموالكم أنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا تمنع بلادكم^(١١١٤) ، فدعا حبيب الناس ورد عليهم ما أخذ منهم من مال وأخيرهم بما قاله أبو عبيدة .

وأمام الوفاء عند المسلمين في المحافظة على عهودهم ، ونتيجة لهذا الموقف النبيل والأخلاق الفاضلة ، كان رد فعل أهل حصص أن قابلوا الإحسان بالإحسان والوفاء بالوفاء ، فقالوا للمسلمين : " ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا علينا ، لا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا^(١١١٥) ، وفي رواية أخرى قالوا : " لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم^(١١١٦) .

وختلف الفقهاء في قدر الجزية فكان يؤخذ في البداية على كل رجل من أهل الذمة ديناراً وجريباً^(١١١٧) (من المنطة)^(١١١٨) ، ثم وضعها عمر رضى الله عنه أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعين درهماً على أهل الورق^(١١١٩) ، وجعلهم طبقات ، يعنى الغنى ، وإقلال المقل ، وتوسط المتوسط^(١١٢٠) ، وتسلم الجزية آخر السنة ولا يجوز مطالبتهم بها قبل ذلك ، وفي حالة عدم القدرة على دفعها للمسلمين لا يجوز تعذيبهم ولا حبسهم ولا ضربهم على إبدائها^(١١٢١) .

ويستثنى من دفع الجزية النساء والصبيان^(١٣٣) . وكذلك المسكين الذي يتصدق عليه ، والأعمى الذي لا حرفة له ولا عمل ، والفقير ، والمترهبون المساكين ، والشيخ الذي لا يستطيع العمل ، وكذلك المجنون^(١٣٤) .

إن من عدالة الإسلام مراعاة ظروف أهل الذمة المادية ، فلم يجبر المساكين والفقراء منهم على دفع الجزية ، واستثنى أيضاً النساء والصبيان والمجانين من دفعها . ومع ذلك تهتم الخلافة الإسلامية بهؤلاء وغيرهم إذا اقتضت الحاجة ذلك ، فعندما مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم مجذومين من النصارى في بلاد الشام أمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت^(١٣٥) .

فقدمت لهم مساعدة عاجلة لتدبير معيشتهم ، إضافة إلى تقديم الأرزاق لهم طوال حياتهم وهذا يمثل قمة العدل في تقديم ما يحتاجه رعايا الدولة من أهل الذمة ، فلم يكن هم المسلمين جمع الأموال دون مراعاة لظروف رعاياهم لأن الإسلام لا يأمر بذلك لأن الهدف هو الدعوة وليس الجباية .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Bakhril.com>

هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها^(١٣٦) .

وأراضي الحراج نوعان :

الأول : أراضٍ فتحت عنوة فهي فين المسلمين ، يؤدي أهلها الحراج إلى الدولة (الإمام) .

الثاني : أراضٍ افتتحت صلحاً على خراج معلوم^(١٣٧) .

أما الواجبات الأخرى غير المالية فتتثل في الآتي :

ألا يذكروا كتاب الله تعالى بظعن فيه ولا يحرف له ، وألا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء . وألا يتعرضوا لدين الإسلام بدم له ولا قدح فيه ، وألا يزونا بمسلمة ، وألا يقتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ، وألا يعينوا العدو ومن يناصره على المسلمين^(١٣٨) . وألا يجتمعوا على قتال المسلمين^(١٣٩) .

وتخلص في نهاية البحث إلى الآتي :

أن الإسلام حفظ لأهل الذمة حقوقهم ، وبين طريقة التعامل معهم من خلال النصوص الشرعية، ووصايا الخلفاء. لقادة الفتح في كيفية التعامل مع سكان بلاد الشام ، وتعامل المسلمين أثناء الفتوحات مع سكان بلاد الشام لم يخرج عن النصوص الشرعية ووصايا الخلفاء. فكانت عهود الصلح التي عقدها المسلمون معهم بمثابة تطبيق عملي لما ورد في تلك النصوص والوصايا ، وكان تعامل أهل الشام مع المسلمين حسن ، فقد وجد تعاون وثيق بين الجانبين مبني على الاحترام ، ففتحت الكثير من المدن أبوابها للمسلمين ، وأحسن استقبالهم ، وبعد الفتح وجدت الألفة بين المسلمين وأهل الذمة ، لأن التعامل كان مبنياً على عقود صلح التزم فيها الطرفان ، وصار بموجبها لأهل الذمة حريات وحقوق يتمتعون بها مثل حرية الاعتقاد ، والحرية السياسية ، وحرية المتاجرة والكسب ، وحرية النقاضي والعدل ، وكانت عليهم واجبات مالية مثل الجزية والحراج وواجبات أخرى تجاه الإسلام والمسلمين .



الهوامش

- ١- الأتبياء ، آية ٧-١ .
- ٢- النور ، آية ٥٤ .
- ٣- البقرة ، آية ٢٥٦ .
- ٤- النحل ، آية ١٢٥ .
- ٥- الثوبة ، آية ٢٩ .
- ٦- أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م) : السان ، ج ٣ ، ص ٤٣٧ ، باب الإمارة ، حديث رقم ٣٠٥٢ . إعداد وتعليق / عزت عبيد الدعاس - ط ١ . ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م ، دار الحديث ، حصص ، سورية . انظر أيضاً القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ١٣٧٢هـ / ١٢٧١ م) : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ١١٥ . صححه أحمد عبد العليم البيروني ، ط ٢ . ١٣٧٢-١٩٥٢ م .
- ٧- النحل ، آية ٩ .
- ٨- النساء ، آية ٥٨ .
- ٩- الأزدي ، محمد بن عبد الله (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥ م) : فتوح الشام ، ص ١٢ ، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٧ م . انظر أيضاً : ابن أعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦ م) : كتاب الفتوح ، ج ١ ، ص ٨٢ ، تحقيق علي شيري ، ط ١ / ١٤١١هـ / ١٩٩١ م ، دار الأضواء ، بيروت .
- ١٠- البقرة ، آية ٣٠ .
- ١١- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢ م) : جامع البيان في تأويل القرآن المسمى تفسير الطبري ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ١٢- ابن عساکر ، أبو القاسم علي بن هبة الله الحسن (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥ م) : تاريخ مدينة دمشق ، ج ١١ ، ص ٦٦ ، تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- ١٣- اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بيت المقدس (باقوت الحموي ، باقوت بن عبد الله (ت ٢٢٦هـ / ١٢٢٨ م) : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، دار صادر - بيروت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧ م) .

- ١٤- من قرى بيت المقدس ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج ٤ . ص ١٨٠ .
- ١٥- ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٦٦.
- ١٦- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م) : سيرة ومناقب عمر بن الخطاب، ص ٦٧، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، دار التفوي، شبرا الخيمة، منشية الحرية، القاهرة.
- ١٧- القرشي، يحيى بن آدم (ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م) : الحراج، ص ٤٦٤، صححه أحمد محمد شاكر، دار الحديث، بيروت، لبنان.
- ١٨- الطبري: تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٤٤، دار الفكر، بيروت، لبنان .
- ١٩- الأزدى: فتوح الشام، ص ٨٢، خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) : تاريخ خليفة بن خياط، ص ١١٩، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ط ٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، دار طبعة، الرياض، البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م) : فتوح البلدان، ص ١٥٥، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣هـ / ١٢٣٢م) : الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٦٥، تحقيق أبو الفداء، عبد الله القاضي، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٠- الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٣٧، <http://ArchiveBeta.Sci.ETY>
- ٢١- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٧، انظر أيضاً: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٨، ص ١٣٥-١٣٦.
- ٢٢- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٨.
- ٢٣- ابن أعثم : كتاب الفتح، ج ١، ص ١٢٦.
- ٢٤- مدينة كبيرة من أعمال حمص ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج ٥، ص ١٥٦ .
- ٢٥- ولاية بين حلب وأنطاكية ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج ٤، ص ١٦٥ .
- ٢٦- مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بالقرب العواصم ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج ٤، ص ٤٠٤ .
- ٢٧- بلدة بين الحرة ومدينة حلب ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج ٤، ص ٤٧ .
- ٢٨- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٧١-٧٢.
- ٢٩- الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) : فتوح الشام، ج ١، ص ٩٣، ط ٤، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م، شركة ومكتبة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر.

- ٣٠- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٥.
- ٣١- المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٣.
- ٣٢- المصدر نفسه والصفحة .
- ٣٣- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٩٣- ٩٤.
- ٣٤- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٤.
- ٣٥- المصدر نفسه، ج ١، ص ٧١.
- ٣٦- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٥.
- ٣٧- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥.
- ٣٨- المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٥.
- ٣٩- الازدي: فتوح الشام، ص ١٧٥.
- ٤٠- قلعة تشمل على كورة بالشام قرب الحرة بينها وبين حماد يوم باقوت الحسبي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٣.
- ٤١- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٧٣. <http://Archivebeta.Bakht.com>
- ٤٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٣.
- ٤٣- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٨.
- ٤٤- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ٩٥.
- ٤٥- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٧.
- ٤٦- المصدر نفسه، ص ١٨٧.
- ٤٧- الواقدي: فتوح الشام، ج ١، ص ١٦٨.
- ٤٨- المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٨.
- ٤٩- ابن أعيم: كتاب الفتح، ج ١، ص ١٩٩.
- ٥٠- فوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ١٤١، نقله إلى العربية عادل زعبيتر، مطبعة عيسى اليابس الحلبي وشركاه.
- ٥١- البقرة آية ٢٥٦.

٥٢- التفامه : الثغام على الغيل يكون ابيض ، فإذا بسس أبيض ايضاحاً شديداً فشيبه الشهب به ا ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٥٧١١هـ / ١٣١١م) : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٦١ ، مادة نغم ، قُتْمَ لَه الشيخ / عبد الله العلابي ، إعداد وتصانيف / يوسف الحيايط ، دار لسان العرب - بيروت .

٥٣- ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج٨، ص ٣٨٩.

٥٤- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٥.

٥٥- الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص ٩٩.

٥٦- المصدر نفسه والصفحة .

٥٧- البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٠٧.

٥٨- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٧، الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص ٤٣٧. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج٢٨، ص ١٣٥-١٣٦.

٥٩- الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص ٩٩.

٦٠- المحاضر في الأصل طلاف البيادي والمحاضر الحري العظيم باقوت : حم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠٦.

ARCHIVE

٦١- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٧.

٦٢- المصدر نفسه، ص ١٩٧. <http://Archivebeta.Bakhrri.com>

٦٣- الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص ١٩٠.

٦٤- لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ص ٨، نقله إلى العربية / عجاج تويهض ، ط٣ ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، دار الفكر، قليب حتى وآخرون: تاريخ العربالمطول، ج١، ص ٢٠٦، ط٤ / ١٩٦٥م، دار الكشاف، بيروت.

٦٥- ابن عساکر: تاريخ دمشق، ص ٢٦، ص ٢٨.

٦٦- ل. أ. سيدير: تاريخ العرب العام، ص ١١٦، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط٢ / ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٦٧- جرجي زيدان: تاريخ التمدن العربي، ج١، ص ٨١، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٨م.

٦٨- حضارة العرب، ص ١٣٤.

٦٩- ريتشارد. أ. ساليفان: وريثة الإمبراطورية الرومانية، ص ٧٣، ترجمة د جوزيف تسييم، ط١ / ١٩٨٥م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

- ٧٠- لوثرروب: حاضر العالم الإسلامي، ج ١، ص ١٣-١٤، وانظر أيضاً، لوبون: حضارة العرب، ص ١٣٥.
- ٧١- ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١، ص ٢٥٣.
- ٧٢- المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٣.
- ٧٣- ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١، ص ٢٥٣.
- ٧٤- الواقدي: فتح الشام، ج ١، ص ٩٩-١٠٠.
- ٧٥- المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٣-٩٤.
- ٧٦- ولاة الإمبراطورية الرومانية، ص ٧٣.
- ٧٧- تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، ص ٨١.
- ٧٨- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٨٢٨/٥٢٤م): الأموال، ص ٧٢. تحقيق مؤسسة ناصر للثقافة، ط ١ / ١٩٨١م، بيروت، لبنان.
- ٧٩- المصدر نفسه والصفحة.
- ٨٠- ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١، ص ٢٥٣.
- ٨١- الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٠. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٢٦. ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٨١. الذهبي، محمد بن أحمد (ت ١٣٧٤/٥٧٤م): سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٦. تحقيق / شعيب الأرنؤوط، ط ٣، ١٤٠٥/١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٨٢- تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٦٠.
- ٨٣- ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٢٦. ابن الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٢٨١. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٢. ابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت ١٣٧٢/٥٧٤م): البداية والنهاية، ج ٤، ص ٢٠-٢١. تحقيق / أحمد عبد الوهاب فتوح، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤/١٩٩٣م.
- ٨٤- فتح البلدان، ص ١٦٦.
- ٨٥- البلاذري: فتح البلدان، ص ١٦٨.
- ٨٦- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ١١٢.
- ٨٧- الأزدی: فتح الشام، ص ١٠٩. الواقدي: فتح الشام، ج ١، ص ١٠٩. ابن أعثم: كتاب الفتح، ج ١، ص ١٦١.
- ٨٨- الطبري: تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٦.

- ٨٩-الوراقدي : فتوح الشام . ج ١ . ص ١٤٣ . ابن أعمش : كتاب الفتوح . ج ١ . ص ٢١٦ . ابن الأثير : الكامل . ج ١ . ص ٢٨١ .
- ٩٠-البلادري : فتوح البلدان . ص ١٧٩ .
- ٩١-فتوح الشام . ص ١٤٦ .
- ٩٢-الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج ٢ . ص ٥٦ .
- ٩٣-المصدر نفسه والجزء والصفحة .
- ٩٤-الوراقدي : فتوح الشام . ج ١ . ص ٧٦-٧٥ .
- ٩٥-ابن سلام : الأموال . ص ٧٢ .
- ٩٦-المصدر نفسه والصفحة .
- ٩٧-لسان العرب . ج ٢ . ص ٥ . مادة : (ل ج ا) .
- ٩٨-ابن سلام : الأموال . ص ٧٢ .
- ٩٩-المصدر نفسه والصفحة .
- ١٠٠-البلادري : فتوح البلدان . ص ١٧٩ .
- ١٠١-المصدر نفسه . ص ١٧٣ . ٢-٢ .
- ١٠٢-ابن قتيبة الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت ١٣٥١هـ / ١٣٥٠م) : أحكام أهل الذمة . ج ٣ . ص ١٢٠٢ . تحقيق / أبو برايم يوسف بن أحمد البكري . أبو أحمد شاكور بن توفيق الهاروني . ط ١ / ١٤٤٨هـ / ١٩٩٧م . دعاءبي للنشر . الدمام . السعودية . توزيع دار ابن حزم - بيروت .
- ١٠٣-البلادري : فتوح البلدان . ص ٢٠١ .
- ١٠٤-الوراقدي : فتوح الشام . ج ١ . ص ٩٣ .
- ١٠٥-المصدر نفسه . ج ١ . ص ٩٣-٩٤ .
- ١٠٦-ابن عساکر : تاريخ دمشق . ج ٢٦ . ص ١٩٧-١٩٨ .
- ١٠٧-ابن أعمش : كتاب الفتوح . ج ١ . ص ٢٥٣ .
- ١٠٨-ابن أعمش : كتاب الفتوح . ج ٢٤ . ص ٢١٢ .
- ١٠٩-البيهقي . أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) : السنن الكبرى . ج ٨ . ص ٣٢ . دار الفكر . ط ٤ . ت . ابن عساکر : تاريخ دمشق . ج ١٩ . ص ٢٩٧ .

- ١١٠- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧/هـ - ٤٠٤م) : صفة الصلوة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .
ط ١ / ١٤١٢/هـ ١٩٩٢م ، دار الجليل - بيروت .
- ١١١- ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٤٧ ، ص ١٨٧ .
- ١١٢- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
- ١١٣- الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٩٥ .
- ١١٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٩٥ .
- ١١٥- المارودي ، علي بن محمد بن حبيب (ت ٥٤٥/هـ - ٤٥٨م) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص ١٨١-١٨٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ١١٦- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ١٣ .
- ١١٧- الأزدي : فتوح الشام ، ص ١٦ .
- ١١٨- المصدر نفسه ، ص ١٥٥-١٥٦ .
- ١١٩- المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .
- ١٢٠- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٧ .
- <http://Archivebeta.Bahrii.com>
- ١٢١- الجريب : مكيال قدره أربعة أقدرة ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٢٩ ، مادة جرب .
- ١٢٢- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٠ . الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٤٢٦ ، ابن أعيم : كتاب الفتح ، ج ١ ، ص ١٧٠ .
- ١٢٣- الفضة ابن منظور : لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٩١٢ ، مادة وري .
- ١٢٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٠ ، انظر أيضاً : ابن الأخوة - محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة (ت ٧٢٩/هـ - ١٣٢٨م) : معالم القرية في أحكام الحسبة ، ص ٧٤ ، دار الحدائق - بيروت - لبنان .
- ١٢٥- ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ١٣٥ .
- ١٢٦- ابن ادم : كتاب المراج ، ص ٤٦٣ . انظر أيضاً : ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ١٣٧ .
- ١٢٧- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ٢٨١/هـ - ١٨٧م) : كتاب الخراج ، ص ٥٢-١٥٤ ، ط ١ / ٩٩١م ، دار الحدائق - بيروت - لبنان .

- ١٢٨- البيلادي : فترح البلدان . ص ١٧٧ .
 ١٢٩- الماوردي : الأحكام السلطانية . ص ١٨٦ .
 ١٣٠- ابن سلام : الأموال . ص ٣١ ، ٣٨ .
 ١٣١- الماوردي : الأحكام السلطانية . ص ١٨٤-١٨٥ .
 ١٣٢- ابن قيم الجوزية : أحكام أهل النعمة . ج ٣ ، ص ١٣٦٦ .



المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

ابن الأثير . أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٥٦٣ / ١٢٣٢ م) .

- الكامل في التاريخ ، تحقيق / أبو الفداء عبد الله القاضي ، ط ١ / ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

أحمد عادل كمال .

- الطريق إلى دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، دار النفائس ، بيروت - لبنان .

ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) .

- معالم القرية في أحكام الحسية ، دار الحدائق ، بيروت .

ابن آدم ، يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) .

- كتاب المراج ، صححه / أحمد محمد شاكر ، دار الحدائق ، بيروت - لبنان .

ARCHIVE

الأزدي ، محمد بن عبد الله (ت ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م) .

- تاريخ فتوح الشام ، تحقيق / سعيد المنعم عبد الله عفاقر ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠ م .

ابن أعمش الكوفي ، أبو محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) .

- كتاب الفتوح ، تحقيق / علي شيري ، ط ١ / ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، دار الأضواء ، بيروت .

البيلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) .

- فتوح البلدان ، تحقيق / عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) .

- السنن الكبرى ، دار الفكر ، (ط ١) (د ت) .

جرجي زيدان -

- تاريخ التمدن العربي ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م) .
 - سيرة ومناقب عمر بن الخطاب ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، ط ١ / ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ،
 دار التقوى ، شبرا الخيمة ، منشبة الحرية ، القاهرة .
- صفة الصفوة ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، دار الجليل ، بيروت .
 خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) .
- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق / د . أكرم حيا ، العمري ، ط ٢ / ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ،
 دار طبية ، الرياض .
- أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) .
 - السنن (سنن أبي داود) ، إعداد وتعليق / عزت عبده الدعاس ، ط ١ /
 ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ، دار الحديث ، حمص ، سورية .
- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م) .
 - سير أعلام النبلاء ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ / ١٤٠٩هـ / ١٩٨٥م ، مؤسسة
 الرسالة ، بيروت ، لبنان .
 ريشارد ، أ . - سايقان .
<http://Archivebeta.Bakhril.com>
- وزنة الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة جوزيف نسيم ، ط ١ / ١٩٨٥م ، مؤسسة شباب
 الجامعة ، الإسكندرية .
- ابن سلام ، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) .
 - الأموال ، ط ١ / ١٩٨١م ، بيروت ، لبنان .
- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) .
 - تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- جامع البيان في تأويل القرآن المسمى تفسير الطبري ، ط ١ / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ،
 دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ابن عساکر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) .
 - تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق / محب الدين أبو سعيد عمر بن عزامة العمري ، ط ١ /
 ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

غوستاف لوبون .

- حضارة العرب ، نقله إلى العربية / عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

فيليب حتى . ادوارد جورجي . جيرانتيل جبور .

- تاريخ العرب (مطول) ، ط ٤ / ١٩٦٥ م ، دار الكشاف ، بيروت .

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ١٢٧١هـ / ١٢٧٢ م) .

- الجامع لأحكام القرآن ، صححه / أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ / ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢ م .

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ / ١٣٥٠ م) .

- أحكام أهل الذمة تحقيق / أبو برايم يوسف بن أحمد البكري . أبو أحمد شاکر بن توفيق الهاروري ، ط ١ / ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م ، ردماوي للنشر ، الدمام ، السعودية ، توزيع دار ابن حزم ، بيروت .

ARCHIVE

ابن كثير . إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) .

- البداية والنهاية . تحقيق / أحمد عبد الوهاب فتوح ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ / ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .

ل . م . سيدو .

- تاريخ العرب العام ، نقله إلى العربية / عادل زعيتر ، ط ٢ / ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

لوثرروب ستودارد .

- حاضر العالم الإسلامي ، نقله إلى العربية / عجاج نويهض ، ط ٣ / ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م ، دار الفكر .

الماوردي . علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨ م) .

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١ م) .

- لسان العرب ، قدّم له الشيخ / عبد الله العلابي ، إعداد وتصانيف / يوسف الحياط ، دار لسان العرب ، بيروت .
- الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧/هـ / ٨٢٢م) .
- فتوح الشام ، ط ٤/ ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .
- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م) .
- كتاب الحراج ، ط ١/ ١٩٩٠م ، دار الهداية ، بيروت .





الشيخ محمد خير الدين وجهوده في مجال التربية والتعليم في الجزائر (١٩٢٨ - ١٩٥٤م)

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تؤمن بدور التربية والتعليم في خدمة الشعب الجزائري وإيقاظه من سباته، ويحفظ تراثه، منذ تأسيسها سنة ١٩٣١م وهي تشيّد المدارس الحرة لتعليم وتربية النشء، فيتعلمون اللغة العربية والدين الإسلامي، كما أنّهم يتلقون معارف أخرى كالتاريخ والجغرافيا والحساب، وقامت الجمعية ببناء المساجد الحرة البعيدة عن السيطرة الفرنسية ليهتفّق أبناء الجزائر وليعرفوا جيّدًا تاريخ بلادهم لأنّ الاستعمار الفرنسي كان هدفه القضاء على دين ولغة وتاريخ هذه الأمة.

في ظل تلك الظروف وجد الشيخ خير الدين^(٢) نفسه أمام مسؤولية كبيرة خاصة بعد أن نال قسطًا وافراً من العلوم والمعارف، كانت نهايتها نبيل شهادة التطوير العالمية من جامع الزيتونة، لذلك عزم على منح أبناء بلاده ما تعلمه، وأصبحت الظروف ملائمة عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وانضم إلى عضويتها إلى جانب علماء أجلاء كالإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي وغيرهم، وكلّهم عزم وإصرار للدفاع عن كيان وشخصية هذه الأمة العربية الإسلامية.

و الحق أنّ الشيخ خير الدين قد بدأ نشاطه التربوي منذ أن عقد اجتماع الرواد سنة ١٩٢٨م حيث كلفه الإمام ابن باديس بالوعظ و الإرشاد بمسجد فرقار^(١١)، والقرى المجاورة له، فكان يعلم أبناء المنطقة مبادئ الدين و اللغة وبعدها يتوجهون نحو قسنطينة أو إلى تونس أو الجامع الأزهر لمواصلة تعليمهم في مختلف العلوم و المعارف و قد أدى هذا النشاط التعليمي إلى تنسيق العمل الإصلاحي مع جماعة من الرواد في بسكرة أمثال الشيخ الطيب العقبي، و الشيخ علي بن عمارة البرجي، و الشيخ محمد العبد آل خليفة، و الأستاذ الأمين العمودي.

لقد ساهم مترجمنا في تكوين "جمعية الإخاء" و تأسيس مدرسة الإخاء للتربية التعليم ببسكرة سنة ١٩٣١م واقترح أن يكون مجلس الإدارة من أعضاء لهم علاقة بالسلطة الفرنسية كي لا تقوم بعرقلتها. أمّا الشيخ خير الدين فقد عين ككاتب عام فقط وهذا لضمان السير الحسن للمدرسة و نشر الثقافة العربية الإسلامية^(١٢)

ومن النشاطات التي قام بها الشيخ خير الدين في بسكرة توحيد صلاة العبيدين التي كانت تؤدي في عدد من المساجد الموزعة بين المدينة القديمة و الجديدة فأصبحت تقام لجميع المصلين ببسطها. المدينة القديمة و قد وقع اختيار الشيخ خير الدين إماما لصلاة العبيدين لمدة أربع سنوات^(١٣).

لقد انطلق شيخنا في عمله الإصلاحي من فرقار ثم بسكرة و كان يؤمن إيمانا راسخا بدور التربية و التعليم في الحفاظ على كيان و تراث الأمة، خاصة أنّ منطقة الجنوب كانت تعاني من نشاط المرابطين، و حسبما ذكر «شارل أندري جوليان» فإن تقديرات سنة ١٩٣٩م أحصت ٤٠٠ ألف منخرط في الزوايا، نصلهم بأراضي الجنوب و قد وضعت الحكومة يدها عليها^(١٤)، و عندما أرست الحركة الإصلاحية أسسها ببسكرة وضواحيها. كان العلماء الآخرون ينشطون في مناطق أخرى من الوطن و أصبح العمل أكثر تنظيما بعدما وزع الإمام ابن باديس المهام على رجال الجمعية وفق مبادئها وأهدافها.

ويبدو أن الجمعية كانت مهتمة بالتعليم العربي و الديني. لأنّ التعليم العربي الحر كان محصورا في دائرة ضيقة بالنظر إلى أساليبه و كتبه، ولذلك فقد قامت الجمعية بجهود كبيرة لتوسيع ذلك التعليم عن طريق إنشاء مكاتب حرة للتعليم

المكتبي للصفار، وتنظيم دروس في الوعظ والإرشاد الديني في مساجد وتنظيم محاضرات في النوادي لغايتها التهذيب وشؤون الحياة العامة^(١٤).

والحق أن نشاط الشيخ خير الدين كان ينبع من صميم القلب، ومن جروح ومعاناة أبناء أمته، وفي إطار أهداف الجمعية ونشاطاتها تم تأسيس جمعية خيرية لإعانة الفقراء والمساكين وتعليم البنين والبنات، مقرها بسكرة كان رئسها أصميدة عبد القادر، أما نائبه فهو الشيخ خير الدين وقد تعهد مترجمنا أن لا يكون الرئيس لتفادي الصدام مع السلطة الفرنسية، وكي تصادق على قانون الجمعية وهو ما تم فعلاً^(١٥)، كما أن تنقلات الشيخ في بسكرة وضواحيها لم تتوقف خاصة إذا تعلق الأمر بوفد لجمعية العلماء وعلى رأسها الإمام ابن باديس، ففي جانفي ١٩٣٨م، زار وفد الجمعية قرية القنطرة في ضواحي بسكرة، وكان الوفد يتكون من الإمام الرئيس والشيخ مبارك الملي والشيخ العربي التيسي، إضافة إلى مترجمنا، وقد ألقى الوفد خطاباً في الجامع، وعند الانتهاء، خطب الشيخ خير الدين في الناس، وعرف بالجمعية وعلماتها ومبادئها وأهدافها^(١٦).

لقد استمر نشاط الشيخ خير الدين مع وفد الجمعية في الجنوب، فقد زار الوفد وادي سوف وطولقة، ومنها إلى بلدة سيدي عقبة وذلك في سبيل التعريف بالجمعية وتنشيط الحركة الإصلاحية والتأكيد على أنها ليست خاصة بالشمال فقط، بل هي شاملة للقطر الجزائري، وأن الجنوب من اهتمامات الجمعية، مما أدى إلى تحريك خصوم الجمعية من مرابطين ورجال الزوايا ومحاولين منع العلماء من أداء رسالتهم الإصلاحية التي كان من بين أهدافها محاربة هؤلاء الخصوم الذين كانوا يعيشون في جمود وبعيدين عن واقع الأمة ومعاناتها، كما أصبحوا أداة في يد السلطة الفرنسية^(١٧).

كما أن السلطة الفرنسية فطنت إلى خطر العلماء، لأن أصحاب الزوايا والمرابطين كان لهم دور في تحذير الإدارة الفرنسية بما أن مكانتهم أصبحت في خطر لذلك حاربت مدارس الجمعية ونواديها وحتى المساجد، فقد قامت بغلق المدرسة الحرة 'دار الحديث' بتلمسان بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٣٧م وأعلن ذلك الإجراء رسمياً يوم ٤ جانفي ١٩٣٨م، هذا الإغلاق أحدث انفعالا كبيرا، وهلل له أعداء الشيخ

البشير الإبراهيمي وأعداء الجمعية^(١٨)، حتى أن الجرائد في ذلك الوقت عندما أعلنت الخبر ذكرت اسم المكتب الخاص ولم تذكر المدرسة الحرة "دار الحديث"^(١٩).

لقد ركزت السلطة الفرنسية على المدارس لكي تقيد نشاط العلماء، فأصدر وزير الداخلية "شوتان" قرارا رسميا في ٨ مارس ١٩٣٨م يمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر ومما جاء في ذلك القرار: «إن اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية»^(٢٠)، وما كان لهذا القرار إلا أن زاد الشيخ خير الدين وزملاءه في الجمعية إصرارا على مواصلة جهودهم التربوية، وبناءً على إحصاء عامل عمالة قسنطينة في سنة ١٩٣٨م، كان عدد مدارس الجمعية في عمالة قسنطينة ٨٥ مدرسة تضم ٤٠٤٧ تلميذا مسجلا، ويسيرها معلمون مصلحون، أما في عمالة الجزائر فيبلغ عدد مدارسها عام ١٩٣٨م ٦٨ مدرسة تضم ٩٠٦٣ تلميذا^(٢١).

و الحق أن مرسوم الثامن من مارس المشؤوم قد عرقل التعليم العربي، كما أن ظروف الحرب العالمية الثانية قد أثرت في نشاط الجمعية التي أوقفت نشاطاتها كي لا تستغلها فرنسا في خدمة مصالحها، وعودة التعليم جاء بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث خطت الجمعية خطوة كبيرة بإنشائها لأعظم معهد ثانوي في تاريخها وهو معهد عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٤٧م.

ويقول الشيخ خير الدين^(٢٢) في ذلك: «و هنا تبلورت فكرة إنشاء معهد ابن باديس^(٢٣)، في قسنطينة ولم يكن من الممكن أن نعود إلى التعليم بالجامع الأخضر لأنه لم يكن لدينا رخصة للتعليم فيه كالتي كانت للإمام ابن باديس، فجمعنا التبرعات وإشترينا دارا كبيرة كانت ملك أحد أفراد "إبن الفقون"، و أئتنا هذه الدار وجهرناها بالطاولات والمقاعد والسطح، ووضعنا البرامج وعيننا المدرسين الأكفأ، وتولت إدارة المعهد الشيخ العربي التبسي تساعده لجنة من الأساتذة»، وقد عين التبسي مديرا للمعهد أما النائب فكان الشيخ خير الدين، وقد حقق المعهد نجاحا كبيرا مما أجبر الجمعية على توسيع المكان و الدخول إلى الجامع الأخضر، والجامع الكبير المنوع التدريس فيهما وفق قرار منع المساجد على الجمعية الذي صدر في ٢٧ فيفري ١٩٣٣م^(٢٤)، لكن الجمعية أصرت على فتحها وكان مترجما على رأس طلبة الجامع الكبير، والشيخ العباس على رأس

طلبة الجامع الأخضر ،وقد تزايد عدد التلاميذ بشكل سريع بهدف الحصول على الشهادة النهائية من المعهد^(١٣٣)، وهي تعادل الشهادة " الأهلية " بتونس ويحصل عليها التلاميذ بعد دراستهم في المعهد مدة ٤ سنوات^(١٣٤).

لقد حاولت السلطة الفرنسية أن تقضي على المدارس الحرة وأن تجذب أبناء الجزائر للتعليم في مدارسها ،حيث نص المادة ٥٧ من قانون الجزائر الصادر سنة ١٩٤٧م على اعتبار اللغة العربية إحدى لغات الإتحاد الفرنسي كما أنها تدرّس في مختلف مراحل التعليم، غير أن هذا النص لم يدخل حيّز التنفيذ إلا في سنة ١٩٥٤م^(١٣٥).

لم يكن الشيخ خير الدين من الذين يضعون السلاح جانبا ويستسلمون للعدو. بل بالعكس فقد واصل نشاطه التربوي ،حيث قام برحلة علمية في ربيع ١٩٤٨م إلى عمالة وهران ودشن بها المدارس ونظم الشعب وألقى دروس الوعظ والإرشاد،وفي غليزان أستقبل مترجمنا بحماس كبير وقد كتبت جريدة البصائر : >> وما دقت الساعة الثانية حتى وقف القطار السريع يحمل إلينا شخصية بارزة من رجال العلماء الذين قاوموا الجهل والاستعباد ،والبدع و الضلال مدى عشرين عاما منذ تأسس جمعية العلماء .مع المرحوم الأستاذ عبد الحميد بن باديس ومع خلفائه من بعده ،فالشيخ خير الدين رجل مضخّ بنفسه وبنفسه ، و ما من مشروع خيري للصالح العام إلا ويؤيده وهدّه وينصره...<<^(١٣٦).

وبعد عودته إلى بسكرة رأى أنّ حركة التعليم تسير بشكل سريع وتعرف إقبالا كبيرا مما صعّب على مدرسة التربية والتعليم^(١٣٧)، استقبال كل التلاميذ لذلك قرّر الشيخ خير الدين مع الأعضاء إنشاء مدرسة جديدة ، فشرع في البناء بنشاط مكثف وكانت المرحلة الأخيرة قد بدأت في ١٨ ديسمبر ١٩٤٩م عندما حلّ الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية بدعوة من الجمعية المحلية وتم توجيه الدعوة إلى سكان بسكرة والزيان ومن مختلف أنحاء القطر ،فحضر الحفل العلماء و النواب والأطباء والمحامون، وتم افتتاح المدرسة ،وألقي الرئيس خطابا بليغا كعادته، ثم جاء دور الشيخ خير الدين فألهب الجمهور بكلمات بين العامية و الفصحى ومما قاله:>> إنكم ستسمعون مني كلمات ليست من باب الحمد و الشكر و لكنها من باب الحث و الإزعاج ،بأسأل بها مبدأ هذا العمل بنهايته فقد بدأناه مجتمعين

... وما دمتنا في موقف استنهاض الهمم وشدّ العزائم وما دمت عارفا بأسرار لغتي وتاريخ أجدادي، فإنّني أؤثر أن يكون افتتاح هذا الحفل التاريخي بالشعر... فأنا أريد أن أرجع بكم إلى ذلك الماضي الجليل، ولئن قال لنا أقوام: إنكم تعيشون في الماضي القديم، قلنا إننا نعيش بالاستعداد من الماضي والعمل للحاضر والاستعداد للمستقبل...»^(١٤٦).

وهكذا توالى فتح المدارس و بناء المساجد في شتى أنحاء القطر، ففي مدينة سطيف وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٠م، تمّ تدشين مدرسة الفتح الجديدة، وحضر حفل التدشين الشيخ البشير الإبراهيمي و الشيخ العربي التبسي و الشيخ خير الدين و الأستاذ فرحات عباس وكان حاضرا أيضا أحد علماء قاس الشيخ إبراهيم الكنتاني، إضافة إلى أساتذة ومديرين آخرين من داخل البلدة وخارجها^(١٤٧)، كما تمّ للشيخ تنقلات إلى مناطق أخرى، ففي عام ١٩٤٨م زار بلدة تدرومة، رفقة الشيخ السعيد الزموشي، وكانت هذه البلدة عامرة بالزوايا حيث كان بها سبع زوايا، ولم تنشأ بها شعبة لجمعية العلماء، ولم تفتح بها أية مدرسة لتعليم القرآن و اللغة العربية، واقترح الشيخ خير الدين بناء مسجد كبير وتعيين إمام لأداء الصلوات وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، وتمّ بناء المسجد وانتشرت الحركة الإصلاحية فيها بشكل سريع^(١٤٨)، ثم زار الشيخان بلدة بريقو، وأسّسا بها شعبة وألقى الشيخ خير الدين محاضرة في المسجد إلى جانب محاضرة سعيد الزموشي بين من خلالها مقاصد الجمعية و أعمالها وآمالها^(١٤٩).

وقد زار الشيخ خير الدين بلدة شاطودان، في السابع من أفريل سنة ١٩٥٤م وقام بتجديد هيئة المدرسة و الشعبة، وقدم التقرير المالي للجمعية وتمّ انتخاب الهيئة الجديدة بإعادة تجديد الثقة فيها^(١٥٠)، كما حل الشيخ ببلدة سوق أهراس في صيف ١٩٥٤م وقام بوضع حجر الأساس لبناء المدرسة الجديدة، وقد أقبل سكانها على البناء و الترميم فرحا بالمشروع العظيم^(١٥١).

وفي خريف ١٩٥٤ تنقل الشيخ خير الدين إلى أقصى الغرب الجزائري إلى بلدة بني صاف، حيث افتتح بها "مسجد بني صاف" وتمّ قاله الشيخ في خطبة الافتتاح: >> إن فتح المساجد معناه إحياء أمة وميثاق مع الله على العمل لنشر الدين الصحيح والتعاليم والنقيّة في هذا الوطن... أيها الإخوان إن الإنسان في

هذه الحياة يحيا ثم يموت ثم لا يرجع إلا بعد أن يقف بين يدي الله، و الأسم كذلك ولكن الأمة لا تقبر بل تموت موتا معنويا وحياتها لا يروح تدخل وتخرج إنما تحيا بالحياة الحققة وما الحياة الحققة إلا العزة والكرامة والقوة...»^(١٢١).

لقد استمر شيخنا في خطبه البليغة، بمختلف المساجد وفي مناسبات عديدة، وكان ذلك في عهد الإمام عبد الحميد بن باديس الرئيس الأول لجمعية العلماء، حيث ذكرنا سابقا أن النشاط الذي قام به الشيخ خير الدين هو الوعظ والإرشاد في بلدة فرفار وضواحيها، ونشر الحركة الإصلاحية بها، فكانت تلك البداية التي فتحت له الطريق ليكون ضمن أبرز الوفود التي عينها الإمام ابن باديس عام ١٩٣٣م للوعظ في شهر رمضان، فكان ضمن قائمة وعظاء مدينة قسنطينة بالجامع الكبير، ثم عين في الوفد الأول من بين ثلاثة وفود كبيرة إلى جانب الإمام ابن باديس و الشيخ مبارك الملي حيث ركزوا نشاطهم بالشرق الجزائري^(١٢٢).

وهكذا كان الشيخ خير الدين يقوم بالوعظ في كل شهر رمضان، ففي شهر ماي ١٩٥١م عين ببلدة العسمة^(١٢٣)، ثم عين بقسنطينة في ماي ١٩٥٢م^(١٢٤)، وتنقل بين مساجدها باعتباره النائب الثاني لرئيس الجمعية، ثم عين بالجامع الكبير بقسنطينة في أبريل ١٩٥٤م^(١٢٥)، كما تم تعيين شيوخ وأساتذة الجمعية في جميع مساجد القطر للوعظ والإرشاد و الدعوة للتمسك بالدين واللغة و كانت أسماء الشيوخ و المناطق التي عينوا فيها تنشر في جريدة البصائر، و الحق أن مترجمنا كان حريصا على مدارس الجمعية دؤوب الحركة، فكان يشرف على نشر الإعلانات الخاصة بأعظم معهد ثانوي شيدته الجمعية "معهد ابن باديس"، وما يخص شروط قبول التلاميذ و ضمان الالتحاق العادي والحسن بالمعهد، كما أن هذه الإعلانات التي تنشر في البصائر تساعد التلاميذ الجدد الراغبين في الالتحاق للدراسة بالمعهد بتحضير الوثائق اللازمة و الشروط الأخرى التي تدون مع الإعلان، وبعد أربع سنوات من مسيرة المعهد، أصبح الشيخ خير الدين مديرا للمعهد نظرا للظروف الصحية التي كان يعاني منها الشيخ العربي التبسي لذلك طلب الاستعفاء من مهمته، كما أن الشيخ البشير الإبراهيمي طلب من مترجمنا تولي المهمة، كونه نائب المدير^(١٢٦).

و كانت لجان الامتحانات تقوم بدور كبير لتعيين الناجحين بعد الامتحان،

وكان يشرف على اللجان الشيخ العربي التبسي والشيخ خير الدين وشاركهم الإمام البشير الإبراهيمي في التنظيم^(١٧٧).

وقد ورد في إحدى خطابات الشيخ خير الدين^(١٧٨) في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد: << فَإِنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفَ الْمَطَالِبِ وَأَسْمَى الْمَقَاصِدِ وَالرَّغَائِبِ فَهُوَ حَيَاةُ الْأُمَمِ وَهُوَ عِزُّهَا وَمَجْدُهَا... لَقَدْ فَهِمَ أَسْلَافُنَا الْعِظَامَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ فَأَقْبَلُوا عَلَى الْعِلْمِ بِجَمِيعِ فَنُونِهِ وَتَهَاوَنُوا عَلَى مَنَاهِلِ الْعَذْبَةِ يَكْرَعُونَ مِنْهَا قِسَادُوا فِي الدُّنْيَا وَقَادُوا الْأُمَمَ وَفَتَحُوا - مَعَ الْبِلْدَانِ - الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ وَرَفَعُوا مَشْعَلَ الْحَضَارَةِ وَالْمَدِينَةِ... >>.

لقد كان الشيخ خير الدين حريصا على تلقين أبناء وطنه مختلف العلوم لأنه كان يعرف قيمة العلم في بناء الحضارات، لذلك لم يقتصر حرصه على تلاميذ المعهد والمدارس داخل الوطن بل امتد حرصه إلى خارج الوطن، ففي جامع الزيتونة كان الشيخ يقوم بزيارات مستمرة لمتفقد طلبة الجزائر وكان يلقي عليهم خطبا متنوعة، رغم أنه كان يتعرض في بعض الأحيان للمضايقات من بعض الطلبة كتلك التي تعرض لها في صيف ١٩٤٨م، لكن رغم ذلك قمترحمنا كان يعي ما يحدث ويعرف أن هناك محاولة للنيل من الجمعية وسعتها، لكن الطلبة استنكروا تلك الأفعال وأعلنوا تقديرهم واحترامهم لشيخهم وولاؤهم لجمعية العلماء^(١٧٩).

يمكن القول أن الشيخ خير الدين كان يخوض تنقلاته ويقوم بدوره التربوي بكل شجاعة شرق الجزائر إلى غربها، ومن الشمال إلى الجنوب تاركا وراءه تلك الحظب البليغة الحماسية المثيرة للنفوس وخلفه تلك القلاع الحصينة من مدارس ومساجد، التي وبدون شك قد منعت الاستعمار الفرنسي من تسلق أسوارها العالية المحصنة بالدين الإسلامي واللغة العربية، ووراءها جند من أبناء الجزائر، وبذلك الإنجازات التربوية التي قام بها شيخنا إلى جانب أقرانه العلماء، حافظت الجمعية على مقومات الشخصية الوطنية.

الهوامش

(*) الشيخ محمد خير الدين من مواليد ١٩٠٢ بمنطقة فرقار ولاية بسكرة . وفيها وفي كتابتها حفظ القرآن وعلى فقهاها وعلمائها أخذ مبادئ العلوم اللغوية وعلوم الشريعة الإسلامية ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة وتعلم لمشاخها ومنهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الطاهر بن زقوفة . وفي سنة ١٩١٨ ارتحل إلى تونس . وانتظم في سلك طلبة الجامع الأعظم (الزيتونة) ومنه تخرج سنة ١٩٢٥ عالما متطوعا وكان الثاني في الحسين مترشحا في امتحان التخرج ، ثم ساهم مساهمة فعالة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ٥ ماي ١٩٣١م . وتولى فيها عددا من المسؤوليات والمهام فكان أميناً لماليتها ، ومراقبا عاما لها ، ثم نائبا للرئيس ثم رئيسا كما تولى في الجمعية - نائب مدير لمعهد عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة مع هيئته الادارية ، ومختلف لجانه المختصة . وحين أعلنت الثورة أولى خطوات زحفها في أول نوفمبر ١٩٥٤م كان الشيخ محمد خير الدين سابقا إلى الانضمام إليها ، حيث أسندت إليه مهام تشييلها في المغرب الشقيق ، ثم عين عضوا في أول مجلس للثورة سنة ١٩٥٨م . وعند استقلال الوطن سنة ١٩٦٢م شغل الشيخ محمد خير الدين منصب نائب في أول مجلس نيابي تأسيسي ، ساهم في استقرار الأمور واستعادة السيادة الرطبية بعد فقدانها لقرن وثلاثة . ثم قرر اعتزال ميدان سياسة والتزام بيته إلى أن وافته ليلة يوم ١٠ ديسمبر ١٩٩٣م.

(**) من الذين درسوا على يد الشيخ خير الدين : فرحات بن الدرهمي ، أحمد سحنون ، علي بن العراقي المغربي ، الطاهر خوش ، المختار المغربي ، عبد الرحمن شريب ، الحسين أبو عبد الله وغيرهم ، انظر محمد خير الدين ، مذكرات ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، مؤسسة الضحى ، الجزائر ٢٠٠٢م ، ص ٧٤.

١- محمد خير الدين : المصغر نفسه ، ص ٧٨ ، انظر أيضا : محمد خير الدين : " اجتماع هام بدار التحريم الحاج الحفناوي ، دبايش النائب العمالي و تأسيس جمعية (الايخام) بسكرة " ، جريدة النجاح ، العدد ١١٨٣ ، ٢٢ جويلية ١٩٣١ . انظر أيضا : مجلة الشهاب : مقال " في المجتمع الجزائري " ، دور محمود من أدوار الجزائر الحاضرة " ، مج ٧ ، ج ٨ ، أوت ١٩٣١ ، ص ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ .

٢- محمد خير الدين : مذكرات ، ج ١ ، المصغر السابق ، ص ص ٧٩-٨٢ .

٣- شارل أندري جوليان : إفريقيا الشمالية ، تسمية ، ترجمة المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٧٦م ، ص ١٢٦ .

٤- البشير الإبراهيمي : سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمرکزها العام بنادي الترفي الجزائر ، دار الكتب ، الجزائر ١٩٨٢م ، ص ٦٤ .

٥- جريدة البصائر : مقال " الجمعية الخيرية الإسلامية " العدد ٤ ، ٢٤ جاني ١٩٣٦ ، ص ٧ .

٦- عبد اللطيف بن علي : " ولد جمعية العلماء بزور القنطرة " ، جريدة البصائر ، العدد ٩٥ ، ١٤ جاني ١٩٣٨ ، ص ٥ .

٧- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ج ٢، المرجع السابق ص ٩٥.

bulletin mensuel d'informations concernant la politique indigène dans le département d'Oran mois de janvier 1938, S. L. N. A, archive historiques .W. de Constantine

٨- بسام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط ٢، دار النفائس، بيروت ١٩٨٢م، ص ٥٢.

٩- عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (١٩٣١-١٩٤٥م)، دراسة تاريخية وأيديولوجية مقارنة منشورات المتحف الوطني للمجاهد المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، ١٩٩٦م، ص ١٣٧-١٣٨.

١٠- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق ص ١٧.

١١- محمد الطاهر فضلا: التحريف و التزييف في كتاب حياة كفاخ، ط ١، دار البعث للطباعة، قسنطينة، الجزائر، ١٩٨٢م، ص ٤٤٨.

١٢- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ١٧٠، ١٧١.

13- Mohamed Harbi: 1954 la guerre commende en Algérie. Edition complexe, bruxelles. 1998.

<http://Archivebeta.Bakhrri.com>

١٤- فرحات العابد: " الشيخ محمد خير الدين في شليزان" جريدة البصائر، العدد ٣٦، ١٧ ماي ١٩٤٨، ص ٧.

١٥- الحلفاوي هالي: "وصف الاحتفال الرابع بفتح مدرسة بسكرة" جريدة البصائر العدد ١٤ - ١٤١، ٥ ليقري ١٩٥١، ص ٦-٧. أنظر جريدة الشعلة، مقال " بسكرة تحتفل بوضع الحجر الأساس لمدرستها " العدد ١٩، ٢٠ أفريل ١٩٥٠، ص ٢.

١٦- علي مرحوم: تدين مدرسة الفتح بسطيف، جريدة البصائر، العدد ١٣٣، ٢٣ أكتوبر ١٩٥٠، ص ٢.

١٧- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

١٨- السعيد الزموشي: " وفد جمعية العلماء في بريفق، جريدة البصائر، العدد ٤٣، ١٢ جويلية ١٩٤٨، ص ٢.

١٩- جريدة البصائر: " أعمال جمعية العلماء "، العدد ٢٦٩، ٣٠ أفريل ١٩٥٤، ص ٥.

٢٠- محمد سلاحي: آثار النهضة الإصلاحية بسوق أهراس، جريدة البصائر، العدد ٢٧٦، ٢٥ جوان ١٩٥٤، ص ٧.

- ٢١- حمد متيج: " افتتاح مسجد بني مصاف وخطاب الشيخ خير الدين "، جريدة البصائر، العدد ٢٨٢، ٣، سبتمبر ١٩٥٤، ص ٧.
- ٢٢- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ٢٢٩-٢٢٦.
- ٢٣- جريدة البصائر: " قائمة الوعاظ "، العدد ١٥٦، ٢١ ماي ١٩٥١، ص ٢.
- ٢٤- جريدة البصائر: " قائمة الوعاظ لشهر رمضان "، العدد ١٩، ١٩، ماي ١٩٥٢، ص ٢.
- ٢٥- جريدة البصائر: " قائمة الوعاظ لشهر رمضان "، العدد ٢٦٩، ٣- أبريل ١٩٥٤، ص ٣.
- ٢٦- محمد خير الدين: مذكرات، ج ١، المصدر السابق، ص ١٧.
- ٢٧- جريدة البصائر: مقال " معهد عبد الحميد بن باديس "، العدد ١٥٨، ٤ جوان ١٩٥١، ص ٢.
- ٢٨- جريدة البصائر: مقال " خطاب فضيلة الأستاذ محمد خير الدين في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد "، العدد ٢٨١، ٣٠، جويلية ١٩٥٤، ص ١.
- ٢٩- جريدة البصائر: مقال " الشيخ خير الدين في تونس، إستنكار وتبرؤ "، العدد ٤٦، ٢٨ جوان ١٩٤٨، ص ٣.



<http://Archivebeta.Bakhrir.com>

حركة الردة في البحرين

عقب وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى عهد عمر بن الخطاب

تبلورت حركة الردة في البحرين على أساس تخليص مجموعة من أهل البحرين عن ركائز الدين الإسلامي وخروجهم عن الامتثال للقيادة بعد وفاة الرسول ، وما تبع ذلك من ضجة وسخط انتهت إلى محاربتهم كأصناف معارضة في بدايات العهد الراشدي .

يمتاز أهل البحرين بأسيبتهم في اعتناق الدين الإسلامي عن قناعة تامة في وقت مبكر كانت تابعة فيه للدولة الساسانية ، وهذه حقيقة لا تستطيع أن تتجاهلها ، لأن الدين الإسلامي يمتلك من الخصائص ما يؤكد على أنه عقيدة الفطرة . ومنهج الحياة الذي يستوعب كافة شؤونها ، ولهذا وجد طريقه بين أهل البحرين ، بعيدا عن العنف والاكراه . يبدو ذلك جليا في النصوص القرآنية (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ، (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) . وبناءً على ذلك فإن هذا الدين يخاطب إنسانية الفرد بأسسه المرنة . دون أن يجبر الناس على الأخذ به قسراً كاعتقد بحكم أسلوبهم في الحياة . ومن هنا نستغرب أن يرثد أهل إلى وثنية حاربها الدين . لكن يتضح أن حركة الردة حقيقة في ذات التاريخ على درجة من الخطورة ، وإن لم تدم طويلا . فإما أن تكون خطأ ليس له أي مبرر من شيء ، وبالتالي لايد من لمخاطبها ، وهذا ما حصل فعلا ، أو أن تكون حركة قائمة عن وجه حق، أرادت تحريك الرفض ، والثورة احتجاجا على حالة غير شرعية آنذاك .

وباختصار ، فإن ما يورده لنا التاريخ هو أنه بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ارتد قوم من البحرين ملكوا عليهم المنذر بن النعمان فيما ثبت مسلمو جواتا كالجارود العبدى ، فحاصروهم المرتدون وضيقوا عليهم إلى أن أرسل أبو بكر العلاء لنجدتهم ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة ، وكان جيش العلاء من الجيوش الإحدى عشر ، التي أرسلها أبو بكر لردع ما عرف بحركة الردة والروايات في ذلك على أوجه مختلفة وكثيرة .

فهل كانت حركة الردة في البحرين اعوجاجا باتجاه اللاوعى ، والانحطاط ، وقتنة جرت ويلات إهدار المكاسب ، والعبث بموازن الدولة الإسلامية ، أم أنها لا تعدو أن تكون أسلوبا تلقانيا ، للتعالى على واقع الأحوال الاقتصادية ، والاجتماعية التي مرت بها ؟ فمن هم رموز هذه التجربة ، ولماذا زجروا بأنفسهم في هذا المأزق ؟ وكيف كانت المؤثرات التي استتبعت تفاصيل هذه الظروف ؟ ألم تكن الهوية الإسلامية مترسخة في مسلك المرتدين ؟ لماذا سادت أكثر من موجة انشقاق ، وتفكك في مجتمع المسلمين ، بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟ كما نالت أعمال المؤرخين من حصص الحقيقة ، وإلى أي مدى التزموا بالواقعية والمصداقية ؟ وهل تخلو تفاصيل الأحداث من المبالغة أو التأثير بالظروف السياسية ؟

تساؤلات عديدة تطرح نفسها في هذا العنصر ، ويحتاج إليها إلى حد كبير في غمار الدراسة.

الردة بين المضمون اللغوي والمحتوى الاصطلاحي

الردة (بالكسر ، الاسم من الارتداد) ، وقد ارتد ، وارتد عنه : محول ومنه الردة عن الإسلام ، أى الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه ، إذا كفر بعد إسلامه^(١١) . وكما جاء في اللسان : الرد : صرف الشئ ورجعه ، والرد مصدر رددت الشئ ورددته عن وجه يرده ردًا ومردًا وتردادًا . وقد ارتد عنه : محول . وفى التنزيل : (من يردت منكم عن دينه فبمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة)^(١٢) ، والاسم الردة . يقال ارتد الرجل عن دينه ردة : إذا كفر بعد إسلامه ، وأمر الله لا مرد له^(١٣) .

فالردة ، بالكسر : مصدر قولك رده يرده وردد . وفى حديث القيامة والحوض يقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم أى متخلفين عن بعض الواجبات . قال : لم يرد ردة الكفر ولهذا قيده بأعقابهم لأنه لم يرد أحد من الصحابة بعده ، إنما ارتد قوم من جفاة الأعراب^(١٤) .

وهناك معان كثيرة أخرى للردة لئلا يصددها ، فما بهمنا في الواقع معنيان ، أولاهما : الرجوع الخفي لعموم الأشياء ، حيث نفهم منهم تصور العودة إلى ما كانت عليه في مقدمة الأمر ، وذلك بعد حركتها ، وثانيهما : التحول عن الشريعة الإسلامية إلى اعتقال ضال ، ولهذا التحول عدة مقاييس فقد يكون حسيا ، أو معنويا ظاهريا أو خفيا .

تعرف الردة اصطلاحا على أنها التحول ، والرجوع المؤدى بالكفر بعد الإسلام ، وتحصل الردة بقول صريح أو لفظ يؤدي معناها أو فعل يظهر ذلك ^(١١) ، وتكون من إنسان مسلم بالغ عاقل مختار ، كالشرك بالله تعالى أو جوده ، أو نفى صفة ثابتة ، أو اعتقاد كذب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، في بعض ما أتى به ، أو سب الله سبحانه أو أحد أنبيائه (صلى الله عليه وسلم) ، وإنكار ضرورة من ضروريات الدين ، أو أن يحلل الحرام أو يحرم الحلال ، أو الإتيان بفعل صريح يكافئ الاستخفاف بالإسلام . ومن أكره على الكفر فجاه بكلمة الكفر لم يعد مرتدًا ^(١٢) ، وذلك لقوله تعالى : (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) ^(١٣) .

ولنا أن نوجز مغزى المدلول الاصطلاحي على أنه : "كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقضيه أو فعل يتضمنه" . ومن الواضح أن الردة تفتت في صورة جماعية مثلما تبنت ذلك بعض القبائل من تناقلت حركتهم في عهد أبي بكر ، وهذا ما يعرف بحركة الردة الجماعية .

ولاشك أن لفقهاء المذاهب فهمهم الخاص إزاء فكرة الردة ، ونكتفي هنا بإيراد بعض التعريفات :

- ١- مذهب المالكية : الردة هي كفر بعد إسلام تقرر بالنطق بالشهادتين والتزام أحكامها .
- ٢- مذهب الحنفية : المرتد هو الراجع عن دين الإسلام .
- ٣- مذهب الشافعية : الردة هي قطع الإسلام بنية أول قول أو فعل يتضمن كفرا ، اعتقادًا أو استهزاءً أو عنادًا ^(١٤) .

وهناك من يعرف الردة عن طريق استقرار وتنسج مقومات المصادر التي ذكرت أن العرب ارتدوا بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنها كانت في المقام الأول ثورة على السلطة المركزية في الحكم وفي النظام الاقتصادي .

تذكر الكتب الفقهية على اختلاف المذاهب أنه يشترط في صحة الردة البلوغ ، وكمال العقل ، والاختيار ، أو الطوع حيث لا يتنع إلا من المكلف ، العاقل لا المجنون أو السكران ، إلا أن مذهبي المالكية والحنفية لم يشترطا البلوغ ، فاختلف في وقوع ردة الصبي^{١١١} . وتحصل الردة كما أشرنا في الباب السابق ، بنية أو قول كفر أو فعل ، استهزاءً أو اعتقاداً ، فمن نفى الخالق أو رسله أو كذب أحدهم ، أو حلل محرماً بالإجماع كالزنا وعكسه ، أو نفى واجباً بالإجماع أو العكس أو ترك الصلاة أو الزكاة جهوداً ، أو عزم على الكفر غداً ، أو خالطه كفر ، والفعل المكفر ما تعدده إهانة صريحة نحو الدين ، أو جهود له كالقاء المصحف في قاذورة أو تمزيقه أو إضرار الكعبة ، أو الخوض لغير الله كصنم أو شمس^{١١٢} .

نستخلص مما سبق أن هناك أربعة أقسام تصدق على حصول قضية الردة :

١- ردة على مستوى الاعتقاد .

٢- ردة على مستوى الفعل .

٣- ردة على مستوى القول .

٤- ردة على مستوى الإسقاط أو التترك <http://Archive.net>

يبقى أن هناك فروقا طفيفة تدور في فلك هذه الأقسام الأربعة بين المذاهب المختلفة فيما يصير به المسلم مرتدًا :

١- الحنفية : تتحقق الردة بإجراء كلمة الكفر على اللسان بعد حالة الإسلام .

٢- المالكية : وتتحقق إما بلمعة صريحة أو لفظ يبطنها مما علم ضرورة في الدين ، أو بفعل يخترن الارتداد كالقاء المصحف .

٣- الشافعية : وتتحقق إما بلفظ الكفر أو بجهود الفرض أو استباحة الحرام .

٤- الحنابلة : من أشرك بالله أو جحد ربه يمينه أو جحد الحكم الواضح المجمع عليه .

٥- الظاهرية : من كفر بما صدر عن النبي من الصحيح المجمع عليه .

٦- الزيدية : اعتقاد كفر (الله ثالث ثلاثة) ، فعل ما يستنقص شرعة النبي أو ما دعا الله بتعظيمه ، تلفظ الكفر ، والسجود لغير الله .

٧- الإمامية : نية أو قول أو فعل منطقة الكفر.

٨- الأماضية : إنكار وحدانية الله والبعث والرسول أو ما علم من الدين بالضرورة أو شتم النبي أو ملك^(١١٢).

وحتى يتسنى لنا الربط بين ما سبق ، وما يخص الأمثلة والصور التاريخية فمن الضروري تحديد أقسام المرتدين تاريخيا حيث تتضمن :

١- جماعة الممتنعين عن الزكاة والمطالبين بالإعفاء منها بعد رحيل الرسول ، وتضم بنى عبس وذبيان ومن تبعهم من بنى كنانة وعطفان فزارة بالإضافة إلى بنى يربوع ، وسيدهم مالك بن نويرة.

٢- فريق كفى بالله ورسوله مثل بنى بكر بن تائل ، وقيائل ربيعة والأزد ، وجماعات فارسية، بالإضافة لدعى النبوذة الذين عاشروا النبي (صلى الله عليه وسلم) كسبيمة الكتاب وأتباعه والأسود العنسي ، وظليحة الأسدي ، وهناك جزء تنبأ بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) كسجاح بنت الحارث التميمية التغلبيّة^(١١٣)

المرتد وما ينضوى ضمنه من أحكام

يتسم حكم الردة عن الاسلام بالحرمة والكفر الغليظ ، لأنها بمثابة تكذيب بلحق تصديق . إن المرتد هو الراجع عن دين الإسلام ، أى الذى يكفر بعد إسلامه ، ولو رجع بتوجب قتله ، فإذا قتل لا يذنب مع المسلمين ، وتبين منه زوجته بمجرد الارتداد ، فبدهي بالتالى أن تعتد منه عدة الوفاة إن دخلت ، ويقسم ماله بين ورثته المسلمة ، وإن لحق بدار الحرب^(١١٤) . أما الثانى : فهو المسلم عن كفر بمعنى غير المولود على فطرة الإسلام ، فهذا من الواجب استتابته ، وأما أملاكه فتظل محفوظة له حتى يتوب ويوقف نكاح زوجته على انقضاء العدة المساوية لعدة المطلقة .

كما جاء فى ضوء تعريف المرتد : أنه كل من أبى شفهياً ومطلق اختياره ركنين جوهريين من أركان الإسلام ، وهما : « أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، سواء كان مسلماً بالولادة أو مسلماً بعد كفر ، ويوازي نفي الكل بالنسبة للأصول ، إن باللفظ المباشر ، أو غير المباشر ، إن بالكلام أو بالعمل أو بالاساءة إلى مقدسات الشريعة ، وحكم المرتد فى كلا المذهبين الشيعي والسني هو القتل^(١١٥) ، ويلغى زواج المرتد وتصادر أمواله ، كما فُرقت الأحكام بين المرأة والرجل ،

وبالتالي لم يحكم لدى كل من الشيعة والحنفية السنة، وإن كانت مسلمة على الفطرة، وإنما تسجن حتى تتوب، أو أنها تمكث مأسورة إلى أن تموت حيث تضرب كل ثلاثة أيام.

ويستتاب المرتد وجوبًا كما ذهب الشافعي وأحمد، أو استحبابًا كما بالمدذهب الحنفي ثلاثة أيام، فإن تمسك على ما هو عليه قتل لامحالة ولا يسترق، وإن تاب لم يشمل الحكم، وقيل بأن إسلامه غير مقبول إن ارتد لكفر خفي مثل الزنادقة، والحجة على ثبوت الاستتابة: «أن امرأة يقال لها أم رومان ارتدت فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يعرض عليها الإسلام، فإن تابت وإلا قتل» ونسنتج من الحديث السابق أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أقام عقوبة المرتد، قبل أن يطبقها الصحابة بعد مجازته مع المرتدين ومانعي الزكاة^(١٧١).

ومن ثم، فيعد أن تثبت الردة إما بطريق الإقرار، أو بطريق شهادة بدلي بها اثنان يبرزان نوع الكفر، فإن المرتد يستتاب، فإن رجع قبل منه وإن تنكر للدين قتل، وذلك لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «من بدل دينه فاقتلوه»^(١٧٢). ويتولى قتله الإمام حسب ما هبت إليه الحنفية والشافعية والحنابلة والظاهرية والزيدية، ويتولى قتله كل من علم بأمره وفقًا لمذهب الإمامية، وتذهب الأباضية إلى أكثر من ذلك بحيث يصح قتل المرتد حتى على يد امرأة أو عبد مشرك أو مرتد آخر^(١٧٣).

قراءة مقتضبة في تاريخ البحرين الجغرافي

لم تكن البحرين في السابق مجرد مجموعة من الجزر الصغيرة في الخليج العربي التي تبعد لكيلومترات عن الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية كما هو الحال الآن، بل هي كما قال قوم: «الإقليم الثالث وعرضها أربع وثلاثون درجة، واسمها يجمع للبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان»، كما قيل «أنها قصبه هجر، وقيل هجر قصبه البحرين»، وقد اعتبرها البعض من اليمن، فيما صنفتها آخرون كقصبه برأسها^(١٧٤).

وقال ابن الفقيه، وأبو عبيدة أن مقدار ما يفصلها عن البصرة بمسيرة عشرة أيام، وما يفصلها عن البصرة يعادل خمسة عشر يوماً على الإبل، وما يفصلها عن عمان بقدر مسيرة شهر. قال: «والبحرين هي الخط، والقظيف، والآرة، وهجر، وبينونة، والزارة، وجوانا، والسابور، ودارين، والغابة» قال: «وقصبه هجر، والصفا، والمشقر، والشبعان، والمسجد الجامع في

المشقر ، وبين المشقر والصفاء نهر يجرى يقال له العين ^(١٤٠) . ولقد كانت البحرين في صدر الإسلام تمتد من كاظمة إلى جلفار ، وتشكل المنفذ نحو الجزيرة العربية بموانئها كالعقير والإحسا ، والقطيف ودارين ، وبيجرها كأول ، والمحرق ، وشقارن وتاروت ، وحوار ، وغيرها ^(١٤١) .

نخلص إلى أن ما كان يقصد بالبحرين هو ما كان متعارف عند العرب في الحقب السابقة من أنحا الإقليم الممتد على ساحل الخليج العربي بين البصرة وعمان ، وكانت بذلك تضم ما يعرف في عصرنا اليوم بالكويت والإحسا ، والبحرين وقطر وتتصل غربا باليمامة وشمالا بالبصرة وجنوبا بعمان ^(١٤٢) .

دخول البحرين في الإسلام

في السنة الثامنة للهجرة (٦٣٠ م) ، باتفاق البلاذري ، والطبري ، وابن هشام وقد الصحابي العلاء بن عبد الله بن عباد بن الحضرمي ، حليف بنى عبد شمس ، سفير الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى البحرين التي كانت تحت إمرة المناذرة التابعين للفرس الساسانيين ، وقد كان قائدا فيما بعد في حرب المرتدتين ، إلى أن وافى حاكم البحرين من قبل الفرس أنذاك المنذر بن ساوى التميمي العبدى ^(١٤٣) ، شيخ قبيلة عبد القيس الذي ينتسب إلى بنى دارم ، وإلى سبيخت مرزيان، المتمركز بهجرل يدعو شعبهم إلى الدخول في الإسلام أو دفع الجزية ، فتقبلت صدورهم الدين الجديد - الذي قال عنه المنذر : « فما يتعنى من دخول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت فقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يردّه » ^(١٤٤) - طوعا من غير حرب أو قوة ، حيث أسلم أيضا سائر العرب بالبحرين مع بعض الأعجم . والملاحظ أن هذا يتباين مع ما رواه ابن الأثير في تاريخه . حيث يقول : « ولم يكن بالبحرين قتال إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح » ، وما قاله قتادة : « لم يكن بالبحرين قتال ، ولكن بعضهم أسلم وبعضهم صالح العلاء . على أنصاف الحب والشمر » ، ولولحظ وقتها أن نصارى ومجوس البلد قد كتبوا معاهدة ضمنية بينهم وبين العلاء . تنص على صيغة للمصالحة ، نسختها « بسم الله الرحمن الرحيم ، هنا ما صالح عليه بن العلاء . الحضرمي أهل البحرين . صالحهم على أن يكفونا العمل ، ويقاسونا الشر ، فمن لم يقى بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، وبالنسبة إلى جزيرة الرؤوس ، فإنه قد استوفى لها ديناراً من كل حالم ، ممن لا زال على المسيحية واليهودية ، وقد قبل أن رسول الله قد بعث العلاء . لما بعث رسله إلى دعوة الملوك سنة ست ، وروى عن العلاء . أنه قال : « بعثني رسول الله (صلى

الله عليه وسلم) إلى البحرين ، أو قال هجر . وكنت أتى الحائط بين الأخوة ، قد أسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر ، ومن المشرك الحراج »^(١٤١).

ورد على أهل البحرين كتاب أرسل إليهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإنكم إذا أقمت الصلاة وآتيتم الزكاة ونصحتم الله ورسوله ، وآتيتم عشر النخل ونصف عشر الحب ، ولم تجسوا أولادكم ، فلكم ما أسلمتم عليه ، غير أن بيت النار لله ورسوله ، وإن آيتم ، فعليكم الجزية » ، ويقال أن ذلك كان سنة ٦ هجرية ، وفي رواية له (صلى الله عليه وسلم) ، ويحدث أصحابه : « سيطلع عليكم من ها هنا ركب هم خير أهل المشرق » ، وفي رواية : « يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الإسلام ، قد أنصوا الركائب ، وأفتوا الزاد ، اللهم اغفر لعبد القيس »^(١٤٢) . وكان ذلك في وفد عبد القيس عليه بالمدينة قبل فتح مكة ، ففي العام الثامن للهجرة كان قدوم وفد عبد القيس بقيادة (الأشج) ، ومن صاحبه من أهالي هجر ، معلنين إسلامهم السرى بين يدي الرسول ، ومنطلقين برسالة الدين إلى المنذر بن ساوى في البحرين^(١٤٣) ، كما قدم وفد بحريني آخر ، في العام العاشر للهجرة ، بقيادة الجارود بن المعلى العبدى ، الذى اعتنق الإسلام بعد أن كان نصرانياً^(١٤٤) . والحق ، أننا نستشف من خطاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أن عبد القيس حرصوا على الاستجابة طوعاً ، وأن الإسلام قد احتل موقعاً عظيماً في أنفسهم ، وبالتالي لم يلق أية معارضة أو مزاجيات رافضة تعترض طريق سيادته ، بل كان مقتضى تعاطى الأغلبية متفتحا وإيجابيا تمثل في مدى استعدادهم لقبوله واعتناقه .

وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمنذر بن ساوى (التداعيات المرجلية)

قال تعالى : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)^(١٤٥).

تجدر الإشارة إلى أن البداية الفعلية لاندلاع حركات العصيان - كمنعطف على درجة من الحساسية ،

والخطوة في تاريخ هجر - الجزيرة العربية- كانت إبان الفترة الزمنية التى أعقبت وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، يوم الثانى عشر من ربيع الأول ، وفياة المنذر بن ساوى بعده وذلك فى السنة العاشرة ، أو الحادية عشرة للهجرة على اختلافات الروايات ، وذلك لأن نماذج الردة خلال المدة السابقة لوفاة النبى كانت متمركزة فى محيط محدود شمل كلا من اليمن واليمامة .

ونقل إلينا المؤرخون بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مات ذلك الشهر ، ومات المنذر بعد رحيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) بفترة وجيزة^{١٢١} ، فتبع ذلك الكثير من طوائف العرب ، بين كافر ومانع للزكاة والصدقة^{١٢٢} ، حيث تغلغل التناق في ثنايا المجتمع وقتئذ كما جاء في قول السيدة عائشة : « لما توفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ارتدت العرب ، واشترأت اليهودية والنصرانية ، ونجم التناق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في اللبلة الشائبة ، لفقد نبيهم حتى جمعهم أبو بكر^{١٢٣} » وكان أهل البحرين من ضمن من ارتدوا أيضا ، مملكين عليهم المنذر بن النعمان المنذر . ولهذا السبب غادر أبان بن سعيد العاصي بن أمية من البحرين ، متجها نحو المدينة حيث أشار ابن عساکر في تاريخه أن أبان بن سعيد قال إلى بني عبد القيس : « أبغفوني مأمنى » ، فقالوا : بل أقدم ، فلنجاهد معك في سبيل الله ، فإن الله معز لدينه « كما نجد أن الجارود حول تحيته عن السفر قلم يجد ذلك أمام إصراره . والملاحظ لما قدم على أبي بكر لأمه قائلا « ألا تشبوا مع قوم لم يرتدوا » ، أو قال لم يبدلوا ، فعقب أبان : « هم على ذلك فما أرغيبهم في الإسلام وأحسن نياتهم ، ولكن لا أعمل لأحد بعد رسول الله^{١٢٤} » .

وكان ممن ارتدوا أيضا : شريح بن صبيعة الغدي ، المعروف بالحطيم وقبيلة ربيعة ، وبكر النسي بقت على ردتها . ويخصوص عبد القيس ، فقد شهر كلامهم عقيدة أن النسي لا يموت ، أو أن النبوة لا تنتضى بمجرد وفاته إلا أن الجارود بن عمرو قد اجتمع إليهم وحدثهم بحدیث ينزع إلى فطرة الحق فأمنوا بمنطقه ، واستجابوا لهذا الزعيم الإسلامي بعد المنذر ، برسوخهم من جديد على إسلامهم ولكي تكون الصورة أوضح ، سنذكر ما دار بين الجارود وبينهم ، حيث أنه قال : « تعلمون أنه كان لله أنبياء ، فيما مضى » ، قالوا : « نعم » ، قال : « فما فعلوا » ؟ قالوا : « ماتوا » قال : فإن محمداً مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله « فعادوا إلى حظيرة الإسلام بنفس الشهادة مضافا عليها وأنتك سيدنا وأفضلنا^{١٢٥} » .

وهذا يأخذنا إلى ما حدث به أبو بكر الناس إثر وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك لما قال « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت^{١٢٦} » وتجدر الإشارة إلى أن عمرا وغيره قد نصحوا أبا بكر بالتخلي عن قتال المرتدين ، لكنه كان حازما ومتشبها بكثرة النهوض لهم ، حيث قال : « والله لو صنعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤذونها إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لتقاتلتهم على منعها . » والعقال تعنى زكاة عام من الإبل ، والمقصود بعناق : الأتشي من ولد المعز^{١٢٧} .

كذلك فإن من أهم ما تطلعت به تداعيات حركة الردة ، هو ذهاب فريق من رجالات بكر بن وائل إلى كسرى ملك الفرس ، يخبرونه بموت من كانت قريش ومضربقتخرون به ، وينبأ الرجل الذى حل بعده ، ووصفوه على أنه ضعيف البدن والرأى ، ملمحجن إلى انصراف عامله إلى جماعته ، وإلى الضياع الذى تسلل للبحرين بعد أن لم يعد بها مسلمون سوى من عبروا عنهم بشرذمة من عبد القيس لا يساوون شيئاً بالنسبة لهم . وسألوه أن يبعث من يأخذ بزمام أمور البلد ، فطرح المنذر بن النعمان ، ولم يكن منهم إلا أن وافقوا عليه بشدة ، وكان من بينهم أبو ضبيعة الحظم بن زيد وطيبيان بن عمرو ، فأمره بالخروج معهم وزودهم بسبعة آلاف فارس وراجل .

وقد قال بعض العرب بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) : لو كان محمد نبياً لما مات ، وقال بعضهم الآخر : انقضت النبوة بموته ، فلا نطيع أحداً بعده (٢٧٧) .

إشكالية الردة ودوافعها

لم تكن حرب الردة أبداً وقلنا على المسلمين ، كما أنه لا يوجد أى حكم قطعى على أن عامة العرب ارتدوا عن الإسلام ، لأنه من الواضح وجود جماعات فى الأقطار الإسلامية حافظت على تعينها للإسلام ، بل وأن البعض منهم ساهم فى التصلى بصفة خاصة للمرتدين ويحتدم الجدل فى الحقيقة الدائرة حول صيغة وقوع الردة على عموم الناس ، خاصة مع انتفاء الاطمئنان إلى الكثير من المعلومات المعروضة الحالية من الدلالة القاطعة فى أخبار الردة ، فيما يعنى من هذه الإشكالية أن التفاصيل كانت مروية بالدرجة الأولى عن سيف بن عمر التميمى المنعوت بالكذب ودرس الإفتراءات . فلقد ذكر بأنه كان مع المسلمين فى المواقف ، والمشاهد التى رأوها من أمر العلاء (٢٨١) ، كما أن عملية تدوين التاريخ تمت بعد قرن ، أو أكثر من النقطة الزمنية للأحداث فى البحرين بالإضافة إلى ما ضمنه الموالى وأهل الكتاب والإخباريون الجاهلون للعربية من عناصر أسطورية تتطلب الفحص والتدقيق (٢٨٢) .

فهناك من الأمثلة ما يستبعد ارتدادها إلى الكفر استناداً إلى صلابة الإيمان ، فمثلاً هناك نموذج أهل اليمن الذين قال قبيهم النبي (صلى الله عليه وسلم) « الإيمان يمان » ، ومثال بنى حنيفة الذين ينتمى إليهم مالك بن نويرة ، وهو من الصحابة الأجلاء لا سيما وأنه قال خالد : « والله ما ارتددت » ، وقد شهد أبو قتادة بعد أسره مع جماعته أنهم أقاموا الصلاة وأن عمراً (رضى الله عنه) سارع بالدفعاع عنه طالباً من أبي بكر (رضى الله عنه) محاسبة خالد لإعتدائه على حرمة مسلم ، ويروى أن أبا بكر قال له أرياء قتلت إمرئاً مسلماً (٢٨٣) ؟

ومن الأمثلة الواردة والمغايرة إلى أن الصلاة لم تكن مقامة في أوساط القبائل المرتدة أن مسيلمة الكذاب حين تزوج سجاح بنت الحارث التغلبية - وهي من نصارى العرب التي ادعت النبوة وأذعن لها دعامة بنى تميم وجماعة من أمرائها - كان قد جعل مهرها لإسقاط صلاتي الفجر والعشاء^(١٤١)، كذلك نموذج مسلمي البحرين اللذين صاروا مسلمين بإرادتهم التامة . وتال وقدم شهادة ثناء من النبي (صلى الله عليه وسلم) ، كما تقدم ، ومن أجل ذلك نعجب لمن يلمصق بنشل هؤلاء الكفار لأنهم لم يمنعوا الزكاة ، ربما لعدة قماش النظام مع ما يرتجونه نتيجة لتجاوزات غير مشروعة ؛ حول زحزحة المركزية عن من يعتقدون بأنه الأول باستحقاقها . ولعل من الأسس التي تؤكد على وضعيتهم الإسلامية إعلان أبي بكر بعد استلامه عن الجماعات التي تؤدى الصلاة دون الزكاة بأنه سيقاتلهم حتى لو منعوه عقاب بغير كانوا يؤدونها إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) .

أما فيما يتعلق بدوافع الردة، فستناقش موضوعها في النقاط التالية :

١- وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وتظهر مثل هذا الحدث من اضطرابات لم تكن بالأمر السهل كان لها انعكاس بالغ على نفسية أفراد يراهم بمخاضات الشكوك وتعقيدات المستقبل بالجزع والاضطراب ، حيث لم يستطع عدد كبير منهم أن يتقبل خبر وفاته ، لدرجة أن عمر أقد فتد نبأ الوفاة قائلاً بأن النبي مضى لربه وسيؤوب مثلما أب موسى لقومه بعد غياب أربعين ليلة .

٢- انهيار سلطان المدينة ، حيث سجلت لغزوات النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومواقفه الإدارية في السابق نفوذاً عصبياً دعم أركان الدولة ، وسط قدرتها على أغلب مجتمعات العرب فتنصر الارتداد في هذه الحالة شأنه شأن عدم التعاطي مع المنهجية السياسية القائمة بنفس الحماس السابق ، وليس الاعتداء بالوثنية ، أو الاعتقادات الفاسدة التي أفسدها مشروع الإسلام نهائياً^(١٤٢) . وهذا الأمر يقترب بانقسام الأمة بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى اتجاهين ، أحدهما يرى استحقاقات الولاية لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وقسم يقر برئاسة أبي بكر ملتصقا بالميراث أو راضيا بالخيار ، وعلى ذلك فلا عجب لو لم تكن لوحدة كل المسلمين صفحة ناصعة .

٣- التأثير الواضح من قبل بعض العرب بالفرس والروم المعارضين ضد الدين الإسلامي^(١٤٣) .

٤- ظهور العصبية والنزعات القبلية بقوة حيث كان طموح حركات الردة ذا نسق سياسي أكثر من كونه ديني . وأضفت عليها العصبية القبلية واقع الطمع في السياسة وحيازة كرسي

الملك ، فذلك معقول للغاية حين نقرأ عن ويلات الجاهلية المشينة التي طفحت مقاصدها كرد فعل عنيفة تختزن نفس المحنة في الحقبة الإسلامية . وعلى ضوء ذلك عادى جمع من بكر بن وائل قوم عبد القيس الملتفين حول إسلامهم ، فما اقترحه بعضهم كان يدور حول تنويع سلالة النعمان بن المنذر كونه أحق بذلك من أبي قحافة^(٤٤) ومن منظور أوسع ستم البعض سيطرة قريش واستفرادها بالزعامة كقيادة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومجد هنا انطلاق بعض الطوائف لإرجاع المكانة والسultan الذي كانوا يحتلون في زمن الجاهلية^(٤٥) .

٥- بسبب جهل تعاليم الإسلام ، بمعنى نقص البيئة من امره ، وهذا خلاف ما لسناء في السبب الثاني ، إذا أنه من المحتمل أن اعتناق الإسلام لم يكن بالضرورة رغبة في تحقيق الذات بجوهر الدين إنما قد يكون الهدف هو الرغبة في الأمان خوفاً من تعاضل أمر المسلمين أو البحث من فائدة مادية أو اجتماعية ، وعلى هذا وجدت فئات ضعيفة الإسلام ، مشوهة الإيمان تحركت للإسلام إذناً لعظمة الإسلام واهله ، برغم من هذه الهيئة الواهنة ، لايد من التأكيد على ان الأيديولوجية الإسلامية لم تفرض نفسها بالقسر ، إنما كانت تتسم بعقلانية ارفى من هذه النظرة .

٦- جنوح البعض للخلاص من الزكاة بدعوى أنها متعاضده فقد مع حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وفور وفاته تخلفت عن أدائها ، زاعمة أنها لم تجعل لمن يخلفه فلاح له أن يطالبهم بجمعها ، حيث تفرغ بعضهم بقوله تعالى : (أخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)^(٤٦) ، في أن دفع الزكاة مقتصرة على من تكون صلواته سكناً لهم ، وقالوا أنه لاينبغي للخليفة أن يحكم قبضته عليهم ، لأن تقييدهم بعد نوعاً من التمرد على تعية البدو بجماعات الحضرة ، يتضح ذلك في بيت يستحق الإشارة إليه ، وهو قول الحطيطنة :

أطعنا رسول الله إذا كان بيننا في لعباد الله ما لأبي بكر
أبورتها بكرًا إذا مات ، بعدد وتلك لعمر الله قاصمة القصر

٧- عدم تكاثر تأثير الهاجس الإسلامي في جزء من أفراد الأمة ، الذين افتقدوا للانتماء الروحي الأصيل ، وربما لحدائث ارتباطهم بالإسلام ، وبالتالي افتقدوا للنضج العقيدى الرصين ، فعاشوا على قاعدة مهزورة ، تختلف بواطنهم عن ظواهرهم ، وتنطبق عليهم الآية الكريمة التالية: (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم)^(٤٧) .

٨- حين العديد من العرب إلى ماضى الشهورات ، التي غابت أثناء مرحلة الرسول لأن الأحكام

الإسلامية لم تصادق عليها ، فلم يشأ هؤلاء أن يظل شرب الخمر والزنا مثلاً قيد المصادرة .

كانت هذه مجموعة الدوافع الحية التي اعتمداها وفق سجلات الحركة التاريخية ، ولا يمكن أن نتخذها على أنها الأسباب المثالية لقبضان الردة في محيط الجزيرة العربية بما فيها البحرين .

مجمل حرب الردة :

لقد برزت في السنة الحادية عشرة أنباء ارتداد العديد من العشائر العربية عن الإسلام حينما علموا بوفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وامتنعوا عن الزكاة ، فعمل أبو بكر والمسلمون على قتالهم ، مما أسفر عن مقاومة الحركات الأتية :

١- حركة الأسود العنسي : انبثقت كأول ردة في الإسلام على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، إذ كان عبهلة بن كعب بن عوف مشعوراً كاذباً بريهم الأعاجيب ، ويأخذ بقلوب من يستمع طرحه من أصحاب العتول الضعيفة ، وأزره عمرو بن معدى كرب الذي أمر ، ففكاه أبو بكر لاحقاً ، وقتل فيروز الدبلي عبهلة العنسي بالتنسيق مع زوجته المسلمة التي كانت تبغضه ، كما أن من تصدى له إضافة لفيروز رجل يدعى عامر بن شهر الهسائي وداؤبه^{١٤١} .

٢- حركة مسيلمة بن حبيب الكذاب : ارتدت بنو حنيفة ولحقوا بمسيلمة الكذاب الذي ادعى مشارطته النبوة مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ، يشهد على هذا صديقه الرجال ، ودعا نفسه برحمان البهامة حيث أحضل أهلها ، وأخذ يسجع لقومه ، ثم وضع عنهم الصلاة وشرع حلية الخمر ، والزنا ونحو ذلك ، فمضى خالد بن الوليد لقتالهم ، فالتقى بهم في عرياء (في أرض البهامة) ، بصحبة شرحبيل بن حسنة وعكرمة بن أبي جهل وأبي حذيفة ، فهزمهم وقتل منهم مقتلة ، وأطلق وحشى ابن حرب حرته على مسيلمة فأصابته ، فصرعه أبو دجانة^{١٤٢} .

٣- حركة طليحة بن خويلد الأسدي : تنبأ في بني تغلب على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكثر أنصاره ، فقويت شوكته بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وقد سعى نفسه بذى النون ، ومن جهة نزاله ، فقد مضى إليه خالد بن الوليد بجيش عزمهم لما خرج إلى يراخة ، فهزم صفوان طليحة الذي كان قد بايع عبيثة بن حصن ، فيما فر هاربا إلى الشام نازلاً عند كلب ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وعلى رواية أخرى أن أبا بكر حقن دمه ، وقيل أنه قتل في نهاوند^{١٤٣} .

٤- حركة سجاح بنت الحارث بن سويد بن عققان التميمية : هي نصرانية ادعت النبوة في بني

تغلب ، وصممت على مواجهة أبي بكر غير أن مالك بن نويرة ثابها عن فكرة القتال ، تفاعلت مع نبوءة مسيلمة الكذاب وتزوجته ، ثم انتقلت إلى أرض الجزيرة إلى أن نقلها معاوية عام الجماعة سنة ٤٠ هجرية فأسلمت وحسن إسلامها^(١٤١).

٥- حركة طوائف البحرين (محل الدراسة) : وهم تيار مرتد ، ملكوا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر القائل بعد أن أسلم وأسلم الناس : « لست بالغرور ، والكنى المقرور » ، فأرسل إليهم أبو بكر العلاء بن الحضرمي لتقويم مجرى الباطل ، فأنقض بجيشه على القوم ليلاً في أجواء سكر ، فأجهزوا عليهم ، واستحذوا غنائمهم^(١٤٢).

٦- حركة لقيط بن مالك الأزدي : وهو من كان يسمى في الجاهلية الجلتري ، وهو الآخر انفلتت عن ثوابت الإسلام مدعياً النبوة ، فبعث له حذيفة بن محصن الحميري ، وعرفجة بن هرثمة البارقي ، وتبعهما عكرمة بن أبي جهل ، وشرحبيل بن حسنة بأوامر من أبي بكر ، وحدث اضطراب في صفوف المسلمين كاد يفت عضدهم ، ويحيلهم مهزومين ، حتى أقبل إليهم المدد من بني ناحية وعبد القيس ، فأفتوا عشرة آلاف مرتد ، وأسرروا الذراري^(١٤٣).

٧- حركة الردة في مهرة : قتلته في إقبال عكرمة بقوى نوههرة ، مستنصراً أهل عمان ومن حولها ، فاستجاب له الأمير شخريتان المختلف مع الأمير المصعب رئيس المرتدين الذي لقي حتفه حين تقابل جيش المسلمين والمرتدين ، ولقنوهم هزيمة قاسية^(١٤٤).

٨- حركة قيس بن عبد غرث بن مكشوح : وهو من أهل اليمن ، خافه أهلها ، ووقف معه عمرو بن معدى كرب ، وجماعة من أصحاب الأسود العنسي ، وكان خطرهم ماحقاً لأمرء اليمن الثلاثة ، فتحرك إليهم المهاجر بن أمية الذي ولاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) على صنعاء ومعه عكرمة بن أبي جهل الموجه من أبي بكر في خمسمائة مدد ، هزمها ، ثم أصبحا مسلمين تائبين ، فقد ورد أنه أسر ، واقتيد إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فقام الأخير بتوبيخه ، ثم عفا عنه ، لأنه أنكر الردة^(١٤٥).

٩- حركة أبو الفجاءة السلمي : والذي دخل على أبي بكر يبغي سلاحاً للجم المرتدين ، فلما منح ما يريد خرج على وعده وارتد هو الآخر بقتله المسلمين في جموع سليم عامر وعامر وهوارزم^(١٤٦).

تتوصل من تلك الطزاهر إلى نفسي حروب الردة وتعامل الخلافة معها على أساس أنها ثورات

مشوهة تحكمها النزاع القومية ، وطالما رأوها كذلك بدأ ضروريا إخضاعها للحكومة الدينية من منطلق الدفاع عن الأطر الإسلامية التي لا تقبل هذه التعددية .

أهل البحرين بين الثابت والمترد أهل البحرين تولد بعد وفاة المنذر ، ولا بد أن تميز في هذا الباب بين مواقف أهل البحرين المتباينة بالنسبة لحركة الردة حتى لا يحصل أى نوع من الالتباس في رؤى الفريقين بجمال الأزمة الردوية .

إن الأنماط المتردة كانوا من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة وقبيلة بكر بن وائل^(١٤٧) التي هزأ بها أحد المنتميين إلى بني ضبيعة بن عجل غير قوله :

ألم تر أن الله يسبك خلقه فيخبت أقوام ويصفوا معشر
لحى الله أقوامًا يصيب بخنعة أصابهم زيد الضلال ومعر

والتي أثرت أن تتم على ردتها . إذ أورد إليها المثنى بن حارث الشيباني خطابًا يطلب منهم أن يكونوا على قدر من المسؤولية عن طريق توجيه اللوم إليهم ومنعهم من موقفهم بالرغبة في حرب إخوتهم عبد القيس . وتوعدهم بمهاجمة المهاجرين والأنصار لهم ، وكتب أبيات مطلعها :

طال ليلى لتعنى مسع وأبن ضبيان جميعًا والحطم

إلا أنهم استهجنوا الدعوة واعتبروها مرادفًا للحسد يقودهم الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرث ، ارتد بعد إسلامه هو وبنو قيس بن ثعلبة ، وهو من نزل القطيف ، وهجر واستغوى الحط ومن فيها من الرط والسباجة ، وأرسل إلى دارين فأصغوا له ليصير عبد القيس وبينهم^(١٤٨) . والسر في تسميته بالحطم يكمن في قوله : « قد لفها الليل بسواق حطم »^(١٤٩) ، حيث اضطرم الحطف السياسي إلى تمليك المنذر بن النعمان بن المنذر عليهم ليتمكنوا من تشكيل قيادة تضمن مصالحهم ، وهناك من عزم ارتداد كل من اجتمع بالبحرين من ربيعة عدا الجارود ، ومن سابر منهجه من الأهالي ونقلت النظر إلى أن هناك من احتمل بارتداد جميع قبائل العرب ما عدا أهل جوائن مثل ما تطرق له ياقوت الحموي^(١٥٠) . كان الفريق الآخر المناوئ لمن ارتد يحوى عبد القيس يقودهم الجارود ومن تابعه من قومه الذين أمرؤا عليهم ابن النعمان بن المنذر ، والجارود هو بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدى^(١٥١) . وهو من قال عندما ارتد العرب : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله »^(١٥٢) ، وهو من الكوادر المتفهمة على يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبالمناسبة يورد الطبري عن إسلام الجارود أنه لما قدم على النبي ، عرض عليه (صلى الله عليه وسلم) ، أن يسلم ، فقال : إن لي دينًا ، فرد النبي (صلى الله عليه وسلم) : إن دينك

يا جاردو ليس بشئ وليس يدين ، إلى أن أسلم وقضى في المدينة لفترة تفقه خلالها ، ثم عاد لقومه بدعومهم للتحويل إلى الإسلام ، فأجابوا مباشرة^(١٣٢) . وهذا من الشواهد التاريخية التي تفسر لنا أيضا اختيارهم المطلق في أن يصيح الإسلام جزءًا من ذاتهم وكانت نتيجة انتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) للرفيق الأعلى أن ارتدوا من زاوية أنه لو أنه كان محمد نبيا لما مات ، ولحسن الحظ فإن براءة الجارود ، ومنطليته القاطعة ، قد لعبت دورًا في تنوير ذهنيهم ، وإعادة تمهيدهم إلى موقف الشهادتين ، فثبتوا على ما يكفل لهم السعادة^(١٣٣) . وإن من الذين ثبتوا أيضا : قيس بن عاصم المنقري ، وعفيف بن المنذر ، وعتبة بن النهاسي بن بكر بن أنثل ، أو (عتيبة بن النهاس)، وعاصم بن عبد الأسود ، ومسمع وحفصة التميمي ، أو (حفصة التميمي) ، المشي بن حارثة الشيباني ، الذي كما بالمرصاد لأهل الردة تدعيبًا لمشروع العلاء ، وعوف والأبناء ، من سعد ابن زيد مناة الذين امتثلوا للزبرقان ، ودافعوا عن الإسلام ونجرتهم كثير ، حيث استطاعوا إخضاع المرتدين تحت لواء العلاء بن الحضرمي^(١٣٤) .

لجوء المسلمين إلى حصن جوائا :

تعرض البلاذري بدقة إلى العتمة التي كان يشتمع بها هذا الحصن ، فوصفه بأنه حصن البحرين ، وينبغي لفت النظر إلى أن آثاره لا تزال باقية حتى اليوم فهو من معالم الإحساء الأثرية ، التي كان يشملها قطر البحرين الجغرافي آنذاك ، بالإضافة إلى أوائل والقطيف ، ولقد اختاره النفر المسلم كقاعدة ذات دور فعال على مستوى وقائع الردة كما أنه برز كمنطق تجاري متميز في السابق^(١٣٥) .

إن الواقع التاريخي عكس المعاناة العميقة لمن ثبتوا على الإسلام في هجر داخل هذا الحصن الذي ظلت جدرانه شاهدة على صراع الحركات السياسية والحصار النفسي الناتج عن محاولات التضييق على من تشبثوا بالأصالة الدينية ، يجسدون مقاومة الجوع والوضع العسير ، إلى أن تغير مجرى الأوضاع لصالحهم بعد ذلك فقد دفع الإحساس بالخطر والتدهور قبيلة عبد القيس إلى الاحتسار ، بحصن جوائا أو جوائا على اختلاف الأخبار^(١٣٦) ، غير أن بكر بن أنثل أحاط ومن معه تمامًا بالحصن وحرموه القوت ، حتى أوشكت هذه المسألة أن تقوهم للهلاك ولقد عبرت أبيات أحد المحاصرين المسلمين - هو عبد الله بن عوف العبدي - عن المعنى الكامل لهذه السطوة ، حيث كان يستعطف أبا بكر بحرارة ، وربما وثوقًا من قدرته على معاونتهم وتخليصهم من الضيم الذي هم عليه ، فكان يقول :

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً وقتيسان المدين أجمعينسا

فهل لك في شباب منك أمورا
 تحاصرهم بنو ذهل وعجل
 يقودهم الغرور بغير حق
 فلما اشتد حصرهم وطالت
 توكلتسا على الرحمن إنا
 وقلنا والأمور لها قرار
 نقاتلكم على الإسلام حتى
 بكل مهند غضب حمام
 جياغاً في جوائنا محصرتنا
 وشيبان وقيس ظالمينا
 ليستلب العقائل والبنينا
 أكلهم بما فيها بلينا
 وجدنا الفضل للمتوكلتينا
 وقد سفهت حلوم بني أبينا
 تكونوا أو نكون الداهينا
 يقد البيض والزرد الدفينا^(١٨)

واستمر المسلمون هكذا ، في جوع متفاقم ينتظرون بصيص أمل إلى أن حان دور العلاء لينهض في مواجهة عتيقة تحطم أصفاء الحصار ، والجدير بالذكر أن عبد القيس قد لجأوا إلى الحصن بعد أن شعروا بالهزيمة ، أمام اثني عشر ألفاً من بكر بن وائل ، ثلاثة أرباعهم كانوا من الفرس ، وذلك بعد قتال ضار استمر أياماً كثيرة^(١٩) ، وستناول آفاق حرب التحرير التالية لهذه الحرب ، بصورة أشمل في الباب التالي^(٢٠) .

دور العلاء في التصدي للمرتدين

بعد أن انتهى خالد من مهمته في البحامة ، استجار جمع المحاصرين في هجر بأبي بكر (رضي الله عنه) ، فاعراه هم بالغ ، فعقر اللقاء للصحابي العالم العلاء بن الحضرمي - كواحد من القادة الإحدى عشر الذين اختارهم أبو بكر ، في سنة اثنتي عشرة ، على أساس تحرير البلاد الإسلامية من ممارسة الاعتراضات التي بلغت الذروة^(٢١) ، فاستلبت ضمائر الكثيرين - وسيره إلى البحرين لكسر الحصار المفروض على الجماهير المتحمسة للإسلام ، مزوداً بالقبين من المهاجرين والأنصار مع ستة عشر رجلاً من الفرسان. ليعينوه على مواجهة من عزموا على إطفاء نور الله على حد قوله ، وقال بنو عبد القيس : إن لم يرتدوا فهم جندك ، وغدا مع العلاء حتى بلغه عبد القيس^(٢٢) .

ولما وصل العلاء إلى البحامة ، وكان في استقباله ثمامة بن أثال الحنفي الذي عرض عليه العلاء أن ينضم إليه في الخروج لحرب أبناء عمه بكر بن وائل ، فلم يتوقع إجابة قومه من بني

حيفة بسبب التجربة القاسية التي تعرضوا لها مع مسيلمة في معركة ضد خالد بن الوليد ، إذ عبر أحدهم عنها :

إِنَّمَا عَهَدْنَا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ وَيَوْمَ لَنَا كِبُومُ الْقِيَامَةِ^(١٧٢)

ولكن الحاصل أن دعوة اليوم جاءت خلافا لدعوة الأمس تتجلى مآربها في نصرة المنهج السماوي القويم ، الأمر الذي حمل ثمامة على العزم للمضي مع العلاء ، وإمداده بقوات من قومه ، وكان مع جمع من بني عمهو تمن ضمن ما أنشده :

فَلَنْ أَتَى الْأَعْنَةَ عَنِ دَعَاةٍ وَعِنْدَ اللَّهِ قَسَى ذَاكَ الْجَسْرَاءُ

وبعدها وصل إلى محل بني تميم ، فلاقاه قيس بن عاصم المنقري التميمي ، الذي لقبه النبي بسيد أهل الوبر ، فعرض عليه السير معه لتولى الجهاد ووضع حد للردة فلم يكن منه إلا أن سائده ومار معه بصحبة عشرين فارسا من بني تميم ، وقال قائل :

أَلَمْ تَرْنَا أَجْرْنَا الْعَلَاءُ عَلَى كُلِّ مَنْ جَارَهُ مِنْ مَضَرٍ

فصارت حصيلة جيش العلاء ألفين مقاتلا من المهاجرين والأنصار بالإضافة إلى جماعتي ثمامة بن أثال وقيس بن عاصم المنقري ، وينقل أنه لما بلغ العلاء حرس جوائا ، اعترضته جماعات من ربيعة ، كان يقودهم الحظم ، استطاعوا لتقييد حركة المسلمين ، وحصارهم ، مما حمل العلاء على أن يطلب المساعدة من أبي بكر ، فأصدر أبو بكر أمرا إلى خالد بن الوليد بالتوجه من البصرة إلى البحرين ، لمساندة جيش العلاء ، ولكن النصر كان قد سجل للمسلمين قبل مجئ خالد^(١٧٣) .

وأورد أحد المسلمين في الحصن إلى العلاء ، بأنه لم يعد هناك حل تاجع للقضاء ، على المعارضين وتأديتهم ، سوى مذاهنتهم ليلا ، وعكس ذلك أحد أبياته التي خاطب بها العلاء :

أَسَدُ النَّهَارِ ضِبَاعُ اللَّيْلِ لَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْبَيْسَاتُ بِمَا لَا قِلسَ أَوْ كَثْرًا

والظاهر أن الجارود قد كتب للعلاء : « إن بيتي وبينك أسود النهار وضباع الليل » فأدرك أنه يستحثهم للقتال ليلا ويرجع أن العلاء ، كان نازلا بأصحابه فنفرت دوابهم وما عاد لديهم ما يتزودون به في الطريق ، فاشتد عليهم الحظم ، ودارت الرصاصا قيسا بينهم ، ولما حانت صلاة الفجر صلى بهم العلاء ، وجلس يدعو فاهتدوا إلى ما شربوا منه واغسلوا ، ولم يزالوا كذلك حتى أناخت بعيرهم (تكرر من كل وجه) ، مما غرس في قلوبهم الأمر ، ودفعهم للأمام .

ولم يلبث العلاء أن دعا الجارود ورجل آخر للاشتراك مع عبد القيس من أجل الهجوم على الحطم وإحاطته ، واقتضت المعادلة حلول العلاء . ومن معه بهجر ولقد خندق المسلمون على أنفسهم وهو يتناوبون القتال قرابة الشهر^(١٤١) ، ثم أقام المرتدون القتال فتواري المسلمون بحصن البحرين المتعارف بجوانا ، وأخذ الجوع منهم مأخذه وكان جنود العلاء يتحينون الفرصة للاقتحام فاحتكم العلاء لفكرة البيات ، وأكد على الجماعة المحاصرين أنه ينبغي لهم التهيؤ للانطلاق ، بمجرد أن يستشعروا اقتحام المسلمين ومباغتتهم للقوم . وكان موقف العلاء في ليلة البيات يتم بروح التحدي والثبات ، لاسيما وأنه استمر في تحفيز الجيش ورفع معنوياته ، نحوص الصراع من دون وجل أو تردد ، ولم يتوان في إرسال شخص يستقري له خبر القوم عن كتب - قيل أنه عبدالله بن حذف - خاصة بعد سماع ضجيج ، وضوضاء في العسكر الآخر . فأنبرى للتقصي ، وقبيل انبلاج الصبح ، عاد الرجل يحمل بشارة التمكين ، وأعلم العلاء بالأمر المهم الذي تحقق منه ، حيث عاد قائلاً : « قد أشرفت إلى معسكرهم فلم أسمع لهم حركة ، والقوم عندى سكارى ، لا يعقلون » ، وقد ورد أيضاً أنه لما اقترب من خندقهم أخذوه ، فصار يستغيث وأبجراه « فجا » أبجر بن بجير ، فعرفه ، فقال : « ما سأنتك ؟ قتال ، غلام أقتل ، وحولي عساكر من عجل وثيم اللات ، وغيرها ؟ فخلصه ، فقال له : « واللله إني لأظنك نيس ابن أمية أتيت الليلة أخوالك ، فقال : « دعني من هذا وأطعمني ، فقد مت جوعاً » ففرب له طعاماً ، فأكل ، ثم قال : « زودنى واحملنى ، يقول هذا لرجل قد قلب عليه السكر » ، فحمله على بعير ، وزوده وجوزه ، وبعد أن دخل عسكر المسلمين أخبرهم أن القوم سكارى ، فلم يلبث العلاء أن دعا صاحبه للمركوب ، قاصدين هدفهم بترو ، حتى إذا شخصت أبصارهم للعسكر ، أحذقوا بهم وانقضوا عليهم بالخيول التي جالت عليهم حوافرها ، وبالسيف التي تناولتهم ، حيث أذرع المسلمون فيهم قتلاً وأبلوا بلائاً حسناً في حرب طاحنة ، فهرب الكفار بين متردد ، وناج ومقتول ، ومأسور^(١٤٢) ، وكما ورد عن ابن كثير أنه قتل من هرب منهم^(١٤٣) ، أما بالنسبة للجماعة المسلمين المحاصرة ، فإنهم أداروا باب الحصن ، وهما بالقتال من الجهة الخلفية ، تنقيداً لتعاليم القائد ، فتضاقرت القوى مما كيد المشركين خسائر هائلة في الأرواح^(١٤٤) ، وولت فلولهم بعد الهزيمة الشنعا ، إلى قرية الردم ، في حين تقاسم المسلمون الغنائم ، وقد قتل الحطم إثر انقطاع ركابه مع قدمه^(١٤٥) ، الذي قال في قتله مالك بن نعلبة العبدى :

وتركنا شريحا قد علته بصيرة كعاشية البرد اليماني المحبر
ونحن فجعنا أم غضبان بانهاسا ونحن كسرنا الرمح في عين حبر

ونحن تركنا مسمعا متجدلا رهينة ضيع نعتريه وأنسر

ويبدو أن السر في إحراز هذا النصر يكمن في الموهبة العسكرية ، والمنهجية البارعة في خطط الحرب حسب تكتيك العلاء . عندها كتب العلاء إلى أبي بكر : بهزيمة أهل المندق ، وقتل الحظم ، إذ قتله زيد وسمع « أما بعد فإن الله تبارك وتعالى سلب عدونا عقولهم ، وأذهب ربحهم بشراب أصابوه من النهار ، فاقتحنا عليهم ، فقتلناهم إلا الشريد ، وقد قتل الله الحظم ^(١٨١) .

ولا يخفى في مسار هذه الواقعة من أن المنذر بن النعمان قال عندما انتصر المسلمون « لست بالفرور ، ولكنى المفرور » فاستنزل أرض الحظ مع شزيمة ربيعة ، حيث أن العلاء شن غارة عليها ، وقتله هناك لولا قول بأن أسلم وحسن إسلامه .

وبعد أن فرغ من جوائث قطع العلاء طريقه إلى جزيرة دارين ، والواقع أن الناس بها كانوا كثيرين ، فعمد إلى المشى إليهم في عز الليل ، فزحف بجيشه إلى طريقها الأوح الذي كان قد لوحظ عليه الحراس الذين لم تتفهم هذه الحصانة وغارت عليهم خيل المسلمين في عقر دارهم ، فاشتبكوا معهم وأردوهم عن آخرهم إلا صغارهم ، وأخذوا معهم جميع ما كان في الجزيرة من النساء والذرية وحملوا الأموال ، والتسما الغنائم راجعين إلى عسكرهم ، وأشعر بعضهم بقول :

ألم ترى إلى الليل ذللاً يحزوه ^(١٨٢) وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجائنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

ثم واصل العلاء سيره حتى بلغ الردم ، ودنوا من الحمص في صراع يشتعل شراسة ، حيث دار النزال لساعة ، وتخلل المبارزات ضربة أحد الكفار يدعى أهر لاهن بجبر على رأس قيس بن عاصم ، غير أن قيس صدها بالترس ، وأصابه بعد ذلك بسيفه ، وكان يقول :

ألم تر أدميت رمحي وأنتسى ضربت بحد السيف يا قوخ أهر

فلم يجد متاحاً للهرب وحلت الهزيمة بالحمص أمام الهجوم العائى للمسلمين ^(١٨٣) ، وشهدوا مصرع رئيسهم الحظم بن زيد ^(١٨٤) الذي انتنى به السرج ، وقد انقطع ركاب الفرس حين عاودا الركوب سريعا إثر قضاة حاجة ، وظل واقفا متحجرا لا يعرف كيف يتصرف ، أو إلى أين يذهب إلى أن خر قتيلا على يد أحد المسلمين الذي أنشد :

لما بدا حظم لسي وحده يدعو بأعلى الصوت من عاقل

أقبلت في النقع إلى فارس أشبهه شيء منه بالراجل

منقطع الحيلة في موضع فيه قصيد من قنا ذابل
 فقلت لا تعجل أذاك الرد فلت عما جنت بالغافل
 فلما انتنى وثنى رجله عتمته بالمرهف الفاصل
 سيفاً حساماً فوق يافوخه فخر مثل الجمل البازل

وعلى رواية أن قيس بن عاصم هو قاتله ، وهو من أجهز على أبحر بطعنة في العرقوب أشد
 فيها عفيف بن المنذر :

فإن اليرقأ العرقوب لا يرقأ النسا وما كل من يهوى بذلك عالم
 ألم ترى أنا قد فللنا حماتهم بأسرة عمرو والرياب الأكسارم

وعفيف ذاته هو من أسر الغرور بن سويد ، فطلبت منه الرياب أن يجهزه ، فأجاروه بعد
 هذا النصر لآذت فلول بكر بن وائل بالصحارى ، ونزل المنذر بن النعمان إلى آل جفنة مستجيراً
 أما الفرس فقد ولى جزء منهم للزارة والقطيف ، فيما خرج بعضهم لكسرى وأخبروه عن هزيمة
 عساكرهم ، فحزن لذلك وأما القسم الأخير منهم ، فقد سألوا العلاء ، الأمان ، فمتنحهم ذلك ،
 واشتغلوا بالبحرين حراثين وزراعيين ، ثم تولى العلاء دفع ما حصل عليه من الغنائم إلى أبي بكر ،
 وأرسل له كتاباً بما صار إليهم أمرهم فشرع بقوة العلاء في إدارتهم الأمور ، فولاء البلاد ، وفي
 خبر المنذر بن النعمان فقد قيل وقتها أنه قد مسه تدم شديد ، وكتب إلى أبي بكر أهبات تفصح
 عن رجوعه إلى الرشد وتعبير عن ذلك بصراحة :

عجبا لأمرى والحوادث حمة أدعى الغرور وإننى مغرور
 قد قلت لما لم أجد لى مهربا إني لعمسرك واتر موتور
 وأطعت كسرى في الذي أملتته ووترت قوما وترهم محلور^(١٨٢)

وهناك في الطبرى ، والبلاذرى ، واليعقوبى من الشواهد ما يروى أنه لقي حنفة يوم
 جوانا^(١٨٣).

حركة الردة في عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

استؤصلت آخر آثار حركة الردة ، في خلافة عمر بن الخطاب (رضى) ، حيث أحرز ذلك
 بمصرع المكعب الفارسى^(١٨٤) ، وقد عمد الحليفة على الإيقاع على تعيين العلاء بن الحضرمى والبا
 على البحرين وقد قيل في هذا الشأن أن أرناد ابن فيروز بن حشيش (المكعب الفارسى قد تحصن

بالزارة ، وكان قائد المرتدين ، وحليف كسرى الذى أرسله للانتقام من بنى تميم أيام تعرضهم لغيره ، وقد التحقت به قبائل من المجوس الذين جمعوا بالقطيف ، وعارضوا تأدية الجزية ، فتهضم العلاء للزارة لكنه لم يفلح فى فتحها لإبان خلافة أبى بكر ، وإنما عاد ليفتحها فى بدايات الخلافة العمرية ، حيث شهد له بفتح السابون ودارين بالسيف ، وعرف خندق باسمه .

وقد ألحق معمر بن المثنى مجموعة من الحملات العسكرية بالعلاء ، حيث يقول استنادا لما أوردته الواقدي فى كتاب الردة : غزا العلاء بعد القيس قرى من السابيين فى خلافة عمر بن الخطاب ، ففتحها ثم غزا مدينة الغابة ، قتل من بها من العج ، ثم أتى الزارة وبها المكعبير ، فحصره ثم إن مرزبان الزارة دعا إلى البراز ، فبارزه البراء بن مالك ، فقتله ، وأخذ سلبه ، فبلغ أربعين ألف ثم خرج رجل من الزارة مستأمنا على أن يدل على شرب القوم ، فذله على العين العين الخارج من الزارة ، فسدعا العلاء ، فلما رأوا ذلك ، صالحوه على أن له ثلث المدينة ، وثلث ما فيها من ذهب وفضة ، وعلى أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها ، وأتى الأخنس العارى العلاء ، فقال له : إنهم لم يصالحوك على ذرارهم ، وهم بدارين ، ودله كراز المكربى على المخاض إليهم فانتحم ، العلاء فى جناحة من المسلمين البحر ، فلم يشعر أهل الدارى ، والسسى ، ولما رأى المكعبير ذلك ، أسلم ، قال كراز :

هاب العلاء حياض البحر مفتحما فحضت قدما إلى كفار دارنا ^(١٤٤)

نتائج حرب الردة

لا بد لنا إذا ما أردنا فهم حركة الردة كجزء من حركات التاريخ الإسلامى ، أن نناقش بالإضافة إلى أصولها كل ما يستتبعها من النتائج والتحولات المنطقية ، باعتبارها مظردة من المنحنى المصيرى لأطوار الحركة ، وأصدانها على المدى القريب والبعيد .

وبناء على ذلك ، اعتمدنا التسلسل الآتى للكشف عن الآثار المترتبة على حركة الردة :

١ - أدت إلى نشوب معارك ، نجم عنها توحيد كلمة المسلمين ، وتقوية مركز الخلافة ، حيث بدأ ذلك واضحا فى موازين الفتوحات ، واتساعها بنحو جغرافى فاق حدود الجزيرة العربية ، ليشما أمتى الروم والفرس .

٢ - إكساب الناس المقدرة والجراءة على دحض الشبهات الباطلة ، والدعوات العقيدية الفارغة ، مما غلذى حيز الرعى والثقة فى الدين .

- ٣- عكرت في يادي. الأمر أجواء الاستقرار والتراحم الاجتماعي ، بسبب الاضطرابات المسلحة ، وأزمة العدائيات .
- ٤- استلزمت تجريد النفوس من الشرك وسد المجال على كل من يحاول تضليل الأمة ، سواء بإدعاء النبوة ، أو الخروج عن الرسالة المحمدية .
- ٥- لعبت دورا في تطوير المهارات القيادية وتحسين مستوى القدرة العسكرية ، خاصة وأن حرب الردة قد استمرت لفترات ليست بالقصيرة ، برز خلالها العديد من القادة المحترفين ، كالعلاء المحضرمي الذي كانت له صولات وجولات ، دلت على براعته في تهينة الجيش ، وحسن تدبيره المتمثل في بناء القرار واستعمال منهج التحري والمباغتة ضد المحصوم في ميدان الردة ^(١٨٦) .
- ٦- فتور موجة التساهل في تطبيق الأحكام .
- ٧- حضور بعض من ادعى النبوة بصورة حمل السلاح في فتوح العراق وقارص .
- ٨- فرض حدود ضيقة على الكيبن الآخر ، من خلال ممارسات الإلغا الصريحة للرؤى والصيغ المخالفة ، بصفتها توسع فجوة النقص والخطأ .
- لا شك أن هذه النتائج ليست مصدره كأحكام نهائية ، بقدر ما تكون تقاطعا حصدها بعد سير غور التاريخ ، وكشف النقاب عن بيثة الردة .

الهوامش

- (١) الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس . ص ٨٨-٩٠ .
- (٢) البقرة : ٢١٧ .
- (٣) الأزهرى : معجم تهذيب اللغة . ج ٢ . ص ١٢٩١ .
- (٤) ابن منظور : لسان العرب . م ٣ . ص ١٧٢-١٧٣ .
- (٥) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت . ج ٢٢ . ص ١٨٠ .
- (٦) الصاوى . أحمد : بلغة السالك لأمر المسالك . ص ٢٨٥-٨٦ .
- (٧) النحل : ١٠٦ .
- (٨) موسوعة الفقه الإسلامى المقارن الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر الفقهية . م ٢ . ص ٢٥٢ / بدوى إبراهيم : المرتد وحكمه فى الشريعة الإسلامية . ص ٣٤ .
- (٩) مراديد على : سلسلة النبايع الفقهية ١ الحدود . ص ٣٥٢ : النورى : معنى المحتاج . ج ٤ . ص ١٣٧ .
- (١٠) النورى : معنى المحتاج ج ٤ ص ١٣٤-١٣٦ .
- (١١) الموسوعة الفقهية . ج ٢٢ . ص ١٨٣ .
- (١٢) موسوعة الفقه الإسلامى المقارن . الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر . ص ٢٥٢-٢٥٤ .
- (١٣) حسن . إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والذهنى والثقافى والاجتماعى . ص ٢٨٦ .
- ٢٨٨ : المسرى . حسين على : تاريخ البحرين وعمان من عصر النبوة إلى نهاية العصر الأموى . ص ٧٨-٧٩ .
- (١٤) بدوى . إبراهيم : المرتد وحكمه فى الشريعة الإسلامية . ص ٤١ .
- (١٥) النورى : مغن المحتاج . ج ٤ . ص ١٤٠-١٤١ : الصاوى : بلغة السالك لأمر المسالك ج ٢ . ص ٣٨٧ : السمرقندى : تحفة الفقهاء . ج ٣ . ص ٣٠٨-٣٠٩ : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . الكويت : الموسوعة الفقهية . ص ١٩١-١٩٢ .
- (١٦) كبرى كلوس : معجم العالم الإسلامى . ص ٥ .
- (١٧) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت : نفس المصدر السابق . ص ١٩١-١٩٥ : عكام . محمود : الموسوعة الإسلامية المبصرة . م ٦ . ص ١١٦٨ .

- (١٨) موسوعة الفقه الاسلامي المقارن الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، م ٢ ، ص ١٦٠-١٦١ .
- (١٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٧ .
- (٢٠) الوثيقة : العدد السادس ، السنة الثالثة ، ص ٥٦ .
- (٢١) الوثيقة : نفس المصدر ، العدد الثاني والعشرون ، السنة الحادية عشرة ، ص ٦٧ .
- (٢٢) الوثيقة : نفس المصدر : العدد الخامس ، السنة الثالثة ، ص ٨٤ .
- (٢٣) الوثيقة : العدد الثاني والعشرون ، السنة الحادية عشرة ، ص ٥٨-٥٩ .
- (٢٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ .
- (٢٥) الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٨ .
- (٢٦) التاجر : عقد اللؤلؤ ، ص ٧١ .
- (٢٧) الوثيقة : نفس المصدر السابق ، ص ٦٦ .
- (٢٨) النويدري : سالم : أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرن ، م ١ ، ص ٧٥ .
- (٢٩) آل عمران : ١٤٤ .
- (٣٠) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ١٥٢ : ابن الأثير : الكامل ، م ٣ ، ص ٢٢٥ : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٢٧ : السهاسي الطائي : التحفة النهائية في تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٥٤ .
- (٣١) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٣٤٧ .
- (٣٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٣١٦ .
- (٣٣) التاجر ، محمد علي : عقد اللؤلؤ ، ص ٧١-٧٢ .
- (٣٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، م ٢ ، ص ١٥١ .
- (٣٥) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٤ ، ص ٤٣ .
- (٣٦) الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ص ٢٧ : فروخ ، عمر : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٩٤-٩٥ .
- (٣٧) الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .
- (٣٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٩ : النويدري ، سالم : أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرن ، م ١ ص ٧٧ .

- (٣٩) الرثيقة : العدد الثاني والعشرون ، السنة الحادية عشرة للهجرة ، ص٥٣ .
- (٤٠) الناجر : عقد اللاك ، ص٧٢-٧٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ص٣٢ .
- (٤١) فروخ : عمر : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص٩٤-٩٥ .
- (٤٢) سرور ، محمد جمال الدين : الدولة العربية الإسلامية منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسي ، ص١٦٨-١٦٩ .
- (٤٣) الموسوعة العربية العالمية : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م م ، ص١٩٩ .
- (٤٤) الراقدي : كتاب الردة مع نبذة عن فتوح العراق وذكر المشفى بن حارثة ، الشيباني ، ص١٤٧ .
- (٤٥) سالم ، السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب - تاريخ الدولة العربية - ٢م ، ص١٦٤-١٧٠ .
- (٤٦) التوبة : ١٠٣ .
- (٤٧) التوبة : ١٠١ .
- (٤٨) ابن الأثير : الكامل ، ج٣ ، ص٢٢٨-٢٢٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٦ ، ص٣٠٧-٣٠٩ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ص١٨-٢٠ .
- (٤٩) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص٣٢٥ ؛ ابن الجوزي : نفس المصدر السابق ، ص٢٠-٢٢ .
- (٥٠) ابن الأثير : نفس المصدر السابق ، ص٢٣٢-٢٣٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ص٣٠ .
- (٥١) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص٣٢١-٣٢٢ .
- (٥٢) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص٣٢٧-٣٢٩ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ص١٥٢ ؛ ابن الجوزي : نفس المصدر السابق ، ص٨٤ .
- (٥٣) ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص٣٠٢ ؛ ابن كثير : نفس المصدر السابق ، ص٣٢٩-٣٢٠ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ص٢٦١-٢٦٢ .
- (٥٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ص٨٦ .
- (٥٥) ابن الجوزي ، نفس المصدر السابق ، ص٨٦-٨٧ ؛ الذهبي المصدر السابق ، ص٣٠-٣١ .

- (٥٦) كنعان ، محمد : تاريخ الخلافة الراشدة ، ص ٤٤-٤٨ .
- (٥٧) الحموي : يا قوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٣٤٩ .
- (٥٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ، ص ١٥٢ ز .
- (٥٩) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق ، وذكر المثنى بن حارثة الشيباني ، ص ١٤٩-١٥٠ .
- (٦٠) الحموي ، يا قوت : نفس المصدر ، م ٢ ، ص ١٧٤ .
- (٦١) التاجر ، محمد علي : عقد الآل ، ص ٧٢ .
- (٦٢) ابن الأثير : الكامل ، م ٢ ، ص ٢٢٥ .
- (٦٣) الطبري : نفس المصدر السابق ، ص ١٥١ .
- (٦٤) نفس المصدر ، ص ١٥١-١٥٢ .
- (٦٥) نفس المصدر ، ص ١٥٣ : الموسوعة العربية العالمية ، ص ١٩٩ .
- (٦٦) الوثيقة ، العدد الثاني والعشرون ، السنة الخامسة عشرة ، ص ٦٩ : نفس المصدر ، العدد السادس - السنة الثالثة ، ص ٥٨ .
- (٦٧) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٥٢ .
- (٦٨) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ص ١٥٢ ؛ الواقدي : نفس المصدر ، ص ١٥٢ ، ص ١٥٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٥ ، ص ٣٢٧ .
- (٦٩) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٥٢ .
- (٧٠) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٦ ز .
- (٧١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ص ٨٥ .
- (٧٢) الواقدي : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٥٤-١٥٦ .
- (٧٣) المسري ، حسين علي : تاريخ البحرين وعمان من عصر النبوة إلى نهاية العصر الأموي ، ص ٨٣-٨٧ .
- (٧٤) التبهاني الطائي ، العلامة الشيخ محمد : التحفة البهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٥٥ .
- (٧٥) ابن الأثير : الكامل ، م ٢ ، ص ٢٢٧ .

- (٧٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ .
- (٧٧) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ص ٥٠٥ .
- (٧٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ٣٢ .
- (٧٩) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، م ٢ ، ص ١٥٢-١٥٧ .
- (٨٠) الواقدي : كتاب الردة مع تبة من فتوح العراق وذكر "المنشي" بن حارثة الشيباني ، ص ١٥٤-١٦١ .
- (٨١) الحموي : ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٤٣٩ ؛ التاجر ، محمد علي : عقد اللآل ، ص ٧٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١١٤-١١٥ .
- (٨٢) الواقدي ، كتاب الردة مع تبة من فتوح العراق . وذكر المنشي بن حارثة "الشيباني" ، ص ١٤٧-١٦٦ .
- (٨٣) يعقوب القندادي : تاريخ يعقوب ، ج ١ ، ص ٨٩ .
- (٨٤) التويندي ، سالم : أعلام الثقافة ، ص ٧٨ .
- (٨٥) التاجر ، عقد اللآل ، ص ٧٣-٧٤ .
- (٨٦) الناطور ، شحادة علي : تاريخ صدر الإسلام وفجوه ، ص ٣١٩ .



المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، المجلد الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٢- ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ج ٤ ، ط١٤ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٣- ابن خلدون ، عبدالرحمن : تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ٢ ط٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٤- ابن قدامة : المغني ، ج ٥ ، ط١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، مكتبة المعارف - بيروت .
- ٥- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٥ ، ط١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، مكتبة المعارف - بيروت .
- ٦- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر - بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، المجلد الثالث .
- ٧- ابن هشام : السيرة النبوية لابن هشام ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٥م ، <http://Archivebeta.Bek>
- ٨- الأزهرى ، أبى منصور محمد بن أحمد : معجم تهذيب اللغة ، تحقيق د. رياض زكى قاسم ، دار المعرفة - بيروت ، المجلد الثانى .
- ٩- الباكستانى ، شبير أحمد محمد على : عصر الصديق (رضى) ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .
- ١٠- بدوى ، د. إبراهيم عبد العزيز : المرتد وحكمه فى الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية مقارنة) ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ١١- البستانى ، الشيخ عبد الله : الوافى (معجم وسيط اللغة العربية) ، مكتبة لبنان - بيروت ، الطبعة ١٩٨٠م .
- ١٢- البلاذرى ، الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان ، منشورات مؤسسة المعارف ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- ١٣ - بهيج ملاحوش (د) : موسوعة الزاد للعلوم والتكنولوجيا بالكتاب والفيديو ، ج ٩ ، التاريخ الاسلامي ، مطابع دايداكور برشلونه - اسبانيا .
- ١٤ - التاجر ، الشيخ محمد على : عقد اللآل ، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر - البحرين ، ١٩٩٤ .
- ١٥ - حجازري ، عبد الحميد : موسوعة العالم الاسلامي ، دار الرأي العام ، مصر - القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٩٧م ، المجلد الثاني .
- ١٦ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ١ ، دار الجليل - بيروت .
- ١٧ - الحلوي ، أ.د. محمد علي : معجم الألفاظ الاسلامية (عربي - إنجليزي وإنجليزي - عربي) ، ط ١ مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ..
- ١٨ - الديار بكري ، الإمام الشيخ حسن بن محمد بن الحسن : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفس ، ج ١ ، مؤسسة ١١ شعبان للنشر والتوزيع ، بيروت .
- ١٩ - الذهبي ، شمس الدين : تاريخ الإسلام ووقبات المشاهير والأعلام ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢٠ - الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ، مكتبة لبنان ، طبعة مدققة كاملة التشكيل وبميزة المداخل ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٢١ - رجب محمد عبد الحلبيم : الردة في ضوء مفهوم جديد ، دار النهضة العربية .
- ٢٢ - الزبيدي ، السيد محمد مرتضى الحسيني : تاريخ العروس من جواهر القاموس ، تحقيق د. عبد العزيز مطر ، مطبعة حكومة الكويت ، دار الجليل ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- ٢٣ - زقروق ، أ.د. محمود حمدي : الموسوعة الإسلامية العامة ، جمهورية مصر ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠١م .
- ٢٤ - سرور ، محمد جمال الدين : الدولة الاسلامية منذ العام الأول للهجرة وحتى نهاية العصر العباسي ، دار الفكر - القاهرة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

- ٢٥- سلسلة الينايب الفقهية : الحدود ، إشراف وتحقيق على أصغر مروايد ، مؤسسة فقه الشيعة والدار الاسلامية - بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ٢٦- السمرقندي ، علاء الدين : تحفة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الجزء الثالث ٥٩هـ .
- ٢٧- سمير عبد الحميد ابراهيم : الهجمات المفروضة على التاريخ الإسلامي ، دار الصحوة للنشر .
- ٢٨- السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، المجلد الثاني .
- ٢٩- الشرقاوي ، عبد الرحمن : الصديق أول الخلفاء ، مكتبة غرب .
- ٣٠- شوقاني ، د . إلياس ، حزب الردة .
- ٣١- الصاوي ، الشيخ أحمد : بلغة السالك لأمر المسالك دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ٢ .
- ٣٢- الطبري ، محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، مؤسسة الستين للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، المجلد الثاني .
- ٣٣- عبد الشافي محمد عبد اللطيف : موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، شركة سفير - القاهرة ن ١٩٩٦م .
- ٣٤- عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٥- العصري ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي : تاريخ خليفة بن خياط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٣٦- العقاد ، عباد محمود : عبقرية الصديق ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .
- ٣٧- عكام ، د . محمود : الموسوعة الإسلامية المبسرة ، دار صحارى للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ، المجلد السادس .

- ٣٩- غريب ، حسن : الردة في الإسلام ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت — لبنان .
- ٤٠- فاروق عمر : الخليج العربي في العصور الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م ، دار القلم - الامارات العربية .
- ٤١- الفراهيدي ، أبي عبد الرحمن خليل بن أحمد : كتاب العين ، د . مهدي المخزومي د . إبراهيم السامرائي .
- ٤٢- الكاندهلوي ، محمد يوسف : حياة الصحابة ، ج ١ ، دار صعب — بيروت .
- ٤٣- الكعبي ، الشيخه زهير : موسوعة خلفاء المسلمين .
- ٤٤- كلوس كريرز وآخرون : معجم العالم الإسلامي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م . ط ٢ ترجمة د.ج. كتورة .
- ٤٥- كتعان ، محمد بن أحمد : تاريخ الخلافة الراشدة ، مؤسسة المعارف ، بيروت — لبنان ، ط ١ ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٤٦- مؤسسة الأعلمی للمطبوعات — بيروت — لبنان — ج ٨ .
- ٤٧- موسوعة الفقه الإسلامي المقارن الشهيرة بموسوعة جمال عبد الناصر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، المجلد الثاني .
- ٤٨- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط ٣ .
- ٤٩- محمد الحسيني عبد العزيز : حضارة الكويت ودول الخليج العربي .
- ٥٠- محمد شاکر : التاريخ الإسلامي ، ج ٣ الخلفاء الراشدون ، المكتب الإسلامي .
- ٥١- محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة .
- ٥٢- مركز الأبحاث والدراسات الدولية في دار الرأي العام : موسوعة العالم الإسلامي ، دار الرأي العام ، مصر- القاهرة ، المجلد الثاني ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٥٣- المسرى د . حسين علي : تاريخ البحرين وعمان من عصر النوة إلى نهاية العصر الأموي ، مجلس النشر العلمی- لجنة التأليف والتعريب والنشر ، ٢٠٠٠ م .
- ٥٤- مسعود جبران : الرائد (معجم لغوي عصري) ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ٢٠٠٠ م .

- ٥٥- المسعودي : التنبيه والإشراف ، دار التراث - بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- ٥٦- الناطور ، د. علي شحاته : تاريخ صدر الإسلام ولجبره ، ١٩٩٥م.
- ٥٧- النبهاني الطائي ، العلامة الشيخ محمد بن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى التحفة النهائية في تاريخ الجزيرة العربية ، دار إحياء العلوم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٨- النوري ، أبي زكريا : معنى المحتاج ، ج ٤ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ٥٩- النوبختي ، سالم : أعلام الثقافة الإسلامية .
- ٦٠- الوراقلي ، محمد بن عمر بن ناقد : كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثني بن حازمة (الشيباني) ، دار الغرب الاسلامي ، تحقيق د. يحيى الجبوري .
- ٦١- الوثيقة ، العدد الثاني والعشرون ، السنة الحادية للهجرة رجب ١٤١٣هـ / يناير ١٩٩٣م.
- ٦٢- الوثيقة ، العدد السادس ، السنة الثالثة ربيع الآخر ١٤٠٥هـ - يناير ١٩٨٥م.
- ٦٣- الوثيقة العدد الخامس ، السنة الثالث شوال ١٤٠٤هـ - يوليو ١٩٨٤م.
- ٦٤- وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية - الكويت : الموسوعة الفقهية ، طبعة ذات السلاسل ، ط ٢ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ٦٥- البعقوبي البغدادي : تاريخ البعقوبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط ١ ، ج ١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



« نقش أماسيس المصري (!!) » (قراءة تاريخية حضارية في نص باليونانية)



ARCHIVE
<http://Archivebeta.Bahrit.com>

عناصر البحث:

أولاً: التعريف بالنقش: مكانه وزمانه

ثانياً: ترجمة النقش .

ثالثاً: المضامين الحضارية.

تقديم: اعتذار واجب :-

لما كان قد تعذر على الحصول على النص الأصلي اليوناني لموضوعنا المعلن أمامكم في البرنامج ، آتت كعهدي مع نفسي ولخصي على التميز في المعالجة المباشرة مع كلمات وسطور النص الأصلي الكلاسيكي، أن أقدم تصاً آخر، غالباً ما تجهل قيمته الحضارية والثقافية، مجدداً، كأقدم نص يوناني كامل على أرض مصر الكنانة، كبدية للتوجه المصري الفرعوني في عصر مجده المتأخر، صوب الغرب ، وحضارته، حيث بدأت مصر القديمة آنذاك الاستعانة بمترجمة من اليونان!!!

أولاً : التعريف بالنقش :

(أ) مكانه : محفور علي ساقى تمثال للملك رمسيس الثاني (أمام معبده الجنائزي الشهير ، في منطقة أبي سمبل ، بصعيد مصر الأعلى (Ano Aigyptos) ، أسفل الركبة اليسرى .

(ب) زمانه : يؤرخ ب ٥٩٤ أو ٥٩٦ ق . م . من عهد الفرعون أيسماتيك الثاني (psmmetikos II) .

(ج) سطوروه : (٥) سطور كاملة فضلاً عن توقيعات لأشخاص بأسمائهم ، وتوقعان في آخر النقش .

(د) النشر : تم نشره وترجمة هذا النقش إلى الإنجليزية عند كل من :

(1)- Tod, M.N., A Selection of Greek Historical Inscriptions, I, Oxford 1933, P. 5.

(2)- Jeffery, L. H., The Local Scripts of Archaic Greece, Oxford 1961, P. 348.

(3)- Cook, J. M., The Greeks in Ionia and the East, London 1962, P. 66.

ثانياً : الترجمة

أ . الفراءة الصحيحة للسطور الخمسة الكاملة هي كالآتي :-

1. Basileos élthontos es Elephantinan Psamatikho,
2. autá égrapsan toi (s) yn Psammatikho toi Theoklos,
3. épleon élthon de Kérkios kat'upér Thenis o potamos, Thenis.
4. ealoggos ani os dékhe Potasimto aigyptios de Amasis.
5. egraphe da me arkhon Amoibikho kai Pélexos oudamó. Kai.....

Kri this egraphan em..... Pýthon Amoibikhou

وترجمة هذا النص اليوناني القديم، كأقدم أثر كتابي لليونانيين، على الإطلاق، في صعيد مصر، منذ مطلع القرن السادس قبل الميلاد، تكون كالتالي، وهي أول ترجمة عربية متخصصة، مباشرة عن الأصل، وليست عن الإنجليزية، كما جاءت عند الناشرين الأول.

السطر الأول: «بوصول الملك أسماتيك إلى إلفانتين»^(١*)،

السطر الثاني: كتب (السطور) هذه من أجل الذين مع أسماتيك،

السطر الثالث: ولكنهم أبحروا، ووصلوا حتى كيركيس»^(٢*)،

السطر الرابع: في أعالي النهر حتى ثينيس»^(٣*)، ولقد عَيَّنَ أماسيس المصري، بوتاسيمتو على الوحدات التسع حامل الرماح (٤) الرماح.

السطر الخامس: سُجِّلَ هذا بأمر القائد بن أمبيخوس وبليبيكس، وليس في أي مكان آخر كتب هذا كل منأخر.

التوقيعات: كريسيس وبشورق بن أمبيخوس

<http://Archivebeta.Bahri.com>

ثالثاً: المضامين التاريخية والحضارية

أ) المضامين التاريخية: ويمكن إيجازها فيما يلي:

١- قيام الملك أسماتيك الثاني، في عام ٥٩٤/٥٩٣ ق.م، بحملة على أقصى صعيد مصر، وحتى آخر قلعة لحدود مصر الجنوبية، وهي أسوان (عند بيغاثين)، وقيادتها بنفسه وذلك، على الأرجح، لتحقيق بعض المهام والأهداف، ومنها:

** هي مثل جزيرة "بجه"، في نيل أسوان ولكنها إلى الشمال منها، أما تلك التي تسمى الآن "قيلة" فهي ترجمة حربية لاسمها اليوناني أو "الرفيقات" القديم، والمسماة الروماني لها، من بعد ذلك هو "Philae" وأما لماذا سميت كذلك، فلا ندري، إلا إذا كان الاسم يشير إلى حواري ايزيس "الصدقات".

*** لا نعلم يقيناً جغرافياً، ماذا كان المقصود بهذا الموضوع على النيل، جنوباً بعد أسوان!!!، والأرجح عندنا أنها هي جرجاً، الآن، استناداً إلى أصوات الحروف الصامتة لهذا الاسم اليوناني، الذي هو تحوير أجنبي، في الغالب، للاسم المصري القديم (!!!)

**** كما لا نعلم موقع مدينة "ثيني" هذه، وربما كانت هي ذات الموضوع الذي يشير إليه علماء الآثار المصرية باسم "Theni" في أعالي النيل.

أ- إستتباب الأمن الضروري، ولاسيما بعد مرور حوالي (٥٠) عاماً فقط على تأسيس الأسرة العساوية، وإعلان أسماتيك الأول المؤسس نفسه ملكاً متفرداً للقطرين، الشمال والجنوب، عام ٦٥٦ ق.م، وقيام خلفائه بالسير على السياسة نفسها أي سير الحلف وسير على سنة السلف!!!

ب- استمرار الإستعانة بالمرتزقة اليونان، حتى في مثل تلك المهام الوطنية الداخلية، مما يعكس الثقة الزائدة فيهم، حتى حينه (١١١).

٢- بقا. الملك في إلفانتيني (Elephantine)، واستمرار سير الحملة براً فقط في اتجاه الجنوب، حتى معبد أبي سمبل (أي جنوباً لأكثر من ٥٠ كم ك.م) بقيادتين إحداهما مصرية، ممثلة في أماسيس المصري (Amasis)، والأخرى يونانية، بقيادة ثيوكليس (theolès).

٣- النقش، (فيما يخص ترتيب أخبار الحملة)، لا يعرض لحظ سيرها، بصورة طبيعية، وفق جغرافيا الصعود في النيل، إلى أعالي الصعيد. ففي السطر الأول يتحدث عن الوصول إلى الإلفانتين (أسوان)، ولكنه في السطر الثالث، يعود بذاكرته إلى المحطات الأسبق في مشوار الحملة، حيث مرت بمدن كيركيس (kerkes)، (التي ربما كانت هي مزرع «جرجا» الآن، وذلك بفضل تشابه مخارج الحروف وإمكانية تبديل حرفي الكاف (k) والجيم (G) في اللغات الأوروبية القديمة، وعلى رأسها اليونانية).

<http://Archivebeta>

وكذلك مدينة ثينيس (Thénis)، وكلتاهما قبل أسوان، على ضفتي نهر النيل.

ولنا نحن- في ذلك تيرير مقبول، من واقع علمنا بفنيات (Techniques) وأولويات كتابة النقوش القديمة، وبخاصة اليونانية، فلقد كانت تعطي أولوية مطلقة لـ:

١- تسجيل اسم الملك/ الفرعون، أولاً، (وكذلك الملكة منذ العصر البطلمي وما بعده).

٢- تسجيل الكاتب / أو / لمن يُكتب النقش.

رابعاً: المضامين الحضارية:

١- يتضح الاحترام الواجب من المرتزقة اليونان، في الجيش المصري للأسرة السادسة والعشرين للملكهم، الذي يعملون في خدمته، وهو أسماتيك الثاني، وتسجيل خبر وجوده بينهم، على رأس الحملة، بالرغم من كتابتهم بلغتهم هم، اليونانية القديمة، والتي لولاها ما عرفنا شيئاً أبداً عن تلك الحملة العسكرية، شكلاً، والسياسة هدفاً وقرضاً، وبالطبع إقتصادة كذلك، تبعاً للعادة

الفرعونية الراضخة لتحقيق مكاسب عدة من تجريد الحملات، سواء في الداخل، أو حتى صوب الحدود الخارجية لتأمين أملاك مصر القديمة ضد أعدائها.

٢- ويتضح أيضاً تماماً من لفظة «épleon»، بمعنى «أبحروا»، أن الحملة كانت نهرية، على مراكب وسفن في النيل، مما يؤكد أنها تمت في الصيف أثناء الفيضان الدائم كل عام (في شهور يوليو، أغسطس وسبتمبر)، وهو استخدام أمثل لإمكانات النهر الخالد، في أفضل حالاته المائية مما يعكس تخطيطاً مسبقاً وفكرياً عملياً إلى درجة بعيدة.

٣- لم يسجل المرتزقة اليونان، مثل هذا الأثر في أي مكان آخر، بأمر من قائدي تلك القوات الإيونية والكارية الأصل، وهما بيشون بن أميبسيخوس وبليكس ويبدو أنهما كانا يرأسان، كل منهما، جماعته العرقية اليونانية، مما يعكس حالة الإعزاز والإنتماء للأعراق أكثر من الولاء للحضارة نفسها، كما تعودنا من اليونان دوماً (١١١).

٤- تغيير القيادة الميدانية للقوات في الحملة بقرار من القائد العام المصري لها، وهو أماسيس (Amasis)، الذي أتمت اليونانيون في نقشهم صفقه الخالصة، وإمكانية عدم انتسابه للأسرة الحاكمة الفرعونية المثلثة، وأنه من الشعب المصري، وينتمي بجذوره إلى العاصمة، بقولهم «المصري» (Aigyptios) يؤكد، تاريخياً وحضارياً، أمرين:

١- أن هذا القائد العام المصري الخالص، أماسيس، كان هو نفسه، الذي أصبح ملكاً من بعد ذلك عام ٥٧٠ ق.م وفرعوناً البلاد وصدق فيه قول وشهادة هيرودوت اليوناني، أبي التاريخ، بأنه كان من الشعب، وذلك بعد حوالي قرن كامل من الأحداث على الأقل (١١١) عندما جاء زائراً لمصر مما يزيدنا يقيناً، في بعض روايات هيرودوت في كتابه الثاني، حول مصر، وعلى الأقل، فيما يخص الشئون السياسية المصري آنذاك.

٢- تسليم قيادة الوحدات التسع لحاملي الرماح، وهم القوة الضاربة للجندية آنذاك، لقائد مصري أصغر هو بوتاسيمتو (Potasimto) كان خطوة ضرورية لتطبيقات المرحلة التالية، برأ، صوب الجنوب حتى سمبل، ذراً لتجاوزات المرتزقة اليونان مع الأهالي وسكان تلك المنطقة من العناصر الإفريقية (١١١).

٥- جاءت التوقيعات لجنود يونان مشاركين في الحملة، سجلاً خالداً لحرص أولئك على

تخليد الحدث التاريخي. من ناحية، وإشباع رغبتهم الدائمة في إثبات الذات. وتضخم الأنا لدى أولئك، وعلى كل المستويات الإجتماعية، سواء بسواء، وليست فقط عند الملوك أو الأمراء أو الحكام، كما في شرقنا القديم (111).

فالخلود للجميع وليس حكراً على علية القوم، وصدق قولهم في أمثالهم وحكمهم يتمني
الخلود، حيث جاء: " *Αἰωνοῦ σου ἢ περὶ πύργου* "

أي // وفالتعش ذكراك إلى الأبد

وكان اختيارهم إختياراً موفقاً جداً، وإن كان قد لوث الأثر العظيم لأحد تماثيل الفرعون رمسيس الثاني، حينما اعتلوا الموقع، وسجلوا ذلك، حسداً على خلود ذلك الفرعون الأشهر في التاريخ المصري القديم. وليسوا هم بأقل منه خلوداً، ولكن شتان بين الإثنين والحجاز كلا الفريقين: الخلود المصري (حفاً وصدقاً، والخلود اليوناني (على أرضنا) غصباً واحتلالاً واستغلالاً لظروفنا، وهو إننا على أنفسنا، فهنا عليهم، وساروا أنفسهم بنا، وتظالوا علينا عند نومنا وضعفنا (!!!). وهيهات أن يدوم، هكذا، حالنا، لأنه ضد تاموس الخالق وشا

<http://Archivebeta.Bahrit.com>

أ.د/ محمود السعدني

قراءة: كاتبة لسطور التسمية والنوعيات أسبلا

14

1- βασιλεως ἔλθοντος ἐς Ἑλεφαντίναν

— Ψωματίχῳ

2- αὐτὰ ἔγραψαν τῷ συν Ψωματίχῳ

— τῷ Θεοκλός

3- ἐπλεον ἔλθον δε Κέρκιος κατ' ὑπέρ

Θένις δὲ Ποταμός

4- ανισά Λόγγος ὅς δεχε Ποταμίτῳ

— αἰγύπτιος δε Ἰμασις

5- ἔγραφε δα με ἄρχων Ἡμοιβίχῳ

— και Πέλεκος οὐδαμῶ

· Κρίθις ἔγραψαν ^{και} ἐμ Πύθων Ἡμοιβίχοι

نقابة الأشراف في مصر عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م)

تعد نقابة الأشراف أول تنظيم اجتماعي يقوم على أساس النسب وخلصه الدم وهي في ذلك تختلف عن النقابات المهنية . والنقيب لغة : فهو الرئيس الأكبر . وإنما قيل للنقيب نقيب . لأنه يعلم دخيلة أسر القوم . ويعرف مناقبهم . وهو الطريق إلى معرفة أمورهم^(١) . والنقيب كالأمين والكفيل . ويقال نقب الرجل على القوم ينقب نقابة فهو نقيب . ويعرف مناقبهم . وهو الطريق إلى معرفة أمورهم^(٢) . والنقيب أيضا شاهد القوم . وضمينهم . وعريفهم . وقد نقب عليهم نقابة - بالكسر - فعل ذلك^(٣) . والنقيب فعيل . قيل بمعنى فاعل مشتقا من النقيب وهو التفتيش ومنه "فنبقوا في البلاد" وسمى بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم وأسراهم . وقيل : هو بمعنى مفعول كأن القوم اختاروه على علم منهم وتفتيش على أحواله . وقيل هو للمبالغة كعليم وخبير^(٤) .

وقد طلب النبي من الأنصار أثناء بيعة العقبة الثانية أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيباً فقال: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً . تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس^(٥) .

والأشراف لغة : هم جمع الشريف وهو مشتق من الشرف والرفعة والسمو . وهو الحسب بالآباء . والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء . ويقال رجل شريف ورجل ماجد له آباء متقدمون في الشرف . والشرف مصدر الشريف من الناس . وجمع شرفاء وأشراف^(٦) .

واصطلاحاً : أطلق لقب شريف على من كان من آل الرسول صلى الله عليه وسلم شاملاً بنى هاشم وخاصة الطالبين وهم ذرية أبى طالب بن عبد المطلب والعباسيين ذرية العباس بن عبد المطلب^(١٧١)، بينما حدد ابن تيمية آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم على وجه التحقيق على وفاطمة وأولادها ومن تناسل منهما حتى تقوم الساعة^(١٧٢)، لذا يعد نقيب الأشراف عميد المنتسبين لأولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١٧٣). وأشار السيوطي أن لقب الشريف كان يطلق على كل من كان من أهل البيت العلوي أو العباسي في الصدر الأول للدولة الإسلامية ولما تولى الفاطميون قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين^(١٧٤).

وأشار الفلقشندي أن المقصود بالأشراف في العصر المملوكي "هم أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(١٧٥).

وقد عرف الفلقشندي نقابة الأشراف بأنها "وظيفة شريفة ومرتبة نفيسة ، وموضوعها التحدث على ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(١٧٦)، وكان بنو هاشم ينقسمون إلى : أولاد أبى طالب "الطالبين" وأولاد العباس "العباسيين" لهم نقيب واحد يطلق عليه "نقيب الهاشميين" - فقد كان الشريف أبو نصر الزينى العباسي المتوفى عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م "نقيب الهاشميين"^(١٧٧) - وكان يطلق عليه "نقيب العلويين"^(١٧٨) وأطلق عليه "نقيب الشرا"^(١٧٩).

وقد نشأت أول نقابة للأشراف في منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى . وذلك في بغداد عاصمة الخلافة العباسية^(١٨٠) إذ يذكر ابن عتبة الحسنى أن الحسين النسابة والذي يرجع نسبه إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، والذي هاجر من الحجاز إلى العراق عام ٢٥١هـ / ٨٦٥م^(١٨١)، ثم أنشأت نقابات فرعية في جميع الولايات والأمصار تتبع النقابة الرئيسية ببغداد ومن بينها مصر . وكانت نقابة الأشراف التي وجدت في بغداد تجمع كل من العباسيين والطالبين تحت نقيب واحد^(١٨٢).

وقد ظلت نقابة الأشراف في مصر تابعة لنقابة الأشراف في بغداد حتى قيام الدولة الطولونية على يد أحمد بن طولون ، فأصبح يولى نقيب الأشراف في مصر ، مما جعل نقابة الأشراف في مصر تستقل عن نقابة الأشراف في بغداد^(١٨٣).

ولكن ما هي الأسباب التي دعت إلى وجود نقابة للأشراف ؟ هل بسبب كثرة عدد الأشراف من العلويين والجعفرين والعقيليين ، مما جعل من السهل على أي إنسان ادعاء النسب الشريف ، أم بسبب رغبة الدولة في حصر العلويين والعباسيين وبخاصة العلويين الذين كثرت ثوراتهم على الدولة العباسية في أمصار الدولة الشرقية والغربية على حد سواء ، الأمر الذي يتطلب معرفة أعداد العلويين في كل ولاية ومدينة وتحت إشراف أحد شيوخ هؤلاء ، مما يسهل للدولة السيطرة عليهم وبخاصة إذا علمنا أن من مهام نقيب الأشراف إحصاء الأشراف في إقليمه وقيد المواليد وإسقاط المتوفين مما جعل الدولة على علم دائم بتحركات العلويين وأعدادهم^(١٢١) .

ويعد علي بن الحسن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب المشهور بابن طباطبا المتوفى ٢٨٠هـ / ٨٩٣ م^(١٢٢) أول نقيب للأشراف في مصر ، ويذكر ابن الموفق بأنه "كان مكينا من أحمد بن طولون"^(١٢٣) . في حين يشير ابن زولاق إلى أن أحمد بن طولون "قد فرغ الموفق به"^(١٢٤) . وذلك أثناء الصراع بين أحمد بن طولون والموفق طلحة والي عهد الخليفة العباسي المعتمد بالله مما يوحى بأن أحمد بن طولون كان يلوح بإقامة خلافة علوية ودأ على الموفق طلحة ، وعاصر علي بن الحسن كل من أحمد بن طولون وابنه خضارويه وتوفى عام ٢٨٠هـ / ٨٩٣ م ، ويذكر الصفوى القلعاوى " وكانت له النقابة والتقدم في زمن خضارويه بن أحمد بن طولون"^(١٢٥) . وتولى النقابة بعده ابن عمه محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسى حتى وفاته عام ٣١٥هـ / ٩٢٧ م^(١٢٦) . ثم تولى بعده ابنه إسماعيل بن محمد حتى وفاته عام ٣٣٧هـ / ٩٤٨ م^(١٢٧) .

ويذكر المقرئى أنه " كان يتولى النظر في أمور الطالبين بمصر بإلزام السلطان له لصيانتهم"^(١٢٨) .

ثم تولى بعده أخوه أحمد بن محمد المتوفى عام ٣٤٥هـ / ٩٥٦ م^(١٢٩) . وتولى النقابة بعده ابنه إبراهيم المتوفى عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م^(١٣٠) . ثم تولى النقابة بعد ابنه الحسن بن إبراهيم ، إذ يذكر المقرئى أنه " استقر في نقابة الطالبين بعد موت أبيه إلى أن مات يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ، فصلى عليه العزيز بالله تزار بن المعز لدين الله"^(١٣١) .

أما في العصر الفاطمي فقد اقتصر الأشراف على أولاد علي بن أبي طالب " الطالبين " لذا أطلق عليها نقابة الطالبين " ، وكان يتولها أحد الأستاذين غير المحنكين^(١٣٢) ، والذي كان له

الإشراف الكامل على كل الطالبين الموجودين بالدولة . " أن قلداك النقابة على الأشراف الطالبين أجمعين ، المقيمين بالحضرة وسائر أعمال المملكة شرقا وغربا ويُعدًا وقربا " (٣١) .

كما كان لقب الأشراف في العصر الفاطمي اثنا عشر نقبًا ، ويخلف عليه فسير بالطول والبوق والبنود مثل الأمراء ، وله ديوان ومشارف وعامل ونائبه وجارية في الشهر عشرون دينارًا ، ولمشارف ديوانه عشرة دنانير ، ولنائبه في النقابة ثمانية دنانير ، وللعامل خمسة دنانير (٣٢) .

أما في العصر المملوكي فقد أطلق ابن ناظر الجيش عليه " نقب السادة الأشراف " وجعله من أرباب الوظائف الدينية ، الذين يكتب لهم المجلس السامي بالهاء ، وتوقيعه في قطع الثلث (٣٣) .

كما يذكر الفلقشندي أنه كان يكتب لقب الأشراف توقيع في قطع الثلث بقلم التوقيعات : توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الأميري ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، في نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه (٣٤) .

فضلا عن ذلك فقد ذكر الفلقشندي نقابة الأشراف الوظيفة السادسة ضمن الوظائف العشرة التي كانت تصدر عن خلفاء بني العباس (٣٥) ، وهي النقابة على ذوي الأنساب كنقابة الطالبين ، ومن في معناتهم على معنى نقابة الأشراف في زماننا (٣٦) .

وقد وضع الفلقشندي نقابة الأشراف ضمن وظائف أرباب السيوف ، ويكتب في القاب نقب الأشراف " الأميري " وإن كان من أرباب الأقاليم (٣٧) ، ويرجع السبب في ذلك أن نقب الأشراف في نياحة حلب شمس الدين حسن بن محمد بن زهرة أعطى إمارة طبلخانة بحلب عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م (٣٨) وكان للأشراف ديوان يضبط به جميع الأشراف وأنسابهم ، وما يتعلق بهم من الأوقاف ، وله ناظر ومباشرون (٣٩) .

وكان السلطان المملوكي هو الذي يتولى تعيين نقب الأشراف وعزله في مصر ، ويكتب له في توقيع شريف في قطع الثلث بقلم التوقيعات ، " توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الأميري ، الفلاني ، فلان الدين : أدام الله تعالى علوه ، في نقابة الأشراف بالدهار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه (٤٠) .

كما كان يكتب في توقيع نقب الأشراف : " المجلس السامي الأميري الكبيرى العالمى المجاهدى المؤيدى الشريفى الحسينى التسببى الذخيرى النصبرى الأوحدى الأصيلى عز الإسلام

زين الأنام نسيب الإمام شرف الأمراء نقيب النقباء جمال العترة الطاهرة جلال الأسرة الزاهرة زخر الغزاة والمجاهدين ظهر الملوك والسلاطين ولى أمير المؤمنين ^(١٤١) .

كذلك يذكر المنهاجى الأسيوطى من أنه : " يكتب لنقيب الأشراف سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العالم الفاضل البارح ، السيد الشريف ، الحسيب النسيب ، الظاهر الأصيل العريق ، التقى النقى الذكى ، فلان الدين ، جمال العترة الطاهرة ، كوكب الأسرة الزاهرة ، فرع الشجرة الزكية ، زين الذرية العلوية ، طراز العصاة الهاشمية ، خلاصة الأئساب النبوية ، فخر السادة الأشراف فى العالمين ، نسيب أمير المؤمنين ، نقيب السادة الأشراف بالمللكة الفلانية ، أدام الله شرفه ، ورحم سلفه ، وأبقى خلقه ^(١٤٢) .

فى حين أن تعيين وعزل نقيب الأشراف فى النيابات الشامية سواء فى نيابة دمشق ^(١٤٣) أو نيابة حلب ^(١٤٤) أو نيابة طرابلس ^(١٤٥) من سلطات نواب هذه النيابات . فيذكر الفلقشندى بأن " ولايتها عن النائب بتوقيع كريم " ^(١٤٦) .

وكان يتم اختيار نقيب الأشراف من شيوخ الأشراف وأهلهم قديراً ^(١٤٧) ، كما جرت العادة أن يكون النقيب من رؤوس الأشراف ، وأن يكون من أرباب الأقلام ^(١٤٨) وكان يخرج له توقيع كريم من ديوان الإنشاء ^(١٤٩) .

وفى أغلب الأحيان ساد مبدأ ورثة وظليفة نقابة الأشراف . فعند موت النقيب يتولى ابنه النقابة من بعده ، وفى حالات يطلب شيوخ الأشراف من السلطان تولية ابن النقيب المتوفى النقابة بدلا عنه . مثال ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة فى حوادث رجب عام ٧٧٨هـ / يناير ١٣٧٧م ^(١٥٠) وفى يوم الاثنين ثالث شهر رجب خلع على السيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين ، واستقر فى نقابة الأشراف بعد وفاة أبيه ، بسؤال عدة من الأشراف ولايته ^(١٥١) .

وعندما يتم اختيار نقيب الأشراف يخلع عليه السلطان خلع الولاية ، ويخرج له توقيع كريم من ديوان الإنشاء ، ويتم قراءة هذا التوقيع فى المسجد الجامع على رؤوس الأشهاد . م ذلك ما أشار إليه النويرى فى حوادث عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٢م وعندما تولى الشريف شمس الدين محمد بن الحسن الحسينى الأرموى ^(١٥٢) المشهور بقاضى العسكر نقابة الأشراف بالدبار المصرية " قرى - تقليده بجامع مصر - عمرو بن العاص - وحضر قراءته الأمير جمال الدين بغمور ، وفلك الدين

المسيري وابن النجيلي " ١٤٦١ . وهو ما يؤكد المقرئى " وقرئ . سجله بجامع مصر بحضرة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور والفلك المسيرى " ١٤٦٢ .

واستمر اختيار نقيب الأشراف من قبل الأشراف فى مصر حتى سقوط دولة المماليك عام ١٥١٧هـ/١٥١٧م ودخول العثمانيون مصر والتي أصبحت إحدى ولاياتها ومن ثم فقد أرسلت الدولة العثمانية نقيباً للأشراف . فذكر بن إياس فى حوادث عام ٩٢٥هـ / ١٥١٩م " وفى يوم الخميس خامس عشرينه حضر شخص شريف من عند ابن عثمان . وزعم أنه قد فرر فى نقابة الأشراف . وقد أظهر مرسوم الخندقار بذلك " ١٤٦٣ .

وكان يحق السلطان المملوكى أو من يتوب عنه عزل نقيب الأشراف وقد تعددت أسباب عزل نقيب الأشراف إما بسبب تقصيره فى أداء مهامه . مثل إدخال من ليس شريف ضمن الأشراف ، فقد عزل السلطان المملوكى الأشراف شعبان نقيب الأشراف لخير الدين محمد . وذلك فى رجب عام ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م بسبب اتهامه بأنه أدخل فى الأشراف ما ليس منهم " ١٤٦٤ .

وقد يعزل نقيب الأشراف بسبب معارضته لبعض الأوامر الصادرة من السلطات المملوكية . من ذلك عزل نقيب الأشراف شرف الدين على بن فخر الدين ابن قاضى العسكر عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م بسبب أنه رفض أن يعطيه حجة وقف الأشراف للأمير برفوق قبل أن يلى السلطنة " ١٤٦٥ .

بالإضافة إلى ذلك فقد يعزل السلطان المملوكى نقيب الأشراف بسبب أن السلطان الذى سبقه قد عينه . مثلما حدث عام ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م عندما عزل السلطان الظاهر برفوق نقيب الأشراف شرف الدين على بعد عودته لسلطنة المماليك على الرغم من أن نقيب الأشراف خرج بالأشراف لاستقباله وذلك لأن الذى ولاء فى منصب النقابة السلطان المملوكى حاجى بن شعبان " ١٤٦٦ .

كما كان لسوء مباشرة نقيب الأشراف لأوقاف الأشراف سببا لعزله . مثلما حدث عام ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م عندما عزل السلطان المملوكى قايتباى نقيب الأشراف حسين بن الشاطر عن نقابة الأشراف والتظر على أوقافهم . وأساء عليه بلفظ « يا شيطان أنت نحس » " ١٤٦٧ .

أما عن موقف سلاطين وأمراء المماليك من الأشراف فقد نظر المجتمع المصرى وعلى رأسهم سلاطين وأمراء المماليك نظره بملءها الاحترام والتقدير والإجلال للسادة الأشراف على اعتبار أنهم آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم " ١٤٦٨ فيذكر ابن تغرى بردى أن الظاهر جقق « كان معظما

للسادة الأشراف»^(١٠١) من ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة في حوادث ذى القعدة عام ٨٤٢هـ / أبريل ١٤٣٩م إلى أن أحد الأمراء المماليك يسمى يخبشاي قام بسب أحد أشراف منفلوط ، مما جعل الظاهر جتمق بأمر بقتله بعد سجنه بالإسكندرية^(١٠٢) . وكانت نقابة الأشراف من الوظائف الدينية التي ليس لها حضور مجلس السلطان^(١٠٣) نقيب الأشراف يذهب للسلام على السلطان في مطلع كل شهر هجري مع القضاة ، حيث يجلس على ميسرة السلطان بعد قاضي القضاة الحنبلي^(١٠٤) .

أما عن مقر نقابة الأشراف في العصر المملوكي فهو غير معروف لنا على الإطلاق ، وإن كنا نرجح أن مقر نقابة الأشراف كان هو بيت النقيب نفسه . فكان بيت نقيب الأشراف شمس الدين محمد بن الحسين الأزرق المعروف بقاضي العسكر المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م يقع في سوق الصاحب^(١٠٥) فيذكر ابن أبيك الصفدي في ترجمة نقيب الأشراف الحسين بن محمد الحسين «وسألته عن مولده فقال : سنة ثمان وتسعين وست مائة بالقاهرة في دار جده شمس الدين قاضي العسكر في سوق الصاحب»^(١٠٦) .

كما أن نقيب الأشراف بدر الدين الحسن بن عز الدين أحمد الحلبي الحسيني المتوفى ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م^(١٠٧) ، فكانت داره تقع في حارة الديلم^(١٠٨) . فيذكر النويري في حوادث عام ٧٢١هـ / ١٣٢١م « ثم سكن ذلك إلى يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى ، فوقع الحريق في القاهرة ومصر ، وكان أول الحريق بخط حارة الديلم ، فاحترقت دار الشريف بدر الدين نقيب الأشراف ، وما بجوارها من دور الأشراف والمسلمين ، فكان جثة ما احترق من الدور المتجاورات ما ينهب على الثلاثين داراً يقارب المائة مسكن»^(١٠٩) .

أما عن الملابس التي كان يرتديها نقيب الأشراف فلم تشر المصادر التاريخية المعاصرة إلى نوع معين من الملابس لنقيب الأشراف عند توليه هذه الوظيفة في العصر المملوكي ، ولكن في العصر الفاطمي فكان يخلع على نقيب الأشراف عند توليه هذه الوظيفة أو التجديد له « ثوب ديبقى مذهب مصفف بأطواق عراض ومن تحته ثوب مصمت وغلالة مذهبة وعلى رأسه عمامة شرب مذهب»^(١١٠) .

وعندما يتولى أحد الأشراف أي وظيفة من الوظائف الدينية أو الديوانية فكان يخلع عليه ثياب من اللون الأخضر وهو اللون الذي يتميز به العلويون ، وقد ذكر السخاوي في ترجمة أحمد

بن عدنان نقيب الأشراف بدمشق الذي تولى وظيفة كتابة السر بمصر عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م » وكانت طرحته خضراء برقعات ذهب^{١٧١} وهو ما ذكره ابن تغرى بردى « عملت الطرحة خضراء برقعات ذهب^{١٧٢} » .

أما عن أهم أعمال نقيب الأشراف فقد وقع على عاتق نقيب الأشراف العديد من الأعمال والمهام لمجاء الأشراف والتي حددها الماوردي بإثنى عشر عمل (حقا) .

ويأتى فى مقدمتها حفظ أنساب الأشراف من الاختلاط بغيرهم ممن لا يكافئهم فى المكانة والشرف حتى لا يدخل فيهم أحدا ويخرج منهم أحد ، ومعرفة بطون الأشراف على اختلافها وتعددها وإثباتهم فى ديوان الأشراف حسب طبقاتهم ، ومعرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى وتسجيل ذلك فى سجلات النقاية ، ومعرفة من مات منهم حتى لا يضيع نسب المولود إذا لم يشته . ولا يدعى نسب الميث غيره إذا لم يذكره^{١٧٣} .

فيذكر ابن الطوير « ولهذه النقاية عيضة ، ولصاحبها النظر فى أمور هذه الطائفة ، ومنع من يدخل فيهم من الأدعياء ، وهم منزلون عنده فى جريمة ، ونظيرها فى ديوان الرواتب فمن مات وضعه (ومن ولد أثمته بعد علم بصحة الولادة بقرائن الأحوال ، وإذا إرتاب بأحد أخذه بإثبات ذلك من يوثق به من جيرانه ، ثم ينزل فى وقته فى الجريدة »^{١٧٤} .

وأكدت تلك المهام وثائق تقليد نقابة الأشراف ، فجاء فى تقليد نقيب الأشراف ، بأمره « بحياطة هنا النسب الأظهر ، والشرف الأخر ، عن أن يدعيه الأدعياء ، إذ يدخل فيه الدخلاء ، ومن انتسب كذبا ، وانتحل به باطلا ، ولم يوجد له بيت فى الشجرة ، ولا مصداق عند النسابين المهرة »^{١٧٥} ويذكر ابن فضل الله العمري فى وصية لنقيب الأشراف « وانظر فى أمور أنسابهم نظرا لا بدع مجالاً للرب ، ولا يستطيع معه أحد أن يدخل فيهم بغير نسب ، ولا يخرج منهم بغير سبب^{١٧٦} » .

وفى تقليد آخر لنقيب الأشراف يذكر أن أول مهام نقيب الأشراف «النظر فى أعراق هذه الأسرة الطاهرة التى قدم عهد ميلادها ، وتكاثر شعب أعضادها ، واحتاجت إلى الثقات الإثبات من النسابين فى إيصال آباتها بأولادها »^{١٧٧} الأمر الذى يجعل من عملية ضبط وتحقيق الأنساب فى نقابة الأهمية ، لأنها عملية ذات وضع معقد وحساس فى الوقت نفسه ، ومن أهم

مستويات نقيب الأشراف^{١٧٧} . ويذكر أن الإمام مالك بن أنس أفتى بضرب من يدعى الانتساب إلى آل بيت الرسول . وأن بشهر ويحس طويلا حتى يظهر توبته «^{١٧٨}» .

ولقد اهتم الأشراف كثيرا بأنسابهم . لذا اهتموا بعلم الأنساب . وقاموا بتأليف العديد من الكتب والرسائل في أنسابهم . وكان نقيب الأشراف في أغلب الأحوال ممن مهروا في علم النسب . وإلا استعان بالنسابة من شيوخ الأشراف ممن يتصف بالأمانة والعلم . ليساعده في المحافظة على حفظ نسب الأشراف . حتى لقب أكبرهم وأكثرهم بعلم الأنساب بلقب « نسابة الأشراف » . ومن هؤلاء النسابة الشريف جعفر بن محمد بن عبد العزيز الإدريسي الفارسي ٦١١ - ٦٩٦ هـ . ١٢١٤م - ١٢٩٧م . وكان أيضا أديبا ومؤرخا^{١٧٩} .

ولعل من أشهر نسابة الأشراف في مصر في العصر المملوكي الشريف بدر الدين حسن بن محمد الحسن المثنوي عام ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦م (٨٠١) . وقد أشار المقرئ في المقفى الكبير إلى أنه « استقر نسابة الأشراف بدمار مصر دهرًا طويلا »^{١٨١} .

كما أشار في درر العقود إلى أنه « ولي نسابة الأشراف زمان »^{١٨٢} . ووصفه ابن حجر بأنه « كان عارفا بأنساب الأشراف كثير الطعن في كثير ممن يدعى الشريف »^{١٨٣} . ويضيف « بل رام الخلافة على اعتباره حسني وأمه من بني العباس ونازع نقيب الأشراف »^{١٨٤} . ومن نسابة الأشراف أيضا الشريف حسن بن محمد بن أيوب الإدريسي المثنوي عام ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢م^{١٨٥} .

أما طريقة إثبات النسب . فكانت لها أصول وقواعد يسير عليها نقيب الأشراف . فكان يتم عقد مجلس لشيوخ الأشراف برأسه نقيب الأشراف مع النسابة . ومن يريد إثبات نسبه يتقدم إلى النقيب ويرفق معه المستندات الخاصة به . والتي تؤكد نسبه وشهادة من الأشراف المقيمين بالناحية التي يقم بها هذا الشخص . ويقوم نقيب الأشراف بالبحث في دفاتر النقاية عن اسم والده أو جد الشخص الذي تقدم لإثبات نسبه . فإن وجد له أبا أو جدا يكفله في هذه الحالة بتقديم شهود عدول على ذلك . أما في حالة عدم وجود أب أو جد له في تلك الدفاتر . فإن نقيب الأشراف يلزمه بتقديم محضر من الشهود العدول . يشهدون فيه بأنه شريف أبا عن جد^{١٨٦} . وبناء على ذلك فإن النقاية كانت تصدر محاضر أو شهادات بإثبات صحة النسب أو عدمه^{١٨٧} .

وقد انتشرت محاضر إثبات النسب أوثنية . حيث كان الشريف يحمل معه محضر نسبه

بصفة دائمة كإثبات شخصية ، ومع ذلك فإن هذه المحاضر كان يشكك في صحتها في بعض الأحيان^(١٨٨) . ويذكر السخاوي أنه قد رأى هذه المحاضر التي تثبت النسب ، ومحاضر أخرى تنفي النسب^(١٨٩) .

كما كان على نقيب الأشراف إثبات المولودين من أبناء الأشراف في جريدة - السجل - الأشراف عند ميلادهم . وقد أشار المقرئ إلى أن الشريف الحسن بن قاضي العسكر الأرموي عندما ولد له ولدان محمد وعلي ، ثبت نسبهما بالجريدة^(١٩٠) .

وقد اختلف العلماء في قضية إثبات نسب الشرف هل يكون من أبناء الشريقات أم من أبناء الأشراف ؟ فقد رفض البعض اكتساب الشرف عن طريق الأم ، في حين أكد كثير من العلماء على صحة نسب أبناء الأمهات ومساواة الإناث والذكور في النسب ، على اعتبار أن أصل الشرف جاء عن طريق السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، أي تخصيص الشرف بذرية السبطين ليس بشرعى وإنما هو عرفى ، وقد كتب في إثبات النسب عن طريق الأم رسائل وكتب كثيرة^(١٩١) .

ويذكر المرى بأن « الشرف ثابت لأولاد بنات ذرية السبطين لقربهم من النبی من جهة أهمهم لأن الإبن وإن كان لفظه جامدا فمادته التي هي البيا والنون والياء أو الواو وتثبت له تأصيل شيء . وتفرغ آخر عنه »^(١٩٢) وقد ترتب على إثبات النسب عن طريق الأم أن تسابق بعض الناس وبخاصة الأثرياء إلى الزواج من النساء الشريقات مهما كانت تكاليف هذا الزواج ، الأمر الذي أدى إلى زيادة أعداد الأشراف في مصر بشكل ملحوظ^(١٩٣) .

وكثيراً ما وقع الاختلاف بين نقيب الأشراف ونسابة الأشراف حول إثبات نسب بعض الأشراف ، من ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة في حوادث رجب عام ١٧٧٤هـ / يناير ١٣٧٢م إلى أن نسابة الأشراف الشريف بدر الدين حسن الحسيني ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ، نقيب الأشراف فخر الدين محمد بأنه « أدخل في الأشراف من ليس بشريف ثابت النسب ، وقدح فيه بسبب ذلك »^(١٩٤) ولما رمى به من أخذ الرشوة على إدخال من ليس بشايت النسب جملة الأشراف^(١٩٥) ، كما يذكر ابن حجر أن « ما أنهاء الشريف بدر الدين حسن النسابة أنه يرتضى عن ليس بشريف فيلبسه العلامة الخضراء »^(١٩٦) وقد وقع النسابة الأمر للسultan الأشراف شعيبان الذي أمر بعزل نقيب الأشراف فخر الدين محمد وتعيين الشريف عاصم بدلا عنه ، كما أمر بعرض الأشراف حتى

بتأكد من صحة نسب الأشراف ، وطلب من الشريف حسن النسابة أن يثبت صحة ما روى به النقيب ، فلما عرض السادة الأشراف على السلطان لم يظهر فيهم من ليس بشريف ولا له نسب ثابت ، ولم يستطع النسابة أن يقيم أى دليل أو بينة على اتهامه لنقيب الأشراف ، مما جعل السلطان يتغير على الشريف النسابة ، وأمر بإعادة النقيب فخر الدين إلى منصبه مرة ثانية وذلك فى شهر ذى الحجة من نفس العام ^(١٧٧) .

وهذا الحادث جعل السلطان الأشراف شعبان يلزم الأشراف فى مصر والشام بوضع علامة خضراء فى عمائم الرجال وأزر ^(١٧٨) النساء . وقد اعتبر مؤرخو ذلك العصر بأن ذلك تعظيماً لقدرهم ، فيذكر ابن تغرى بردى بأن ذلك « إجلالاً لحقهم ، وتعظيماً لقدرهم ليقابلوا بالقبول والإقبال ويمتازوا عن غيرهم من المسلمين ، فوقع ذلك وليس الأشراف العمائم المحضرة التى هى الآن مستمرة على رؤوسهم » ^(١٧٩) .

ويعلق ابن تغرى بردى على ذلك بقوله : « قلت : وبهذه الفعلة بدل على حسن اعتقاد الملك الأشراف المذكور فى آل بيت النبوة وتعظيمهم لهم ولقد أحدث شيئاً كان الدهر محتاجاً إليه ، ولا أهم الله توالى الملوك ذلك من قبله والله فى القاتل : « كم ترك الأول للآخر » ^(١٨٠) .

ويذكر فى المنهل العسافى « رسم السلطان الأشراف المذكور . بأن الأشراف بالدهار المصرية الشامية ، كلهم يسمون عمائمهم بعلامة خضراء بارزة للخاصة والعامة ، نظراً فى حقهم ، وتعظيماً لقدرهم ليقابلوا بالتعظيم ، ويمتازوا عن غيرهم قلت : وهذا مما يدل على حسن اعتقاد الملك الأشراف هذا رحمه الله - فى آل بيت النبوة وتعظيمهم لهم » ^(١٨١) . كما أشار السخاوى إلى ذلك بقوله : « ميز الأشراف بعلاتم خضراء فى عمائمهم تشريفاً لهم لئلا يزلهم الناس المنازل » ^(١٨٢) وقد اعتبر ابن إياس ذلك بحادثة غريبة فذكر « وفى شهر جمادى الأولى ، وقعت حادثة غريبة ، وهو أن السلطان رسم للسادة الأشراف قاطبة ، الرجال والنساء . أن يجعلوا فى عمائمهم شطقات خضراء ليمتازوا بها عن غيرهم » ^(١٨٣) . وسار على سيرهم العديد من الشعراء فى مصر والشام ، مثل ابن جابر الأندلسى :

جعلوا لأبنا الرسول علامة

إن العلامة شأن من لم يشتهر

نور النبوة فى كرم وجوههم

يعنى الشريف عن الطراز الأخضر ^(١٨٤) .

وكذلك قول الشاعر الدمشقي شمس الدين محمد بن إبراهيم المزين :

أطراف تيجان أنت من سندس خضر كأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصمُ بها شرقا ليرفقه عن الأطراف^(١٠٠).

وكذلك شهاب الدين حجلة قوله :

لآل رسول الله جاء ورقعة بها رفعت عنا جميع النواب
وقد أصبحوا مثل الملوك برنكهم إذا ما بدوا للناس تحت العصائب^(١٠١)

كما مدحهم المؤرخ ابن حبيب الحلبي بقوله^(١٠٢) :

عمائم الأشراف قد قميزت بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه إشارة أن لهم في جنة الخلد لباساً أخضراً

ولابنه طاهر بن حبيب يملح بنى زهرة لقباء الأشراف بحلب قوله^(١٠٣) :

وهذه إشارة لمن يضيء بهور سيادة فلكها الزهر الكرام بنو الزهرا
لئن نصيبوا للفخر أعلاما خضرة فكم رقعوا للمجد ألوية حمرا

كما اتهم السخاوي نقيب الأشراف حسين الملقب بالشاطر المتوفى عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م^(١٠٤) بأنه « اشد تساهله في إدخال الناس في الشرف طمعا في السير فانحط مقناره مع عاميته ونقصه »^(١٠٥) . ويؤكد ذلك « وكان مع نقصه متساهلا في الإدخال في الشرف »^(١٠٦) ومن الأعمال الهامة أيضا التي يقوم بها نقيب الأشراف على الأوقاف الوقوفة على السادة الأشراف . وقد ذكر الماوردي في أحكامه الواجب الثاني عشر الملقى على عاتق نقيب الأشراف : « مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية قروعها ، وإذا لم يرد إليه جياتها راعى الحياة لها فيما أخذوه ، وراعى قسمتها إذا قسموه ، وميز المستحقين لها إذا خصت ، وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت حتى لا يخرج منهم مستحق ، ولا يدخل فيها غير محق »^(١٠٧) . وهو ما حددته وثائق تعيين نقيب الأشراف في العصر المملوكي ، منها : « وينى بتدبيره رعيهم ويضبط أوقافهم ، ويعتمد إصنافهم ، ويشتر متحصلاتهم ، ويكثر بالتدبير غلاتهم ، ويأخذ نفسه بمساواتهم في جميع حالاتهم »^(١٠٨) .

وقد جاء في إحدى وثائق تعيين نقيب الأشراف الأمر له « واصرف اهتمامك إلى حفظ أوقافهم وأملاكهم ومستغلاتهم في سائر الأعمال ، وحفظها من العفاء والاضمحلال ، وتوفير على تسمير ارتفاعها ، وتزجية مالها ، واستخدام لضبط حاصلها ، وجهات منقفا ، من تسكن إلى ثقته وثق بنهضته ، ووزع ما يرتفع من استغلالها بينهم على رتبهم التي يشهد بها ديوانهم » (١١٤) .

كما جاء في وثيقة أخرى تطلب من نقيب الأشراف « ولينظر في الوقوف على المشاهد والذرية ، نظرا بحمده عليه من علمه من البرية ، ويحظيه بالثواب عند مالك المشيه . ويتدى . بعبارة أصولها واستكمال فروعها ، وقسمه مغلها على ما تضمنه شرط الواقفين لها . وليحتط على النور ، وينقها على عاداتها في المصالح والجمهور ، عالما أن الله تعالى سائله عما توراه في جميع الأمور ، وأنه لا يخفى عليه كل حق مستور » (١١٥) .

وكان الأشراف يأخذون الأموال من الدولة من سهم ذوي القربى ، ثم أوقفت عليهم الأوقاف ، وأشهر الأوقاف التي أوقفت عليهم في مصر . ما أوقفه الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك المتوفى عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٦ م . في عهد الخليفة الفاطمي الفائز بعض الأراضي ليصرف ريعها على السادة الأشراف (١١٦) . وشملت الأوقاف التي أوقفها طلائع بن رزيك (١١٧) على الأشراف « بركة الحبش » (١١٨) وبلقس (١١٩) حيث خص الأشراف الحسينيين والحسينيين الموجودين بالقاهرة بستة عشر قيراطا . وأشرف المدينة المنورة سبعة قراريط وبنى معصوم إمام مشهد الإمام على بالكوفة قيراط واحد . مما جاء في حجة الوقف « فمن ذلك ما بصرف إلى الأشراف المقيمين بالقاهرة المعزية ومصر خاصة دون من يعد عنها وسكن غيرها من الأقارب والغالبيين الحسينيين والحسينيين النصف » (١٢٠) .

كذلك أوقف صلاح الدين الأيوبي على الأشراف قطعة من أرض من ناحية حفصا (١٢١) بولاية الدقهلية (١٢٢) .

وكان الأشراف يأخذون رواتب من ديوان الأشراف ، كما كان بعض الأشراف يترك نصيبه . فقد ذكر المقرئ في حوادث عام ٧٣١ هـ / ١٣٣١ م أن الشريف « موقق الدين أبو الفتح عيسى بن عبد الرحيم كان لا يتناول نصيبه من ديوان الأشراف » (١٢٣) .

وقد أعطى السلطان المملوكي حسام الدين لاجين أوقاف الأشراف من المكوس المفروضة عليها ، وكانت تبلغ ثلاثين ألف درهم في العام فيذكر المقرئ « ووضع عن أهل بلقس الأشراف ما كان

عليهم من المظالم ، وهو يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل سنة ، وعوض مقطعيه بدل ذلك «^{١٢٤١}» .
 وكان لقاضي القضاة الشافعية الإشراف على أوقاف السادة الأشراف ، فذكر المقرئ في
 حوادث جمادى الآخرة « خلع على أبي البقاء ، بهاء الدين محمد السبكي ، وقوض إليه السلطان
 قضاء القضاة ، وأضاف إليه نظر وقف الأشراف »^{١٢٤٢} .

كما كان قاضي القضاة الشافعي أن ينسب عنه من يقوم بالإشراف على هذه الأوقاف . فقد
 أشار المقرئ في حوادث ذي القعدة عام ٧٨٣هـ / فبراير ١٣٨٢م « في يوم الخميس رابع
 عشرينها وفيه استناب قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة عنه في نظر وقف الأشراف الشريف
 صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة »^{١٢٤٣} . والذي استمر في نباهة نظر أوقاف
 الأشراف حتى شهر ربيع الأول عام ٧٨٥هـ / مايو ١٣٨٣م حيث صرف برغيته ، واستقر عوضه
 صدر الدين عمر بن رزين أحد تواب الحكم^{١٢٤٤} .

وكان من حق نقيب الأشراف أن يحتفظ بجميع الوقف الخاصة بالسادة الأشراف ولذلك رفض
 نقيب الأشراف أن يسلم هذه الحجج لتاظر وقف الأشراف ، حيث أشارت بعض المصادر التاريخية
 في حوادث عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م إلى أن « الأمير برقون والأمير بركة طلبا من نقيب الأشراف
 السيد علي كتاب وقف ناحية بلقين على الأشراف لبئسمله الشريف مرتضى صدر الدين مرتضى
 الذي عين تاظر الأوقاف الأشراف ، ولكن النقيب رفض إعطاءه مما أدى إلى قيام الأميرين بإهانته
 إهانة بالغة وعزله عن نقابة الأشراف »^{١٢٤٥} .

ويبدو أن نقيب الأشراف جمع بين وظيفتي نقابة الأشراف ونظر وقفهم حيث أشارت المصادر
 التاريخية المعاصرة في حوادث شهر شوال عام ٧٨٥هـ / ١٣٨٢م إلى أنه « خلع على نقيب
 الأشراف السيد جمال الدين عبد الله بن عبد الرحيم الطباطبائي ، واستقر في نظر وقف الأشراف ،
 عوضا عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء ، فخرج من حيثئذ نظر الإشراف عن
 القضاة الشافعيين ولم يعد إلى الآن »^{١٢٤٦} .

وقد استمر نقيب الأشراف بجمع بين النقابة ونظر وقف الأشراف حتى وفاة نقيب الأشراف شرف
 الدين علي في ربيع الأول عام ٨٢١هـ / أبريل عام ١٤١٨م ، إذ أشارت المصادر التاريخية إلى
 ذلك « وفي ثامن عشرة خلع على الشريف حسن بن الشريف علي بن محمد بن علي الأرموي بنقابة
 الأشراف ، عوضا عن والده بعد وفاته ، واستقر الأمير فخر الدين في نظر وقف الأشراف »^{١٢٤٧} .

وبرر المقرئى ذلك « لصغر سن الشريف »^(١٣٢) وقد ظل نظر وقف الأشراف بيد الأمير فخر الدين بن أبى الفرج حتى وفاته فى شوال عام ٨٢٦هـ / أكتوبر عام ١٤١٨م ، فتولى النظر على أوقاف الأشراف ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر .^(١٣٣) ثم تولاها الأمير ططر ، ثم تولاها فى يوم الخميس ١٩ المحرم عام ٨٢٤هـ / يناير عام ١٤٢٦م القاضى شرف الدين محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله المتوفى عام ٨٣٣هـ / ١٤٩٢م^(١٣٤) . وقد أشار المقرئى إلى أنه « كلن قد باشر وقف الأشراف بعفة ونهضة ، وأنفق للأشراف فى كل سنة أزيد مما كانت عادتهم »^(١٣٥) ثم عاد لتقيب الأشراف النظر فى أوقاف الأشراف وذلك فى شهر شوال عام ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م حيث « كان على تقيب الأشراف السيد بدر الدين حسن بن الشريف التقيب على ، وأضيفت إليه نظر وقف الأشراف »^(١٣٦) .

ويبدو أن أوقاف الأشراف قد أسالت لعاب كثير من الطامعين من سلاطين وأمراء المماليك . فقد قاموا النشو^(١٣٧) ناظر الخاص فى عهد الناصر محمد بن قلاوون بالاستيلاء على « بركة الحيش » وصار يتفق على الأشراف من بيت المال ، واستمر ذلك حتى قام السلطان المملوكى أبو بكر بن محمد بن قلاوون بالإفراج عنها وعودتها إلى الأشراف وذلك فى عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م^(١٣٨) .

كما قام بعض أنظار أوقاف الأشراف بنهب أموال هذه الأوقاف مثال ذلك ما ذكره المقرئى فى ترجمة فخر الدين ابن أبى الفرج الأرمينى الاستادار الذى كان يتولى نظر وقف الأشراف فى عام ٨٢٦هـ / ١٤١٨م « فزاد مبلغ أجرة ناحيتى « بركة الحيش » وبلغت « زيادة كبيرة لنفسه وضيق على الأشراف وتعتت فى صرف ما بأسمائهم ، ومنع جماعة منهم ، فكثرت دعاؤهم عليه ووقع فى الأتفس أنه قد قرب زواله »^(١٣٩) .

كذلك ذكر البقاعى فى حوادث صفر عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م « وطلع الأشراف إلى السلطان المتصور عثمان بن الظاهر جقمق - فشكوا إليه ، أن من الموقوف عليهم بلدا اسمها بلبس وأن الإستدار كان يستأجرها منهم باليد العادية بمائتى ألف درهم ، ويأخذ منهم ألف ألف^(١٤٠) فقال جانبك الإستدار^(١٤١) : أما فى هذا العام فإنها فى إجارة من كان قبلنا ، فنحن نستغلها بتلك الإجارة ، ثم ندفعها إليكم ، فحسن ذلك فربعا الدويدار الثانى^(١٤٢) ومن كان حاضرا ، فلما فرغوا من كلامهم قال الأمير قراجا الخرتندار : لم يمنعون حقههم ، وهم آل الرسول صلى الله عليه

وسلم ؟ ادفع إليهم بلدهم . فقال السلطان : نعم فدعوا له وانصرفوا »^(١٤٦) وفي نفس اليوم طلع جانباً الاستادار إلى السلطان . فراجعته في أمر بلقس ، فرسم له في إبقائها معه^(١٤٧) . وعضيف البقاعي « ولما صح عند الأشراف ، أن السلطان رسم لجانيك الإستادار باستمرار يده على بلدهم ، طلعا يوم الثلاثاء - حادى عشر صفر المذكور إلى السلطان ، فشكوا إليه أخذ بلدهم منهم قهرا وظلما . فلم يجبههم إلى شىء . وراجعته من لديه دين وعقل من أخصائه . فلم يقد شيئا »^(١٤٨)

وفي الشهر الذى يليه ربيع الأول ٨٥٧هـ / مارس عام ١٤٥٣م عزل المنصور عثمان وتولى الأشراف أبنال سلطنة المماليك فرفع الأشراف إليه شكوى في أمر بلدة « بلقس » فانتزعتها من الاستادار وردّها عليهم^(١٤٩) . كما ذكر ابن الجيعان أن ناحية المشعلية بإقليم الدقهلية وكانت وقف الأشراف وأصبحت ضمن أوقاف السلطان المملوكي الأشراف أبنال (١٤٧).

كذلك تسلم أوقاف الأشراف من اعتداءات العريان من ذلك ما ذكره البقاعي في حوادث عام ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م من أن « بنى حرام^(١٥٠) من قبائل العرب بإقليم الشرقية قاموا بنهب قرية « بلقس » وقف الأشراف مما جعل تقسيم الأشراف يأخذ جماعة من الأشراف وشكوا إلى السلطان أبنال العلاتى « فقال : من فعل ذلك ؟ فقالوا : قرية كذا ، وقرية كذا ، وسما له المفسدين ، فلما طال سكوته ، قال الأمير برديك الدينار^(١٥١) اذهبوا ، حتى يكشف السلطان عن هذا الأمر فانفصلوا على ذلك »^(١٥٢) . ومع ذلك فقد ذكر ابن الجيعان أن ناحية العمرية بإقليم البحيرة كانت وقف السادة الأشراف ، ثم أصبحت إقطاع العريان ومن معهم^(١٥٣).

وفي بعض الحالات أساء بعض نقباء الأشراف مباشرة أوقاف الأشراف وعدم المساواة في نفقات المستحقين للوقف من الأشراف ، الأمر الذى جعل الأشراف يقومون بشكوى تقيب الأشراف إلى السلطان المملوكي قايتباى الذى عقد مجلسا لذلك الأمر ، فقد ذكر ابن الصيرفى في حوادث ٢٦ ربيع الأول عام ٨٧٤هـ / أكتوبر عام ١٤٦٩م « يوم الثلاثاء - سادس عشره عقد مجلس بالقلعة بحضور السلطان بقضاة القضاة بسبب السيد الشريف تقيب الأشراف وأخيه الذى كان إمام المقر الشهابى ابن العبنى ، فإن الأشراف شكوا عنهما أنهما أخربا البلاد . وكان استعريض عن الشريف المذكور من نقابة الأشراف واستقرار الشريف نور الدين على الكردى صاحب السلطان نصره الله . فسمى الشريف المقدم ذكره عند السلطان بالأمير برقوق وغيره حتى عقد لهما هذا

المجلس، وغضب السلطان - نصره الله - من تقيب الأشراف وحط عليه ونقم عليه سوء مباشرته في بلاد الوقف وعدم التساوي بين المستحقين في النفقة، ونسب ذلك إلى صنيع أخيه، وأساء عليه بلفظ: « يا شيطان أنت تحس » فصار يردد ويقول: « السلطان يعرفني »، وخرجت أخلاق السلطان وعنف الشريف تقيب الأشراف ويوحه، فكان جوابه: « يا مولانا السلطان، أنا أتوب إلى الله فاستغفر الله »^(١٤٦).

ويضيف ابن الصيرفي « وانفصل المجلس على لأن يعمل حساب الوقف بحضور نواب قضاة القضاة من كل مذهب نائب، ويعملون ما يقتضيه الشرع، وأن يكون السيد الكردي ناظرًا على البلاد والمال والمصرف، وتقيب الأشراف يصل إليه معلومه ولا يتكلم في شيء، وهذا مع جوار السلطان لتقيب الأشراف عدة سنين واتحاده بصحبته »^(١٤٧).

يذكر ابن الصيرفي أيضا « وسأل السلطان - قانتاي - عن متحصل الأشراف فقيل له ثمانية آلاف دينار، فقال: « كم تصرفوا للأشراف؟ فقيل له: النصف من ذلك وسأل عن المتأخر فذكر المباشرون أن عدتهم عشرون نفرًا فرسم باستقرار أربعة وعشرون ما عداهم، وأن يضاف المتأخر ويصرف على الأشراف بالسوية »^(١٤٨).

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم خلع في يوم الخميس ٢٨ ربيع الأول على تقيب الأشراف واستقر كعادته، وخلع على السيد الشريف علاء الدين الكردي واستقر ناهر الأشراف^(١٤٩).

كما يذكر عبد الباسط بن خليل في حوادث عام ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م « وفيه عقد مجلس بسبب وقف يتعلق بجامعة من الأشراف، منهم السيد إبراهيم الذي كان كاتب السر بدمشق، وخلق السلطان على السيد هذا ووقع منه هو أيضا كلمات، وانفض المجلس لا على طائل »^(١٥٠).

وقد حاول السلطان المملوكي قنصوه الغوري الاستيلاء على أوقاف الأشراف من ذلك ما ذكره ابن إياس في حوادث صفر عام ٩١٨هـ / أبريل عام ١٥١٢م « وفي يوم الأحد تاسع عشر منه رسم السلطان بعرض السادة الأشراف، وسبب ذلك أن السلطان قصد أن يخرج عنهم شيئًا من الجهات الموقوفة عليهم مثل « بركة الخبش » و« بلس » وغير ذلك من الجهات، وكان القائم في مراجعتهم الشريف بن مصبح دلال الأملاك، فالتزم بأن يوفر للسلطان من هذه الجهات في كل سنة عشرة آلاف دينار، فرسم السلطان بعقد مجلس بالقضاة الأربعة بسبب الأشراف وقد طعنوا في أنساب

جماعة منهم»^(١١٨٨) . وقد علق ابن عباس على ذلك بقوله : « وهذه من جملة الوقائع الفاحشة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »^(١١٨٩) .

ومن مهام نقيب الأشراف عدم تزويج الشريقات من العوام وقد أوردها الماوردى « أن يمنع أباهم أن يتزوجن إلا من الأكفأ . لشرفهن على سائر النساء . صيانة لأنسابهن وتعظيما لحرمتهن أن يتزوجهن غير الولاة أو ينكحهن غير الأكفأ »^(١١٩٠) .

وأكدت على ذلك كثير من عهود تولية نقباء الأشراف « وأن تحصن الفروج عن مناكحة من ليس لها كفؤا ، ولا مشاركتها في شرفها وفخرها . حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية إلا من كان مثلاً لها مساويا ، ونظيراً موازيا . فقد قال الله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا »^(١١٩١) . كما ورد في سجل تعيين نقيب الأشراف « واحتط في أمر المناكح رصنتها عن العوام »^(١١٩٢) .

فضلا عن ذلك فقد جاء في الوصية التي كان يوصي بها نقيب الأشراف أن « يمنع من اتصال أم الأُسرة إلى عامي ، ولا يفسح أن يعقد عليها عقد إلا لكفأ ملى . لئلا لهذا المجد الشريف من التكدير ، ولا تزيغه شوائب التفسير »^(١١٩٣) .

ويبدو أن رغبة كثير من الناس في الزواج من إحدى الشريقات رغبة في انتساب أبنائهم إلى هذا الشرف مع قوة الرأي الذي يتيح الانتساب إلى الأشراف عن طريق الأم . من ذلك ما ذكره السخاوي في التحفة اللطيفة في ترجمة محمد بن فرحون المالكي صاحب كتاب الديباج المذهب في طبقات المالكية من أن أباء نزل المدينة المنورة فأشار عليه بعض علمائها أن يتزوج فامتنع « فلم يزال به حتى زوجه أكبر بنات الشريف عبد الواحد الحسين الأربع . الثابت النسبة بالقاهرة ، لينعاطى من وقف « بلبقيس » الموقوف على الشرفاء . بل لما حج نقيب الأشراف أوقفته على ذلك الشئوث . فصار يصرف لابنته مياركة حتى ماتت . وكان في تزوج أبي بالشريفة البر التام بنا . إذ ألحقنا بنسب النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيرتنا من ذريته إجماعا . وشرفا . عند أكثر العلماء . كما أفتى به ناصر الدين المشدالي ، وغيره ممن هه مثله في العلم »^(١١٩٤) .

ومع ذلك فإن وجهة نظر بعض المعاصرين عدم الزواج من الشريقات إلا إذا التزم لها بعدة آداب . فقد ذكر الشعرائي في جملة الأدب مع الشرفاء « لا نتزوج شريفة إلا أن كان أحدنا يعرف من نفسه القدرة على القيام بواجب حقها وأن يعمل على رضاها فلا يتزوج عليها ولا يتسرى

ولا يقتصر عليها في المأكول والملبس دون قدرتنا ونقول أن جدك رسول الله صلى عليه وسلم اختار ذلك (وكذلك) لامتعتها شهوة مباحة سألتنا فيها وتقدم لها نعلها إذا قامت واحتاجت وتقوم لها إذا وردت علينا لأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١٧٧) وللأسف فإن المصادر التاريخية لم تسعنا في الوقوف على حالة واحدة لمنع زواج امرأة شريفة وأى رجل من خارج الأشراف مهما كان هذا الرجل بل ستجد تكاليف بعض الرجال للزواج من شريفة حتى ينتسب أولاده إلى هذا البيت هذا الشرف .

كما كان على نقيب الأشراف أن يعود مرضاهم ، ويمشي في جنازتهم ، ويسعى في حوائجهم ، وبأخذ على يد المتعدي منهم ، ويمتنع من الاعنجا ، ولا يقطع أمراً من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك^(١٧٨) .

كما لعب نقباء الأشراف دوراً هاماً في الحياة العلمية إذ كان معظم نقباء الأشراف من العلماء . كما كانت لهم مشاركات في الحياة العلمية في العصر المملوكي ، ومن الجدير بالملاحظة أن كل نقباء الأشراف في مصر زمن الأيوبيين والمماليك أهل سنة على المذهب الشافعي ، بل كانوا من علماء هذا المذهب ، ورشح بعضهم لتولي أسمى مناصب المذهب الشافعي وهي وظيفة « قاضي القضاة الشافعية » من هؤلاء نقيب الأشراف محمد المعروف بقاضئ العسكر المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م كان يتولى التدريس بالمدرسة الناصرية صلاح الدين الأيوبي - المجاورة لجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، والمعروفة بمدرسة ابن زين التجار ، وبسبب شهرته عرفت هذه المدرسة به وقيل لها « المدرسة الشريفة » وهي مدرسة للفقهاء الشافعية^(١٧٩) كما درس أيضا بالمدرسة الشريفة التي بناها الشريف اسماعيل بن ثعلب الجعفرى بالقاهرة^(١٨٠) وله من المؤلفات العلمية كتاب « شرح فرائض الوسيط للغزالي » وكتاب شرح المحصول للفخر الرازي^(١٨١) .

وينح نقيب الأشراف الشريف أحمد المعروف بابن الحلبي المتوفى ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م . في علم الحديث حتى لقب بالمحافظ وهو أعلى مراتب علماء الحديث ، وله من التصانيف « الأربعين البلدانية في الحديث » وله « وفيات الشيوخ » ذيل به على كتاب شيخه المحافظ عبد العظيم المنذرى « تكملة وفيات النقلة » وهو من عيون التاريخ^(١٨٢) .

كما تولى نقيب الأشراف شرف الدين علي المتوفى عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٣م التدريس بمشهد الحسين بالقاهرة^(١٨٣) وبالمدرسة الفخرية والمدرسة الطيبرسية المجاورة للجامع الأزهر^(١٨٤) ويذكر ابن

قاضى شهابية بأنه «اشتغل بالفقه والأصول والعربية وأفتى ودرس» (١٧٧) «توضيح الحواصى» (١٧٨).
«شرح المعالم فى أصول الفقه» (١٧٩).

وكان بعض نقباء الأشراف على درجة عالية من العلم فقد كان الشريف صدر الدين مرئضى
نقيب الأشراف «فصيحا بالألسن العربية والعجمية والتركية» (١٨٠).

وبالإضافة إلى ذلك فقد تولى بعض نقباء الأشراف فى مصر فى العصر المملوكى العديد من
الوظائف الادارية والمالية والقضائية والعلمية.

ومن هذه الوظائف وظيفة «الحسبة» والتي انقسمت فى مصر زمن المماليك إلى حسبة القاهرة
ولصاحبها نواب بالوجه البحرى ، وحسبة مصر- الفسطاط ولصاحبها نواب بالوجه القبلى ، وحسبة
الاسكندرية على المدينة وما حولها .

وقد تولى نقيب الأشراف شرف الدين على المتوفى عام ٧٥٧هـ / ١٣٥٣ م حسبة القاهرة فى
التفرة من رجب عام ٧٣٨هـ / فبراير عام ١٣٣٨ م إلى عام ٧٤٢هـ / ١٣٣٧-١٤٣١م (١٨١).

كذلك تولى نقيب الأشراف عاصم بن محمد الحسنى «حسبة مصر» وذلك فى شوال عام
٧٧٨هـ / ١٣٧٦م وعزل فى ربيع الأول عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م (١٨٢).

وتولى نقيب الأشراف الشريف على «حسبة مصر» فى ربيع الأول عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠ م
عوضاً عن سراج الدين عمر العجمى . وعزل فى ٢٧ جمادى الآخرة من نفس السنة (١٧٩) .

كما تولى بعض نقباء وظيفه «قضاء العسكر» (١٨٠) مثل نقيب الأشراف محمد بن الحسين
الأرموى المتوفى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م الذى تولى «قضاء العسكر» والتي أصبحت لقب له
ولأبنائه وأحفاده الذين عرفوا بـ «ابن قاضى العسكر» (١٨١).

كذلك تولى بعض نقباء الأشراف وظيفه «ثيابة دار العدل» وقد تولاه نقيب الأشراف محمد
بن الحسين الأركوى عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م للملك الكامل الأيوبي ثم لأبنته الملك الصالح نجم الدين
أيوب واستمر يتولاها حتى وفاته عام ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م .

ومن الوظائف التى تولاه نقيب الأشراف وظيفه «نظر البيمارستان المنصورى» . وهذه
الوظيفة من أجل الوظائف وأعلاها . ويتولى النظر فيه عادة من العسكريين من أكبر الأمراء
بالديار المصرية . تولى هذه الوظيفة نقيب الأشراف فخر الدين أحمد (١٨٢) .

ومن الوظائف الدينية التي تولاها بعض نقباء الأشراف «مشيخة الشيوخ»^(١٨٢)، حيث تولى هذه الوظيفة نقيب الأشراف فخر الدين أحمد وذلك في ١٩ شوال عام ٧٩٤هـ / أغسطس ١٣٩٢م^(١٨٣)، واستمر بها حتى وفاته في ذى القعدة عام ٨٠١هـ / يوليو عام ١٣٩٨م^(١٨٤).

أما عن دور نقباء الأشراف في المناسبات العامة فقد شارك نقيب الأشراف ومعه الأشراف في بعض المناسبات السياسية والاجتماعية، مثال ذلك ما حدث في يوم الثلاثاء ١٤ صفر عام ٧٩٢هـ / نوفمبر عام ١٣٨٩م بعد عودة السلطان الظاهر بركة لله للسلطنة للمرة الثانية بدلا من «الناصر الحجي» فخرج إلى لقائه الأشراف مع السيد على نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بصانحها، والعساكر بلبوسها الحربية وذلك في خارج القاهرة بالريمانية^(١٨٥).

وشارك نقيب الأشراف والسادة الأشراف في حوادث عام ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م حيث تعرضت مصر لوباء من أشد الأوبئة، واختلفت هذه عن بقية الأوبئة السابقة له إذ وقع في فصل الشتاء، وعمامة الأوبئة تقع في فصل الربيع - فترة الخمسين- وكان هذا الوباء من الشدة حتى أطلق عليه ابن تغري بردي «الفتنة العظيمة»^(١٨٦) وأطلق عليه ابن إمام «الفصل الكبير»^(١٨٧).

وقد قام الشريف أحمد بن عبدنان كاتب السر بالديار المصرية ونقيب السادة الأشراف بنبابة دمشق بجمع أربعين شرفا اسم كل واحد منهم محمد، وانفق فيهم خمسة آلاف درهم من ماله الخاص، وأجلسهم بالجامع الأزهر بعد صلاة الجمعة يقرأون ما تيسر من القرآن الكريم، وقد غاص الجامع بالناس، ثم أخذ هؤلاء الأربعين في الدعاء والناس تؤمن على دعائهم، ثم صعدوا إلى سطح الجامع الأزهر، وأذنوا جميعا لصلاة العصر، ثم انقضوا، وقد أشار بذلك بعض العجم من المشرق الإسلامي، وأنه حدث عندهم وباء، وفعلوا ذلك فارتفع عقيب ذلك^(١٨٨) ويعلق ابن الصيرفي على ذلك بقوله: «وكل ذلك ببركة النبي صلى الله عليه وسلم، وبركة اسمه، وبركة ذريته»^(١٨٩).

وساهم نقباء الأشراف في مصر بالعديد من المنشآت العمرانية كبناء المدارس من ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة إلى أن نقيب الأشراف الشريف شمس الدين محمد بن الحسين الأموي ابن قاضي العسكر المتوفي عام ٧٦٣هـ / ١٣٦١م جعل منزله الموجود بحارة بها - الدين مدرسة عرفت باسم المدرسة الشرفية^(١٩٠)، ويذكر ابن قاضي شعبة «وكان عند موته قد جعل داره بحارة بها - الدين مدرسة للشافعية»^(١٩١) وقام بعض نقباء الأشراف ببعض الأعمال

التعبيرية في القاهرة ، ففى عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م قام نقيب الأشراف السيد بدر الدين حسين بن الفرا ، بتجديد بعض المساجد والمشاهد ومنها مشهد السيدة رقية ^(١١٢) بالقرب من مشهد السيدة نفيسة ^(١١٣) وكان قد اتخذه بعض الناس سكناً ، وتعطلت زيارته مدة سنين فجدده ^(١١٤) ، وجدد جامع الفاكهيين ^(١١٥) وجامع الفخر ^(١١٦) وجامع الصارم ^(١١٧) .

ويتضح لنا مما سبق أن نقابة الأشراف هي أول تنظيم اجتماعى يرتبط بصلة الدم فى الحضارة الاسلامية . وأنها بدأت فى مصر منتصف القرن الثالث الهجرى واستمرت حت الآن . كما نلاحظ أن الفرع الحسنى هم أول من تولى نقابة الأشراف فى مصر زمن الطولونيين والإخشيديين وبناية عهد الفاطميين حيث تحولت إلى الفرع الحسينى واستمر ذلك الفرع يتولى نقابة الأشراف زمن الأيوبيين والمماليك إلا فى فترات قصيرة تولاها نقباء من الفرع الحسنى . كما ساء منصب نقيب الأشراف فى معظم الأحيان مبدأ الورثة .

كذلك تعددت الواجبات الملقاة على عاتق نقباء الأشراف من حفظ النسب ، والإشراف على أوقاف الأشراف ، والعمل على توزيع الشرفقات بين بكانتهم ، بالإضافة إلى واجبات أخرى .

قائمة بأسماء نقباء الأشراف فى مصر زمن سلاطين المماليك

١- محمد بن الحسين بن محمد ، شمس الدين الأرموى الشافعى الحسينى ، المعروف بقاضى العسكر.

ولد عام ٥٧٨هـ وتولى نقابة الأشراف عام ٦٣٥هـ حتى وفاته عام ٦٥٠هـ ^(١١٨)

٢- على بن الحسين الأرموى الأصل المصرى المولد والدار أخو الأول

مولده : عام ٦٠٣هـ ، وتولى النقابة عام ٦٥٠-٦٦٤هـ ^(١١٩)

٣- شهاب الدين الحسين بن محمد الأرموى الحسينى ابن قاضى العسكر

٤- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد الحسينى المعروف بابن الحلبي مولده

عام ٦٣٦هـ وتولى عام ٦٩٥هـ وتاريخ تولية النقابة غير معروف ^(١٢٠) .

٥- شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين بن شمس الدين محمد المعروف بابن قاضى

العسكر . مولده عام ٦٧٦ هـ وتولى النقابة عام ٦٩٥ هـ عز الدين أحمد بن محمد ابن الحلبي إلى عام ٧٠٤ هـ حيث قتل بدمشق وابن الثالث وحفيد الأول^(١٠٠) .

٦- بدر الدين الحسن بن عز الدين أحمد بن محمد الحسيني المعروف بابن الحلبي ابن الخامس مولده عام ٦٧٦ هـ^(١٠١) ابن الرابع . تولى النقابة عام ٧٠٤ هـ حتى عام ٧٤١ هـ وتوفى عام ٧٤٣ هـ^(١٠٢) .

٧- شرف الدين علي بن الحسين بن محمد بن الحسين الحسيني الشافعي المعروف بابن قاضي العسكر ابن الثالث وحفيد الأول وأخو الخامس . ولد عام ٦٩١ هـ وتولى النقابة يوم الأحد ١١ رجب عام ٧٤١ هـ وحتى وفاته عام ٧٥٧ هـ^(١٠٣) .

٨- شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين الحسيني الشافعي المعروف بابن قاضي العسكر ويشتهر بأبي الركب بضم الراء . وفتح الكاف- ولد عام ٦٩٨ هـ وتولى النقابة عام ٧٥٧ هـ حتى وفاته عام ٧٦٢ هـ^(١٠٤) .

٩- شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين الحسيني ابن قاضي العسكر ويعرف والده بأبي الركب وتولى النقابة : ٧٦٤ هـ - ٧٦٣ هـ^(١٠٥) .

١٠- فخر الدين محمد بن علي بن الحسين ابن قاضي العسكر (الأولي) تولى النقابة عام ٧٦٣ هـ وعزل في شوال ٧٧٤ هـ^(١٠٦) .

١١- الشريف عاصم تولى النقابة في ١٩ شوال ٧٧٤ هـ عزل في ٢٠ ذو الحجة عام ٧٧٤ هـ^(١٠٧) .

١٢- فخر الدين محمد بن علي ابن قاضي العسكر (الثانية)

تولى النقابة للمرة الثانية في ٢٠ ذو الحجة عام ٧٧٤ هـ^(١٠٨) واستمر حتى وفاته في أول رجب عام ٧٧٨ هـ^(١٠٩) .

١٣- شرف الدين علي بن فخر الدين محمد (الأولي) تولى النقابة في يوم الاثنين ثالث شهر رجب عام ٧٧٨ هـ^(١١٠) عزل في أول ربيع الآخر عام ٧٨٠ هـ^(١١١) .

١٤- الشريف عاصم (الثانية) تولى النقابة في ١٧ ربيع الآخر عام ٧٨٠ هـ^(١١٢) واستمر حتى وفاته عاشر المحرم عام ٧٨٢ هـ^(١١٣) .

- ١٥- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الثانية) تولى النقابة للمرة الثانية فى ١٠ المحرم عام ٧٨٢هـ^(١١٧١) وعزل فى ذو القعدة عام ٧٨٣هـ^(١١٧١)
- ١٦- جمال الدين عبدالله بن عبد الكافى الطباطبائى (الأولى) تولى النقابة فى ٢٢ ذو القعدة عام ٧٨٣هـ^(١١٨٤) وعزل فى جمادى الآخرة عام ٧٩١هـ^(١١٩١)
- ١٧- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الثالثة) تولى النقابة فى ٢٦ جمادى الآخرة عام ٧٩١هـ^(١٢٠٠) وعزل فى ١٩ صفر عام ٧٩٢هـ^(١٢٠١)
- ١٨- جمال الدين عبدالله بن عبد الرحيم الطباطبائى (الثانية) تولى النقابة فى ١٩ صفر عام ٧٩٢هـ^(١٢٠١) حتى وفاته فى ذو القعدة عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م^(١٢٢٣)
- ١٩- شرف الدين على بن فخر الدين محمد (الرابعة) وتولى النقابة فى ١٥ ذو القعدة ٨٠٠هـ / ١٣٩٨م^(١٢٢٤) ويستمر حتى وفاته فى ١٩ ربيع الأول عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م^(١٢٤٤).
- ٢٠- بدر الدين حسن بن على ابن قاضى العسكر
- تولى النقابة بعد والده فى ١٩ ربيع الأول عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م^(١٢٢٤) وعزل فى جمادى الآخرة عام ٨٤٤هـ / ١٤٤١م^(١٢٦٧) وتولى فى يوم الاثنين ٦ صفر ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م^(١٢٨٤).
- ٢١- بدر الدين حسين بن أبى بكر بن حسن الحسينى ويلقب بالشاطر ويقال له ابن الفراء تولى النقابة فى يوم الخميس ٧ جمادى الآخرة عام ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م ، وتوفى فى شوال عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م^(١٣١٤)
- ٢٢- محمد بن حسن الحسينى خازن الشريخاناه تولى النقابة عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م بعد حسين بن أبى بكر ، وتوفى عام ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م^(١٣٢٠)
- ٢٣- أبو المحاسن حسن بن محمد بن حسن كان موجوداً عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م^(١٣٢٤)
- ٢٤- أبو عبدالله محمد الطنبندى الحسينى كان موجود فى الفترة من ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م^(١٣٢٤)

الهوامش

- (١) ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٢ ج ١ ، ص ٧٧ مادة (تقب) : الزبيدي : ناح العروس ج ١ ، ص ٩٨٣ ، الفيوس : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ج ٢ ص ٦٢ : ابن فارس : معيار اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، ٦ أجزاء ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٤٢٣ هـ ، ج ٥ ، ص ٣٧٤ ، ابن الأثير : النهاية في غريب الأثر ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ج ٥ ، ص ٢١٣ .
- (٢) الأزهر : تهذيب اللغة - ج ٣ ، ص ٢٤ .
- (٣) الطاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .
- (٤) أحمد بن يوسف المعروف بالسين الحلبي : الدر المنون في علوم الكتاب المكنون ، تحقيق أحمد محمد الحراط ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٧ ، ج ٤ ، ص ٢٢ .
- (٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، المكتبة التوفيقية (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٢٩ .
- (٦) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٦٩-١٧٥ ، مادة (شرف) ، البلاذري : أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، المقدمة ، ص ٢٠ .
- (٧) الفلقشندي : فلاتد الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٥٦-١٦٦ .
- (٨) حقوق آل البيت بين السنة والبدعة ، دراسة وتحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ، ص ٥ .
- (٩) محمد فلمعي : معجم لغة الفقهاء ، دار النفائس للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .
- (١٠) السيوطي : الحادي للفتاوى وطبعة المنيرة ، دمشق ١٣٥٢ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٢ .
- (١١) صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٢ .
- (١٢) صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧ .
- (١٣) أبر الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ص ١٠٩ .

(١٤) ابن أبيك الصغدي : أعيان العصر وأعيان النصر . ج ١ . ص ٥ ..

(١٥) رضوان محمد الجنائى : طبقة الأشراف فى مصر منذ فجر الاسلام حتى نهاية الدولة الفاطمية . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية الآداب - جامعة المنيا . ١٩٨٦ . ص ٢٩

(١٦) ابن عتبة الحسنى : عمدة الطالب فى أسباب آل طالب . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . د . ت . ص ٢١٥ .

(١٧) الهمداني : تكملة تاريخ الطبرى . ص ١٩٢ المسعودى : مروج الذهب . ج ٤ ص ١٥٠-١٥١ : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . ج ٨ . ص ١٤ : ابن كثير : البداية والنهاية . ج ١١ . ص ٠٨ . ١٣ . ٣٤٢ . ٥٠ . ج ١٢ . ص ١٩ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . ج ٤ . ص ٥٦-٥٧ . ١٥٧ . ٢١٠ . ٢٢ . ج ٥ . ص ٢١٧ وانظر أيضاً أحمد عبد الرازق : الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى . دار الفكر العربى . القاهرة . ١٩٩٠ م . ص ٢٤٨ .

(١٨) رضوان الجنائى : طبقة الأشراف . ص (٢٦١-٢٦٢) .

(١٩) كثرة ثورات العلويين ضد العباسيين خلال القرنين الثامن والتاسع الهجرى . وقد توافد على مصر كثير من العلويين و . وأصبحت مصر لهم مركزاً لهم يجتمعون فيه والتخذ طريقاً إلى بلاد المغرب . وساعدهم فى ذلك العاطفة الجياشة فى نفوس أهل مصر نظراً لظهور وصيهم لأن البيت . مما جعل العباسيين ينظرون إليهم بعينين واستعين . لذا أمر الخليفة العباسى أشرئكل على الله تعالى عهده المنتصر بأمر والى مصر اسحق يحيى بإخراج الطالبين من مصر إلى العراق وذلك فى رجب عام ٢٦٦ هـ / ٨٥١م انظر : الكندى . ولاية مصر وقضاتها . ص ٢٢٤ محسن محمد حسن سليم . ثورات العلويين فى مصر عصر الولاة مجلة كلية الدراسات الاسلامية . جامعة الأزهر . العدد السابع . ١٩٨٩ . ص ١٨٥-٢٢٩ .

(٢٠) طباطبا : هو إبراهيم بن إسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن على أبى طالب . ولقب بذلك لأن أباه أراد أن يقطع له ثوباً وهو طفل فخيرته بين قميص وقبا . فقال : طبا طبا يعنى قباطبا . ولقبوه بذلك أما ابن خلكان فيذكر أنه كان يبلغ فيجعل القاف طاً . ويذكر ابن تغرى بردى أنه سمي « طباطبا » لأن أمه تزفصه وتقول « طباطبا » - يعنى تم تم - انظر :- ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنبأ . الزمان . تحقيق احسان عباس . دار صادر . بيروت . ١٩٦٨ . ج ١ . ص ١٣٠ : ابن حجر : نزهة الأكياب فى الألقاب . ص ١٩٦ : الحسنى : عمدة الطالب . ص ١٣٦ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . ج ٣ . ص ٢١٩ .

(٢١) موفق الدين بن عثمان : مرشد الزوار إلى قبور الأولياء . الفار المصرية اللبنانية القاهرة . ١٩٩٥ . ج ١ . ص ٢٥ : البلبلى : سيرة أحمد بن طولون . تحقيق محمد كرد على . الهيئة العامة لتقصور الثقافة . سلسلة الدخائر . القاهرة ١٩٩٩ . رقم ٥٥ . ص ١٩٩ .

(٢٢) ابن زولاق : فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، تحقيق على محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٤٤ . ولاحظ أن الموقع الرسمي لنقابة الأشراف بمصر يذكر أن الخليفة المعز لدين الله هو أول نقب للأشراف في مصر أنظر : [www. Niqabat alashraf.org](http://www.Niqabat alashraf.org)

(٢٣) مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى ، تحقيق على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٥٢ .

(٢٤) ابن زولاق : فضائل مصر ، ص ٤٤ ، محمد بن اسماعيل بن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسيني توفي بمصر عام ١٥هـ / ٩٢٧م أنظر : ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٥٢ ، ص ١٠٢-١٠٣ ، رقم ١٠٩٤٣ ، ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، ج ١ ، ص ٢٩٥٢ : الذهبي ، تاريخ الإسلام : حوادث عام ١٥هـ .

(٢٥) إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسي .

(٢٦) المقرئ : الملقى الكبير ، ج ٢ ص ١١-١٢ ، رقم ٧٦٢ .

(٢٧) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا . وكان من شعراء مصر في القرن الرابع الهجري . انظر : ابن زولاق : فضائل مصر ، ص ٤٤ : الشهابي : تيسرة الدهر ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ؛ ابن سعيد الأندلسي : المغرب في حلى المغرب ، الجزء الأول تحقيق زكي نوح حسن وأخرون ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ؛ ابن خلكان ؛ ولقبات الأعيان ، ج ١ ص ٣٦ ؛ السبوطي ؛ حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٥٩ ، حاجي خليفة ؛ كشف الظنون ، ج ٢ ؛ ١١٨١ ؛ البغدادي ؛ هدية العارفين ، ج ١ ، ص ٣٣ ؛ سيدة اسماعيل كاشف ؛ مصر في عصر الاخشيديين . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٣٣ ؛ محمد عبد المنعم طفاحي ومحمد مصطفى الماحي ؛ شعراء مصر من الفتح الاسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١١-١١١ .

(٢٨) ابن زولاق ، فضائل مصر ، ص ٤٥ ؛ ويذكر المقرئ أنه ولي نقابة الأشراف في أيام العزيز بالله ، أي أنه عاصر الدولة الإخشيدية والفاطمية حتى أيام العزيز بالله ، انظر : - الملقى الكبير ، ج ١ ، ص ٧-٨ ، رقم ١١ ؛ السخاوي ؛ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، رقم ١٢ .

(٢٩) الملقى الكبير ، ج ٣ ص ٤٦٥-٤٦٦ ، رقم ١٢٢٢ .

(٣٠) الفلقستدي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١-٤٨٢ ؛ المقرئ ؛ انعاظ المنفا ، ج ٢ ، ص ٧٢-٧٣ ، ص ٨٦ ، ص ٨٨ ؛ عبد المنعم ماجد ؛ نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ج ٢ .

- ٣٣-٣٤، عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي . دراسة تاريخية وثائقية . دار الثقافة العلمية . الإسكندرية . ١٩٩٩ . ص ٢٦ .
- (٣١) القلقشندي : صبح الأعشى . ج ١ . ص ٣٩٨ . ٩٩ .
- (٣٢) ابن الطوير : نزهة المفادين . ص ١١٣-١١٤ : المقرئبي : أتعاط الحنفا . ج ٣ . ص ٣٤٢ : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . مع ٤ . ج ١ . ص ٤٥ .
- (٣٣) ابن ناظر الجيش : تنقيب التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق روادف سلى . المعهد العلمي الفرنسي للأصاغر الشرقية . القاهرة . ١٩٨٧ . ص ١٩٢ .
- (٣٤) صبح الأعشى . ج ١١ . ص ١١٨ .
- (٣٥) القلقشندي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج . الكويت . ١٩٨٥ . ج ١ . ص ٣٠٦ .
- (٣٦) القلقشندي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة . ج ١ . ص ٣٨ .
- (٣٧) القلقشندي : صبح الأعشى . ج ٣ . ص ٢٧٣-٢٧٤ .
- (٣٨) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر . ج ٤ . ص ١٦٩ .
- (٣٩) ابن شاهين الطاهري : زبدة كشف المالك . وبيان الطرق والمسالك . الطبعة . دار العرب . القاهرة . ١٩٨٨ . ص ١٠٤ .
- (٤٠) القلقشندي : صبح الأعشى . ج ١١ . ص ١١٨ .
- (٤١) القلقشندي . صبح الأعشى . ج ٦ . ص ١٤١ .
- (٤٢) شمس الدين محمد بن أحمد المهاجر الأسيوطي (القرن التاسع الهجري) : جواهر العقود ومعين القضاة والمؤلفين والشهود . تحقيق مسعد عبد الحميد محمد المعدني . دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م . ج ٢ . ص ٢٧٥ .
- (٤٣) القلقشندي : صبح الأعشى . ج ٤ ص ١٩٣ . حيث وضعها ضمن الوظائف الدينية الموجودة في نيابة دمشق . كما كانت لثروة ضمن وظائف أرباب السبوك إذ كان يكتب في توقيع متولبيها الأميري .
- (٤٤) القلقشندي : صبح الأعشى . ج ٤ ص ١٣٢-١٣٣ . ج ١٢ . ص ٢٨٥-٢٨٦ . ص ٢٩٦ .

- انظر ايضا عادل عبد الحافظ : نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .
- (٤٥) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٩٩٦ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ، ص ١٩٢ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٦٦ .
- (٤٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، ص ١٩٣ . وقد أورد لنا القلقشندى بعض سجل تعيين نقيب الأشراف في كل من دمشق وحلب وطرابلس .
- (٤٧) القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١٦ .
- (٤٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٢ .
- (٤٩) ابن ناظر الجبش : تلخيص التعريف ، ص ١٩٢ .
- (٥٠) المقرئى ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ ، ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٦٩ .
- (٥١) تسمية لمدينة أرمية : بالضم ثم السكون وباء مفتوحة وهاء ، مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان ، كثيرة الحيرات وافر الغلات ، يزعم المجلوس أن زروشتا منها - البلادى : لفتح البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ، المغوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
- (٥٢) نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ .
- (٥٣) المقفى الكبير ، ج ٥ ، ص ٥٩٧-٥٩٨ ، رقم ٢١٤٨ .
- (٥٤) بدائع الزهور ، ج ٥ ، ص ٣٠٢ .
- (٥٥) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٥ ، ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، ج ٢ ، ص ٤١٣ ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١١٣ .
- (٥٦) المقرئى : السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٨ .
- (٥٧) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج ٩ ، ص ١٠٨ ، المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٠٧ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٩٥ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ، ج ١ .
- (٥٨) ص ٢٩٧ ابن الصيرفى : إنباء الهمسر بأبناء العصر ، تحقيق حسن حبشى ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤١-١٤٢ ..

(٥٩) المقرئى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧٧-٧٧٨ ، انظر أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٣ ، محمود إسماعيل : سولوجيا الفكر الإسلامى ، ج ٢ ، طبر الانتهاج ، ص ١٣١ .

(٦٠) النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ١٩٨ .

(٦١) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ١١٣٩ ، ابن حجر : إنباء الغمر ، ص ١٢٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٨٦ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان ، ج ٤ ، ص ١٠٩-١١٠ ، ص ١٣٣ : السخاوى : الضوء ، ج ١٠ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، رقم ١٠٦٨ .

(٦٢) الفللسندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧ .

(٦٣) البقاعى : إظهار المعصر لأسرار أهل المعصر ، تحقيق محمد سالم بن شديد العوفى ، القسم الثالث ، ص ١٦٢ .

(٦٤) وهى من أسواق القاهرة القديمة من أيام الدولة الفاطمية وتعرف بسوقة الوزير يعلى الوزير أبى الفرج يعقوب بن كلس . ثم عرفت باسم السوق الكبير فى آخريات الدولة الفاطمية . فلما ولى صفى الدين عبدالله بن شكر الدميمى وزارة العادل أنبكر بن أبوب سكن فى هذا الخط كعرفت من حيثئذ هذه السوقة بسوقة صاحب . انظر : المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٦٩ .

(٦٥) الواقى بالوقيات ، مخطوط رقم ٧٠٤ ، ج ١٣ ، ص ٣٣ .

(٦٦) ابن رافع السلامى : الوقيات ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، ابن قاضى شعبة : تاريخ ابن قاضى شعبة ، تحقيق عدنا درويش ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٦٧) حارة الديلم من حارات القاهرة القريبة من الجامع الأزهر . وهى . وهى منسوبة إلى الديلم الذين نزلوا القاهرة فى العصر الفاطمى . ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أبى فؤاد سيد ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى . بيروت . ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م . المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٦٨) نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء الثالث والثلاثون ، تحقيق مصطفى حجازى ، الطبعة الثانية ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٨ .

(٦٩) المسبحى ، أخبار مصر فى سنتين (٤١٤-٤١٥ هـ) تحقيق ولیم ج. ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥ : المقرئى : اعطاء الحنقا ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

(٧٠) الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٥-٦ ، رقم ١٤ : ماير : الملابس الملوكية ، ترجمة صالح الشيشي ، مراجعة وتقديم دكتور عبد الرحمن فهمي محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٩٧ .

(٧١) النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ص ١٦٧ .

(٧٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٨٥ .

(٧٣) ابن الطوير : نزعة المفلتئين في أخبار الدولتين ، أعاد بناء وحققه وقدم له أمين غزاد سيد ، جمعية المستشرقين الألمانية ، فيسبادن ، ١١٣-١١٤ : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق حسن محمد الشماخ ، البصرة ، د.ت. ، المجلد الرابع ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(٧٤) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٢٥١ .

(٧٥) التعريف بالمصطلح الشريف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ١٦٩-١٧٠ . وقد نقل الفلقشندي هذه الرخصة عن ابن فضل الله في كتابه صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ١٦٥-١٦٦ .

(٧٦) ضياء الدين بن الأثير : رسائل ابن الأثير ، نشر آئيس القلشندي ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ١٣٥ .

(٧٧) الخالدي ، للمقدد الرقيب المنشأ الهادي إلى صناعة الإنشاء ، مخطوط ، تصور بجامعة القاهرة ، تحت رقم ٤٥-٢٤ ، ورقة ١٣٣ ، عبد النعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأجلجل المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ٥٦ .

(٧٨) السخاوي : استجلا وارثا - العرف ، ص ٧٢-٧٣ الشلنحي : نور الأبصار ، ص ١١٧ ، المرجاوي : مدارج الأشراف ، ص ٥٩ ، رضوان الجناني : طبقة الأشراف ، ص ٢٦٨ .

(٧٩) الأدقوي : الطالع السعيد ، ص ١٧٩-١٨١ ، رقم ١١٥ ، السيوكي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٥٣ ؛ محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ، مج ٤ ، ص ٢٩ .

(٨٠) المقرئبي : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٨ ؛ ابن حجر : إنبأ الغمر ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ١٣٦-١٣٧ ، رقم ٩١ ؛ النجوم الزاهرة ج ١ ، ص ١٦٤ ؛ الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، رقم ٩٢٨ ؛ ابن الصرقي : نزعة النفوس والأبدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ؛ السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٢٣-١٢٤ ؛ ابن أبياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٧٧٤-٧٧٥ .

(٨١) المقرئبي : المغلف الكبير ، ج ٣ ، ص ٤٤٩-٤٥٠ ، رقم ١٢١٣ .

(٨٢) درر العقود ، ج ٢ ، ص ٦-٧ ، رقم ٧٥ .

(٨٣) ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣٦٧ ، وقد نقل السخاوي عنه ذلك في الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٨٤) ذيل الدرر الكامنة ، ص ١٨٣-١٨٤ ؛ للجمع التوسم المفهرس ، ج ١ ، ص ٥٦٨ .

(٨٥) السخاوي : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٢١-١٢٢ ، رقم ٤٧٢ ؛ البلاغى ؛ عنوان الزمان بتراجم الشيوخ

والأقران ، لتحقيق حسن حبشى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٤-٢-٢٠٠٠ ، ج ٢ ، ص ١٦٢-١٦٧ ، رقم

١٩٦ ، السبوطى ؛ نظم العقبان فى أعيان الأعيان ، تحقيق فليب حنى ، نيويورك ، ١٩٢٧ ، ص ١٠٤-

١٠٥ ؛ ابن العماد الحنبلى ؛ شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٨٦) ابن العديم ؛ بقية الطلب فى تاريخ حلب ، تحقيق زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٣ ، ص ١٢٣-١٢٣١ ؛

على مبارك ؛ المخطوط التوفيقية الجديدة ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ ، الحنبلى ؛ شذرات الذهب ، ج ٧ ، ص ٣٠٥ .

(٨٧) ابن عتبة الحنسى ؛ عمدة الطالب ، ص ١٥٧ ؛ رسالة أحكام الأشراف ، ص ٧ ، ٩ ، ١٠ .

(٨٨) المقرئى ؛ السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧٤-٧٧٥ ؛ ابن عتبة ؛ عمدة الطالب ، ص ١٠١-١٠٢ ؛ ابن إباص ؛

بذائع الزهور ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .

(٨٩) استجلاء الغرف ، ص ٧٣-٧٤ ؛ <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولأسف لم قدنا المصادر المعاصرة بصورة لما كان يكتب فى هذه المحاضر ، ولكن وصلنا لما ذج تعود إلى فترة

متأخرة فقد أمدنا السمهوى بصورة لهذه المحاضر : " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام

على رسول الله اما بعد فانتى الشرف بأن أشهد بصحة هذا النسب الكريم المتفق على صحته من مشايخنا

وعلمائنا وأفاضلنا رضى الله عنهم ونفعنا بهم وأسأل الله بوجه نبيه الكريم ورجال هذا النسب العظيم

أن يأخذنا إليه بما سواه ويمتحننا من أهله بقربه ورضاه ... كاتبه تراب أقدامهم خادم خدامهم ... أحمد

الشرقاوى فى ١٩ هجـة الحرم سنة ١٣١٣ وختم عليه بخاتم الشريف " انظر : - السمهوى ؛ مدارج

الأشراف ، ص ٨٥ ؛ رضوان الجنان ؛ طبقة الأشراف ، ص ٢٦٩ .

(٩٠) درر العقود القوية ، ج ٢ ، ص ٤٦١ .

(٩١) من هذه الرسائل :

- أسماع الصم فى البات الشرف من قبل الأم " لابن أمير زيد المراكشى ت ٧٣٩ هـ / ١٢٣٩ م .

- " أسماع الصم فى البات الشرف من الأم " لابن مرزوق التلمسانى ت ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م .

- "رسالة الفوز والغتم في مسألة الشرف من الأم" بحبر الدين البرمجلوي ت ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م.
- "بيان الحكم بالتصريح الدالة على الشرف من الأم" للصدقي ت ١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ ز /
- النظر : البغدادى : إيضاح المكتون . ج ١ . ص ٨١ ن ٢٢٣ : هدية العارفين . ج ١ . ص ٥٢٩ . ٣١٩ . ١٨٨ . ومن الكتب :
- "كتاب رفع اللبس والشبهات عن ثبوت الشرف من قبل الأم" لأبي العباس أحمد بن سودة المروى .
- "شرف الأسباط" للقاسمى .
- (٩٢) رفع اللبس . ص ٢-٤ .
- (٩٣) سليمان محمد حسين : الأشراف ودروهم في مصر في في العصر العثماني . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية الآداب - جامعة عين شمس . ١٩٩٣ . ص ٤٧ .
- (٩٤) المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٣٠٥ .
- (٩٥) المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٣٠٦ . عبد الشاسط بن خليل : نيل الأمل في ذيل الدول . ج ٢ . ص ٤٨ .
- (٩٦) ابن حجر : إنباء القصر . ج ١ . ص ٣٥ . ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة . مج ٢ . ج ٢ . ص ٤١٣ : ابن إياس بدائع الزهور . ج ١ . ق ٢ . ص ١١٣ .
- (٩٧) ولى الدين العراقي : ذيل العبر . ق ٢ . ص ٣٤٥ : المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٢٠٥-٢٠٧-٢٠٨ : ابن حجر إنباء القصر . ج ١ . ص ٣٥ : ابن قاضي شهبة . تاريخ ابن قاضي شهبة . مج ٢ . ج ٢ . ص ٤١٤ .
- (٩٨) الأزار : عبارة عن ملامة متصعة كمنفاضة تلف جميع جسد المرأة وكان الأزار بالنسبة للمسلمات عامة أبيض اللون ، وللمسيحيات أزرق اللون . ولليهوديات أصفر اللون . وللسامريات أحمر اللون . ماير : الملابس الملوكية . ص ١٢٥-١٢٦ .
- (٩٩) النجوم الزاهرة . ج ١١ . ص ٤٦ . انظر أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى . ص ٢١٤ : عبد النعم ماجد : نظم الماليك . ج ٢ . ص ٨٤ .
- (١٠٠) النجوم الزاهرة . ج ١١ . ص ٤٧ .
- (١٠١) المنهل الصالى . ج ٦ . ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(١٠٢) وجيز الكلام، ج ١، ص ١٨٦.

(١٠٣) بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١.

(١٠٤) القريزي: السلوك، ج ٣، ص ١٩٩؛ ابن حجر: انبا، الفجر، ج ١، ص ١٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٤٧؛ المنهل الصافي، ج ٦، ص ٢٣٩؛ السبطيني: تاريخ الخلقاء، دار التراث بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م، ص ٤٦٢؛ حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٣٠٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٠٨؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٣٩.

(١٠٥) ابن حجر: انبا، الفجر، ج ١، ص ١١؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج ١١، ص ٤٧؛ المنهل الصافي، ج ٦، ص ٢٣٩؛ السبطيني: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٣٠٣؛ عبد الباسط: نيل الأمل، ج ٢، ص ٣٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٠٨؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٣٩.

(١٠٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٤٧؛ المنهل الصافي، ج ٦، ص ٢٣٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٠٨.

(١٠٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٤٧؛ المنهل الصافي، ج ٦، ص ٢٣٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٠٨.

(١٠٨) القريزي: السلوك، ج ٣، ص ١٩٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٤٧؛ المنهل الصافي، ج ٦، ص ٢٣٩.

(١٠٩) بدر الدين حسين بن أبي بكر بن حسين الحميني ويلقب بالشاطر، ويقال له ابن الفرا، تولى نقابة الأشراف في يوم الخميس سابع جمادى الآخرة عام ٨٤٤هـ / نوفمبر ١٤٤٠ / وتوفي في شوال عام ٨٨٥هـ / يناير ١٤٨١ م. القريزي، السلوك، ج ٤، ص ١٢١٣؛ ابن الصريفى، نزهة النفوس، ج ٤، ص ٢٠٥؛ عبد الباسط بن خليل: نيل الأمل في ذيل الدول، ج ٧، ص ٢٧٥.

(١١٠) الضوء اللامع، ج ٣، ص ١٣٨، ص ٥٤٧.

(١١١) وجيز الكلام، ج ٣، ص ٩١٤.

(١١٢) الأحكام السلطانية، ص ٨٦.

(١١٣) الفلقندي: صبح الأعشى، ج ١١، ص ١٦٤.

(١١٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٤٠٠-٤٠٦ .

(١١٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٥٠ .

(١١٦) محمد حمدي المنأوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ؛ عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٣٨ .

(١١٧) أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٣١٣-٣١٤ ؛ المقرئ : الحفظ ، ج ٤ ، ص ٨١-٨٣ ؛ انعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٤٦-٢٥٢ ؛ ابن تقي بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣١٤ ؛ جمال الدين الشيبان : مجموعة الوثائق الفاطمية ، ص ٣٣٧ ؛ محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في عصر سلاطين المالكيك ، ص ٦٠ ؛ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٣٥٨-٣٥٩ . ومن حسن الحظ أن وصلتنا حجة وقف طلائع بن زريك سليمة ، حيث تحتفظها بها دار الوثائق القومية بالقاهرة (مجموعة محكمة الأحوال الشخصية) وهي وثيقة رقم ١ محفظة رقم ١٠١ وقد قام بنشرها كل من كلور كاهن ويوسف رجب ومصطفى أنور طاهر ؛ محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المالكيك ، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ١٣ .

Claud Cahen , yusuf Ragib et Mustafa Anousse Taher, L'Achat et le Waqf d'un Grand Domaine Egyptien Par Vizir Fatimide Tolai B. Ruzzik , Annales Islamologiques , Tome XVI , le Caire , 1978 , pp. 12-126 .

(١١٨) الوزير الفاطمي أبو الغارات طلائع بن زريك الملقب بالملك الصالح كان واليا بنى خصب من أعمال الصعيد . فلما قتل الخليفة الفاطمي الظاهر سير أهل القصر إلى الصالح واستنجدوا به على عباس وولده نصرًا المتفقين على قتله فتوجه طلائع إلى القاهرة وقابل عباس وولده وتولى الوزارة للقاهر . وقد بنى جامع خارج اب زويلة لكن يدفن فيه رأس الحسين ، انظر : ابن خلكان . وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ ، رقم ٣١١ .

(١١٩) بركة الحبش : وتعرف ببركة المعافر وبركة حمبر . وتعرف أيضا بأسطبل قره ، وتقع في ظاهر مدينة الفسطاط من قبلها فيما بين الجبل والقبيل . وكان يقع إلى شرقها بساتين تعرف بقناة بن قيس بن حيش الصديقي لذا عرفته هذه البركة ببركة الحبش . انظر : - ابن دقمان : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، د.ت ، ج ٤ ، ص ٤٥ ؛ المقرئ : الحفظ ، ج ٣ ، ص ٢٤٧-٢٤٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ١٣٤ ؛ ابن شاهين : زبدة كشف المالك ، ص ٢٧ ؛ السيرطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(١٢٠) بلفس : قرية قديمة كانت تقع ضمن إقليم الشرقية ، ثم إقليم ضواحي القاهرة في العصر المملوكي ، وهي إحدى قرى محافظة القليوبية الآن . انظر : ابن ممتي : قوانين نشر عزيز سوربيل عطية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٦٦ ؛ ابن دساق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ١٤٥ ؛ ابن الجيعان : النخبة السنية بلاسما ، البلاد المصرية ، نشر مورتييز ، القاهرة ، ١٨٩٢ ، ص ٩ ؛ محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(١٢١) وثيقة طلائع بن رزيق ، ص ١١٣-١١٥ ، أسطر ٢٢-٤٥ ؛ المقرئ : الحطط ، ج ٤ ، ص ٨٢ .

(١٢٢) حفصا : هي من القرى القديمة اسمها الأصلي دجسفة وردت في قوانين الدواوين لابن ممتي من أعمال الشرقية ، وذكرها ابن دساق في الانتصار ، ص ٥٥ ، ص ٦١١ باسم "دجفة الشرفا" ضمن الأعمال الشرقية، وذكرها ابن الجيعان في النخبة السنية ، ص ٣٠ باسم "دجسفة الشرفا" وهي رخصة الربحان لم تمسح في الروك " ، ويذكر محمد رمزي والصواب دجسفة الشرفا كما ورد في دليل سنة ١٢٢٤ هـ وفي تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ، وهي بلدة بمركز ميت شرر محافظة الدقهلية ، القاموس الجغرافي ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(١٢٣) سجلات محاكم الأقاليم ، محكمة الدقهلية ، دار الوثائق القومية بالقاهرة ، سجل ٩ ، ملف ٦١٦ ، ص ٢٧٠ ؛ مصطفى كامل لسلول : هجرة مصر من قبائلها ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٨-١١٩ ؛ سليمان محمد : السادة الأشراف ، ص ١١ .

(١٢٤) السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

(١٢٥) المقرئ : السلوك ، ج ١ ، ص ٨٦٤-٨٦٥ .

(١٢٦) السلوك ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

(١٢٧) السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٥٦ .

الشريف مرتضى صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة الحسيني العراقي ولي نظر وقف الأشراف عام ٧٩٨ هـ المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٨٦٧ ؛ ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٤٣٧ .

(١٢٨) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٨٨ .

(١٢٩) المقرئ : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ ؛ ابن حجر : انباء الغمر ن ج ١ ، ص ١١٧٢ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(١٣٠) القرظي : السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٠٣ : ابن حجر : انبا . الغمر ، ج ١ ، ص ٢٧٨ : ابن الصبري : نزهة النفوس ، ج ١ ، ص ٨ : إياس : بوائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٢٨ .

(١٣١) السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ : ابن حجر : انبا . الغمر ، ج ٣ ، ص ١٥٨ : السخاوي : الضوء ، اللامع ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ ، رقم ٦٤٩ في حين يذكر كل من العيني وابن الصبري بأن الشريف هو الذي استقر في نظر الأوقاف المتعلقة بالاشراف عوضاً عن الأمير فخر الدين بن أبي الفرج . عقد الجمان ، حوادث عام ٨٢١ هـ ، ص ٣٣٩ ، نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٣٢ .

(١٣٢) السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ .

(١٣٣) القرظي : السلوك ، ج ٤ ، ص ٤٦٧ .

(١٣٤) القرظي : السلوك ، ج ٤ ، ص ٥٨٩ ، ٥٩٦ : العيني : عقد الجمان ، ص ١٢٧ : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ١٠ : المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، رقم ٢٢٤٦ : ابن الصبري : نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ : السخاوي : الضوء ، اللامع ، ج ٨ ، ص ١٣٩ .

ARCHIVE ١٣٥) السلوك ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ .

(١٣٦) القرظي : السلوك ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ : ابن الصبري : نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ٢١ .

(١٣٧) التنوير : شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله ، كان يتولى ديوان أتوك بن الناصر محمد بن قلاوون . ثم تولى المحاصر السلطاني ، ثم تولى ديوان الجيش ، وقد اشتهر بالاحتياط والاستبصار على أحوال الناس ، ومصادراتهم حتى كثر أعدائه ، ثم تخلص الناصر محمد منه وقتله عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م . انظر : ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ، رقم ٢٥٤٩ : ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٧ ، ص ٣٩٣ - ٣٩٠ ، رقم ١٥٠٤ : الدليل الشافي ورقة ٤٣٤ : النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٢٣ : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٢٦ .

(١٣٨) القرظي : السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٥٢ : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

(١٣٩) القرظي : دور العقود القبلية رقم ٦١٦ ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(١٤٠) البقاعي : إظهار العصر ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(١٤١) جانبك الظاهري حقيق المرکسي الداوار وشاد جدة عام ٨٤٩ هـ وأطلق عليه نائب جدة ، ثم تولى الاستدارة عام ٨٥٧ هـ ، وتوفي عام ٨٦٧ هـ - ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٤ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٨ .

رقم ٨٢٩ : الدليل الشافى ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، رقم ٨٢٧ : السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٥٧-٥٩ ،
رقم ٢٣٥ .

(١٤٢) قمرغا الرضى الظاهرى جقق . وظل يترقى فى الوظائف حتى تولى السلطنة باسم الظاهر أبو سعيد قمرغا
عام ٨٧٢ هـ . ابن تغرى بردى : القهل الصالى ، ج ٤ ، ص ١٠٠-١٠٢ ، رقم ٧٨٤ : الدليل الشافى .
ج ١ ، ص ٢٢٣ ، رقم ١٧٨٢ : النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ٣٧٣-٣٩٣ : السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ،
ورقة ٤٠-٤١ رقم مخطوط رقم ١٦٧ .

(١٤٣) البقاعى : إظهار العصر ، ج ١ ، ص ٣٠٦-٣٠٧ .

(١٤٤) البقاعى : إظهار العصر ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

(١٤٥) البقاعى : إظهار العصر ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(١٤٦) البقاعى : إظهار العصر ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(١٤٧) ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ٥١ : محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(١٤٨) بنو حرام : بطن من حزام من الصحابة بالشرقية بنو حرام القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٣٣
: نهاية الأرب فى أنساب العرب .

(١٤٩) بردك الأشرفى ابنال ملكه فى عام ٨٢٩ هـ قرياه واعتقه وعمله خازن داره وزوجه ابنته الكبرى ثم دوا داره .
قلما تسلطن عمله دوا دارا ثالثا . ثم نقله إلى الدوا داره فى سنة ٨٥٩ هـ . وتوفى عام ٨٦٨ هـ . السخاوى
: الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٤-٥ ، رقم ٢٠ .

(١٥٠) البقاعى : إظهار العصر ج ٣ ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(١٥١) ابن الجيعان : التحفة ، ص ١٢٠ : محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

(١٥٢) على بن محمود بن محمد بن أبى بكر بن المنجد بن شبلى بن الشيخ خضر بن عبدالملك بن عثمان .
ويعرف بالشريف الكردى . ولد عام ٨٢١ هـ . وتولى مشيخة الحانقاه الناصرية بسمرقند وكان بينه وبين
الأشرف قايتباى صحبة قديمة . مات بالقاهرة عام ٨٨٢ هـ دفن بحوش خانقاة سعيد السعداى . البقاعى :
عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران . تجميع حسن حبشى . دار الكتب الوثائق القومية ، القاهرة .
١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ . ج ٤ ، ص ١٠٦-١٠٧ ، رقم ٣٩٦ : السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٦ ، ص ٣٦-
٣٨ ، رقم ١٠٤ .

(١٥٣) ابن الصيرفي : إنباء الهجر بأبنا العصر ، تحقيق حسن حشيش ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ١٤١-١٤٢ .

(١٥٤) ابن الصيرفي : إنباء الهجر ، ص ١٤٢ .

(١٥٥) ابن الصيرفي : إنباء الهجر ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(١٥٦) ابن الصيرفي : إنباء الهجر ، السخاوي : الذيل التام على دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

(١٥٧) نيل الأمل ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(١٥٨) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ .

(١٥٩) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ ، البيهقي إسماعيل الشربيني : مصادرة الأملاك ، ج ٢ ، ص ٢٠ .



(١٦٠) الأحكام السلطانية ، ص ٨٦ .

(١٦١) الفلكسندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٥١ سورة الأعراس ، الآية ٣٣ .

(١٦٢) الفلكسندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤٠٠ ، <http://Archiven-6.com> .

(١٦٣) صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٥٠ .

(١٦٤) السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، تحقيق طرايزوني الحسيني ، مكة المكرمة ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ج ٣ ، ص ٧٠٧ ، رقم ٤٠٦٦ .

(١٦٥) الشعرائي : لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق ، المطبعة العارضة العثمانية ، القاهرة ، ١١١٠ هـ ، ص ١٠٠ .

(١٦٦) ابن الطير : نزهة القلوب ، ص ١١٥ : ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ، الفلكسندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨١-٤٨٢ ، ج ٤ ، ص ٣٧-٣٨ .

(١٦٧) المرزوقي : المحطوط ، ج ٤ ، ص ١٩٤ .

(١٦٨) المقرئ : القفص الكبير ، ج ٥ ، ص ٥٩٧-٥٩٨ ، رقم ٢١٤٨ : ابن قاضي شهبة : طبقات الفقهاء ، الشافعية ، ج ١ ، ص ٤٣٩ ، رقم ٤٢٠ .

- (١٦٦) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٤٤٠ : الأستوى : طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٩٩ :
المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨٥ × البغدادي : هداية العارفين ، ج ١ ، ص ٥١٥ .
(١٧٠) المقرئى : الملقى الكبير ، ج ١ ، ص ٥٨٧ : البغدادي : هداية العارفين ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(١٧١) الحسينى : ذيل العبر ، ص ١٧٢ .
(١٧٢) ابن قاضي شهبة : طبقات الفقهاء الشافعية ، ج ٢ ، ص ١١٢ .
(١٧٣) تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .
(١٧٤) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٢ .
(١٧٥) السخاوى : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ٨٩ .

- (١٧٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ١٥٣ .
(١٧٧) زيربستين : تاريخ سلاطين المماليك ، ص ١٩٧ ، ٢١٧ ، الصفدى : أعيان العصر ، ج ٣ ، ص ٣٣٤ ، رقم
١١٤٩ : المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٤٤ ، ٤٨٩ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ج ٣ ، ص ٣٢ : ابن حجر الدرر
الكامة ، ج ٣ ، ص ٤١ : ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ : سهام أبو زيد الحمسة فى مصر
الإسلامية ، ص ٢٧٦ .

Abd ar - Raziq (Ahmad) , "La Hisba et le muhtasib en Egypte au temps des Mamluks
"an isl. XIII, le Caire , 1977 , p. 140 .

- (١٧٨) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ٢٧١ ، ٣٣٢ ، ٣٧٧ ، ٤٠٦ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ،
ص ٢٢٤ .

Abd ar - Raziq (Ahmad) , "La Hisba et le muhtasib en Egypte au temps des Mamluks
"an isl. XIII, le Caire , 1978 p. 131 , No .10 .

- (١٧٩) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٥ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٢١١ .
(١٨٠) من الوظائف الدينية . وهي وظيفة جليلة قديمة من زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب . وموضوعها أن
صاحبها يحضر بدار العدل مع لضاة القلقتندى . صبح الأضنى ، ج ٤ ، ص ٣٦ .
(١٨١) النويرى . نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ : ابن أبيك الصفدى . الوافر ، ج ٣ ، ص ١٧ . رقم ٨٧٧ .

الأسرى - طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٩٩ ، رقم ٨٤٥ : المقرئى - الملقى ، ج ٥ ، ص ٥٩٧ : ابن القاضى شبهه ، طبقات الفقهاء - الشافعية ، ج ١ ، ص ٤٣٩ .

(١٨٢) المقرئى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٧١ : نزعة النفوس والأبدان ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(١٨٣) مشيخة الشيوخ : وهي من الوظائف الدينية التي لا يجلس لها بالخطبة السلطانية . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٨ . وكانت تطلق منذ العصر الأيوبي على من يتولى الخانقاه الصلاحية المعروفة بسعيد السعفاء . حتى عام ٧٢٥هـ عندما بنى السلطان المملوكي الناصر محمد قلاوون الخانقاه الناصرية بسرياقوس ، فأصبح يطلق على من يتولى مشيختها شيخ الشيوخ . عبد الرحمن أبو راس : شيخ الشيوخ بالديار المصرية في الدولتين الأيوبية والمملوكية . دراسة تاريخية حضارية ، عالم الفكر ، ١٩٨٧ ، ص ٥٨ وما بعدها .

(١٨٤) المقرئى ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٠٤ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٣ : ابن الصيرفي : نزعة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .

(١٨٥) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤٤ .

(١٨٦) ابن القزطلي : تاريخ ابن القزطلي ، ج ٩ ، ص ١٠٩ : المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٠٧ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٢ ، ص ٣ : ابن الصيرفي : نزعة النفوس ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .

(١٨٧) النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٢٨ .

(١٨٨) بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

عن هذا الوفا - انظر :- المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٢١-٨٢٦ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ١٨٧٣ : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٤ ، ص ٣٣٧-٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ج ١٥ ، ص ١٥٦ : العيني : عقد الجمان ، حوادث عام ٨٣٣هـ ، ص ٣٨١ : ابن الصيرفي : نزعة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٨٦-١٨٧ ، ٢٠١-٢٠٢ : إبراهيم علي طرخان مصر : مصر في عصر سلاطين المماليك المراكسة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢٥٤ : حامد زيان : الأزمات الاقتصادية في مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٩٨ .

Darrage (Ahmad) , L'Egypte Sous Barsbay , Damas , 1961 , p. 5 "The Second Plague pandemic and its recurrences in Middle East " , JESHO, vol . 22 , 1979 , pp 162-189 .

(١٨٩) المقرئى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٨٢٨ ح ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٤٢٨ .

(١٩٠) نزهة النفوس ، ج ٣ ، ص ١٩١ . لطفى أحمد سيد : وسائل الترفيه ، ص ٤٥-٤٦ .

(١٩١) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣١٤ ، رقم ٨٤١ : ابن قاضى شعبة : تاريخ ابن قاضى ، مج ٢ ، ص ١٠٨ : السخاوى : وجزء الكلام ، ج ١ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(١٩٢) تاريخ ابن قاضى شعبة ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(١٩٣) رقية بنت على أسى طالب قدمت مصر بعد كربلاء . ومسجداً يعرف بجوامع شجر الدر على يسار الطالب للسيدة نفيسة وقد بنت هذا الشهيد السيدة علم الأمرية أم ابنه الأمر بأحكام الله الفاطمى عام ٥٣٣هـ . ١١٣٨م وذكر هذا الشهيد على مبارك ضمن التكايا ، أنظر :- ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص ٩٣-٩٤ : المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ : السليجى ، نور الأبصار ، ص ٢٩٠-٢٩١ ، على مبارك : المخطوط التوفيقية ، ج ٦ ، ص ١٦ : سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ٢ ، ص ١٢٦-١٣٠ .

(١٩٤) نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن ابن طالب توفيت بمصر عام ٢٠٩هـ / أنظر :- ابن زولاق ، فضائل مصر ، ص ٤٨ ، ٤٣ : السخاوى ، تحفة الأحياب ، ص ٤٠ ، ٤١ : المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ٣١٣ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥١١ : ابن الطهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ١٩٣ .

(١٩٥) المقرئى ، السلوك ، ج ٤ ، ص ١٢٢٩ ، ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ : ابن الصيرفى نزهة النفوس والأبدان ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .

(١٩٦) جامع الفاكهيين ويعرف بجوامع الظاهر والجامع الأخضر عمره الخليفة الفاطمى الظاهر بنصر الله أبو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله عام ٥٤٣هـ / ١١٤٥م ، ويقع بسوق السرايين . أنظر :- ابن عبد الظاهر الروضة البهية الزاهرة ، ص ٧٤ : المقرئى ، المخطوط ، ج ٤ ، ص ٨٠-٨١ : السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٢٢٣ ، على مبارك ، المخطوط التوفيقية ، ج ٥ ، ص ١٥٦-١٥٧ أنظر أيضاً حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(١٩٧) جامع الفخر أنشأه فخر الدين محمد بن فضل الله العمري ، تاجر الجيش المشرقى عام ٧٢هـ / ١٣٢م ، بناحية بولاق ، وكان يعرف مكانه بخط الكيالة وهو مكان يؤخذ فيه مكس الغلال البتاعة أنظر : المقرئى ، المخطوط ج ٤ ، ص ١٠٩ ، على مبارك ، المخطوط التوفيقية ، ج ٥ ، ص ١٤٧-١٠٩ .

(١٩٨) أنشأ هذا الجامع محمد بن صارم ويقع بناحية بقلان فيما بين بولاق وباب البحر . أنظر :- المقرئى ، المخطوط ج ٤ ، ص ١٣٢ .

(١٩٩) التنويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ، ص ٢٣٦ ، ج ٣ ، ص ١٤٥-١٤١ : الدهسى : تاريخ الاسلام ، حوادث عام ٦٥٠ : ابن أبيك الصفتى : الوافى ، ج ٣ ، ص ١٧ ، رقم ٨٧٧ : الإستوى : طبقات الشافعية ،

ج ٢، ص ١٥٢، رقم ٤٢٠، المقرئى : السلوك ، ج ١ ، ص ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، الخطط ،
ج ٤، ص ١٩٣، للمقضى الكبير ، ج ٥، ص ٥٩٧-٥٩٨، رقم ٢١٤٨، ابن قاضى شهبه : طبقات الفقهاء -
الشافعية ، ج ١، ص ٤٩-٤٤، رقم ٤٢٠، العيى : عقد الجمان ، ج ١، ص ٧٦، ابن تغرى بردى :
الدليل الشافى ، ج ٢، ص ٦٦٦ .

(٢٠٠) سبط ابن الجوزى : ذيل مرآة الزمان ، ج ٢، ص ٣٥٥، العيى : عقد الجمان ، ج ١، ص ٤٠-٤١ .

(٢٠١) ابن أبيك الصفى : الراضى ، ج ٨، ص ٤٤، رقم ٣٤٤٩، أعيان العصر وأعراف النصر ، ج ١، ص ١٩٢،
المقرئى : السلوك ، ج ١، ص ٨٣١، ولكنه بذكر وفاته عام ٦٩٦ هـ المقضى الكبير ، ج ١، ص ٥٨٦ .
رقم ٥٦٧، العيى : عقد الجمان ، ج ٣، ص ٣٣٧، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، ج ٢، ص ١١٩-
١٢٠، رقم ٢٧٤، الدليل الشافى ، ج ١، ص ٧٨، رقم ٢٧٢، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ،
ج ٥، ص ٤٣٠، محمود رزق سليم : عصر سلاطين الممالىك ، مج ٤، ص ٤٧ .

(٢٠٢) المقرئى : السلوك ، ج ٢، ص ١٤، درر العقود الفرفقة ، ج ٢، ص ٤٦١، ابن تغرى بردى : النجوم
الزاهرة ، ج ٨، ص ٢١٤، ولكنه بذكر وفاته فى ١٩ شوال عام ٧٠ هـ .

(٢٠٣) بذكر ابن حجر أنه ولد عام ٦٩٦ هـ وهذا خطأ وغير مقبول (إذ أن أبه توفي فى العام السابق - وكيف
يتولى النفاة ولديه ثمان سنوات وهذا غير معقول المراد الكامنة ج ٢، ص ٩ .

(٢٠٤) ابن رافع السلامى : الوفيات ، ج ٢، ص ٤٢٦، التنويرى : نهاية الأرب ، ج ٣٣، ص ١١٨، ابن قاضى
شهبه : تاريخ ابن قاضى شهبه ، تحقيق عثمان درويش ، مج ١، ج ٢، ص ٣٢٥ .

(٢٠٥) المقرئى : درر العقود المفيدة ، ج ٢، ص ٤٦١-٤٦٢، رقم ٧٨٠، ابن أبيك الصفى : الراضى ، ج ٣،
ص ٣٣٤-٣٣٥، رقم ١١٤٩، الحسينى : ذيل العبر ، ص ١٧٢، ابن رافع السلامى : الوفيات ،
ج ١، ص ٣٣٥، رقم ٦٩٢، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ١٠، ص ١٧، زبترسين : تاريخ
سلاطين الممالىك ، ص ١٩٧، ٢١٧، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٣، ص ٥، المقرئى : السلوك ، ج ٢،
ص ٤٤٤، ٨٨٩، ٨٨٨، ٤٨٩، السخاوى : وجيز الكلام ، ج ١، ص ٨٩، ابن حبيب : تذكر النبى ،
ج ٣، ص ٢٠٠، ذرة الأسلاك ، ص ٣٩٨، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١٠، ص ٣٢٢، ابن قاضى
شهبه : طبقات الفقهاء - الشافعية ، ج ٢، ص ١١٢-١١٣، رقم ٥٩٩، تاريخ ابن قاضى شهبه ، مج
٢، ص ٣، ص ١٠٨، سهام أبو زيد : الحسبة فى مصر الإسلامية ، ص ٢٧٩ .

Abdar - Raziq, "La Hisba et le muhtasib en Egypte au temps des Mamluks" An. Isl.

(٢٠٦) ابن رافع السلمي : كتاب الوفيات ، ص٢٤٢-٢٤٣ ، رقم ٧٥٨ : العراقي : الذيل على العبر ، ص٦٩-١٧٠ ، ابن حبيب : تذكر النباه ، ج ٣ ، ص٢٤٣-٢٤٤ : ابن فهد المكي : غلط الألفاظ ، ص ١١ : المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٩ : ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٥٢-١٥٥ ، رقم ١٦٦١ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٢ / ص ١٩٢ : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ١٠ : المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ١٦٩-١٧٠ ، رقم ١٩٥٥ ، الدليل الشافي ، ج ١ ، ص ٢٧٦ ، رقم ١٩٥٢ ، السخاوي : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٢٠٧) العراقي : ذيل العبر ، ج ١ ، ص ١٠٨-١٠٩ : ابن قاضي شهبة : مع ٢ ج ٣ ، ص ٢١٢ . ويذكر كل من المقريزي والسخاوي شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بدلا من الحسين . المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٧٨ ، السخاوي : وجيز الكلام ، ج ١ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٢٠٨) تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٣ ، ص ٤١٣ .

(٢٠٩) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ : المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٦-٢٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٣ ، ص ٤١٣ .

ويذكر ابن حجر أنه تولى النفاة في ٩ شوال ، إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ ، في حين يذكر ابن إياس أنه تولى النفاة في ١٩ رمضان ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١١٤ .

http://Archivebeta.Bahrit.com

(٢١٠) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ : المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٣٥ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٣ ، ص ٤١٤ .

(٢١١) العراقي : ذيل العبر ، ج ٢ ، ص ٤٣٩-٤٤٠ : المقريزي / السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٧٤٥ : تاريخ ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٣ ، ص ٥٣٣ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(٢١٢) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

(٢١٣) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ : ابن قاضي شهبة : تاريخ ابن قاضي شهبة ، مع ٢ ج ٣ ، ص ٥٧٢ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٢١٤) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ : ابن حجر : إنباء الغمر ، ج ١ ، ص ١٧٢ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(٢١٥) المقريزي : السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ ، ٣٧٧ : ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٠٨-٢٥٣ .

(٢١٦) المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٣٧٧ : ابن عباس : بدائع الزهور . ج ١ . ص ٢٥٣ .

(٢١٧) المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٤٥٦ .

(٢١٨) المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٦٣٣ : ابن عباس : بدائع الزهور . ج ١ . ق ٢ . ص ٢٩٧ .

(٢١٩) المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٦٣٣ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس . ج ١ . ص ٢٢٧ .

(٢٢٠) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . مج ٩ . ج ١ . ص ١٠٨ : المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٦٣٣ : العيسى :

عقد الجمان . حوادث عام ٧٩١ هـ . ص ٢٤٦ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس . ج ١ . ص ٢٢٧ .

(٢٢١) المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ١٧٠٧ : ابن حجر : إنباء الغمر . ج ١ . ص ٣٩٥ : ابن الصيرفى : نزهة

النفوس . ج ١ . ص ٢٩٧ .

(٢٢٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات . مج ٩ . ج ١ . ص ٢٠١ : المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٧٠٧ : ابن حجر :

إنباء الغمر . ج ١ . ص ٣٩٥ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس . ج ١ . ص ٢٩٧ .

(٢٢٣) ذكر كل من العيسى وابن الصيرفى أنه توفي في أوائل ذي القعدة عقد الجمان . حوادث عام ٨٠٠ هـ .

ص ٤٦٢ . ابن الصيرفى : نزهة النفوس . ج ١ . ص ٤٧٩ : أما المقرئى وابن تغرى بردى فذكر أن وفاته

في ١٤ ذو القعدة . السلوك . ج ٣ . ص ٩١١ : النجوم الزاهرة . ج ١٢ . ص ١٦٢ . وذكر ابن حجر أن

وفاته في ١٢ ذو القعدة إنباء الغمر . ج ٢ . ص ٢٦ . ١٥ : أما ابن عباس فيذكر وفاته في شوال . بدائع

الزهور . ج ١ . ق ٢ . ص ٥٠٠ .

(٢٢٤) المقرئى : السلوك . ج ٣ . ص ٩٠٣ : ابن الصيرفى : نزهة النفوس . ج ١ . ص ٤٦٤ . في حين يذكر ابن

حجر أنه تولى في ١٢ ذو القعدة . إنباء الغمر . ج ٢ . ص ١٥ .

(٢٢٥) المقرئى : السلوك . ج ٤ . ص ٤٧٢ : درر العقود . ج ٢ . ص ٤٦٣ . رقم ٧٨٣ : ابن حجر . إنباء الغمر

. ج ٣ . ص ١٨٤ : ذيل الدرر الكامنة . ص ٢٦٣ . رقم ٤٩٥ : ابن تغرى بردى : المنهل الصافى . ج ٨ .

ص ٣٩ . رقم ١٥٦ : الدليل الشافى . ج ١ . ص ٤٤٩ . رقم ١٥٥٤ : النجوم الزاهرة . ج ١٤ . ص ١٤٩ .

ابن الصيرفى : نزهة النفوس . ج ٢ . ص ٤٣٢ : السخاوى : الضوء . ج ٥ . ص ١٧٢ . رقم ٥٩٤ : عبد

الباسط بن خليل : نيل الأمل . ج ٤ . ص ١٢ : في حين يذكر العيسى وفاته في ١٨ ربيع الأول . حوادث

عام ٨٢١ هـ . ص ٣٩ .

(٢٢٦) المقرئى : السلوك . ج ٤ . ص ٤٤٠ : ابن حجر : إنباء الغمر . ج ٣ . ص ١٥٨ : السخاوى : الضوء .

ج ٣ . ص ١٠٥ . رقم ٤٢٠ .

(٢٢٧) المقرئى : السلوك . ج ٤ . ص ١٢١٢ ؛ الصيرفى : نزهة النفوس . ج ٤ . ص ٢٠٥ .

(٢٢٨) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور . ج ١ . ص ١٥٢ . ١٧ : المنهل الصافى . ج ٨ . ص ٤٠ ؛ السخاوى : الضوء . ج ١٠٥ .

(٢٢٩) المقرئى : السلوك . ج ٤ . ص ١٢١٣ ؛ ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان . ج ٤ . ص ٢٠٥ ؛ السخاوى : الضوء . ج ٣ . ص ١٨ . رقم ٥٤٧ ؛ وجيز الكلام . ج ٣ . ص ٩١٤ ؛ الذيل التام . ج ٢ . ص ٣٣٨-٣٣٧ ؛ عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل . ج ٧ . ص ٢٧٥ .

(٢٣٠) السخاوى : الضوء اللامع . ج ٣ . ص ١٣٨ . رقم ٥٤٧ ؛ وجيز الكلام . ج ٣ . ص ٩١٤ ؛ الذيل التام . ج ٢ . ص ٣٣٨ ؛ عبد الباسط بن خليل : نيل الأمل . ج ٨ . ص ١٦٩ .

(٢٣١) وثيقة وقف رقم ٢٣١ ملف ٢٦ . دار الوثائق القومية بالقاهرة ؛ انظر محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة . ص .

(٢٣٢) وثيقة رقم ٣٧٠ حج أرشيف وزارة الأوقاف بتاريخ ٥ ذو الحجة ٩٠٩ هـ . وثيقة رقم ٥٥٣ حج أرشيف وزارة الأوقاف بتاريخ ١٨ رجب ٩١٤ هـ انظر : محمد محمد أمين : فهرست القاهرة . ص ٢٥١-٢٥٢ .

العثمانيون و المغول فى مذكرات أسير الحرب

يوهان شيلتبرجر ١٣٩٦-١٤٢٧م

تناولت العديد من المصادر التاريخية المعاصرة أحداث تاريخ كل من العثمانيين و المغول على أن ما رواه الأسير الألماني يوهان شيلتبرجر Johan Schiltberger فى مذكراته^١ ، بعد فى غاية الأهمية بسبب وقوعه فى الأسر لفترة جاوزت الثلاثين عاما ، جاب فيها العالمين العثماني و المغولي معا .

حدث ذلك بعد سقوطه فى أسر القوات العثمانية على إثر موقعة نيقوبوليس Nicopolis م ١٣٩٦م^١ ،التى دارت بين السلطان العثماني بايزيد الأول Beyazit I (الصاعقة Yildrem) و بين القوى الأوروبية المسيحية بقيادة ملك المجر سيجموند Sigmond . فصكت بعدها فى خدمة السلطان العثماني حتى هزيمته أمام العاهل المغولي تيمورلنك Timur Lenk فى موقعة أنقرة ١٤٠٢م^٢ . ليدخل شيلتبرجر بعدها فى طور جديد من أطوار الأسر والعبودية ، عبر التحاقه بخدمة تيمور ، حتى وفاة الأخير فى فبراير ١٤٠٥م .

بعد ذلك انتقل للعمل فى خدمة شاه رخ ، ثم إلى خدمة ابنه أيبى بكر ، الذى قام بإرساله للعمل والخدمة لدى حكام مغول القبيلة الذهبية .

حدث هذا قبل أن يتمكن شيلتبرجر من الهرب والتخلص من ريقة الأسر والعبودية . بعد نجاحه في العودة إلى وطنه ألمانيا عام ١٤٢٧م.

و هكذا عاش أسيرنا البافاري أكثر من ثلاثين عاماً ، هي مدة الأسر ، في كنف السلطين العثمانية والمغولية . الأمر الذي جعل روايته عن الأحداث السياسية والعسكرية التي عاصرها خلال تلك الأعوام ، تحمل خصوصية ومصداقية إلى حد كبير عن باقي الروايات التاريخية المتعلقة بالعثمانيين والمغول خلال فترة البحث ، على الرغم من تشوشها في بعض الأحيان .

حكى شيلتبرجر في مذكراته - التي أملاها بعد عودته إلى بلاده - عن العديد من الأحداث التي عاصرها ، وكان شاهد عيان عليها لدى العثمانيين والمغول ، وكذا عند المسالك والأرمن أيضاً ، الذين ساقته الظروف إلى بلادهم ومكث بها فترات معينة .

و بالإضافة إلى ذلك ، فقد تناول العديد من الأحداث والقصص والأخبار الأسطورية التي سمع عنها ولم يشهدها بنفسه .

و يمكن القول دون مبالغة ، أن ما رواه الأسير الألماني يوهان شيلتبرجر في مذكراته يعد مصدراً أصيلاً مليئاً بالحوادث التاريخية . فلم يهتم فقط بذكر الأحداث السياسية العسكرية التي عاصرها ، بل قام برصد العادات الاجتماعية للشعوب التي عاش لسنوات في كنفها ، فضلاً عن مناعاتها الثقافية والدينية . وهو الأمر الذي يجعلنا نذكر أنه يمكن إدراج مشاهداته ورواياته ضمن إطار ما يمكن تسميته بالأنثروبولوجيا الثقافية للمعصور الوسطى.

وسوف يهتم هذا البحث بالتركيز على الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والأنثروبولوجية التي تناولها في المجتمعين العثماني والمغولي إبان فترة الأسر ، دون التطرق إلى رؤيته وانطباعاته عن الدين الإسلامي والمسلمين ، وهو ما يستحق أن نقره له بحثاً منفصلاً .

غادر يوهان شيلتبرجر منزله القريب من مدينة ميونخ عام ١٣٩٤م ، برفقة سيده الألماني الأمير لينهارت ريتشارتجر Leinhardt Richartinger^{١١١} ، بهدف محاربة الأتراك العثمانيين استجابة لمناشدة الملك المجرى سيجموند الذي زحف بجيش يتألف من آلاف المجرين والبلفار ، فضلاً عن مئات الفرسان الفرنسيين والإنجليز ، عبر المنطقة المعروفة باسم البوابة الحديدية Iron Gate^{١١٢} ، قبل أن يعبر نهر الدانوب ويستولي على مدينة بودم Pudem عاصمة بلغاريا من قبضة العثمانيين ، متخذاً طريقه لضرب حصار بحري و بري ، استمر لستة عشر يوماً حول مدينة نيغوبوليس^(١١٣) .

رصد شيلتيرجر وصول السلطان العثماني بايزيد لإتقاذ المدينة و مواجهة سيجموند ، كما رصد الاستعدادات المسيحية لمواجهة العثمانيين . من ذلك تقدم سيجموند لمسافة ميل واحد عن المدينة لمواجهة بايزيد ، و ساحه لدوق والاشيا Werterwaywod باستطلاع أحوال الجيش العثماني ، الذي عاد ليبلغ الملك بأنه شاهد عشرين راية تضم كل منها عشرة آلاف رجل ^(١٣٥) .

و هو نفس العدد الذي قرره المؤرخ فرواسار Froissart الذي ذكر بأن أعداد المحاربين العثمانيين بلغ مائتي ألف مقاتل ^(١٣٦) ، و بينما ذكر أيضاً أن قوات الملك سيجموند تألفت من ٣٠ ألف مقاتل بالإضافة إلى ٧٠٠ فارس فرنسي ، فإن شيلتيرجر ذكر وجود ١٦ ألف مقاتل كانوا مع سيجموند بالإضافة إلى ٦ آلاف مقاتل فرنسي مع دوق بورجنى ^(١٣٧) .

على أن شيلتيرجر ، ربما بسبب صغر سنه ، فضلاً عن خلفيته العسكرية المتواضعة ، و دوره كتاب لسيد ، لم يذكر لنا بالتفصيل أسلوب الجيش العثماني في إدارة المعركة . على حين ذكر فرواسار أن بايزيد قام بتنظيم جيشه على هيئة أجنحة ، بحيث كانت تتقدمه فرقة مؤلفة من ثمانية آلاف جندي ، و بمجرد أن اقترب الجيش المسيحي ، قامت تلك الفرقة باستدراجه ، و حينها انقض آلاف الجنود العثمانيين من الجناحين عليهما ، حتى حلت الهزيمة بجيش سيجموند ^(١٣٨) .

على أية حال ، يبدو أن الأمير الألماني لينهارت ريتشارتنجر و برقته تابعه شيلتيرجر ، كانا قريبين من الملك سيجموند و كبار القادة المسيحيين ، إذ ذكر شيلتيرجر أن دوق والاشيا أراد أن يكون اليادي . بالهجوم على الجيش العثماني ، غير أن دوق بورجنى de coucy ناشد الملك المجرى أن يبدأ هو بالقتال ^(١٣٩) . على حين كان سيجموند يرى أن يبدأ المجرى القتال أولاً مع العثمانيين لسابق معرفتهم بأساليب قتالهم ^(١٤٠) . وعلى الرغم من ذلك اندفع دوق بورجنى لمحاربة العثمانيين ، الذين تمكوا من إيقاع الهزيمة به بعد حصاره و إجباره على الاستسلام ^(١٤١) .

عندما شاهد الملك المجرى ما حدث ، حمل على الجيش العثماني ، غير أنه أجبر على الانسحاب . و عندما حلت الكارثة بالجيش المسيحي في نيقوبوليس ، فر سيجموند إلى نهر الدانوب ، حيث نجح في الهرب على متن سفينة حملته حتى وصل إلى القسطنطينية ^(١٤٢) . بينما قتل العثمانيون الآلاف من الجنود المسيحيين الفارين من المعركة . فضلاً عن غرق المئات منهم إبان محاولتهم الهرب عبر نهر الدانوب ^(١٤٣) .

و لأن التابع شيلتيرجر كان قريباً من سيده الألماني لينهارت في ميدان المعركة ، فلم يفته أن

يشير إلى إصابة حصان سيده بسهم قاتل ، الأمر الذي أوجب عليه ضرورة تقديم حصانه إليه ، قبل أن يعود إلى موقعه مع الأتباع الآخرين . حدث هذا قبل أن تسفر المعركة عن مصرع سيده الأثماني في النهاية^(١٧١) .

و نتيجة للهزيمة الساحقة التي حلت بجيش الملك سيجموند و القوى الأوربية المسيحية في موقعة نيقوبوليس ١٣٩٦م ، فقد سقط الآلاف من الجنود المسيحيين في أسر القوات العثمانية ، إلى جانب العشرات أيضاً من النبلاء الفرنسيين^(١٧٢) .

وعلى الرغم من إشارة شيلتيرجر إلى رغبة السلطان العثماني بايزيد في قتل جميع الأسرى لولا تدخل دوق بورجنى الذى توصل للسلطان من أجل بقاء العديد من النبلاء الفرنسيين الذين يعرفهم ، و هو ما حدث بالفعل^(١٧٣) . فإنه لم يشير إلى ما أشارت إليه المصادر التاريخية المعاصرة كغرواسار و دوكاس من أن تدخل دوق بورجنى جعل العثمانيين يدركون أهمية العشرات من الأسرى الفرنسيين ، و هو ما جعلهم يوقفون عمليات القتل ، من أجل الحصول على فديات ضخمة مقابل إطلاق سراحهم ، بينما تم قتل باقى الجنود العاديين^(١٧٤) .

و الحقيقة أن الأسرى من النبلاء الفرنسيين في موقعة نيقوبوليس كانوا يرتدون ملابس فاخرة ميزتهم عن باقى الجنود ، فتحت المحافظة على حياتهم بواسطة العثمانيين التواقين إلى الحصول على أموال طائلة^(١٧٥) .

و لكى يتأكد السلطان العثماني بايزيد بنفسه من هويتهم ، قام بإطلاق سراح الفارس الفرنسى جاك دى كريك Jacques de Crequy ، سير هيللى Sire de Heilly ، الذى يجيد اللغة العثمانية - بفضل عمله من قبل في خدمة السلطان العثماني قبل العودة لمحاربة العثمانيين في نيقوبوليس - من أجل التعرف على شخصيات النبلاء الفرنسيين .

و هو الأمر الذى حدث بالفعل ، إذ عاد دى كريك ليخبره بأنهم من أعلى الطبقات الاجتماعية فى فرنسا .ومن جانب آخر فإن النبلاء ناشدوه أيضاً إخبار السلطان بأنهم يستطيعون دفع فديات عالية مقابل الحفاظ على حياتهم^(١٧٦) .

و على الرغم من سقوط شيلتيرجر فى الأسر العثماني لست سنوات تالية حتى العام ١٤٠٢م ، فضلاً عن قربه من البلاط العثماني ، فإنه لم يشير أيضاً إلى المفاوضات التى جرت بين السلطان بايزيد و القوى الأوربية من أجل اقتداء أسرى نيقوبوليس .

إذ أنه بات من المعروف أن بايزيد قد أطلق سراح الفارس جاك دي كريك في الصباح التالي للمعركة حتى يرحل لمقابلة ملك فرنسا ، حيث وصل إلى باريس ليلة عيد الميلاد عام ١٣٩٦م . وبعد مفاوضات طويلة تم دفع الفدية التي تم تحديدها أولاً بمليون فرنك ، ثم مائتي ألف فلورين ، بعد أخذ تعهد عليهم بالإقامة في مدينة البندقية حتى استكمال دفع الفدية التي وصلت في النهاية إلى مائة وأثنين وسبعين ألف فلورين ، ثم دفعها في شهر فبراير من العام ١٣٩٧م ، ليتم تحرير الأسرى بعد ذلك في شهر يونيو من نفس العام^(١٣٧) .

و هناك مثال آخر على عدم اهتمام شيلنبرجر بذكر و متابعة أحوال الأسرى من النبلاء الفرنسيين الذين جرى تحريرهم ، فقد أغفل تماماً الإشارة إلى وجود النبيل الفرنسي الشهير المارشال بوسيكوي Bouciquoi ، ضمن الأسرى الذين عرضوا عراة الصدور أمام السلطان العثماني^(١٣٨) ، و كان من المفروض أن يتم إعدامه كالأسرى الباقين .

غير أنه مجرد أن رآه إيرل ناغار ، توجه مباشرة للسلطان العثماني وخر ساجداً أمامه ، متوسلاً إرجاء تنفيذ حكم الإعدام في بوسيكوي ، بوصفه فارساً عظيم الشأن في فرنسا . و أن السلطان يستطيع أن يجلب من وراءه إطلاق سراح أقدية كبيرة . و هكذا استجاب بايزيد لطلبه ، لينتقل بوسيكوي بعدها للمجلوس وسط النبلاء الفرنسيين الذين تم إنقاذ حياتهم^(١٣٩) .

و تتبع أهمية إطلاق سراح النبيل بوسيكوي من كونه لعب دوراً خطيراً ضد العثمانيين فيما بعد ، إبان حصار السلطان العثماني بايزيد للقسطنطينية ١٣٩٦-١٤٠٢م ، فقد أرسله الملك الفرنسي شارل السادس Charles VI (١٣٨٢-١٤٢٢م) لمساعدة الامبراطور البيزنطي مانويل باليولوغس Manuel Palaologus (١٣٩١-١٤٢٥م) ضد العثمانيين .

و بالفعل نجح المارشال بوسيكوي في كسر طوق الحصار البحري الذي فرضه العثمانيون على القسطنطينية ، كما نجح في التسلل إليها ليقود عمليات دفاع ناجحة عن المدينة ، وهو ما ساهم في إفشال الحصار الذي قام به السلطان بايزيد^(١٤٠) .

و بعيداً عن النبلاء الفرنسيين الذين تم حصرهم وتسجيلهم من أجل الحصول على فديات عالية مقابل إطلاق سراحهم ، فإن الاتجاه الغالب لدى العثمانيين ، كان قتل جميع الأسرى الباقين . حيث يذكر شيلنبرجر أن السلطان بايزيد أمر الجنود العثمانيين بعيد انتهاء المعركة «بضرورة إحضار الأسرى الأوربيين الذين كانوا يحوزهم وأعدامهم . و أنه كان حاسماً في هذا الأمر لدرجة أنه كان يعين جندياً بدلاً للجندي الذي رغب عن قتل أسراه^(١٤١) .

وهكذا تم جمع الأسرى الباقين عراة الصدور أمام السلطان العثماني الذي أصدر أمره بإعدامهم جميعاً .

وصف شيلتيرجر عملية إراقة الدماء التي استمرت حسب كلماته " من الصباح حتى صلاة المساء (المغرب) حيث تم إعدام عشرة آلاف أسير " . واسترعى انتباهه أن ما حدث قد أثار عطف مستشاري السلطان بايزيد ، فتوسلوا إليه أن يوقف سفك الدماء ، وأن يكظم غضبه إرضاءً لله ، حتى لا يحل عليه عقابه نتيجة كثرة الدماء التي أمر بإهراقها ^(١٢٨) .

و الحقيقة أن قيام السلطان العثماني بايزيد بإعدام الأسرى الأوربيين في نيقوبوليس كان بمثابة رد فعل على تصرف القوى الأوربية المسيحية ضد الأسرى المسلمين . بعد قيام الكونت دي نافار و ملك المجر بإعدام جميع الأسرى المسلمين بعيد سقوط راهوفا Rahoma ^(١٢٩) . و هو الأمر الذي أثار غضباً عارماً لدى السلطان بايزيد ، مما دفعه لاتخاذ ذلك التصرف ضد الأسرى المسيحيين .

ولم تكن تلك هي السابقة الوحيدة في التاريخ الأوربي الوسيط ، فقد قام بعد ذلك الملك الإنجليزي هنري الخامس Henri V (١٤١٣ - ١٤٢٢ م) بإعدام الأسرى الفرنسيين لديه بعيد معركة أزينكورت Azincourt ١٤١٥ م .. ^(١٣٠)

كما أشار شيلتيرجر أيضاً إلى أن العرف الموجود لدى العثمانيين ، والقاضي بعدم إعدام الأسرى الذين يقل سنهم عن العشرين ، قد منحه الحياة . فقد كان لم يتجاوز السادسة عشر عاماً بعد ، وهو ما دعا ابن السلطان بايزيد لضمه حيث الصبية الآخرين ، فالتحق بحاشية السلطان العثماني كخادم أو جندي مراسلة runner ^(١٣١) .

غير أن بعض التشوش يدخل على حديث شيلتيرجر ، الذي يذكر أنه بعد استمراره في عمله غير العدو أمام السلطان لست سنوات ، فإنه قد أصبح جديراً بأن يركب جواداً لست سنوات أخرى ^(١٣٢) . و هو ما يجافي الحقيقة لأنه بنهاية السنوات الست الأولى ، سقط شيلتيرجر في أسر تيمورلنك بعد هزيمته للسلطان بايزيد في موقعة أنقره ١٤٠٢ م ^(١٣٣) .

على أية حال ، تابع شيلتيرجر رحلته مع أسرى معركة نيقوبوليس الذين لم يتم إعدامهم ، فذكر أنه تم إرسالهم أولاً إلى مدينة أدرنة Adrianople ، ثم إلى مدينة غاليبولي Gallipolis ^(١٣٤) قبل أن يستقروا في العاصمة العثمانية بورصا Brusa .

و اعترافاً من السلطان العثماني بايزيد بلدرم بقتل كبار السن من الأسرى ، جعل إقامتهم في أدرنه داخل إحدى القلاع ، وفي بورصا في أحد القصور ، قبل أن يتم نقلهم بعد ذلك إلى مدينة Mikaleditch (قراجابك Karacabey)^(٣٨١) .

بعد ذلك أشار شيلتيرجر إلى عادة السلاطين العثمانيين في إرسال الأسرى المسيحيين كهدايا ، تعبيراً عن النصر ، إلى باقي الممالك الاسلامية . فذكر أن بايزيد أرسل ستينا من الأسرى للسلطان المملوكي الظاهر برفوق (١٣٩٠ - ١٣٩٩ م) بالقاهرة . و أنه كاد أن يرسل في معية هؤلاء الأسرى ، لولا إصابته بجروح خطيرة في معركة نيقوبوليس^(٣٨٢) . ليدفع به القدر إلى حاشية السلطان العثماني .

و لدينا مصدر تاريخي يتحدث عن وجود هؤلاء الأسرى في مصر ، هو ما كتبه البندقي مانويل بيلوتي Emmanuel Piloti ، الذي أشار إلى إرسال العثمانيين لمائتين من أسرى نيقوبوليس للسلطان المملوكي . و أنه رأى بنفسه أولئك الأسرى من الفرنسيين و الايطاليين وغيرهم . و حسب كلماته " ... لقد رأيتهم جميعاً في قصر السلطان بالقاهرة ، و تحدث معهم و كانوا جميعاً من الشبان حسنى الحلقة ، الذين تم اختيارهم بعناية"^(٣٨٣) .

على أن جين ريتشارد Richard J. يرى أنه من الضروري أن تصدق رواية شيلتيرجر حول إرسال السلطان العثماني لستين صبياً فقط إلى البلاط المملوكي في القاهرة ، و أن الباقيين الذين شاهدتهم بيلوتي إنما كانوا من المماليك الآخرين للسلطان الظاهر برفوق^(٣٨٤) .

ويبدو هنا منطقياً في ظل شهادة شيلتيرجر ، ويفضل معرفتنا بوجود العديد من الأسرى الأوربيين في البلاط المملوكي:

بعد أن استقر شيلتيرجر في حاشية السلطان بايزيد بدأ في رصد التطورات السياسية والعسكرية للعثمانيين . فأشار إلى ما حدث في العام التالي لأسره من صراع ما بين السلطان بايزيد و صهره علاء الدين القرمانى انتهى بمقتل الأخير بعد موقعة آق جاي Ak Schay عام ١٣٩٧م^(٣٨٥) .

و على الرغم من تعرضه لتفصيلات عديدة فإن شيلتيرجر لم يتناول جوهر الصراع بين العثمانيين و القرمانيين الذي بدأ قبل ذلك منذ وقت بعيد . فقد ورث القرمانيون سلاحه قونية في الوقت الذي حاول فيه العثمانيون إقامة نظام حكم مركزي خاضع لهم في الأناضول . و هو ما دفعهم إلى الإطاحة بكافة الأسر التركمانية الحاكمة^(٣٨٦) .

و هكذا فإن تقاطع الأحداث بين العثمانيين و القرمانيين كان قد ساهم فى نشأة الصراع بينهما منذ عهد السلطان العثمانى مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩م) ، حيث استغل علاء الدين القرماني إنشغال السلطان مراد بتقوية جبهته الأوربية وقام بالاستيلاء على بعض الأقاليم التابعة للعثمانيين فى الأناضول . فما كان من السلطان مراد سوى العودة وحاصر علاء الدين القرماني فى قونية ، قبل أن يلتقى الجيشان فى معركة Efrank - Yazizi عام ١٣٧٨م ، حيث دان النصر للعثمانيين ، وهو ما دفع علاء الدين للتفاوض مع حبيه مراد الأول ، الذى وافق على الصلح^(١١) .

وبعد مصرع السلطان مراد الأول فى موقعة كوسوفو الأولى ١٣٨٩م ، قام علاء الدين بمحاولة جديدة لتقويض " Travels " ، pp.8-9 و القرمانيين ساهم فى نشأة الصراع بينهما منذ عهد السلطان العثمانى مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩م) ، أما السلطة العثمانية المركزية فى الأناضول ، فاستغل انشغال السلطان بايزيد بن مراد بحصار مدينة القسطنطينية ليقوم بالاستيلاء على مدينة أنقرة Angora عام ١٣٩٧ م ، و أسر أميرها تيمور طاش Timur Tas . و هو ما دفع بايزيد إلى الرحيل عن أسوار القسطنطينية والعودة عسراً إلى عاصمته بورصا من أجل حمايتها و الاستعداد للملاقاة القرمانيين .

خشى علاء الدين القرماني من عواقب مواجهة العثمانيين . فأرسل سفارة لتهدئة السلطان بايزيد ، و زيادة فى إبداء الود قام باطلاق سراح تيمور طاش . غير أن السلطان العثمانى كان قد اتخذ قراره بالحرب . وبالفعل نجح العثمانيون فى هزيمة القرمانيين فى السهل المواجه لمدينة قونية ، مما دفع علاء الدين إلى الهرب إليها .

و بعد حصار دام عدة أسابيع ، إستولى العثمانيون على المدينة و قاموا بأسر علاء الدين القرماني . ليأمر تيمور طاش أمير أنقرة بقتله بسرعة ، قبيل وصول السلطان بايزيد .

و يذكر شيلتيرجر رواية غير دقيقة عن مقتل علاء الدين القرماني ، مفادها أن بايزيد غضب بشدة لمقتل صهره ، وأمر بقتل من قام بذلك . غير أن ذلك لا يتسق مع حديثه بعهد ذلك ، وكذا أمره . بأن ترفع رأس علاء الدين القرماني على رمح ليطاف بها فى باقى أنحاء البلاد^(١٢) .

و تابع شيلتيرجر خضوع مدينة قونية للسلطان بايزيد ، و خروج أخته وولديها لمقابلته بقراره بإرسالهم إلى العاصمة العثمانية بورصا .

و ما لم يشر إليه شيلنبرجر ، وربما كان ذلك بسبب انتقاله إلى الأسر المغولي ، أن هذه المعركة لم تقض تماماً على القرمانيين ، بل أنهم نجحوا بعد ذلك في استغلال هزيمة بايزيد في موقعة أنقرة ليعتدوا بحالفهم مع تيمورلنك من أجل استعادة ممتلكاتهم السابقة من قبضة العثمانيين ، خاصة بعد قيام تيمورلنك بالإفراج عن ولدي علاء الدين القرماني وتشبيتها على إمارة قرمان ، بعد أن طلب منهما إعلان التبعية السياسية له عبر إقامة الخطبة وضرب السكة باسمه^{١٤٣} .

عرج شيلنبرجر بعد ذلك إلى الإشارة إلى العلاقات العثمانية المملوكية ، فجاءت رواياته متفقة مع العديد من المصادر المملوكية التي تحدثت عن اجتياح السلطان العثماني بايزيد لمدينة مطية التابعة للمماليك في ١٣٩٩م ، فذكر إرسال السلطان بايزيد رسالة للسلطان برقوق بأمره قبها بتسليم مطية بوصفها من ممتلكات العثمانيين ، و إزاء رفض السلطان المملوكي لذلك ، توجه إليها مع مائتي ألف مقاتل ، لتسقط المدينة بعد حصار دام شهرين^{١٤٤} .

ولد استيلاء بايزيد على مطية كراهية و توجساً لدى المماليك من أطماع العثمانيين ، لدرجة أن السلطان برقوق رفض عرض السلطان العثماني بايزيد بمساعدته بعد ذلك بعدة سنوات في مواجهته مع تيمورلنك^{١٤٥} ، و أثر عنه قوله " ما أخشى من تيمورلنك ، فإن كل أحد يساعدني عليه.. و إنما أخشى من بني عثمان"^{١٤٦} . <http://Archivebeta.com>

و هكذا حدث لدى السلطة المملوكية في مصر شعور عام بالاستياء مما فعله العثمانيون ، دعمه الرأي الذي ردهه ابن خلدون إمام المالكية في القاهرة آنذاك ، حيث ورد على لسانه " لا تخشوا على ملك مصر إلا من أولاد ابن عثمان ، و أشدهم بايزيد الذي تسلطن "^{١٤٧} .

و يخطف شيلنبرجر حين يذكر أنه بعيد وفاة السلطان المملوكي الظاهر برقوق ، خلفه ابنه يوسف ، لتجد أن السلطان فرج هو الذي خلف أبيه . قبل أن تستقيم روايته من جديد ليذكر أن السلطان الجديد طلب مساعدة العثمانيين العسكرية لمواجهة اضطرابات داخلية . فأرسل له السلطان بايزيد عشرين ألف رجل ، كان من بينهم شيلنبرجر نفسه ، نجحوا في تثبيت السلطان فرج على سدة العرش المملوكي^{١٤٨} .

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإنه يجب ملاحظة أن بعض روايات شيلنبرجر تبدو غير مرتبة زمنياً من ذلك ذكره لنجاح السلطان العثماني بايزيد في الاستيلاء على سيسطية (سيواس) . بعد نجاح ابنه الأمير محمد في دخولها و طرده حاكمها برهان الدين^{١٤٩} .

والحقيقة أن السلطان بايزيد قد استولى على سيسطية عام ١٣٩٦م ، وذلك بناء على طلب أهلها بعد مصرع صاحبها القاضي برهان الدين على يد قراييك التركمانى ، الذى اتجه للتحالف مع تيمورلنك . كما أن ابنه الأمير سليمان هو الذى نجح فى دخول المدينة ^(١٤١) .

و فى متابعة لأحوال مدينة سيسطية ، رصد شيلنبرجر أيضاً اجتياح القوات المغولية لها عام ١٤٠٠م . وقتلهم الآلاف من سكانها ، وذلك عبر دفنهم أحياء تحت التراب ^(١٤٢) . بعدما سبق أن منحه تيمورلنك الأمان ، وتعهد لحاكم المدينة بعدم إراقة دماحم .

و لم يظن الفارس الألمانى إلى أن القتل دون إراقة الدماء ، هى عادة تركية و مغولية قديمة ، احتفظوا بها بعد دخولهم الإسلام . و تعود تلك العادة إلى أنهم كانوا يقدسون الأرواح . ويعتقدون أن روح الإنسان تسكن فى دمه . فكانوا يحرصون على عدم إراقة الدماء حتى لا تزهق الروح معها ^(١٤٣) .

كان من الطبيعى أن يعانى شيلنبرجر من جوارح الأسمر و العبودية لدى العثمانيين ، و هو ما جعله يفكر فى الهرب من هذا المصير . فأخبرنا أنه قد اعترضه الفراه ضمن ستين أسيراً مسيحياً ، هربوا إلى أحد الجبال ، قبل أن تستعيدهم قوة عثمانية ، ليأمر السلطان بايزيد بإعدامهم ، لولا شفاعته أحد القادة العثمانيين الذى وعدهم بحماية أرواحهم . وهكذا تم إلقاؤهم فى السجن لتسعة أشهر حتى مات بعضهم . و عندما حل أحد الأعياد الإسلامية تشفع فيهم الأمير سليمان بن بايزيد فتم إطلاق سراح الباقين ، بعد وعد منهم بعدم تكرار محاولة الفرار ثانية ^(١٤٤) .

على أن أهم الأحداث العسكرية التى عاصرها شيلنبرجر إبان فترة الأسر العثمانى ، والننى مثلت له فى نفس الوقت نقطة تحول فاصلة ، كانت حضوره لمعركة أنقره ^(١٤٥) التى دارت بين السلطان بايزيد و العاهل المغولى تيمورلنك ، حيث نجح الأخير فى إلحاق هزيمة ساحقة بالسلطان العثمانى وأسره ، ورفقته رجال حاشيته ، الذين كان من بينهم بطبيعة الحال الأسير الألمانى يوهان شيلنبرجر .

والحقيقة أن وجود الأخير فى معية بايزيد قد جعله ينتبه إلى مقدمات الحرب وأسبابها بين العاهلين المسلمين ، فأشار إلى غزو السلطان العثمانى لمدينة أرتزنجمان Erzencen بأرمينيا الصغرى . و استنجا أمبرها تخربتين Teherten بتيمورلنك ^(١٤٦) ، وكذا رقص بايزيد بإعادتها ، مما تسبب فى حتمية نشوب معركة أنقره .

غير أن شيلتيرجر لم يتطرق للجهود الدبلوماسية التي سبقت ذلك الصدام ، حيث أرسل تيمور لبايزيد يطالبه بتسليم قلعة كماخ ، وكذا تسليمه أعداءه القارين لديه ، قرأ يوسف التركمانى ، والسلطان أحمد بن أوس الجلالتى^(١٤١) . غير أن السلطان العثمانى رفض ذلك مما أدى إلى نشوب المعركة و هزيمته فى النهاية .

و نظراً لأن شيلتيرجر كان شاهد عيان على هذه المعركة ، فإننا نجد روايته عنها تتصف بالصدقية الواضحة ، فقد أشار إلى انضمام القوات المغولية الموجودة فى الجيش العثمانى إلى قوات تيمورلنك . كما رصد فرار قوات الإمارات التركمانية : أيدين ، منتشا ، صاروخان ، جرميان ، من الميدان . كما أنه يعد المصدر التاريخى الوحيد الذى أنقره باشتراك تيمورلنك لإثنين و ثلاثين فيلاً مدرباً على القتال فى معركة أنقره^(١٤٢) . و يبدو أن الأخير قد تعرف على استخدام الأفيال فى المعارك نتيجة حروبه فى الهند .

كما تناول أيضاً ما حدث بعيد المعركة من أسر بايزيد ووقاته . و زحف قوات تيمور باتجاه العاصمة العثمانية بورصا للاستيلاء على ثروات و خزائن السلطان العثمانى^(١٤٣) .

أما أبرز نتائج موقعة أنقرة ١٤٠٢م على الصعيد الشخصى بالنسبة للأسير يوهان شيلتيرجر فكان انتقاله من العمل فى خدمة و حاشية السلطان العثمانى المهزوم بايزيد ، إلى خدمة و حاشية السلطان المغولى المنتصر تيمورلنك^(١٤٤) .

و يتصف شيلتيرجر بأمانته فى سرد الأحداث التى عاصرها . و هو ما يحدث فارقاً بين روايته للأحداث التى شهدتها بنفسه ، وتلك التى سمع عنها . من ذلك ما مجده لدى حديثه عن العلاقة بين سيده الجديد تيمورلنك و دولة الماليك فى مصر و الشام . فعلى الرغم من عدم تطرقه لمجزور العدا . بينهما ، فإنه عرض لما سمع به من اجتياح تيمورلنك لبلاد الشام و تدمير مدينة حلب ١٤٠٠م . كما أنه بالغ فى تقدير عدد جيش تيمور و أعداء المدافعين عن المدينة . فضلاً عن أنه لم يشر إلى المقاومة الشديدة التى أبدتها دمرداش قائد قلعة حلب ، و كذا لم يذكر فظائع تيمور مع سكان المدينة التى لم تغفل عنها المصادر التاريخية العربية و الفارسية و العثمانية^(١٤٥) .

بعد ذلك أشار شيلتيرجر إلى استيلاء تيمورلنك على مدن حماه ، وحمص ، ودمشق ، و إلى الفظائع التى قام بارتكابها داخلها . و يلاحظ على رواية شيلتيرجر حول تلك الأحداث ، على الرغم من أنه سمع عنها ولم يشهدها بنفسه ، أنها تكاد تتطابق مع المصادر التاريخية المعاصرة^(١٤٦) .

باستئنا - بعض التفاصيل المهمة مثل ذكره أن السلطان فرج بن برقوق طلب من تيمور عند حصاره دمشق ألا يعيثُ فساداً في المسجد الأموي ، و أن الأخير قد وافق على ذلك .

كما تابع شيلتيرجر أيضاً تحركات تيمورلنك و قواته من الشام إلى بغداد ، و فرار أحمد بن أوس الجلثري إلى السلطان بايزيد ، و هو ما سكن القوات المغولية من اقتحامها و سلبها ، و ارتكاب الفظائع بأهلها ^(١٣١) .

و تعرض شيلتيرجر لكيفية استيلاء أحد أتباع تيمورلنك على خراج مدينة سلطانية لحسن سنوات ، و محالفة مع صديقه أمير مازندران . و أن القوات التي أرسلها تيمور لمطاردته قد عادت دون إنجاز مهمتها بسبب الغابات الكثيفة التي تحيط بالمنطقة التي هرب إليها التابعان ^(١٣٢) .

غير أننا نجد صدى مغابراً لهذه الرواية لدى المؤرخ الفارسي خواندمير الذي تحدث عن اسكندر شيخ ، الذي شق عضاً الطاعة على تيمورلنك ، فأرسل الأخير وراً « قوة عسكرية في مطاردة طويلة ، بسبب اختياله في الغابات ، حتى نجح في القبض عليه و قتله . بينما لم يشر المصدر الفارسي إلى مسألة الهراج ^(١٣٣) .

كما انفتحت رواية شيلتيرجر حول اجتياح تيمورلنك لمدينة أصفهان ١٣٩٣ م ، و المذابح الوحشية التي ارتكبتها عند السكان و الأطفال ، بعدما قتل الآلاف منهم مع المصادر التاريخية المعاصرة ^(١٣٤) . غير أنه انفرده بذكر أن تيمورلنك أمر بقطع إبهام ١٢ ألف رام للسهام بالمدينة ، نتيجة غدر سكانها بالحامية المغولية ^(١٣٥) .

ويبدو أن ذلك الأمر لم يكن جديداً أيضاً على طرق العقاب المغولية والتركية ، إذ يمكن عقد مشابهة تاريخية بين ما فعله تيمورلنك في أصفهان في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ، و ما سبق أن فعله عماد الدين زنكي قبل ذلك في القرن الثاني عشر ، حين أمر بحز إبهامات الجرحة في حصن صور عقاباً لهم على قتل أحد جنوده ، بعد تخديرهم من ذلك ^(١٣٦) .

و من بين الأحداث التي لم يشهدنا شيلتيرجر بنفسه ، بل سمع عنها عندما كان في معية تيمورلنك ، هو تمكن الأخير من اجتياح الهند و الإستيلاء على العاصمة دهللي ١٣٩٨ م . فذكر أن الجيش المغولي سار لفترة أربعة أشهر من سمرقند حتى بلاد الهند عبر الصحراء ، و ذكر كيفية عبوره أحد الممرات الجبلية المحطرة بأن أمر تيمور بربط الخيل و البعير عبر ألواح خشبية كي تتسكن من الانخفاض حتى تتسكن من اجتيازه . كما أشار إلى أن تيمور كاد يخسر المعركة

بسبب اشتراك أربعمائة فيل مدربة على الحرب . بحيث كان على كل فيل برج خشبي بحمل عشرة محاربيين بأسلحتهم . و لما كانت خيول تيمور تخشى الأفيال فقد تراجعت في ميدان المعركة .

و لم ينته هذا الأمر الا بعد الاستماع إلى مشورة سليمان شاه ، أحد مستشاريه ، بأن تشد الأخشاب على ظهور الإبل ، و أن يتم اشعال النيران بها ، وجرى الأمر كما كان مخططاً له ، فعندما أحست الإبل بلسع النيران ، إندفعت في هجوم خاطف وعنيف على الأفيال التي اضطرت للهرب من أمامها^{١٦٨}.

و من الواضح أن السلطان العثماني بايزيد بلدرم لم يكن قد عرف بتفاصيل تلك المعركة التي جرت قبل مواجهته مع تيمورلنك بأربع سنوات . و هو ما أدى إلى جهل العثمانيين بكيفية التعامل مع الأفيال التي اشتركت إلى جانب الجيش المغولي في معركة أنقرة ١٤٠٢ م .

و على الرغم من عدم ذكر شيلشبرجر لاسم حاكم الهند ، علو ، في مذكراته ، فإن ما يحسب له أنه لم يغفل شروط الإتفاق بينه و بين تيمورلنك ، عبر حصول الأخير على مائتي كيلوجرام من ذهب الهند ، فضلاً عن كمية من الأحجار الكريمة ، مع عهد بتزويد العاهل المغولي بثلاثين ألف رجل لمساعدته في حملاته الحربية^{١٦٩}.

http://Archivebeta.Saknrit.com

غير أنه من اللافت للنظر أن شيلشبرجر ، الملازم لحاشية تيمورلنك ، لم يتحدث سوى باقتضاب و عبر سطور قليلة ، عن رغبة العاهل المغولي و مشروعه في زيادة رقعة ممتلكاته شرقاً باتجاه الصين Cathay بداية العام ١٤٠٥ م . كما لم يجهد الأسير الألماني نفسه في توضيح خلفيات العلاقة بين تيمورلنك و بين إمبراطور أسرة مينج Ming بالصين Ching Tsu (١٤٠٣ - ١٤٢٥ م) ، الذي سبق أن أرسل سفارة قبل ذلك بعامين إلى تيمورلنك تطلب منه سرعة تسديد الضريبة السنوية التي كان يقوم بدفعها للصين^{١٧١} . خاصة وأن انشغال الأخير بحملاته ضد الأتراك العثمانيين في بلاد الأناضول و ضد الماليك في بلاد الشام ، كان قد عطل إرسال تلك الضريبة لسبع سنوات .

و يمكننا أن نجد صدق تلك السفارة عبر ما سطره المبعوث الأسباني كلافيخو Clavijo مبعوث الملك القشتالي هنري الثالث (١٣٩٠ - ١٤٠٦ م) إلى بلاط تيمورلنك ، الذي رصد في مذكراته أن السفراء الصينيين كانوا يجلسون على مقاعد عالية عن تلك التي جلس عليها هو ورفاقه داخل البلاط المغولي . كما لفت نظره أنه ، نتيجة لحقن تيمورلنك على الإمبراطور الصيني و

رغبته في شق عصا الطاعة، فضلاً عن عدم دفع الضريبة المتوجبة عليه ، فإن العاهل المغولي عاد وأمر بأن يجلس كلابخو ورفاقه على مقاعد أعلى من تلك التي جلس عليها أفراد السفارة الصينية^(١٣١).

و في تعبير واضح عن نوايا تيمور تجاه الصين، فقد أسر للسفير الأسياني بكرهيته للإمبراطور الصيني بسبب غطرسته ، لدرجة وصفه بأنه لص و شرير ، وأنه بمثابة عدو له .

كما لاحظ كلابخو أيضاً أن المغول كانوا يستهزئون بامبراطور الصين ، وأطلقوا عليه لفظ Tanguz . أي المختزير باللغة التركية الجغظانية^(١٣٢).

و على أية حال ، أشار شيلتيرجر إلى أن سيده تيمورلنك قد شق عصا الطاعة على الإمبراطور الصيني . فتشاور مع أمرائه على ضرورة الخروج بحملة عسكرية للرد على غطرسته . وكذلك من أجل تحقيق مشروعه وضم الصين إلى امبراطوريته . شيو أنه يشير في مبالغته واضحة ، إلى أن العاهل المغولي قاد جيشاً مؤلفاً من مليون و ثمانمائة ألف رجل في حملته لغزو الصين^(١٣٣). ساروا لمدة شهر كامل قبل أن يشعروا في اجتياز صحراء جليدية يقتضي اجتيازها سبعون يوماً . ثم تستطع الجحافل المغولية السير عبرها سوى عشرة أيام فقط ، بسبب الجليد والبرودة القارصة ، فضلاً عن مقتل العديد من الرجال ، وكذا نفوق الخيول والماشية : وهو ما دفع تيمور إلى اتخاذ قراره بالتوقف عن المضي في حملته .

ومن الواضح أن شيلتيرجر لم يكن موجوداً بنفسه في حملة تيمورلنك على الصين ، و لهذا فإنه لم يقدّم بتغطيتها بشكل كاف . إذ يذكر المؤرخ الفارسي خواندمير أن تيمور خرج من سمرقند بجيش يبلغ ثمانمائة ألف رجل من المشاة والفرسان ، وأبان عبورهم الصحراء الجليدية فاجأتهم الأمطار الغزيرة، فكان من الطبيعي أن يتوقف تيمور ، ليأمر بعض أمرائه بالتوجه إلى طشقند لاجتياز الإمدادات والمؤن والحبوب^(١٣٤).

و مرة أخرى في الطريق من أتق صولات Aqsuist إلى أوترار Otrar هبت العواصف الجليدية والأمطار الغزيرة التي حولت الجبال والوديان إلى ما يشبه البحار . و نتيجة لهذا البرد القارس، والجليد اللاتهامي ، فقد العديدون من رجاله الكثير من أصابع أطرافهم^(١٣٥).

و عند ذلك الحد توقف تيمور ، غير أنه قام بمحاولة أخيرة لاستطلاع الطريق ، فأرسل الأمير موسى كمال مع آخرين من أجل بحث إمكانية مواصلة المسير ، غير أنهم عادوا ليخبروه باستحالة اجتياز الصحراء الجليدية . و عندها فقط قرر تيمورلنك العودة عن غزو الصين^(١٣٦).

و قد توافق ذلك مع ما ورد لدى ابن عريشاه ، فعلى الرغم من كراهيته لتيمورلنك ، فإنه وجد تبريراً واقعياً لفشل حملة تيمورلنك على الصين بفضل الطقس القارس إذ ذكر : "... وأصبحت مشارق الأرض و مغاربا من الثلوج المنقضة ... بحر صاغه الله من الفضة " (١٧١).

وكان من الطبيعي أن يتناول شيلنجر مسألة وفاة سيده تيمورلنك ، غير أنه لم يهتم بذكر تاريخ وفاته . كما أنه عزى موته لثلاثة أسباب هي هروب تابعه السابق بالحراج ، و خيانة صغرى زوجاته له ، ثم حنقه بعد قيامه بقتلها (١٧٢).

ويمكننا أن نشير إلى أنه من الغريب بالنسبة لشخص أجنبي عاش لأكثر من عقدين في المجتمع المغولي ألا يتعرض بشكل عام لقوانين المغول حول عفة النساء ، و الحياة الزوجية ، و عقاب الزانية والزاني . و هو الأمر الذي أفاض فيه الرحالة الغربيون أمثال بيانو كاريني Plano Carpini و ماركو بولو Marco Polo (١٧٣).

و إذا كان خواندمير قد ذكر أن تيمورلنك قد تزوج إبان حياته بثمانى عشرة زوجة (١٨٠) ، بينما أشار كلايفيو إلى وجود ثمانى زوجات للمعاهل المغولى (١٨١) ، فيبدو أن أسيرنا الألماني الذي كان في حاشية تيمورلنك قد لاحظ أن ذلك العدد قد تقلص إلى ثلاث زوجات فقط عندما وافق المتنبه سيده (١٨٢).

كما أن شيلنجر لم يحدد مكان دفن تيمورلنك بدقة ، فلم يذكر سوى أنه دفن في سمرقند بعد جنازة مهيبه . بينما يذكر خواندمير أنه تم نقل جثمان تيمورلنك من أوترار حيث مات إلى العاصمة سمرقند ليوارى التراب في خانقاه أمير زاده محمد سلطان (١٨٣).

و هكذا ، فعلى الرغم من إشارة وليم روبروك William of Rubruck قبل ذلك بقرن و نصف إلى أن مكان دفن الشخصيات الهامة لدى المغول كان يجب أن يظل مجهولاً (١٨٤) ، فيبدو أن هذا العرف قد تغير بعد ذلك ليصبح قبر تيمورلنك في سمرقند مزاراً معروفاً حتى اليوم .

على أية حال ، لم يبد شيلنجر أى عاطفة تجاه موت سيده الثانى في رحلة الأمر الطويلة ، غير أنه أشار إلى رواية يذكر أنها حدثت بعيد دفن جثمان تيمورلنك ، لم يجد لها الباحث صدى في بالى المصادر التاريخية المعاصرة ، سوى في مصدر أرمني وحيد يتحدث عن تاريخ تيمورلنك و خلفائه ، تتعلق بسماع شيوخ الخانقاه التى دفن فيها جثمانه صوت عواء ليلي من مدفن تيمور

لدة عام كامل . ويضيف شيلتيرجر أن أصدقاء تيمور قاموا بإخراج الصدقات حتى يتوقف هذا الصوت . غير أن ذلك كان بلا جدوى . فتست الاستعانة بالفقهاء ، الذين طلبوا من أبناء تيمور ضرورة إطلاق سراح جميع الأسرى من الحرقين ، الذين سبق أن قام تيمورلنك بإحضارهم قسراً للعمل في العاصمة سمرقند . و ما أن تم ذلك ، حتى توقف صوت العوا ، بالخانقاه^(١٨٦) .

و يبدو أن شيلتيرجر ، المسيحي الكاثوليكي ، الذي عاش شطراً من حياته فيما بعد في بلاد أرمينيا ، كان قد استمع إلى هذه الرواية لدى حديثه مع بعض أصدقائه من الأرمن^(١٨٧) . الأمر الذي جعلها تتردد لدى المؤرخ الأرميني Tovma Metsobets في القرن الخامس عشر الميلادي . الذي ذكر أن " تيمور القدر قد عاد إلى بلاده و مات بها كالكلب ، و ظل بعد ذلك يعوى ، قبل نقل جثمانه ووضعه في النار ، ثم بعد ذلك جرى تقريره عبر الماء ، و لم يتوقف ذلك العوا . الغضب لفترة طويلة " (١٨٧) .

و عندما أنهى شيلتيرجر حديثه عن تاريخ تيمورلنك^(١٨٨) ، عاد مرة أخرى إلى التشوش الذي لازمه عند الحديث عن سنوات الأسر لدى المغول . فذكر أنه " روى كل ما شاهدته و سمعته خلال الستة أعوام التي قضاها مع تيمورلنك " . غير أننا نعرف أنه لم يكتف في كنف تيمور سوى أقل من ثلاث سنوات ، و هي الفترة الفاصلة ما بين شهر يوليو عام ١٤٠٢م حيث معركة أنقرة ، و شهر فبراير عام ١٤٠٥م حيث توفي العاهل المغولي .

خلف تيمورلنك بعد وفاته ولديه شاه رخ على مملكة خراسان و عاصمتها هراة ، و ميران شاه الذي حكم مملكة تبريز Taurus و بلاد فارس . فالتحق شيلتيرجر أولاً بخدمة الابن الأكبر شاه رخ^(١٨٩) ، و هكذا فإنه لم يغفل الصراع العسكري الذي دار بين قرا يوسف التركماني حاكم كردستان و أرمينيا الصغرى و ميران شاه ، الذي استنجد بأخيه ، فأمده شاه رخ بقوات مكنته من طرده . و هو ما مكن شاه رخ من الإستيلاء على بلاد التركماني ، و منحها لأخيه ميران شاه قبل أن يعود إلى خراسان ، تاركاً خلفه عشرين ألف رجل لمساعدته ، كان من بينهم الأسير الألماني يوهان شيلتيرجر^(١٩٠) .

و بعد عام واحد قام قرايوسف بهزيمة ميران شاه و أسره في سهل كراباخ بأرمينيا . و قسر لنا شيلتيرجر سبب قيام قرايوسف بقتل ميران شاه بعينه ذلك ، بدعوى أن الأخير قام بقتل أخى قرايوسف ، الذي سبق له أن قتل أحد إخوة ميران شاه الذي كان يدعى Zychanger (أجهانجهير)

وهو نفس ما ورد لدى المؤرخ الفارسي شرف خان البديلي الذي أشار إلى نجاح قرا يوسف في النهاية في قتل ميران شاه والاستيلاء على أرضه^(١٧١).

بعد ذلك انتقل شيلنبرجر إلى خدمة أبي بكر بن ميران شاه لفترة أربع سنوات حسيماً ذكر ، ولم تفته الإشارة إلى القوة الجسدية الواضحة لسيده الجديد متفقاً في ذلك مع ما ورد لدى ابن عريشاه^(١٧٢).

و بينما كان لدى سيده الجديد ، أشار شيلنبرجر إلى وجود الأمير التتري جكرة أوغلان Tchekre ، برفقة أبي بكر بن ميران شاه قبل أن تصله سفارة من القبيلة الذهبية تطالبه بالعودة لتولي شئون الحكم بها^(١٧٣).

و ما لم يذكره أسيرنا الألماني أن جكرة أوغلان كان من سلالة أوروس خان المعادية لأسرة طغتمش الحاكمة آنذاك^(١٧٤) . هو ما دعاه للجوء إلى بلاط الأمير أبي بكر . حدث هذا قبل أن يرسل إليه الأمير التتري إديجاي Edigi ، الذي كان يعد شخصاً ذا مرجعية هامة لدى القبيلة الذهبية ، سفارة تدعوه للعودة إلى العاصمة سراي من أجل تصببه خاناً جديداً هناك .

و على الرغم من إشارة شيلنبرجر إلى التقليد السياسي التتري الذي يقضى بضرورة وجود مرجعية عليا من سلطتها تعيين الخان وخلعه ، كما تحتفظ أيضاً بسلطة كبير على أتباعها^(١٧٥) ، فإنه قد أغفل الدور الكبير الذي لعبه الأمير إديجاي عبر التاريخ السياسي والعسكري للقبيلة الذهبية لعدة عقود . فقد انحدر من قبيلة قونكرات ، و كان حليفاً للخان طغتمش . قبل أن يتخلى عنه ليتحول إلى معسكر تيمورلنك إبان المواجهة بينهما في موقعة كوندروشا عام ١٣٩١م^(١٧٦).

و بعد مقتل طغتمش ، نجح الأمير إديجاي في الاستيلاء بشئون القبيلة الذهبية بشكل تام ، فأعاد لها هيبتها السياسية والعسكرية . قبل أن يقوم بتعيين تيمور قتلغ خاناً (١٣٩٥ - ١٤٠٠م) . الأمر الذي جعله صاحب التأثير الكبير على مقدرات الأمور . و هو ما دفعه بعد ذلك إلى قيادة جيش من تتار القبيلة الذهبية وإيقاع مذبحه كبرى بالقوات الليتوانية على نهر Varskla عام ١٣٩٩م^(١٧٧).

وبعد وفاة تيمور قتلغ ، قام إديجاي بتعيين شادي ، أخى تيمور و زوج إبنته ، خاناً على القبيلة الذهبية (١٤٠٠ - ١٤٠٧ م) . و كان من الطبيعي أن يقع الخان الجديد تحت تأثير

الشخصية الطاغية لإديجاي ، والذي ما أن اختلف معه حتى أمر بقتله^(١٤٨) . ليقوم بعد ذلك بتعيين بولاد خاناً جديداً (١٤٠٧ - ١٤١٠ م)^(١٤٩) .

وإبان ذلك ، أظهر إديجاي عداوة نحو مدينة موسكو التي قام بحصارها بنفسه عام ١٤٠٨ م بسبب امتناع أميرها فاسيلي Vasili عن دفع الجزية ، فضلاً عن عدم اشتراكه معه في حربه ضد الليتوانيين من قبل ، و كذلك بسبب منحه الحماية لأبناء طقتمش .

و على الرغم من عدم نجاح الأمير التتري في اقتحام موسكو ، فإنه لم يوافق على رفع الحصار عن المدينة إلا بعد حصوله على جزية تقدر بثلاثة آلاف روبل ، بالإضافة إلى استيلاء المغول على العديد من المدن الروسية مثل Rostov ، Novgorod ، Ryazan . فضلاً عن قتلهم وأسره للعديد من الروس المسيحيين ، حتى أنهم وصلوا إلى تخوم مدينة Tver التي تقاوس أميرها عن نصرة التتار لدى حصارهم لمدينة موسكو^(١٥٠) .

بعد ذلك قام إديجاي برفع حصاره عن المدينة ، وعاد إلى العاصمة سراي في استجابة لنداء الخان الجديد بولاد (١٤٠٧ - ١٤١٠ م)^(١٥١) .

وهكذا استمر الأمير إديجاي في فرض هيمنته السياسية على الأمور في القبيلة الذهبية حتى عهد كيك خان (١٤١٤ - ١٤١٧ م) ، حيث أعاد مهاجمة موسكو ثانية وقام بإحراقها بالإضافة إلى مدينة Smolensk عام ١٤١٥ م^(١٥٢) .

و حدث أن دب الخلاف بين كيك خان وإديجاي ، فقام الأخير بإرسال سفارة إلى الأمير جكرة أوغلان الموجود لدى أبي بكر بن ميران شاه تستدعيه لتولى الأمور في القبيلة الذهبية .

و هكذا أشار شيلتبرجر إلى موافقة سيده أبي بكر على عودة الأمير التتري إلى بلاده . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد قام بإرسال ٦٠٠ فارس معه ، كان من بينهم خمسة من المسيحيين ، على رأسهم شيلتبرجر نفسه^(١٥٣) .

لم ينس شيلتبرجر أن يصف بسرعة البلاد العديدة التي مر بها حتى أراضي التتار برفقة جكرة أوغلان ، مثل بلاد الكرج ، وشروان ثم درند (البوابة الحديدية) ، فاستراحان حتى العاصمة سراي^(١٥٤) .

و تم اللقاء في النهاية بين الأخير والأمير إديجاي ، الذي كان برحلة صيد في أراضي

سيبيريا . و بعيد عودتهما معاً إلى بلاد القفجاق ، قاما بإعلان الحرب على كيك خان و قتله ، و هكذا نجحا في القبض على مقدرات الأمور في العاصمة سراي .

حدث هذا قبل أن يدب الخلاف فيما بعد بين الأمير إديجاي و الخان الجديد جكرة أوغلان بعد ذلك بتسعة أشهر ، ليقوم إديجاي بعزله و تعيين السيد أحمد أوغلان^{١١٠١} بدلا منه .

و بعد مرور فترة من الإضطرابات السياسية لدى مغول القبيلة الذهبية ، قام الأمير إديجاي ، بما له من مرجعية عليا ، بمحاولة أخيرة للسيطرة على مقاليد الأمور . غير أن ذلك كان بلا جدوى^{١١٠٢} ، فقد نشب صراع طويل بين أبناء أسرة الخان الأسبق طقتمش ، و الأمير إديجاي ، بعدما خرج الإبن للأخذ بثأر أبيه ، و حقق انتصاراً على إديجاي ، الذي فضل القرار ، قبل أن ينجح كوحك محمد ابن أخى طقتمش في قتله^{١١٠٣} في العام ١٤١٩ م .

و بحسب لبوهان شيلتيرجر أنه مع اهتمامه بذكر الطقبات السياسية التي مرت على القبيلة الذهبية ، فإنه قد اهتم أيضاً بتدوين مشاهداته في منطقة سيبيريا التي مكث بها وقتاً طويلاً برفقة إديجاي و الأمير النشوي جكرة أوغلان ، فقد خلقت لنا وصفاً رائعاً لتلك البلاد ، التي اعتقد أهلها أن الصحراء الواقعة خلف الجبل المائل أمامهم ، إنما تمثل نهاية العمورة بالنسبة لهم ، فضلاً عن أنها منطقة موحشة لا يمكن العيش بها بسبب الحيوانات المفترسة التي تجوس فيها .

و في ملاحظة أنثروبولوجية هامة يذكر شيلتيرجر وجود قوم متوحشين لا يشبهون بقية البشر ، إذ يغطي الشعر أجسادهم بالكامل عدا الوجه و الكفين ، و يدورون حول بعضهم البعض مثل الحيوانات المتوحشة ، يعيشون على ذلك الجبل ، فضلاً عن أنهم يقومون بأكل أوراق الأشجار و الأعشاب و كل ما يقع تحت أيديهم . و أشار إلى أن حاكم تلك المنطقة كان قد أرسل إلى الأمير إديجاي برجل و امرأة من هؤلاء السكان المتوحشين^{١١٠٤} .

ويبدو أن حديث شيلتيرجر هنا كان حقيقياً فيما يتعلق بهذا البعد الأنثروبولوجي للمنطقة ، فقد شاهد الباحثة السوفيتي بادزار باراديين Badzar Baradiin أحد هؤلاء الرجال بالفعل في العام ١٩٠٦ م ، الأمر الذي ساهم في قيام العديد من الدراسات الأنثروبولوجية في هذا الميدان حول هذا الجنس البشري الذي عرف علمياً باسم Mongolian Almas^{١١٠٥} .

و بعيداً عن إشارته عن تطابق أحجام الخيول و الحمير ، و إلى الحيوانات التي لم يرها من قبل في بلاده ألمانيا ، فإن أهم ما ذكره شيلتيرجر عن سيبيريا كان وجود الغربات و الزلاجات

التي تستخدم لحمل الأشخاص و المتاع . و لم يفته ضخامة حجم الكلاب التي تقابل حجم الحمير^(١١٧).

و يكاد يتطابق وصفه لتلك العربات و الزلاجات مع وصف ماركوبولو ، الذي وصف تلك العربات و الزلاجات في سيبيريا بشكل أكثر تفصيلاً بوصفها خالية من العجلات ، و مسطحة القاع ، كما يستخدم السكان الكلاب التي تبلغ حجم الحمير أيضاً في جرّها ، بحيث تقوم ستة أزواج من الكلاب بجر العربة التي يقوم صاحبها بقيادتها ، و برفقته أخذ التجار مع سلعه و بضائعه^(١١٨).

كما يتطابق ذلك أيضاً مع رواية ابن بطوطة الذي تحدث عن أراضي جديدة في سيبيريا ، فذكر أن العربة يجرها أربعة من الكلاب التي تحظى بأهمية كبرى في تلك البلاد لأنها الوحيدة التي تستطيع السير فوق الجليد " فلا تثبت قدم الأدمى ، و لا حافر الدابة فيها ، و الكلاب لها الأظفار ، فتثبت أقدامها في الجليد "^(١١٩).

ولمحة أنثروبولوجية أخرى سابقة على ذلك أشار شيلتبرجر إلى أنه حينما كان في حاشية شاه رخ في مدينة هراة ، سمع عن وجود شيخ طاعن في السن يبلغ من العمر ٣٥٠ عاماً " ... تدلى حاجباه على وجنتيه ، ووصلت لحبته حتى الركبة . بينما تدلى شعر أذنيه على فكه ، وبلغ طول أظفاره بوصة واحدة" . وأشار إلى احترام وإجلال السكان المسلمين له^(١٢٠).

ومن المثير أن نرى أن تلك الملاحظة تكاد تتفق مع ماورد في المصادر الإسلامية القرية والمعاصرة لفترة أسر شيلتبرجر ١٣٩٦-١٤٢٧م . فقد أشار الرحالة ابن بطوطة في القرن السابق له ، إلى أنه بعد مغادرته مدينتي نيسابور ووسطام باتجاه جبال الهندكوش ، وصل إلى زاوية الشيخ أطا أوليا (أبو الأوليا) بجبل بشاي ، ليجد شيخاً يبلغ من العمر ٣٥٠ عاماً ، يتبرك به حكام المنطقة من السلاطين و الخواتين . غير أنه ، وبعكس شيلتبرجر الذي سمع عن الرجل ولم يقابله ، لاحظ أن سنه تبدو أصغر مما قيل له^(١٢١).

وقد أشار ابن عربي شاه أيضاً إلى ذلك الدرويش ، وذكر أنه دعى بالشيخ العربيان ، غير أنه ذكر أنه كان يعيش في مدينة سمرقند . واتفق مع ابن بطوطة أيضاً في أنه على الرغم مما قيل عن عمره الذي بلغ ٣٥٠ عاماً ، فإنه تمتع بصحة جيدة ، ولم يبدو أنه قد طعن بالسن^(١٢٢) .

على أية حال ، فبعد عودة شيلتبرجر برفقة جكرة أوغلان و الأمير إديجاي من بلاد سيبيريا

إلى سراى عاصمة مغول القبيلة الذهبية ، مكث بها حوالى عشرة أعوام حتى تمكن من الفرار بعد ذلك إلى مدينة القسطنطينية عبر البحر الأسود . و من ثم نجح فى العودة إلى بلاده ألمانيا فى العام ١٤٢٧م.

و كان من الطبيعى أيضا للأسير الألمانى أن يتناول بعض العادات الاجتماعية لدى المغول الذين عاش بينهم ، فعلى سبيل المثال ذكر شيلنجر أنهم لم يكونوا يزرعون سوى الذرة ، و يأكلون لحوم الخيل ، بينما لا يأكلون الخبز و لا يشربون الخمر ، و لديهم مشروباتهم المعروفة المستخرج من ألبان أنثى الخيول^(١١٤) . و هو ما يتطابق مع مشاهدات الرحالة المسيحيين و المسلمين الذين زاروا بلاد المغول من قبل^(١١٥) .

كما ذكر أنه رأى المغول إبان إقامته لديهم يدعون الخيول و يشربون دماها^(١١٦) . كما أنهم يقومون بوضع قطع اللحم بعد تقطيعها إلى شرائح و قليها تحت أسرجة الخيول خلال سفرهم الطويل ، فإذا شعروا بالجوع ، توقفوا من أجل تناول طعامهم هذا ، بعد تمام نضجه بسبب سخونة الخيول أثناء حركتها . كما أشاد بشجاعة المغول و بساكنهم فى الحروب ، و شدة اهتمامهم بها ، و حسب كلماته * ... لا يوجد من هو مولع بالحرب مثل أهالى مملكة التتر ، فالقتال و السفر عندهم سوا*^(١١٧) .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وهكذا حدثنا شيلنجر عن ولع السكان التتار ، رجالا و نساء بالحرب ، فلم تفته الإشارة كذلك إلى شجاعة و بأس النساء التتاريات حينما كان برفقة جكرة خان والأمير إديجاي عندما قدمت إليهما سيدة تشرية تقود أربعمائة فتاة و سيدة ، على صهوات الجياد و مسلحات كالرجال ، لتطلب الثأر ممن قتل زوجها . و يذكر شيلنجر أنها نجحت فى النهاية من القصاص منه بعد أن تم أسره و تقديمه لها ، فأمرته أن يجثو على ركبتيه ، قبل أن تستل سيفها لتطيح برأسه فى ضربة واحدة^(١١٨) .

وإذا كان ثمة مبالغة فيما سبق فإنها قد تتعلق فقط بأعداد الفتيات و النساء المرافقات لها ، على الرغم من تأكيد لروايته * .. لقد كنت حاضرا هناك ، وشاهدت هذا بنفسى أيضا^(١١٩) ، وذلك لأننا نعرف من المصادر التاريخية المعاصرة لتاريخ المغول إجادة النساء المغولييات لفنون القتال و الحرب . فقد ظهرت المغولييات كمحاربات مثل الرجال تماما فى ثنايا التاريخ العسكرى للمغول ، و اتصفن بالشجاعة و الإقدام . كما اعتلن صهوات الجياد ببراعة ، فضلا عن مهارتهن

في استخدام السهام والأقواس^(١٤١١). وكان يتميز عن المقاتلين الرجال بغطاء للرأس، وحزام حول الحصر. فضلا عن شد أذنه عن بحزام آخر^(١٤١٢).

ويبدو أن اشترك النساء المغوليات في القتال كان موجودا منذ عهد جنكيز خان، الذي كانت إحدى بناته زوجة للقائد المغولي تاجار كوركان الذي قتل بينما كان على حصاره لمدينة نيسابور، فاندفعت الزوجة إلى داخل المدينة بعد اقتحامها لتأمر بقتل جميع سكانها في الحال^(١٤١٣).

كما أن قوتولون جغان، ابنة قايدو حفيد أوكتاي، أظهرت شجاعة في القتال بعدما حاربت عدة مرات في صفوف القوات المغولية غير النظامية في القرن الثالث عشر الميلادي^(١٤١٤).

واستمرت مشاركة النساء المغوليات بعد ذلك في الحروب، فيحدثنا البديسي عن إحدى النساء المغوليات التي قتلت عشرة من الرجال بمفردها من أفراد اللر في إحدى المعارك بينهما^(١٤١٥).

ومن الواضح أن التقليد المغولي الذي قضى باشتراك النساء في القتال لم يستمر فقط حتى زمان شيلنجر، حسيما تؤكد من ابن عم شاه الذي أشار إلى شجاعة نساء التتار في المعارك التي خاضتها جيوش تيمورلنك. بل ظلت النساء المغوليات لفترة طويلة بعد ذلك على عاداتها في المشاركة في القتال إلى جوار الرجال، وهناك العديد من الأدلة على اشترك السيدات من مغول الهند في الحملات العسكرية طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين^(١٤١٦).

على أية حال، بعد أن مكث شيلنجر في سراي Saray عاصمة مغول القبيلة الذهبية، حوالي عشرة أعوام (١٤١٧ - ١٤٢٧م)، تمكن من الفرار بعد ذلك عبر البحر الأسود إلى مدينة القسطنطينية. ومن ثم نجح في العودة إلى بلاده ألمانيا، ليعلى كتابه الحافل بالأحداث التاريخية الهامة حول مجتمعات العثمانيين والمغول والمالكيين والبيزنطيين والأرمن.

غاية الأمر أن الأسير الألماني طوف بنا خلال رحلة أسرته التي امتدت لواحد وثلاثين عاما (١٣٩٦ - ١٤٢٧م) في كتف العثمانيين والمغول، فرصد الكثير من مظاهر الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية والأنثروبولوجية لديهم. وعلى الرغم من اختلاط بعض الأمور عليه، فإنه بعد مصدرا في غاية الأهمية للعالمين العثماني والمغولي في نهاية القرن الرابع عشر وخلال الربع الأول من القرن الخامس عشر الميلاديين.

الهوامش

١- The bondage and Travels of Johan Schiltberger, A Native of Bavaria, in Europe, Asia, And Africa 1396-1427, Trans. by , Telfer, B , with notes by , Bruun , New York , 1879.

٢- عن موقعة نيقوبوليس ، انظر :-

Froissart .chronicle of Froissart. Trans. By : John Bouchier. Lord Berners . edited by , Macaulay , G.C , London , 1930 , pp.422-447; Doukas, M, Decline and Fall of Byzantium to The Ottoman Turks,Trans. by, Magoulias, H.J.,Detroit, 1975,pp.83-85, Chalcocondylas,L, Historiarum Demonstrations,ed,B.G.Niebuhr , book II ,in , C.S.H.B, Bonne,1841,PP.75-77.

وانظر أيضا موقعة نيقوبوليس في الكتاب الثاني من الترجمة الإنجليزية للكتب الثلاثة الأولى لنفس المؤلف :

Chalcocondylas,L, A Translation and commentary of the Demonstrations of Histories (Books I-III) , ed. by ,Nicoloudis, N , Athen , 1996 ,pp.199 - 201 ;

وانظر أيضا

Veszpremy,L ,Some Remarks on Recent Historiography of The Crusade of Nicopolis 1396 ,in , The Crusades and The Military orders Expanding The Frontiers of Medieval Latin Christianity , ed. by , Zolt Hunyadi and Jozsef Laszlovszky , Budapest, 2001 ,pp.223-230

و انظر أيضا هذه الدراسة الهامة على الرغم من كلاسيكيتها :

Atiya,A.S, The Crusade of Nicopolis , London , 1934.

و عن الصراع بين العثمانيين و القرى المسيحية الأوربية حتى سقوط القسطنطينية ، انظر :

Charanis,p, ,The Strife among The Palaeologi and The Ottoman Turks 1370-1402 ,in , Byzantion,xvi,1942- 1943.

Inalcik ,H.,The Ottoman Turks and The Crusades , 1329-1451 ,in, A History of The Crusades , ed. By, Setton , K.,M.,vol.,vi, Wisconsin, 1989, pp. 222-275.

٣- عن موقعة أنقرة بين نيسورنك و السلطان العثماني بايزيد الصامقة . انظر المصادر العثمانية والفارسية

والعربية التالية :-

Asiıkpassaoğlu, Asiıkpassa Tarihi , Hazirlıyan,H.Nihal Atsız , Ankara- 1985,p. 78 ;Khwandamir ,Habıbus-sıyar,Tome Three . TheReign of The Mongol and The Turk , .part one : Genghis khan –Amir Temur .Trans. and ed. By , W.M, Thackston ,Harvard university , 1994,pp. 282-285.

شرف الدین بزدی ، ظفر نامه ، تاریخ عمومی مفصل ایران دروورة تیموریان بتصحیح والمقام محمدعیاسی، آزردی نسخی که - در عصر مصنف نوشته شده ، جلد دوم ، تهران ، ۱۳۳۶ ، ص ۳۰۷- ۳۲۳ ، تزوگات تیمور، مقالات اول فی تدبیرات وکنکاشها ، ص ۱۵۳ - ۱۶۰ ، ابن عرشاه (شهاب الدین أحمد بن محمد الدمشقی)، عجائب المقدور فی توائب تیمور ، تحقیق أحمد فایز الحمصی ، بیروت ، ص ۱۹۸۹ ، ص ۳۲۰- ۳۲۹ ؛ ابن تغری بردی ، التجوم الزاهرة فی ملوک مصر والقاهرة، ج ۱۲، القاهرة، د.ت، ص ۲۶۷-۲۶۸ وانظر أيضا المصادر البيزنطية التالية :

Chalcocondylas ,L, op.cit,pp.156 -158 ; Doukas , op.cit,pp.91-95. Sphrantzes,G, The Fall of Byzantine Empire . The Chronicle by George Sphrantzes , Trans by,M. Philippides,Amherest, 1980,p.21.

وراجع كذلك هذه الدراسة الهامة :

Alexandrescu - Dersca ,La Campagne de Timur En Anatolia , 1402, London , 1972.

4- Schiltberger,J,op.cit,p.1.

٥- هذه المنطقة عبارة عن غور أو مضيق بطول ٢٠٠ بل بطول نهر الدانوب في مكان يقطع جبال الألب الترسقالية على الحدود ما بين رومانيا و بوسغوسلاتيا السابقة . انظر :

Webester New Geographical Dictionary , New York , 1996 , p.145

6- Schiltberger, op.cit,p.2.

7- Loc.cit.

8- Chronicle of Froissart , p.443.

9- Schiltberger ,op. cit,pp.2-3 .

شرح عزيز سورمال عطيه في مناقشة جادة لأعداد الجيش العثماني و الجيش المسيحي . و ذلك عبر استعراض كافة المصادر الأوربية و العثمانية المتاحة ، و خلص إلى أن الجيش العثماني ربما كان قد بلغ عدده ١١٠ ألف رجل و بخلاف جيش القوى المسيحية الذي قدر عدده ب ١٠٠ ألف رجل ، بلذكر أن القوى كانت متكافئة في ميدان المعركة . رافضاً المبالغة في تقدير القوات العثمانية بوصفها حققت نصراً ساحقاً ، و التقليل من أعداد الجيش المسيحي بوصفه منى بهزيمة ثقيلة . عن ذلك انظر :

The Crusade of Nicopolis , pp.66-69.

10- Chronicle of Froissart , p.443.

11- Schiltberger ,op.cit,p.3.

12- Loc.Cit

و يذكر عزيز سورمال عطيه أنه لسابق خبرة المجريين بقتال العثمانيين و معرفتهم بأساليبهم القتالية عن الجنود الأوربيين القادمين من الغرب ، فقد رأى الملك سيجموند أن يبدأوا بالقتال . بالإضافة إلى أنه ، و خوفاً من الهزيمة من جانب كلاً من ميرسيا Mercsa و لازكوفيتش Laczkovic حكام الاشيا و ترانسالفانيا . فقد وضعهم في موقع يجعل انسحابهم من المعركة صعباً . كما أن الملك المجري كان يدرك أن العثمانيين يدخرون زهرة جيشهم للمعركة الفاصلة ، فأراد أن يدخر أفضل قواته لذلك . عن ذلك انظر :

The Crusade of Nicopolis, p.85.

13- Froissart ,op.cit,p.445

و يرى عزيز سورمال أيضاً ، أن دوق بورجنى de coucy و كبار قادته قد نفهسا وجهة نظر الملك المجري ، غير أن صغار القادة الفرنسيين رفضوا خطة سيجموند ، و ارتأوا ضرورة المبادرة بالهجوم . انظر :

The Crusade of Nicopolis , p.85.

14- Schiltberger ,op.cit,pp.3-4 ; Froissart ,op.cit,p.445

الذي ذكر أن الملك فر من ميدان المعركة تاركاً خلفه كافة متعلقاته و خاصة المجوهرات و المعادن النفيسة ، و بدأ سعيداً أنه لها بحياته . انظر أيضاً : Atiya ,op.cit,p.94

15- Schiltberger ,op.cit,p.4 ; Doukas ,op.cit,pp.84-85 ; Froissart ,op.cit,pp.445-446

الذي ذكر أيضاً أن عدد الجنود المسيحيين الذين قتلوا في المظاهرات التي تلت المعركة كان أكبر من الذين قتلوا في المعركة نفسها . و انظر أيضاً : Atiya ,op.cit,p.94

16- Schiltberger , op. cit, pp.3-4.

17- Loc.cit

18- Loc.cit

19- Chronicle of Froissart , op.cit,pp.446-447 ; «Decline and Fall of Byzantium» , pp.84-85 .

20- Froissart ,op.cit,p.445.

21- Froissart, op . cit,p. 447 ; Atiya , op .cit,p.96

عندما أدرك جاك دي كريك الهزيمة التي عانت بالجهش المسيحي قام بتسليم نفسه للعثمانيين . الذين استفادوا من خبراته كما سبق القول . قبل أن يقوموا بإطلاق سراحه فيما بعد مقابل قديبة ذهبية و قضية . انظر :Froissart . op. cit, p. 445

كذلك أطلق السلطان بايزيد سراح القارس الفرنسي جاك دوفاي Jacques du Fay ، الذي كان يعمل من قبل في خدمة تيمورلنك ، و مجرد أن علم بدخول الفرنسيين المغرب ضد الأتراك ، ترك خدمته و توجه لمساعدة زملائه . غير أنه سقط في الأسر بعد المعركة بواسطة الجنود القنار الذين كان تيمورلنك قد أرسلهم لمساعدة السلطان العثماني في حربه ضد القوى المتحبة . انظر <http://Archivebeta.Sa>

Froissart,op.cit,p.445; Richard , J, « Les prisonniers de Nicopolis » , in , Annales de Bourgogne , t. 68 ,1996, p.76 .

22- Atiya , op. cit ,pp. 100 -101 .

23- Richard , J, op.cit ,pp. 76-77.

و عن السفارة التي أرسلها السلطان بايزيد إلى أوروبا التي كان أبرز نتائجها تحرير الأسرى المسيحيين بعد دفع فديات عالية لهم انظر : Atiya , op. cit, pp. 101 -112

24- Froissart , op. cit,p.447

بعد المارشال بوسيكير أهم القادة العسكريين الأوربيين الذين تم تحريرهم بعد التحرير من الأسر في الوقوف في وجه الطموحات العسكرية العثمانية خاصة عند حصار السلطان بايزيد لمدينة القسطنطينية ١٣٩٦ - ١٤٠٢ م . ولد في مدينة تور بفرنسا عام ١٣٦٤ م . تم تعيينه حاكما على جزيرة جنوة عام ١٤٠١م بعد منحها لملك فرنسا لويس السادس عام ١٣٩٦ م .

عن الدور التاريخي للمارشال بوسيكو ضد العثمانيين و المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط .

انظر :

; Godefroy , T. (ed.) , Histoire de messier Jean de Boucicaut , mareschal de France , gouverneur de Genne , collections , vols. vi , vii , Paris , 182; .

Delaville le Roulx (Joseph) , La France en Orient au XIV siècle: expeditions du marchal Boucicaut , 2vols , paris , 1886 .; Dopp , p. H. (ed.) L'Egypte Au Commencement du Quinzieme siècle , d'Apres Le Traite d'Emmanuel piloti de Crète (Incipit 1420) , Le Caire , 1950 ,pp.84-95.

25- Froissart , op. cit , p. 447 ; Atiya , op. cit , p. 97.

٢٦- عن حصار السلطان بايزيد للقسطنطينية بعد موقعة نيقوبوليس . انظر :

Doukas , op. cit,pp.83-86 ; Asik pasa oglu , op. cit. , pp. 68 -70 ; Barker , J , Manuel II Palaeologus (1391- 1425) , A study in Late Byzantine Statesmanship , New Jersey , 1969 , pp.127-128,138-144 ; Gautier , . Un Recit Inedit Du Siege De Constantinople Par Les Turcs , 1394-1402 , in , Revue d. etudes Byzantines , Tom . XIII , 1965 ,pp.100-110 .

27- Schiltberger , op. cit , p.5 .

28- Ibid , p. 5 ; Atiya ,op. cit , p.97 .

29- Atiya , op .cit .p. 86 , Hously,N, The Later Crusades from Leon to Alcazar, 1274-1580,Oxford,1992,pp.76 ; Richard ,op.cit.p. 76.

30-Atiya , op .cit .p. 86 ; Richard ,op.cit.p. 76.

انتصرت قوات هنري الخامس على قوات الملك الفرنسي شارل السادس على الرغم من التفوق العددي للقوات الفرنسية في أرنكور في أكتوبر عام ١٤١٥م . وذلك بفضل استخدامها لسلاح المدفعية . ليتم الاعتراف بعد ذلك بمقتضى معاهدة تروي ١٤٢٠م بهنري الخامس وريشا للنتاج الفرنسي ، بل والزواج أيضا من كاثرين ابنة شارل السادس . عن أرنكور وتفاصيلها انظر :

Treveliane,G.M. History of England ,London,1942,p,230; Painter,S. A History of the Middle Ages from 284 to 1500,London,1953,pp.354-358; Previte-Orton,C.W. The shorter Cambridge Medieval History , vol.2, the Twelfth Century to the Renaissance , Cambridge,1979,p.978.

31- Schiltberger ,op. cit,p. 4.7

الذي بنوه إلى أنه أجبر على الهرولة على أقدامه لست سنوات مع رفاقه الآخرين أمام السلطان العثماني أينما ذهب .. فقد جرت العادة أن يتخذ السادة (السلاطين) أتباعاً يهرولون أمامهم » .

و انظر أيضاً : - Atiya , op. cit,pp.96-97

الذي يشير إلى أن الدافع الرئيسي لدى العثمانيين للإبقاء على حياة الأسرى من سكان صغار السن هو أنهم مازالوا في مستقبل العمر و أمامهم سنوات طويلة من العبودية . و هو هنا يتزج صفة الإنسانية عن العثمانيين . على الرغم من أنه تم إغناء الأسرى الشبان بين العشرين من القتل طوال فترة الحروب الصليبية . عن ذلك انظر : Richard , op. cit,p.77 .

32- « The Bondage and Travels » . p.7

حيث يذكر « ... وهكذا مكثت مع العثمانيين اثني عشرة عاماً » .

33- Loc.cit,p.21.

و هكذا أصبحت أسيراً لبيمرلك الذي اصطحنى إلى بلاده « . وعلى الرغم من حديثه المفصل عن موقعة أنقرة و هزيمة سيده بايزيد ووفاته في الأجر ، فإنه نسي أن يحدد عام ١٤٠٢م موعداً لهذه الموقعة و هو ما يشي بوقوعه في خطأ يتعلق بسنوات الأسر لدى العثمانيين منذ موقعة نيقوبوليس ١٣٩٦م و حتى موقعة أنقرة ١٤٠٢م .

حيث ذكر أنهم مكثوا في أودنه خمس عشرة يوماً قبل أن يتم نقلهم بحراً إلى 34- Loc . cit, p.6

غالببولي ، حيث تم سجن ثلاثمائة أسير منهم في أحد الأبراج لمدة شهرين .

35- Atiya , op. cit, p.97 ; Richard ,op. cit, pp.77.

كما أن الأخير يتحدث عن تحرير بيمورلك لبعض الأسرى الأوربيين في مدينة بورصا ، بعد سقوطها على أثر موقعة أنقرة و هزيمة بايزيد ١٤٠٢م ، في إشارة صداقة إلى الملك الفرنسي شارل السادس .

36- Schiltberger , op .cit,p.7

الذي ذكر إصابته بثلاث جروح شديدة خلال موقعة نيقوبوليس . فخشى السلطان بايزيد عليه من أن يلتقي حنقه في الطريق إلى مصر .

37- Dopp_ op. cit , pp.109-110

و انظر أيضاً :

ولد مانويل بيلوتى عام ١٣٧١م فى جزيرة كريت الواقعة تحت السيطرة البندقية ، ومارس التجارة لمدة طويلة فى القاهرة والاسكندرية، وكذلك مع الشام . أصبح مقرباً من السلطان المملوكى الناصر فرج الذى دفعه للتفاوض مع دوق ناكسوس من أجل دفع الفدية المطلوبة من أجل إطلاق سراح الأخير للأسرى المسلمين لديه . أطلق عليه زملاؤه اسم « مانولى» . انظر : Dopp, op. cit. pp. xi-xii

أن دولف ، كم تبعه القاهرة ١ ترجمة وتقديم قاسم عبده قاسم ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ١٣٥-١٣٧ .

38- . Les Prisonniers de Nicopolis . p. 82

كما أنه يفسر ذلك بأن السلطان العثماني قد أهدى السلطان المملوكى برقوق 60 أسيراً كما ذكر شيلنجر من قبل . أما باقى المانتين فكانوا من أسرى معركة نيقوبوليس أيضاً . و قد اشتراهم السلطان المملوكى فيما بعد .

39- . The bondage and Travels , . pp. 7-10

الحقيقة أن هناك تضارباً فى الآراء حتى بين المصادر العثمانية حول زمان مولعة أتى جئى . حيث يذكر كلا من عاشق باشا زاده وأوروج بك أنها قد حدثت إبان حملة السلطان بايزيد الأولى على الأناضول قبل نيقوبوليس بعدة سنوات . انظر:

Aşik Pasaoglu , pp. 72-73; Oruç Beğ , Oruç Beğ Tarihi , hazırlayan , Atsız, İstanbul, 1973, pp. 55-56 ; وكذلك : Atiya . op. cit. p. 17

أما شيلنجر فيحدها فيما بعد معركة نيقوبوليس ، أى حوالى العام 1397م . و هو ما يؤيده فيه الباحث التركى أوزون تشارشيلى .

انظر : Uzunçarsili, "karamanöğulları", Artın Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu, Karakoyunlu: Devleterim, Ankara, 1969 , p. 15

معتاداً على المصدر التاريخى المعروف بزم و رزم ، الذى تناول أخبار مدينة سيواس و حاكمها القاضى برهان الدين . و الذى أشار إلى وجود علاء الدين القرمانى على قيد الحياة حتى العام ١٣٩٦م .

٤٠- فى الحقيقة فإن سياسة السلطان بايزيد كانت تهدف إلى تصفية الأسر التركمانية الحاكمة فى الأناضول . بهدف تحويل إماراتهم إلى ولايات عثمانية . عن ذلك انظر :-

خليل إينالجهك و العثمانيون - النشأة و الأزدهار . بحث فى كتاب : دراسات فى التاريخ العثمانى ، ترجمة و تقديم سيد محمد السيد . القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٥٤

42- "The Bondage and Travels" .pp. 8-9

٤٣- ابن عرشام، المصدر السابق، ص ٣٤-٣٤١، ابن تغرى بردى، المصدر السابق، ج ١٢، ص ٢٦٩. انظر أيضاً: Hously, op. cit. p. 81

44- "The Bondage and Travels" .p. 18.

عن ذلك راجع المصادر التاريخية المملوكية و العثمانية التالية :-

الصيرفي (الخطيب الجوهري على بن داود) . نزعة النفوس و الأبدان في تواريخ الزمان ، ج ٢ ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٧١م . ص ٥٥ ؛ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ١، ق ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٥٤٧ . ؛ Oruç Beg . op. cit. ، p. 75 ; Aşık paşa oğha . op. cit. ، p. 57

انظر أيضاً : عبد الرازق الطططاوى اللرموط . العلاقات المصرية العثمانية . القاهرة . ١٩٩٥م ، ص ٤٢.

٤٥- أدرك السلطان بايزيد أبعاد الخطر المغربي مبكراً . فأرسل في العام ٧٩٥ / ١٣٩٢م رسالة للسلطان المملوكى برقوق بحزبه من أطماع تيمورلنك . و بغيره أنه يضع لحن تصرفه . ٢٠ ألف رجل لهذا الأمر . انظر : المقرئى (تقى الدين أحمد بن على) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٣ ، ق ٢ . القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص ٨١٣ ؛ ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤١٧ .

و إذا كنا نستطيع تفهم دوافع السلطان العثمانى بايزيد في مواجهة الأطماع المغربية . فإن ما يشير الاستغراب هنا هو حجم القوات العثمانية التى عرض إرسالها لمساعدة السلطان المملوكى برقوق . فلم يكن لدى السلطان العثمانى الذى كان يحاصر القسطنطينية منذ عدة أعوام - هنا العدد من القوات لإرسالها للسلطان المملوكى فى القاهرة . و ربما كان الأكثر صحة ما أورده ابن تغرى بردى من أن السلطان العثمانى قد أعد نفقة بمائتى ألف درهم لمساعدة السلطان المملوكى فى حربه ضد تيمورلنك . عن ذلك انظر :-

المصدر السابق ، ج ١٢ . القاهرة . ص ٥٩ .

٤٦- ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧٦ . و يبدو أن ابن تغرى بردى كان صاحب رؤية أكثر اتساعاً من السلطان المملوكى إذ انتقد قراره بشده ، لأنه كان يرى ضرورة تحالف القوى المملوكية و العثمانية عبر كثافة أعداد الجيوش المصرية و الحيرة العسكرية العثمانية . و على حد قوله ... إن المصلحة كانت تقتضى الصلح مع ابن عثمان . انظر المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢١٧ .

٤٧- ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧٦ .

كانت تلك المرة الأولى التي توجه فيها شيلنجر إلى مصر . قبل أن تعود القوات العثمانية إلى السلطان بايزيد من جديد . انظر أيضاً : Richard , op .cit,p.80

49- Ibid , p.10

٥٠- انظر المصادر التالية :

Aşik pasa öglü , op .cit, p.74 ; Tursun Bey , Tarihi , Ebu-l-feth , Hazirlayan , Mertol Tulum , Istanbul , 1977 , p. 159 ; Oruç Beg , op . cit , p.57

المقريزي ، المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤ ؛ ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي) إنباء الغمر بأنباء العمر ، ج ٢ ، تحقيق ، القاهرة ، 1971م ، ص 107 ؛ 283 ؛ 88 ، Doukas , op . cit , p.88 , p. 283 ; 107 . not .85

51- « The Bondage and Travels » , p. 20 .

عن غزو العاهل المغولي لمدينة سيستية (سيواس) انظر :

Khwandamir , op .cit , p. 274 ; Aşik pasa öglü , op .cit , p.77 ; Oruç Beg , op .cit , p.58 ;

ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ؛ شرف الدين يزدى ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٩٥ ؛

Doukas , op . cit , p.89 ; Dennis , G , « Three reports from Crete on The Situation in Romania 1401-1402 , , in Studi Veneziani , 12,1970 , p.254 . Doc. 1 ; Clavijo , Embassy to Tamerlane 1403 - 1406 , Trans.by , Le strange , G , London , 1928 , pp. 132 . .

غير أنه يذكر أن قوات سليمان بن بايزيد تألفت من مائتي ألف مقاتل ، بخلاف الجيش السلطاني نفسه ، من الواضح أن ذلك من قبيل المبالغة لأن السلطان العثماني كان على حصاره لمدينة القسطنطينية ذلك الوقت ، و لم تكن قواته يمثل هنا العدد .

انظر أيضاً هنا المصدر الأرمني الهام الذي اتفق مع كافة المصادر التاريخية السابقة في بيان الوحشية و الفظاعة التي عامل بها العاهل المغولي تيمورلنك سكان مدينة سيستية عند غزوة لها عام ١٤٠٠م :

Tovma Metsobetsi's , « History of Tamerlane and His successors » , p.13 in , [http , // rbedrosian .com / tm1 .htm](http://rbedrosian.com/tm1.htm) .

٥٢- سعد زغلول عبد الحميد ، « الإسلام و الترك في العصر الإسلامي الوسيط » ، مجلة عالم الفكر ، العدد ، الكويت ، ١٩٨٦م ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

و سبق أن حدثنا ماركو بولو في رحلته عن أمر قبلاي خان باعدام خصمه نابان غير وضعه في بساطين مع تنقيتهما بقرة شديدة حتى قاضت روحه ، و يفسر الرحالة الأوربي الأشهر ذلك بأنه لم يكن يجوز في عرف التنار أن تشهد الشمس أو الهباء سفك دما ، فرد ينتمى إلى الأسرة الامبراطورية . و يعلق مارسدن على ذلك بأن عملية ازهاق روح أي شخص يحظى بمكانة عالية لدى المغول دون إراقة دمه قد تكررت كثيراً . و ربما ورثها الأتراك عنهم عبر استخدام وتر القوس في السراي السلطانية العثمانية . انظر :

ماركو بولو ، رحلات ماركو بولو ، ترجمتها إلى الإنجليزية ولهم مارسدن ، ترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد ، ج٢ ، القاهرة ، ٤ - ٢٠٠٤ م ، ص ١٢ ، ٣٠ - ٢٠ هامش ١٥ .

و بخصوص ازهاق تيمورلنك لأرواح أهالي سيواس دون أي عملية لسفك الدماء ، فيبدو أن العاهل المغولي قد اعتبر أنه قد احترم أهالي المدينة عندما تنازل و اعتبرهم مثل الطبقة العليا بالمجتمع المغولي ، فحق عليهم الموت عبر ازهاق أرواحهم دون سفك للدماء .

53- The Bondage and Travels , pp 9-10 ; Richard , op. cit ,p.79 .

٥٤- تعد معركة أقره ١٤٠٢م من أهم المعارك التي دارت في العصور الوسطى ، و على الرغم من أنها جرت بين أكبر عاهلين مسلمين في ذلك الوقت ، فإن نتائجها كانت متباينة على العائلين المغولي الذي اتسعت رقعته عقب الاستيلاء على آسيا الصغرى ، و العثمانيين الذي دخل في دوامة حرب أهلية بعد أن كان على وشك فتح مدينة القسطنطينية . عن هذه الموقعة انظر ما سبق . ص ٢ هامش (٣) .

55- The Bondage and Travels , p.21 و انظر أيضاً

Khwandamir , op. cit.p. 280 ; Aşık paşa öglü , op. cit , p.74.

٥٦- انظر : Khwandamir , op.cit , p.282 .

ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ - ٣١٣ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٧ ؛ الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

57- The Bondage and Travels , p.21 .

عن انضمام القوات المغولية بالجيش العثماني إلى تيمورلنك ، و انسحاب القوات التركمانية من جيش بايزيد . راجع ؛ : Aşık paşa öglü , op. cit , p.78 ؛ ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٢٢ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٧ ؛ Doukas , op.cit ,p.93 .

٥٨- Schiltberger , op. cit , p. 21 ينطبق هنا ما ذكره شيلتبرجر مع ما ورد في المصادر المعاصرة . عن

ذلك ؛

Khwandamir , op. cit.p.284 ؛ ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر

السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٩ .

60- The Bondage and Travels , p.22

ذكر شيلنجر في مبالغته واضحة أن أعداد جيش تيمورلنك لدى حصار حلب كان مليون و مائتي ألف جندي ، وجعل قوات حاكم حلب تبلغ ثمانية آلاف رجل ، و الحقيقة أن دمرداش ، قائد قلعة المدينة كان قد أبدى مقاومة بطولية أمام جيوش القوات المغولية . قبل أن تنجح تلك القوات في النهاية في دخول المدينة و ارتكاب العديد من المذابح و الفظائع فضلاً عن أعمال السلب و النهب . إذا كان شيلنجر قد أشار فقط إلى أن تيمور أمر بقتل كافة أهل حلب في خندق المدينة الثاني قبل أن يملأ بالماء ، فإن باقي المصادر العربية و الفارسية و العثمانية تتحدث عما هو أكثر من ذلك بكثير .

عن اجتياح المغول لحلب ١٤٠٠م و الفظائع التي قاموا بارتكابها بها - انظروا

ابن اياس ، المصدر السابق ج١ ، ق٢٠ ص٥٩٧- ٥٩٨ ؛ ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ - ٢٠٩ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ؛ الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص٧٤-٧٧ ؛ القرظي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ق٣ ، ص١٠٣٣-١٠٣٤ ؛ ابن العماد الحنبلي (أنى الفلاح عبد الحمى) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٧ ، بيروت ، د.ت ، ص ٦٤ بشرف الدين بزدى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢١٨ - ٢٢١ ،

Khwandamir ,op.cit,pp 275- 276؛ Aşıkpaşazade,op.cit, p.77; Oruç Beg ,op.cit,p.58 ؛

T.ovma Metsobets-I-s , op.cit, pp.13-14 beta.Sak.hrit.com

تذكريات تيمور ، مقالات أولى في تديرات وكتكاشها ، تهران ، د.ت

61- Loc.cit.

عن دخول القوات المغولية إلى دمشق . راجع المصادر العربية و الفارسية و العثمانية السابقة

٦٢- Ibid . p.24 . عن غزو تيمورلنك لمدينة بغداد و ارتكاب الفظائع بها انظر :

Khwandamir ,op.cit, p278 ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ٢ و ص ٢٦٦ ؛ القرظي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٦٧ ؛ ابن اياس ، المصدر السابق ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ١٦٣ ؛ ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ص ٦٥ او انظر أيضاً :

ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢-٣٠٦ ، الذي أشار إلى أنه نتيجة للموتة و الفظائع التي ارتكبتها قوات تيمورلنك في بغداد ... لقد صارت بعد أن كانت مدينة السلام ، دار السلام » .

63- Ibid . pp. 26-27 .

64- . Habibu-s - siyar . , pp.290 - 291

حيث يتحدث مؤرخنا الفارسي عن اسكندر شيخ ، تابع تيمور الذي شق عصا الطاعة عنه . فأرسل العاهل المغولي وراة أمير زاده رستم و الأمير سليمان شاه . و استمرت المطاردة طويلاً بسبب اختيار اسكندر شيخ في الغابات الكثيفة ، حتى تم القبض عليه في النهاية و قتله . غير أن رواية حبيب السير لم نشر أيضاً إلى مسألة استيلائه على الخراج . عن ذلك أنظر أيضا : حافظ إبرو ، ذيل كتاب ظفر نامه نظام الدين شامي ، تهران ، د.ت. ، ص ١٤ - ١٥ .

٦٥ - The Bondage and Travels . pp.27-28 : انظر : ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ٩٨
٦٦ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) كتاب العبر و ديوان المتبدأ و الحبر ، ج ٥ ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٥٤٠ . op.cit. p.257. Khwandamir .

66- The Bondage and Travels . p.27

٦٧ - أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، برستون ، ١٩٣٠ م ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

68- The Bondage and Travels . p.26

عن استيلاء تيمورلنك على الهند - ١٣٩٨ / ٨٨٠ م . انظر المصادر و المراجع التالية :

Khwandamir . op.cit. pp.264-268 : شيراز الدين بزي ، المصدر السابق ، ص ٩٧ - ٩٩ ، ١١٢
Tovma Metsobets-Is . op.cit . p14 . غير أنه يذكر أن ذلك تم في العام ١٣٩٦ م : أنظر أيضا :
تروكات تيمور ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ - ١٣٩ .

انظر كذلك : المقرئ ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٨٩٢ ، ٩٣٤ ، ج ٢ ، ص ١٠٢٤ : ابن ايهاس ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ ، ٥٩١ : ابن العماد الخنيلي ، المصدر السابق ، ص ٢ ، ايشورلر ، ب ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد سعد ، مراجعة سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٢ م ، ص ١٢٤ : أحمد الساداتى ، تاريخ الدول الاسلامية في آسيا و حضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٠٢ ، هامبري ، أ ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد الساداتى ، مراجعة و تقديم يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٣٢ . حيث يصف بالتفصيل المعركة التي دارت بين تيمورلنك و حاكم الهند ملو ، و كيف نجح جنود تيمور في خداع و إثارة الأفيال الهندية بحيث انقلبت على أصحابها . و عن حملة تيمورلنك على الهند انظر أيضاً : Clavijo , op.cit. pp. 255-256 .

الذي تحدث أيضاً عن تحميل المغول للجمال بالأخشاب و أشعال النيران بها ، و فرار الأفيال من أمامها . غير أنه يتحدث عن وجود حصين قبلاً فقط في الجيش الهندي .

استخدم شيلبرجر هنا وحدة الوزن zentner التي تعادل مائة كيلو جرام ، مع إشارة أخرى تظهر معرفته بالسلع و المعادن في عصره ، عندما نوه إلى أن ذهب الهند آنذاك كان يفضل على ذهب الجزيرة العربية .

٧- قام المغول تحت قيادة قبلاي (١٢٥٧- ١٢٩٤ م) بغزو الصين و ترب على ذلك أن دفع خلفاء الجغتانيين في سمرقند ضريبة سنوية له . بعد ذلك تنهورت أحوال خلفاء قبلاي ، قبل أن تظهر العام ١٣٧٠ م أسرة ملكية مغولية في الصين ، عرفت باسم أسرة يوان Yuan بعد ذلك ظهرت أسرة ملكية أخرى هي أسرة مينج Ming ، التي أسسها الامبراطور Hongwan الذي مات عام ١٣٩٩ م ، ليحكم بعده الامبراطور Ching tou الذي أصبح اسمه رسمياً الامبراطور Yuanglo خلال الأعوام ١٤٠٣-١٤٢٤ م ، و هو الحاكم الذي أسماه كلاتيجو Chayscan أو Chayskan ، و الذي أطلق عليه المغول لقب Tanguz .

و على أية حال أراد هنا الامبراطور الذي عرف أيضاً باسم جودي أو جوتشى أن يرغم تيمور على دفع الضريبة السنوية المفروضة على حكام سمرقند إلى البلاط الصيني . انظر :

Clavijo , J . Embassy to Tamerlane 1403- 1406 . Trans. by Le strange , G . London , 1928

، p.358. not.2

و انظر أيضاً : لوز ليفانيس ، يوم سلات الصين البخار ، مطبعة عرش السنين ١٤٠٥ - ١٤٢٣ م ، ترجمة على أحمد كنعان ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

<http://Archiv-beta.Sakhril.com>

71- Embassy to Tamerlane , op . cit. p. 222.

٧٢- Ibid . pp. 223 ; p. 327. not. 2 ، لوز ليفانيس ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

73- The Bondage and Travels ، p.28

يذكر المؤرخ الفارسي خواندمير خروج تيمورلنك لغزو الصين في جيش يبلغ تعدادة ثمانمائة ألف رجل . انظر :

٥ . Habibu's-siyar ، أنظر أيضاً : شرف الدين يزدى ، المصدر السابق ، ص ٤٤٥ - ٤٥٢ ، حافظ ابرو ، المصدر السابق ، ص ٢٤ - ٢٧ . و تذكر لوز ليفانيس أن تيمور خرج على رأس مائتي ألف رجل فقط عبروا نهر سيحون Jaxartez المتجمد قبل أن تعده على أعقابها دون تحقيق هدفها المرجو ، انظر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

و انظر أيضاً كلاتيجو الذي أشار إلى بعد المسافة ما بين سمرقند عاصمة تيمور ، و بكين عاصمة الامبراطور الصيني ، التي تبلغ مسيرة ستة أشهر . انظر : Embassy to Tamerlane ، p. 291 .

٧٥- Ibid. pp. 294-295 75 . و ذكر خواندمير أيضاً أن نهر سيحون يتجمد في الشتاء و يصبح لونه فضياً . كما أن الرياح القوية تنفخ بكلل الجليد من الجبال و السهول إلى صفحة النهر ، مما يجعل المشهد كله أقرب إلى تكون البحار .

٧٦- Loc.cit الذي ذكر أيضاً أن تيمور أرسل شخصاً آخر للتحقق من الطريق عبر مضيق قولان Qulan ، غير أنه عاد اليه ليخبره أن المضيق مغطى بالثلج بطول ومعين مما يستحيل اجتيازه . انظر أيضاً : شرف الدين بزدى ، المصدر السابق ، ص ٤٥٧-٤٦٩ .

٧٧- « عجائب المقدور في توثاب تيمور » ، ص ٢٨٨ .

٧٨- p. 29 . The Bondage and Travels . « وانظر أيضاً ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ٤٦٦ ، حيث أشار أيضاً إلى قتل تيمور لإحدى زوجاته » ... لشيء بلغه عنها ، وكان غير واقع »

بينما يحدد خواندمير تاريخ وفاة تيمورلنك في الثامن عشر من فبراير عام ١٤٠٥م الموافق للسابع عشر من شعبان عام ٨٠٧ . وعن وفاة تيمور ، انظر أيضاً : Tovma Metsobetsi-s-op.cit . p. 14

الذي ذكر خطأ أن وفاته كانت في العام ١٤٠٨م . غير أن ذلك لم يرد في المصادر التاريخية المعاصرة لحياة العاهل المغولي التي أشارت إلى هجرته تيمور لكعبيات من الحشر المنظر المزوج بالهارات والتوابل كي يعينه على تحمل البرد القارس إيمان حملته باتجاه الصين . انظر : ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ٣٩١-٣٩٢ ، ابن تغري بريدى ، المصدر السابق ، ج ١٣ ، ص ٣٦٩ .

٧٩- ذكر كل من كاريني و بولو أن لساء المغول يقتنن بالعفة و الاحتشام و الإخلاص لحباتهن الزوجية ، و لا يرتكبن الأعمال المشينة التي تحط من قدرهن . وأنه إذا ما حدث غير ذلك يتم على الفور إدانة الزانية و الزاني و توقيع عقوبة القتل عليهما في الحال . انظر : Dawson . ch. (ed.) Mission to Asia , London . : pp. 15.17 ، 1966 .

ماركو بولو ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥-١٣٦ .

٨٠- « Habibu's - Siyar » . pp. 299-300 حيث ذكر أيضاً وجود ٢٢ خبيلة لديه .

٨١- « Embassy to Tamerlane » ، p. 261 لا يعترض لي سترانج - مترجم كتاب كلايخو - على ذلك مقترحاً أنه إذا كانت الشريعة الإسلامية تتيح لتيمور الزواج من أربعة فقط . فإنه قد استثنى نفسه من ذلك ، لماً مثلما كان يشرب الحمر دائماً ، في مخالفة واضحة للشريعة الإسلامية أيضاً . انظر : p. 359 . not. 3 .

83- Schiltberger .op .cit.p 29

84- « Habibu's - Siyar » . p

Schiltberger , op.cit. p. 30 :

وعن الأسرى في سمرقند راجع ما ذكره السفير الألباني كلايفينو عن آلاف الأسرى من المرحومين الذين جلبهم تيمورلنك من بلادهم من مسلمي دمشق و بلاد الأناضول و من المسيحيين يختلف طوائفهم . الكاليزنطيين و الأرمن و الكاثوليك و البعاقبة و النساطرة . بخلاف الهند و الروس و الصينيين انظر : Embassy to Tamerlane . pp. 287-288

٨٦- 86- The Bondage and Travels . حيث ذكر أنه بعد وفاة تيمورلنك تم نقله إلى حاشية ابنه الأكبر شاه رخ الذي كان يمتلك أراضي خراسان و أرمينيا . و أنه عندما كان يرافقه شناه إلى أرمينيا كان يعيش وسط الأرمن الذين امتازوا بالود تجاه الألمان . فحافظوه بحفظهم و رعايتهم .

87- « History of Tamerlane and His successors » . p. 14 .

٨٨- 30- p. The Bondage and Travels . و يبدو أن التشوش الذي أصاب شيلتبرجر هنا عند حديثه عن أحوال الأسر لدى المغول قد تأثر به الفؤوخ الأرميني Tovma Metsobets . و هو الأمر الذي يمكن أن نلاحظه لديه إذ قرر أن وفاة تيمورلنك كانت العام ١٤٠٨م . و هو ما يخالف باقي المصادر التاريخية الفارسية و العربية . لكن ذلك يتسق مع الحضا الحسابي لدى شيلتبرجر ، الذي تأثر به مؤرخنا الأرميني . وهكذا سقط الأول في الأسر بعيد موقعة أنقرة ١٤٠٢م و عكث ست سنوات عند تيمورلنك إلى وفاة الأخير عام ١٤٠٨م . انظر : History of Tamerlane . p. 14 .

و يشي تأثر الرواية الأرمينية بالتشوش الذي لازم حسابات شيلتبرجر . ثم أن نقلها رواية صوت العواء الصادر من فخر تيمورلنك بسمرقند يشي بأن المؤرخ الأرميني قد استمع إلى أحاديث الأسير الألماني يوهان شيلتبرجر من أصدقائه الأرمين . كما سبق الإشارة خاصة و أن مؤرخنا الأرميني قد ولد العام ١٣٧٨م و مات عام ١٤٤٦م . و كان لديه ٢٧ عاماً عندما وصل شيلتبرجر إلى أراضي أرمينيا مع سيده الجديد شاه رخ .

٨٩- 30- p. The Bondage and Travels . وعن مملكة شاه رخ في خراسان . انظر : بارتولك . المرجع السابق ، ص ٢٥٠ . ٢٥٢ . ٢٥٣ .

90- Ibid. p. 31

٩١- شرقنامه . الجزء الأول . ترجمة محمد علي عوني . مراجعة يحيى الخشاب . دمشق ٢٠٠٦م . ص ٣٥٦ . الذي ذكر حدوث تلك المعركة في (نصيب قازان تيريزا) . ومن أهم نتائجها كان سقوط بلاد أذربيجان كلها في قبضة قرا يوسف .

٩٢- " 33- p. The Bondage and Travels" . انظر أيضا : عجائب المقدور . ص ٣٩٩ ... و كان أبو بكر هنا في الجعظاي من الفوارس و الضاريين بالبيض السهام و القوائس ... و كان يوقف بقرة ... و يضربها

بالسيف ضربة لا تترين ، فيجعلها قطعتين مفصولتين . و عن أبي بكر بن ميران شاه انظر أيضاً :

Clavijo . op. cit. pp.317.

93- The Bondage and Travels . . p.33 .

٩٤- محمد سهيل طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية و الهند ، بيروت ، ٢٠٠٧م ، ص ١٢٣ .

95- The Bondage and Travels . .p.35 .

٩٦- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٩ .

97- Halperin .ch. Russia and The Golden Horde . London . 1985 .p.57 .

٩٨- انظر : ابن عرشاه ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

٩٩- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١١٧ - ١١٩ .

100- Robert Michell & Nevill Forbes (eds.) , The Chronicle of Novgorod 1016 - 1471 . London , 1914 . p. 183 .

101- Loc.cit. P.33

102- "The Bondage and Travels ,

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

103- Ibid . p. 34 .

١٠٤- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

105- Halperin . op.cit.pp.29.57 .

١٠٦- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

107- The Bondage and Travels . . p.35

١٠٨- عن ذلك أنظر :

- Heaney .M. The Mongolian Almas : A Historical Reevaluation of The Sighting By Baradiin . in . Cryptozoology 2. 1983. pp. 40- 52 .

- Newton. M. * Almas / Almasi * , in. Encyclopedia of Cryptozoology : A Global Guide. London. 2005. pp. 19- 20

109- Loc.cit.

١١- المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٦-٩٧.

١١١- رحلة ابن بطوطة السماء تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، د.ب.ت، ص ٢٢٥. حيث تحدث عن معر الكلب الذي يصل لما يساوي ألف دينار بسبب الحاجة الماسة للكلاب في جر و سحب العربات و أثر ذلك على حركة التجارة.

و عن استئتمام الحيوانات في جر العربات في مناطق أخرى قريبة تحدث ابن بطوطة عن ما شاهده في إقليم القرم من عربات تتألف كل واحدة منها من أربع بكرات كبار يجرها الجبول أو البقر و الجمال، انظر، ص 215.

١١٢- "The Bondage and Travels", pp.37-38. وذكر أنه كان يدعى Phiradamschych.

١١٣- المصدر السابق، ص ٢٦٠. «...يظن رائيه أن عمره خمسون سنة... وشككت في حاله، والله أعلم بصدقه».

١١٤- المصدر السابق، ص ٤٧. «...من رأه يتصور أنه لم يبلغ أشده، لم يكن للكبر بوجهه المعبد ولا أثر».

115- The Bondage and Travels، p. 48.

عن ذلك انظر ما ذكره كاربيني و ولیم أف روبروك و ماركو بولو :

١١٦- 112، 96-98، 17، 16، Dawma، ch، op، cit، المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤، ١٣٥.

١٣٨- ١٣٩؛ وانظر كذلك ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٢١١، ٢١٢.

١١٧- The Bondage and Travels، p. 48. «و هو نفس ما أشار إليه ماركو بولو أيضاً من قبل الذي ذكر أنه إذا ما زحف القبول في سفر طويل و انتهت مؤنهم، يكتهم العيش لعشرة ايام أخرى عبر الإعتماذ على دماء خيولهم... إذ يشق كل رجل عرقاً و يشرب من دم ماشيته» - انظر رحلات ماركو بولو، ج ١، ص ١٤٠.

118- The Bondage and Travels، p. 48.

119- Ibid، p. 38

120- Loc. cit

121- Carpini، op، cit، p. 18.

وانظر أيضاً، Howorth، . History of the Mongols، vol. 4، London 1888، 162.

شيزلر، ب. العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد عيسى، مراجعة سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٢، ص ٢٨. كما أشار عطا ملك الجويني إلى أن النساء و الرجال الذين لا يشاركون في القتال يقفون في المنازل و الحيام لإعداد الطعام و المؤونة للقاتل الحاربة. انظر: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، ترجمة محمد النورعني، المجلد الأول، دمشق، ١٩٨٥، ص ٦٦.

١٢٢- سعد الغامدي المغول: بينتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، الرياض، ١٩٩٠م، ص ١١٣-

. ١١٤

١٢٣- عطا ملك الجويني، المصدر السابق، ص ١٧١. الذي يشير أيضا إلى أنها استنثت - كما إعادة المغول- الحرفيين والصناع الذين تم أسرهم وإرسالهم إلى التركستان.

١٢٤ رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكناي قان إلى تيمورقآن، ترجمة فؤاد الصياد، ص ١٠٧ الذي ذكر أن أنها تميزت بقوة بدنية مكنتها من هزيمة عشرات الرجال، وأعلنت أنها لن تتزوج سوى من الرجل الذي يستطيع هزمتها. وسمح لها القائد قايدو بعد ذلك بأن ترافقه في كافة المعارك التي خاضها.

ويبدو أن تلك القصة قد تم تداولها في القرن التالي مباشرة - إذ نجد لها صدى عند حديث ابن بطوطة عن الصين الذي يشير إلى إحدى ملكاتهم التي كانت تقاتل الرجال وتصرعهم، فأخبرت أبيها أنها لن تتزوج سوى من يبارزها ويغلبها. انظر المصدر السابق، ص ٤١٣-٤١٤.

١٢٥- المصدر السابق، ج ١، ص ٧٦. والزر الكبير والزر الصغير من أقاليم الجزيرة العراقية، كان غالبية سكانها من الأكراد. راجع أيضا ص ٧٠.

١٢٦- المصدر السابق، ص ٤٨١. وحسب كلامه... يصنعن أبلغ ما يصنع الفحول من الرجال في النزال، من طعن بالرمح وضرب بالسيف ويقتل بالنبال.

١٢٧- عن ذلك انظر: رينغا هينسرا، المرأة في عصر المغول، ترجمة أحمد الجوارنة، إربد، ١٩٩٨.

ص ١٤٦-١٤٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- ١- ابن بطوطة (أبو عبدالله بن عبدالله اللواتي)
رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ، د.ت.
- ٢- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المعاسن)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١٢ ، القاهرة ، د.ت.
- ٣- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي)
إنباء الغمر بأبناء العمر ، ج٢ ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ٤- ابن العماد الحنبلي (أبي الفلاح عبد الحى)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٧ ، بيروت ، د.ت .
- ٥ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنبلي)
بنايع الزهور في وقائع الدهور ، ج١ ، ق٢ ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- ٦- ابن عريشاه (شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي)
عجائب المقدور في نوائب تيمور ، تحقيق أحمد فايز الحمصي ، بيروت ، ص ، ١٩٨٦ م .
- ٧- أسامة بن منقذ .
كتاب الاعتبار ، تحقيق قاسم السامرائي ، الرياض ، ١٩٨٧ م .
- ٨- الصيرفي (الحطيط الجوهري علي بن داود)
نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، ج٢ ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ٩- المقرئ (تقى الدين أحمد بن علي)
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج٣ ، ق٢ ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ١٠- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) كتاب العبر و ديهان المبتدأ و الخبر ، ج ٥ ، بيروت ، ١٩٨١ م .

ثانياً : المصادر الفارسية و العثمانية :

1- Aşıkpaşaoğlu . Aşıkpaşa Tarihi . Hazırlayan . Nihal Atsız . An-kara. 1985 .

2- Khwandamir . Habıbus-siyar . Tome Three . The Reign of The Mongol and The Turk Part one : Genghis Khan - Amr Temur . Trans and ed. By . w.M. Thackston . Harvard university . 1994 .

3- Oruç Beg . Oruç Beg Tarihi . Hazırlayan . Nihal Atsız . I stanbul. 1973 .

4- Tursun Bey . Tarih-I Ebu'l-Feth . Hazırlayan . Mertol Tulum . Istanbul . 1977 .

٥- الهدیسی (شرف خان) شرفنامه ، الجزء الأول ، ترجمة محمد علی عونی ، مراجعة یحیی الخشاب ، دمشق ، ٢٠٠٦ م .
٦- الجوینی (عطا ملک) ، تاریخ فاتح العالم جهانکشای ، ترجمة محمد التوحی ، المجلد الأول ، دمشق ، ١٩٨٥ م .

٧- الهمذانی (رشید الدین فضل الله) ، جامع التواریخ ، تاریخ خلفا ، جنکیزخان من اوکتای فأن إلى تیمور قان ، ترجمة فؤاد الصیاد ، مراجعة یحیی الخشاب ، بیروت ، ١٩٨٣ م .

٨- تزوکات تیمور ، مقال اول فی تدبیرات وکنکاشها ، تهران ، د.ت .

٩- حافظ ایرو ، ذیل کتاب ظفر نامه نظام الدین شامی ، تهران ، د.ت .

١٠- یزدی (شرف الدین) ، ظفر نامه ، تاریخ عمومی مفصل ایران درووة تیموریان بتصحیح وإقام محمد عباسی ، أزروی نسخی که ، در عصر مصنف نوشته شده ، جلد دوم ، تهران ، ١٣٣٦ هـ .

ثالثاً : المصادر البيزنطية و اللاتينية و الروسية و الأرمنية :

1- Chacocondylas . Historiarum demonstrations . ed. By. I .Bekker . C.S.H.B . Bonne . 1843 .

2 - Clavijo , J. Embassy To Tamerlane 1403 -1406 . Trans. By. Le Strange . G . London . 1928.

3 - Dawson , ch. (ed.) Mission to Asia . London . 1966.

4 -Delaville le Roulx (Joseph) . La France en Orient au XIV siècle: expéditions du marchal Boucicaut . 2vols , paris . 1886.

5 - Dennis. G. "Three reports from Crete on The situation in Romania 1401 - 14-2 " .in S.V. 12 . 1970.

6 - Dopp.p.H. (ed.) L'Égypte Au Commencement du Quzieme Siècle . d'Après Le Traite d'Emmanuel e Au Commencement du Quzieme Sieomania 1401 - 14-Piloti de Crete (Incipit 1420) , Le Caire , 1950

7 - (ed.) Traite d'Emmanuel e Au Commencement du Quzieme Sieomania 1401 - 14-Piloti sur Le passage en Terre saint (1420) . paris , 1958.

8 - Doukas , M. Decline and Fall of Byzantium to The Ottoman Turks . by Magonlias , H . J. , Detroit . 1975 .

9 - Froissart. Chronicle of Froissart , Trans. by John Bouchier . Lord Berners .edited by . Macaulay , G . C . London. 1930.

10 - Gauter. P. " Un Recit Indet Du Siege de Constantinople par Les Turcs , 1394- 1402 " . in . Revue d.etudes Byzantion. Tom , XIII ,1965.

11- Godefroy . T. (ed.) . Histoire de messier Jean de Boucicaut , marschal de France , gouverneur de Gennes , collections.vols. vi . vii. Paris.1825.

12-Robert Michell & Nevill Forbes (eds.) , The Chronicle of Novgorod 1016 - 1471 . London . 1914

13 - Marco Polo. The Travels. trans. By. William Maresden. London. 1980.

اعتمدت على الترجمة العربية لهذا الكتاب :

- ماركو بولو . رحلات ماركو بولو . ترجمة وليم مارسدن ، ترجمها إلى العربية عبدالعزيز جاويد ، ج ٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م .

14- Schiltberger , J . The Bondage and Travels of Johan Schiltberger , A Native of Bavaria , in Europe , Asia . And Africa 1396 – 1427 . Trans . by . Telfer . B . with notes by . Brunn . P. New York . 1878.

15 - Sphrantzes.G. The Fall of Byzantine Empire . The Chronicle by George Sphrantzes . Trans. by. M.Philippides. Amherest. 1980.p.21.

16- T'ovma Metsobets;I;s , " History of Tamerlane and His successors " . in . <http://rbedrosian.com/Tm1.htm>

رابعاً : المراجع الأجنبية :

1 - Alexandrescu - Dersca . La Campagne de Timur En Anatolia . 1402. London . 1972.

2 - Atiya. A. S. The Crusade of Nicopolis . London . 1934.

3 - Barker . J . Manuel II Palaeologus (1391- 1425). A study in Late Byzantine Statesmanship . New Jersey . 1969.

4 - Charanis.p. "The Strife among The Palaeologi and The Ottoman Turks 1370-1402 " .in .Byzantion. xvi. 1942- 1943.

5 - Dennis , G. " Three reports from Crete on The Situation in Romania 1401-1402 " . in .Studi Veneziani .12.1970.

- Halperin ch. Russia and The Golden Horde , London 6 1985.

7 - Heaney ,M. The Mongolian Almas : Historical Reevaluation of The Sighting By Baradiin . in. Cryrtozoology. 2. 1983.

8 - Hously.N. The Later Crusades from Leon to Alcazar. 1274-1580.Oxford.1992.

9 - Inalcik , H. "The Ottoman Turks and The Crusades . 1329-1451".in. A History of The Crusades . ed. By. Setton . K. M. vol. vi. Wisconsin. 1989.

10 - Newton. M. " Almas / Almasti ", in. Encyclopedia of
Cryptozoology : A Global Guide , London. 2005.

11- Painter.S. A History of the Middle Ages from 284 to 1500.London.1953.

12- Previte - Orton.C.W. The Shorter Cambridge Medieval History. vol.2. the Twelfth Century to the Renaissance . Cambridge.1979.

13- Richard . J. "Les prisonniers de Nicopolis " .in . Annales de Bourgogne . t. 68 .1996 .

14-Treveliane.G.M. History of England .London.1942.

15-Uzun çarşılı ." karaman ögulları", Art in Anadolu Beylikleri ve Akkoyunlu.Karakoyunlu Devletlerim. Ankara. 1969.

14 -Veszpremy.L. "Some Remarks on Recent Historiography of The Crusade of Nicopolis 1396".in . The Crusades and The Military orders Expanding The Frontiers of Medieval Latin Christianity . ed. by. Zsolt Hunyadi and Jozsef Laszlovszky . Budapest. 2001.

القواميس

1-Webster.s New Geographical Dictionary . New York . 1996.

سادسا :المراجع العربية والمعرية :

١ - أحمد الساداتي ، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا و حضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٦م.

٢- خليل إينالچك " العثمانيون - النشأة و الازدهار " . بحث في كتاب : دراسات في التاريخ العثماني ، ترجمة و تقديم سيد محمد السيد ، القاهرة ، ١٩٩٦م.

٣- ريخا ميسرا ، المرأة في عصر المغول ، ترجمة أحمد الجوارنة ، إربد ، ١٩٩٨م .

٤- سعد الغامدي ، المغول : بينتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية ، الرياض ،

١٩٩٠م .

- ٥- سعد زغلول عبد الحميد ، " الإسلام و الترك فى العصر الإسلامى الوسيط " . مجلة عالم الفكر . العدد ، الكويت ، ١٩٨٦م .
- ٦- شوبلر ، ب ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، ترجمة خالد سعد ، مراجعة سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٢م .
- ٧- عبد الرازق الطنطاوى القرموط ، العلاقات المصرية العثمانية ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
- ٨- فامبرى ، أ ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة أحمد الساداتى ، مراجعة و تقديم يحيى الحشاش ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
- ٩- لويز لبقائيس ، يوم سادت الصين البحار . مفخرة عرش النينين ١٤٠٥ - ١٤٣٣م ، ترجمة على أحمد كنعان ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
- ١٠- محمد سهيل طقوش ، تاريخ مغول القبيلة الذهبية و الهند ، بيروت ، ٢٠٠٧م .



كتب التراجم في المدرسة التاريخية المكية القرن العاشر الهجري (١٦م) نموذجاً

مقدمة :

تميزت المدرسة التاريخية المكية بالتنوع في مجالاتها الكتابية مما أثرت لنا الموروث الثقافي والذي نستمد منه المعلومات الأساسية لدراسة التاريخ المكي في مختلف الجوانب السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

<http://Archivebeta.Sajhrit.com>

ولقد أردتُ بهذا البحث للمشاركة المتواضعة ضمن البحوث التي تتناول خصائص المدرسة التاريخية المكية ، التي وإن نالت العناية من الدارسين والباحثين فإنها لا تزال تحتاج إلى الهمم العالية والجهود المبذولة لاستجلاء جوانبها وبيان خصائصها التي امتازت بها عن بقية المدارس التاريخية في البلاد العربية الإسلامية الأخرى .

يكاد لا يجد الباحث ميداناً من ميادين الكتابة التاريخية خلا من إنتاج المكين . ومن بين مشاركاتهم المتنوعة نلاحظ عناية واضحة منهم بالتأليف في مجال التراجم والطبقات ، وهو مجال أساسي في الكتابة التاريخية^(١) بما يقدمه من معلومات تفيد في معرفة الأشخاص والجماعات ، مما يوضح الخصائص الاجتماعية لمكة ويبيّن أبعاد القيسة العلمية للمكين . لذلك رأيت من المفيد أن استجلي أهمية ما أنتجه المكين في ميدان المؤلفات التي تناولت التراجم والطبقات في القرن العاشر الهجري كمثال لجهودهم في هذا المجال من الدراسات التاريخية .

وإن الناظر في تنوع كتب التراجم يلاحظ أنها تنتوع إلى نوعين أساسيين :

- ١- كتب تترجم لشخص واحد معين فأولئکه کل اهتمامها .
- ٢- كتب تترجم للعديد من الأشخاص وهي التي تعرف بكتب الطبقات .
ثم إن كتب الطبقات هذه على نوعين :
- ١- كتب طبقات عامة : وهي التي ترجمت لكل من ذکر في الحياة العلمية والسياسية وغيرها .
- ٢- كتب الطبقات الخاصة : وهي التي ترجمت لجماعة معينة اجتمعت في اختصاص واحد أو بلد أو انتساب واحد أو غير ذلك .

وستتناول في هذا البحث كل ما عُرف من الإنتاج المكي المتخصص في فن التراجم الخاصة بالأشخاص والتراجم الخاصة بالطبقات خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . إلا ما كان من كتب السيرة النبوية وكتب التراجم الخاصة برجال الحديث المؤلفة في تلك المرحلة تاركين ذلك للدراسات الحديثة وأصحابها ، وهو ما جعلنا نُعرض عن دراسة الكتب التي حملت العناوين الآتية :

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhr.it.com

- ١- كتب السيرة النبوية .
- ٢- معاجم الشيوخ .
- ٣- فهارس الشيوخ .
- ٤- كتب الأثبات .
- ٥- كتب المشيخات .
- ٦- تخريج المشيخات .
- ٧- المنتقيات من كتب المشيخات .
- ٨- فهارس المرويات .

أما غيرها من كتب تراجم الأشخاص وكتب الطبقات التي اعتمدت بها هذه الدراسة فلقد أمكننا أن نضع قائمة هامة منها بعد أن بحثنا في ترجمات المؤرخين المكيين الذين عاشوا خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي فحصلنا منها على إنتاج ثري في الموضوع ، ونعرضه بإيجاز في الجدول التالي :

المؤلف	تاريخ وفاته	عناوين الكتب
العز بن فهد : عبد العزيز بن عمر	١٥١٧/هـ ٩٢٢	• غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام . • نزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء . والأئمة وقضاة البلد الحرام . • ترتيب طبقات القراء . للذهبي .
ابن العليّ : أحمد ابن الحسين	١٥٢٠/هـ ٩٢٦م	• الدر المنظوم في مناقب بايزيد سلطان الروم .
ابن ظهيرة : محمد بن أبي السعود	١٥٣٤/هـ ٩٤٠م	• الأخبار المستفادة فيمن ولي مكة من آل قتادة .
ابن ظهيرة : أحمد بن عطية	كان حياً ١٥٣٤/هـ ٩٤٢م	• جواهر العقود في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود .
جار الله بن فهد : محمد بن عبد العزيز	١٥٤٧/هـ ٩٥٤م	• الأقوال المتسعة . في بعض ما قبل في مناقب أئمة الملل الأربعة . • بلوغ الأرب . بمعرفة أي الأثبياء . من العرب . • تاريخ يُفيد في معرفة المترجمين في الضوء . للامع من الأحياء . • تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف . • تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا . • الجواهر الحسان . في مناقب سليمان بن عثمان . • القول المؤلف في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف . • معجم الشعراء .
ابن حجر الهيتمي المكي : أحمد بن محمد	١٥٦٧/هـ ٩٧٤م	• الحبرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان . • معدن البواقيت للمتسعة في مناقب الأئمة الأربعة . • ترجمة معاوية بن أبي سفيان .

المؤلف	تاريخ وفاته	عناوين الكتب
الفاكهي : عبد القادر بن أحمد	٩٨٩هـ / ١٥٨١م	• فضائل ابن حجر الهيتمي . • القول النقي في مناقب المتقي . • مشكاة الاقتباس في فضائل ابن عباس . • مناقب عبد الرحمن العمودي .
النهر والي : قطب الدين محمد بن علاء الدين	٩٩٠هـ / ١٥٨٢م	• طبقات فقهاء الحنفية . • زيادات على كتاب دستور الأعلام لابن عزم .

أنواع كتب التراجم التي ألفها المكيون

خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

إذا كانت هذه القائمة قد عرضت أسماء المؤلفين من المؤرخين وما أنتجوه من الكتب في مختلف أنواع الكتابة ضمن مجال التراجم والتطبقات على اختلاف أنواعها ، فإنه بعد البحث والمطالعة تبين لنا أن عدد المؤرخين المكيين من رجال القرن العاشر الذين تناولوا فن التراجم يبلغ ثمانية مؤلفين^{١٣} ، وأن عدد مؤلفاتهم في هذا المجال بلغ ثلاثة وعشرين كتاباً ورسالة .

وبعد النظر فيها أمكننا أن نصنفها حسب الموضوعات إلى صنفين أساسيين :

١- كتب التراجم التي اختصت بشخص واحد ، وقد يكون ذلك الشخص من رجال العلم أو من رجال السياسة .

٢- كتب التراجم التي تتناول التعريف بمجموعة من الأشخاص على اختلاف فئاتهم :

فمنها كتب اختصت بجماعات معينة كالأئمة ، أو الصحابة .

ومنها التي اختصت بالأنساب والتي اشتملت على تراجم لجماعات كآل البيت .

ومنها تلك التي اختصت بالحكام والملوك .

وتلك التي اختصت بالعلماء ، وأصحاب الوظائف الدينية كالأئمة والفقهاء ، والحطباء ،

ومناقبهم .

الصف الأول : الكتب التي تناولت التعريف بشخص واحد .

* ابن العليف : أحمد بن الحسين (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) ^(١٧) .

هو مكِّي ولد بها سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٧م من عائلة اشتهرت بالشعر .

أخذ العلم عن كبار العلماء المكيين والمصريين . أنتج أشعاراً كثيرة اتسمت بالجزالة والبلاغة نُقلت في المصادر المكية . واعتبره المؤرخون كبير شعراء مكة حتى وصفه جبار الله بن فهد بمتنبى زمانه وشاعر البطحا . وشيخ الأدباء ^(١٨) له ديوان شعر لا تُعرف منه نسخة ^(١٩) .

ومن مؤلفاته التي اختلفت بالترجمة لشخص واحد :

كتاب : (الدر المنظوم ، في مناقب بايزيد سلطان الروم) .

نسبه إليه حاجي خليفة ^(٢٠) . منه نسخة سلطانية كتبت بخط المؤلف محفوظة في مكتبة فاتح بتركيا رقم ٤٣٥٧ ، تقع في ١١٨ ورقة . تم نسخها يوم ١٦ ذي الحجة سنة ٩١٠هـ / ٢١ مايو ١٥٠٥م .

يقول ابن العليف في المقدمة : " أما بعد ، فلما كان تقييد آثار من أهم الأسباب ... جمعتُ هذا الديوان اللطيف ... في مناقب سلطان الزمان ... الملك الأعظم بايزيد ... وجعلته علماً لتخليد مآثره ... وأضفتُ إليه لمعاً مفيدة من نفايس الأخبار " .

أما محتوى الكتاب وعرض أبوابه وفصوله فإننا ننقله مما كتبه د . الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة فجا . فيه :

" الورقة ٣ أ : المقدمة في ذكر نسب الروم ومن اصطفاه الله منهم للنبوّة ... والولاية " . ذكر فيها النبي أيوب - عليه السلام - والإسكندر ذا القرنين وأصحاب الكهف وما ورد في فضل الروم وأخبارهم .

الورقة ٢٣ ب : الباب الأول في مناقب السلطان بايزيد ومآثر سلفه من أكابر العثمانيين .

الورقة ٣٢ أ : ترجمة السلطان بايزيد .

الورقة ٣٣ أ : فصل في العلوم الثقيلة والعقلية التي يُتقنها هذا السلطان .

الورقة ٣٤ أ : فصل في ذكر كرمه وإحسانه لأهل الحرمين .

الورقة ٣٦ب : فصل في ذكر المباني التي أخذتها بإسطنبول وغيرها .

الورقة ٣٧ب : فصل في ذكر جهاده ومرابطته وفتوحاته .

الورقة ٤٣أ : فصل في نبذة من حُسن سيرته وعدله وجَلَمه وسياسته .

الورقة ٥٣أ : فصل في ذكر أولاده .

الورقة ٥٥أ : الباب الثاني في ذكر طُرُق من أخبار ملوك الروم .

الورقة ٨٣ب : الباب الثالث في ذكر خبر القسطنطينية .

الورقة ١١٤أ : الخاتمة في فضل الشعر والشعراء وإكرام الخلفاء والملوك لهم ، ثم أورد قصيدة

وضعها في مدح السلطان بايزيد طالعها :

خُدْ مِنْ ثَنَائِي مُوجِبَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

وَمِنْ ذَرِّ لَفْظِي مُتَحَكِّمِ النَّظْمِ وَالنَّشْرِ

ARCHIVE

وهي تقع في ٦٣ بيتاً .

وبآخر المخطوط ما نصّه : * على يد راقم بَرْدِهِ وَمُتَوَكِّلِهِ ، وتأخُّمِ عَدَدِهِ وَمُؤَلَّفِهِ ، القمير إلى الله

تعالى أحمد بن الحسين بن محمد بن العليّف المكي المدني الشافعي غفر الله لوالديه ولمشائخه وأحبابه .. " (١) .

ويبدو من محتوى الكتاب ونصوصه أن ابن العليّف أراد بتأليفه هذا أن يتقرب من السلطان

ويعده طلباً لكرمه وإحسانه فإن من صفات وعادات ملوك العثمانيين أنهم كانوا يقدِّرون إكرامهم

على أهل الحجاز . فكانت هذه النسخة سلطانية جميلة الشكل كبيرة الحجم اعتنى المؤلف بنسخها

بيده واهتم بتجميل خطها .

أسلوب ابن العليّف ومصادره في كتابه :

كان ابن العليّف شاعراً بارعاً يمكن أن يُعتبر أكبر شعراء مكة في عصره ؛ لذلك نراه في كتابه

هذا أدبياً ناثراً امتلك عتقان اللغة ، فجا . أسلوبه فيه بالغ الدقة في التعبير ، يختار ألفاظه

ومعانيه ويتصرف في ذلك بلبغة جزّكة مع استعمال المحسنات البلاغية واللّجوة في أحيان كثيرة

إلى السجع والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال وأقوال العلماء . وبدائع

الشعراء .

وبما أنه كان يقصد التقرب من السلطة العثمانية فقد أوغل في مدح السلطان بايزيد كعادة أئمة عصره في مدحهم ، واعتمد في أغلب فصول الكتاب المبالغ في التقرب إليهم بإطراء أصول العثمانيين الذين كان يُطلق عليهم عامة الأدباء والمؤرخين اسم الروم ، فإن لفظ الروم في تلك المرحلة ويعدها يُقصد به الأتراك ، وقلما تجد المؤرخين والأدباء يذكرون الأتراك إلا باسم الروم ، وربما كان ذلك بسبب استعمال لفظ الروملي أو أرض روم في تسمية إحدى مناطق مملكتهم ، وقد وقع المادحون للأتراك في خطأ كبير عندما وسعوا نسبة الأتراك فأدخلوا فيها من يسمون بالروم من الرومانيين أو من عامة الأوروبيين حتى ربطوا نسب الأتراك بذي القرنين ونسبهم إلى ملوك روما وبلغ بهم الأمر أن نسبهم إلى ملوك البلاد الأسبانية ، وفي هذا الخلط الواضح وقع ابن العليفاً أيضاً فجمع من النصوص الدينية كل ما ورد فيه لفظ الروم وأخقه بتاريخ الأتراك سواء من القرآن أو الأحاديث النبوية أو كتب التفسير أو من النصوص التاريخية والأدبية ، فجمع بذلك العديد من النصوص التي أوردها في كتابه من مصادر عديدة ومتنوعة .

مصادر الكتاب :

وبعض النظر عن وقوع المؤلف في هذا الخطأ الشائع في عصره فإن مصادر الكتاب التي نقل عنها الأخبار والحوادث والأقوال تُعتبر غنية ثرية دالة على ثقافته وسعة اطلاعه ومعرفته بالمؤلفات كبيرها وصغيرها . ولا أبالغ إذا قلت إن مصادر الكتاب قد قاربت المائة بين تفسير القرآن والكتب الجامعة للأحاديث النبوية والمفسرة لها ، يضاف إلى ذلك كتب الآداب الدينية وكتب التاريخ والبلدان والطبقات مع كتب الأدب الكبيرة التي جمعت الكثير من الأخبار ، وهو يعرضها في أغلب الأحيان بعد أن يذكر عناوينها ومؤلفيها ، ولو أنه في بعض المناسبات يُهمل إيراد اسم المؤلف وعنوان الكتاب .

* ابن ظهيرة : أحمد بن عطية القرشي المكي (كان حياً ٩٤٢هـ / ١٥٣٤م) (١٨)

هو من عائلة بني ظهيرة المكية التي اشتهر منها العديد من العلماء على مر القرون .

ولد سنة ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م . أخذ العلم في صغره على العديد من شيوخ مكة والواردين عليها ومنهم السخاوي الذي وصفه في كتابه الضوء اللامع بأنه ذكي قوي الجنان والحافظة .

ورغم أنه من كبار علماء الشافعية إلا أنه تولى القضاء الحنبلي بمكة فحلها من فقها ، المناهضة رغم توليه نيابة قاضي الشافعية .

من مؤلفاته في التعريف بشخص واحد :

كتاب : (جواهر العقود ، في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود) .

وضع فيه ترجمة موسعة للشيخ القاضي جمال الدين أبي السعود بن ظهيرة القرشي المكي الذي توفي سنة ١٥٠٧/١٥٠١م . وهو جد المؤلف حسبما ورد في الكتاب ص ٤ .

لا نعرف من الكتاب غير نسخة واحدة محفوظة بدار الكتب المصرية (تيمور) رقم ٥٠٣٧ تقع في ٥٣ ورقة . نسخها المحافظ المؤرخ المكي جاز الله بن فهد مؤرخه بسنة ١٥٢٧/١٥٢٣م ونقلها عن نسخة بخط المؤلف مؤرخه سنة ١٥٢٣/١٥٢٩م .

وبعد الاطلاع على صورة المخطوط المحفوظة بمركز البحوث التابع لجامعة أم القرى (رقم ٢٣٠ تاريخ) تبين لنا أنه رتبته على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة .

فالمقدمة في نسب وولادة المترجم وما حصل عند ظهوره لوالده وأهله من السعادة والباب الأول : في مبدا أمره وما حفظه من الكتب وطلبه للعلم .

والباب الثاني : في تحصيله . وذكر من لازمه من الشيوخ ورجال العلم . وما أخذ عنهم من الكتب .

والباب الثالث : في تدريسه وافتائه ووظائفه السنية وعلو قدره ، وعرض فيه الكتب التي درّسها في الحرم في علوم القرآن والحديث والفقهاء والآداب والتاريخ وعيّن بعض مواطن تدريسه وأماكنه في مكة .

والباب الرابع : في ماله من التصانيف وما كتبه العلماء عليها من تقاريف وإجازات العلماء له مثل السخاوي ومن عاصره .

والباب الخامس : في صفاته وشمالته .

والباب السادس : في مهماته النفيسة .

والباب السابع : أورد فيه شيئاً من شعره فعرض فيه العديد من أشعاره وقصائده الطويلة وما مدحه به البلغاء من أدبا . عصره .

أما الخاتمة : فقد خصصها لوفاء المترجم وما اتفق له من حسن الخاتمة .

ويشتمل المخطوط على تفریضات كثيرة من كبار علماء عصره من حجازيين ومصريين وشاميين ، من بينها إجازات هامة منها إجازة السخاوي للمترجم وهي طويلة .

* جار الله بن فهد : محمد بن عبد العزيز (العز) بن عمر (النجم) بن فهد الهاشمي المكي (ت ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م)^(١) .

من عائلة راسخة الجذور في العلم تعدد علماؤها وكثرت تأليفهم وظهرت مؤلفاتهم طيلة قرنين ونصف من الزمن ، اشتهروا بعلم الحديث وبرعوا في علم التاريخ العام والخاص فأولوا عناية فائقة بالتاريخ المكي سجلوا فيه الكثير من المؤلفات ، تنحروا عن تولي الوظائف السياسية والشرعية فلم تظهر لهم غير شهرتهم العلمية^(١) .

ولد جار الله بحكة سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م وتلقى العلم على والده وكبار شيوخ الحرم من المكيين والمجاورين ثم رحل لطلب العلم من القاهرة واليمن وعمشق وغيرها
 ألف العديد من الكتب والرسائل في مختلف الفنون ، واهتم اهتماماً خاصاً بفن التاريخ قبلت مؤلفاته فيه ٣٥ بين كتاب كبير ورسالة تناولت العديد من المجالات التاريخية .

ومن مؤلفات جار الله في التراجم الخاصة :

كتاب : (الجواهر الحسان ، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان) .

هو كتاب ألفه جار الله بن فهد عندما كان في مدينة بورصا العثمانية سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م وقدمه هدية للسلطان سليمان القانوني العثماني ذكر فيه مناقبه ، كما ضمنه رسالة رفعها إليه ، وعرض فيه تاريخاً موجزاً للدولة العثمانية وسجل انتصاراتها وإنجازاتها ، مع اهتمامه الواضح بوقائع فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح . وفي القسم الأخير من الكتاب عرض الكثير من المشاكل المادية التي كانت واجهت مكة وأهلها في عصر الماليك ، ثم سجل ورود الإعتمات العثمانية عليها مع شكره للسلطان سليمان على عنايته بحكة وأهلها .

ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب الأولى (الورقة ٨ أ) أنه رتبته على مقدمة وبابين وخاتمة.

المقدمة : من الورقة (٩ أ إلى ١٩ أ في الهدية للملوك) بدأها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات " وعرض فيها الأحاديث الواردة في الهدية للملوك . ثم ألحق بها رسالة رفعها للسلطان العثماني سليمان . وفي النص يصف المؤلف نفسه بأنه (خادم الحديث الشريف ، ومؤرخ بلد الله المعظم لكتيف) .

الباب الأول : (من الورقة ١٩ ب إلى ٧٠ أ) عرض فيه تاريخاً موجزاً للدولة العثمانية مع ذكر بطولاتها في فتح القسطنطينية والفتوحات الأخرى ، ومواجهتها للشرك الشيعة الصفوي القادم من إيران ، مع الاعتراف بانتصارها على المماليك في الشام وفي مصر ، ثم انضواء مكة المكرمة ضمن الولايات العثمانية في عهد السلطان سليم .

الباب الثاني : (من الورقة ٧٠ أ إلى ٩٣ أ) خصصه لذكر فضائل الروم - وهم أصول العثمانيين - محملاً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها لفظ الروم ، مجازياً لما كان يقع من خلط عند الكثير من مؤرخي عصره وتعميمهم لفظ الروم على الأتراك وغير الأتراك . وأورد جار الله بن فهد الكثير من النصوص التي تذكر مكارم الأتراك وفضائلهم ، خاصة في إعاناتهم لمكة المكرمة وعنايتهم بأهلها ، مع إبراز ما قام به السلطان سليمان القانوني في هذا المجال . ثم نقل نص رسالة الوصية التي كان كتبها شيخ مكة محمد بن عراق ووجهها إلى السلطان سليم والد السلطان سليمان . ثم ختم الباب بأدعية كثيرة وبلغه خصصها لسلطان عصره .

الخاتمة : (من الورقة ٩٣ أ إلى ١٢٧ أ) أورد فيها أيضاً أحداث في فضل العثمانيين وفضل نصيحة السلطان ، ثم تطرق إلى أوضاع الحرمين الشريفين ، وشرع في تذكير السلطان بمكاتبتهما ، ونصحه بالعناية بهما - وبين شرف أهل مكة عند الله وعند الناس ، وفضل المجاورة ، منتقلاً إلى بيان معاناة أهل مكة من الغلاء ، ودعاه إلى الشفقة بهم وإعانتهم مع عرضه للمشاكل الاقتصادية وما شاهده من نتائجها في عصره خاصة ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، مشيراً إلى ما أرسله الملوك العثمانيون من عطايا وهبات .

اعتمد جار الله في تأليفه هذا على مصادر عديدة منها كتب الحديث النبوي على مختلف درجاتها وأهميتها مورداً الأحاديث ببعض أسانيد أحياناً وبمختلف رواياتها أحياناً أخرى ، ومن مصادره كتب التاريخ المكي خاصة والتاريخ الإسلامي عامة دون إهمال لبعض المصادر من كتب

الجغرافيا وأوصاف البلدان . كما استشهد ببعض الأشعار والنصوص الأدبية . وكان سالكاً في جميع كتابه مسلك المحسنات البديعية والتزيق اللفظي والسجع .

من الكتاب نسخة في مكتبة جامعة اسطنبول (دار مثنوي رقم ٣٦٠) تشمل على ١٢٨ ورقة نُقلت عن نسخة المؤلف .

* ابن حجر الهيثمي المكي : أحمد بن محمد بن حجر شهاب الدين (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٧م^(١)).

فقيه محدث مؤرخ مصري المنشأ ، ورد إلى مكة المكرمة ف قضى بها ٣٤ سنة من حياته إقامة دائمة بعائلته تاركاً نسله فيها . بدأ تكوينه العلمي في مصر حيث أخذ عن كبار علمائها من الشافعية مثل زكريا الأنصاري وعبد الحق السباطي والشهاب الرملي . ولما دخل مكة كان متكامل التأسيس العلمي فدرّس الدروس العديدة في الحرم وفي بيوت العلماء ، وألف المستفات الكبيرة والصغيرة . وكان واعياً بمشاكل مجتمعه ، فأفتى الفتاوى الكثيرة ، وعاش في مكة محترماً ومفيداً يكتبه العديدة التي تناولت العلوم الدينية والتاريخية والقضايا الاجتماعية والسياسية مما جعله يحتل الدرجة الهامة بين علماء مكة في عصره .

http://Archivebeta.Bahrit.com

كانت عناية ابن حجر الهيثمي بالتأليف في فنون التاريخ كبيرة ، حيث ألف فيها واحداً وأربعين تأليفاً ، تناولت العديد من مجالاته وفتونه . ومن بين مؤلفاته التاريخية التي تتعلق بالتراجم ، عدة كتب تناولت التعريف بشخص واحد هو الإمام أبو حنيفة النعمان وستناولها بالعرض الموجز فيما يلي نقلاً عن دراستي لها في رسالتي للدكتوراه .

كتابات ابن حجر المتعلقة بترجمة أبي حنيفة النعمان :

وضع ابن حجر عدة ترجمات مختلفة الأساليب لأبي حنيفة النعمان فجاءت في خمس ترجمات ، ثلاث منها قصيرة وضعها في ثنايا كتبه الحديثية وغيرها ، وترجمتان جعلهما في كتابين خاصين بالموضوع .

١- ترجم ابن حجر لأبي حنيفة في كتابه الحديثي (فتح الإله ، في شرح المشكاة) ضمن ترجمته لجماعة من كبار أئمة الحديث والفقه ، شملت نسبه ومولده وعلومه التي تلقاها من الصحابة والتابعين وثلاميذ ومحنته في توليه القضاء . لبني أمية وبني العباس وبعضاً من أقوال العلماء فيه ووفاته .

٢- وضع ابن حجر لأبي حنيفة ترجمة موجزة جاءت في شرحه لكتاب عين العلم وطُبعت في مقدمة كتابه الخيرات الحسان الذي سنذكره بعد قليل .

٣- ترجم ابن حجر ترجمة ثالثة قصيرة أيضاً للإمام أبي حنيفة ضمنها في معجمه المعروف بالإجازة ، اشتملت على اسمه ومولده وشيوخه وسبب تأليفه كتاباً مستقلاً في مناقب أبي حنيفة ، وذلك للرد على من اتهم الإمام الغزالي الشافعي بوضع كتاب في الحط من أبي حنيفة وهو بريء من ذلك .

٤- الترجمة الرابعة التي وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة جاءت في رسالة مستقلة بعنوان " رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان " أحال عليها ابن حجر نفسه في مقدمة كتابه الثاني في الموضوع والمعتون به " الخيرات الحسان " وقال ابن حجر عن سبب تأليفه لهذه الرسالة بأنه كان استجابة لطلب أحد علماء القسطنطينية ، ووضح أنه كتب منه عدة نسخ وزعت في البلاد وفقدت منه نسخته الأصل لذا أعاد التأليف في نفس الموضوع وكتبه من جديد تحت عنوان " الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان " .

ورغم أن ابن حجر قد أصاح نسخته في زمانه إلا أننا نشترنا في بحثنا على ثلاث مخطوطات منه وهي : نسخة دار الكتب المصرية ضمن المجموع رقم (٢/٢١٢) تشتمل على ٢٧ ورقة ، ونسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم (٩٠٠/٢١٥) تقع في ٢١ ورقة ، ونسخة ثالثة بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (١٠٥٠٠) ، ولقد ألف ابن حجر رسالته هذه في سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م بمكة المكرمة وقسمها على مقدمة وثلاثين فصلاً ، ذكر في المقدمة سبب التأليف وخصص الفصول الثلاثين لترجمة الإمام ونسبه ومولده وقضله وشيوخه وتلاميذه وفتاويه وصفاته ومحنته ثم وفاته .

٥- الترجمة الخامسة التي وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة هي كتاب بعنوان : الخيرات الحسان ، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان . وجاء هذا الكتاب أيضاً بعنوان آخر وهو : قلاد العقبان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان .

ذكر ابن حجر مؤلفه هذا وأحال عليه في كتابه الإجازة المعروف بالمعجم كما أحال عليه في كتاب آخر له بعنوان المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة .

طُبِعَ كتاب الخيرات الحسان طبعات عديدة بمصر ، وله طبعة أخيرة بلبنان . ومنه عدة نسخ

مخطوطة اطلعت على واحدة منها بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ١/١٨٣٦ وهي نسخة حسنة واضحة الخط .

يشتمل الكتاب على ٣ مقدمات وأربعين فصلاً .

يقول في أوله إنه ألفه استجابة لرغبة رجل من فضلاء القسطنطينية دعاه إلى وضع كتاب في مناقب أبي حنيفة . كما يذكر أنه لخصه ونقحه من كتاب آخر في الموضوع وهو كتاب عقد الجمان لمحمد الشامي .

ولابن حجر سبب آخر أهم في تأليفه لهذا الكتاب وضعه في المقدمة الأولى .

وهو ما شاع عن الإمام الغزالي في تأليفه لكتاب يحط فيه من أبي حنيفة ويسبّه . وما أحدث هذا الكتاب من ردود فعل عند بعض العلماء مثل الكردي الذي ألف كتاباً في الخط من الإمام الشافعي ، إلا أن ابن حجر رفض تناول العلماء والمؤرخين على الأئمة وانبرى في تأليف هذا الكتاب .

جعل المقدمة الأولى في الرد على ما ورد في الكتاب الذي أُسبب إلى الغزالي في الخط من أبي حنيفة مع عرض ما مدحه به كبار العلماء . وفي المقدمة الثانية نهى الناس عن الوقوع في الأئمة والمجتهدين من العلماء . وفي الثالثة فيما ورد من تبشير النبي صلى الله عليه وسلم بالإمام أبي حنيفة . وفيها استشهاد على فضل أهل فارس (وهم أصول أبي حنيفة) بالأحاديث التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموضوع .

أما الفصول الأربعون فقد قسمها بين العناصر التالية :

- ترجمة أبي حنيفة وذكر شيوخه وتلاميذه .
- مجالسه العلمية والأسس التي بنى عليها مذهبه .
- أخلاقه ودينه : من عبادة وتقى وآداب .
- وفاته وما قيل فيها من روايات .
- الرد على ما قيل فيه من التخرج .

ومن الملاحظ أن منهج ابن حجر في كتابه الحبرات الحسان هذا يختلف عن منهجه في رسالته

الأولى السابقة لأنه توسع في الأخبار التي أوردها في الكتاب الثاني وأضاف معلومات لم يذكرها في الرسالة الأولى^{١١٢}.

ولنا أن نتساءل هنا بعد هذا العرض : ما الذي يجعل قضيهاً من كبار فقهاء المذهب الشافعي في عصره يؤلف خمس مؤلفات في المدح والثناء على إمام مذهب آخر كالإمام أبي حنيفة ؟ وقد يأتي الجواب من خلال العرض السابق ، فلعل السبب يعود إلى ما أشيع من أن الإمام الغزالي ألف كتاباً في الخط من أبي حنيفة ، فقام بعض الأحناف بردة الفعل ووضع مؤلف في ذم الإمام الشافعي . فيتضح لنا هدف ابن حجر الهيتمي من تعدد كتاباته في مناقب أبي حنيفة بأنه أراد ردع الناس من الكتابات التي تمس رجال العلم وأعلامه الفقهاء . نتيجة للتعصب بين المذاهب السنية وبين وجوب احترام المذاهب الأخرى على اختلافها . كما يمكن أن يكون ابن حجر قد قصد من تأليفه المتعددة هذه عدم تعصب الشوافع وبقها هم ضد المذهب الحنفي مذهب الدولة العثمانية القائمة بمكة آنذاك وإطفاً ل نار فتنة ربما تقوم بين مذهب الدولة والمذاهب الأخرى المتعاشرة في المجتمع المكّي . وذلك هو الدور الحقيقي للعلماء .

* كتاب (تطهير الجنان واللسان عن الخطور والنقور بثواب معاوية بن أبي سفيان) .

وضع ابن حجر كتابه هذا في ترجمة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه^{١١٣}.

نسبه له تلميذه السيفي في ترجمته وقال : " إن ابن حجر وضع كتابين في فضائل معاوية أحدهما أبسط من الآخر " ^{١١٤} . وبعد البحث عن نسخ الكتاب لم نعثر إلا على كتاب واحد يحمل هذا العنوان لنا لم نعرف إن كان هو الأطول أم الأبسط .

طُبع الكتاب مع كتاب آخر لابن حجر الهيتمي وهو الصواعق المحرقة . لإخوان الشياطين أهل البدع والضلال والزندقة . طبعة مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م . وله طبعة حديثة بتحقيق أبي عبد الرحمن المصري دار الصحابة للتراث بطنطا . مصر سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

سبب تأليف الكتاب :

كما هو واضح من عنوان الكتاب فإن ابن حجر أُلّفه في الرد على من تطاول على الصحابي معاوية - ٤ - . وهذا دأب العلماء في تحمل مسئولياتهم والدفاع عن الصحابة من اعتداء الرافضة والشيعة وأهل البدع عليهم .

وقال في مقدمته : أنه ألّفه استجابة لطلب من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند (توفي سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٤م)^(١١١) لظهور هؤلاء الرافضة في بلاده .

فوضع ابن حجر كتاباً بيّن فيه فضل معاوية وصفاته وما قيل فيه من أحداث و ذكر جهاده في نشر الإسلام وتنظيم دولته الأولى بعد عهد الخلفاء الأربعة وغير ذلك من مزاياه .
ورثه على مقدمة وفصول وخاتمة .

اشتملت المقدمة : على بيان وجوب محبة جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم معاوية رضي الله عنهم أجمعين .

وجاءت فصول الكتاب للحديث عن مناقبه وعلومه وجهاده .

واشتملت الخاتمة : على فوائد منها قضية مقتل عثمان - t - . وأحداث معركتي الجمل وصفين . والصلح بين الحسين ومعاوية . وبعض أخبار خلفاء بني أمية .

ولقد اعتمد ابن حجر في كتابه على مصادر الحديث وكتب المغازي والسير وبعض كتب التاريخ المكي كالفاكهي .



* عبد القادر الفاكهي المكي : عيد القادر بن أحمد بن علي (ت ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م)^(١١٢)

ولد الفاكهي بمكة سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م ودرس على كبار الشيوخ والعلماء فجمع من العلوم زائداً واسعاً في مختلف الاختصاصات ، من تفسير وفقه وأدب وتاريخ . كثرت مؤلفاته حتى شبهه بعض المؤرخين بالجلال السيوطي^(١١٣) .

له بعض المؤلفات في التاريخ والسير . أما كتبه من التراجم التي تناولت التعريف بشخص واحد فقد عرّفنا عناوين ثلاثة منها ذكرها المؤرخون وهي :

١ - كتاب فضائل (أو مناقب) ابن حجر الهيتمي :

الذي ذكره الشوكاني ونقل عنه الغزي^(١١٤) منه نسخة محفوظة بمكتبة الحرم المكي برقم ١٤ تراجم (الفيلم رقم ١٨١٤) تقع في ثمان ورقات .

بعد الاطلاع على نسخة المخطوطة تبين أنها اشتملت على ضبط اسم ابن حجر الهيتمي ونسبه

وانتمائه وأصول قبيلته وولادته ووفاته ، مع ترجمة موجزة له يغلب عليها عرض أوصافه ودرجته العلمية ومختلف اختصاصاته مع ذكر بعض مؤلفاته . ثم أضاف إلى ذلك قصيدة في مدح ابن حجر الهيثمي كتبها الشاعر عبد العزيز الزمزمي ، وقصيدتين كتبهما المؤلف عبد القادر الفاكهي إحداهما في مدح الشيخ والثانية في رثائه .

ويذكر الفاكهي أنه لخص الرسالة بما كتبه أبو بكر با عمرو السيفي في ترجمته لشيخه ابن

حجر .

كتاب القول النقي في مناقب المتقي :

لم نعرف منه نسخة وإنما عنوانه وبعض النقول عنه تدل على أنه يشتمل على ترجمة علي المتقي بن حسام الدين بن عبد الملك ابن قاضي خان المتوفى سنة ٩٧٥هـ/١٥٦٧م . وهو من كبار علماء مكة ومن المشهور عنه الصلاح والتقوى .

نسب هذا الكتاب لعبد القادر الفاكهي العبدروسي ونقل عنه نصوصاً عديدة . ولا نعرف منه

نسخة^(١١) .

ARCHIVE

رسالة في مناقب عبد الرحمن العمودي :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كذلك لم نعرف من هذه الرسالة نسخة إلا أن عنوانه والنقول عنه تدل على أن فيه ترجمة للإمام العمودي المتوفى سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م ، وهو من علماء مكة وعبادها ، تتلمذ على ابن حجر الهيثمي وغيره ، وله مؤلفات في الفقه الشافعي . وقد نقل العبدروسي عن كتاب الفاكهي في مناقب عبد الرحمن العمودي أنه قال : " ومناقبه أفردتها في رسالة " فيؤكد وجود هذه الدراسة ، كما نقل نصوصاً أخرى منها تدل على مكانته العلمية وقبيلته في مجتمعه^(١٢) .

الصف الثاني : الكتب التي تناولت التعريف بالعديد من المترجمين

وهي كتب الطبقات .

تنوع كتب الطبقات إلى نوعين رئيسيين هما : كتب الطبقات العامة وكتب الطبقات الخاصة .

فكتب الطبقات العامة هي تلك التي وُضعت لتراجم خاصة الناس وعامتهم على مختلف اختصاصاتهم وأنواعهم وبلادهم ، مثل كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ، وذيله الوافي بالوفيات للصفدي ، وغير ذلك كثير .

وخلال بحثنا عن كتب الطبقات التي ألفها المكيون في القرن العاشر لم نجد كتاباً واحداً ألف في هذا المجال . ولعل آخر كتاب مكبي من كتب الطبقات العامة ألف قبل القرن العاشر الهجري هو كتاب " دستور الأعلام " الذي ألفه محمد بن عمر بن عزم التونسي ثم المكبي (ت ١٤٨٦/هـ ٨٩١م) .

وأما كتب الطبقات التي وضعها المؤرخون المكيون في القرن العاشر فقد حُصصت للتعريف
بجماعات معينة وتنوعت إلى العديد من الجوانب :

فمنها كتب اختصت بجماعة معينة من الأنبياء .

ومنها التي اختصت بجماعة يتحدثون في انتساب واحد كالشي وضعت لتراجم آل البيت .

ومنها التي اختصت بالحكام والملوك .

ومنها التي خصصت لتراجم العلماء ، وأصحاب الوظائف الدينية كالأئمة والفقهاء ، والخطباء .

ومن هذه الاختصاصات ألفا المكيون في القرن العاشر الهجري عدداً من المؤلفات نورد الحديث عنها في ما يلي بمنهجية نذكر فيها مصنفات المؤلفين مرتبين على ترتيب تواريخ وقياتهم .

* العز بن فهد : عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢/هـ ١٥١٧م) ^{١١١} .

هو ثالث كبار المؤرخين والحفاظ من عائلة الفهود ، تتلمذ على كبار علماء عصره من المكبيين والمشاركة عامة ، فمن شيوخه : والده النجم بن فهد ، وابن حجر العسقلاني ، وإمام الفقه الشافعي في عصره الشيخ زكريا الأنصاري ، وتتللمذ عليه الكبار ومنهم السخاوي .

اشتهر في المجتمع المكبي ونال فيه الدرجة الثالثة به ، تنوعت مؤلفاته بين التاريخ والحديث والعقيدة وغير ذلك ، اهتمت كتب التاريخ الكبيرة بذكر أخباره وترجمته والنقل عنه . وترك عدداً وافراً من المؤلفات ، كما نسخ بخطه العديد من كتب التاريخ والتراجم التي ألفها والده النجم أو التي ألفها التقي الفاسي .

وللعز بن فهد ثلاثة كتب وضعها في تراجم الطبقات الخاصة وهي : كتاب غابة المرام ، وكتاب نزهة ذوي الأحلام ، وكتاب ترتيب طبقات القراء . للذهبي .

فله كتاب اختص بأصحاب الوظائف كالأئمة والخطباء ، والفقهاء ، وهو :

١- كتاب (نزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة البلد الحرام) .

هو كتاب في الطبقات ، ذكره ونسبه إليه المحيي والكتاني ^(١١١) ولم نعرف للكتاب نسخة مخطوطة ، ويبدو من عنوانه أنه خصصه لتراجم الخطباء والأئمة والقضاة في مكة المكرمة .
وله كتاب اختص بأمرأه مكة وهو :

٢- كتاب (غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام) .

أما عن كتاب غاية المرام هذا فنشير إلى أنه وعلى ما يبدو قد اشترك فيه الوالد النجم وابنه العز بن فهد في تأليفه ، ونسب إلى الابن لأنه هو الذي أكمل نصوصه الكثيرة وألحق به قسماً كبيراً من تاريخه ، حسبما أثبتته د. محمد الحبيب الهيلة بعد مقابلاته المخطوطات ^(١١٢) .

ألف العز بن فهد كتابه هذا ليقدمه لشريف مكة أبي زهير بركات بن محمد بن بركات الحسيني ^(١١٣) ليكون في خزائنه لذا قال عنه في مقدمة كتابه : * وخدمت بهذا التأليف خزانة من ألف برسمه ، وشرف قدره بالشفاعة على أسسه ، وهو السيد الشريف ، والطود المنيف ... أبو زهير بركات ، عين المملكة وسر الذوات ، سلطان مكة ^(١١٤) .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لذا نرى أن العز بن فهد أكثر علماً ، عائلته مدحاً لأمرأه مكة وأشدهم مبالغاً في ذلك ، فجات مقدمة كتابه مشتملة على الكثير من أوصاف الأمتاح والتحلية لأمر مكة في عصره أبي زهير بركات ملحقاً ذلك بالعديد من الأشعار المادحة له . ثم تدرج إلى آباءه أمرأه مكة التسعة واصفاً كل واحد منهم بالأوصاف العلية والمدح والتشريف مع اختيار الأشعار في تفضيل كل واحد منهم ^(١١٥) .

تناول كتاب غاية المرام تراجم وأخبار الولاة والحكام الذين حكموا مكة من سنة فتحها في العهد النبوي إلى الربع الأول من القرن العاشر الهجري وهو العام الذي توفي فيه المؤلف ٩٢١هـ / ١٥١٥م . فأشتمل الكتاب على ٢٠٥ ترجمة .

واختلف أسلوب الترجمة حسب الأمير المترجم له فجات بعضها موجزة مختصرة وبعضها مطولة كما في ترجمته لعبد الله بن الزبير في قرابة ٣٦ صفحة ^(١١٦) وكما في ترجمته المطولة لشريف عصره بركات حيث بلغت ٣٠٤ ورقة ^(١١٧) .

أما عن مصادر هذا الكتاب الهام في تاريخ أمرأه مكة وحكامها فقد اعتمد مؤلفه في جزئه

الأول على العديد من كتب الحديث والسيرة وتراجم الصحابة وأورد اختلاف الروايات فيها ، واعتماد العز بن فهد على كتب الحديث والسيرة يعود إلى سعة معرفته بالحديث ومؤلفاته ، كما اعتمد في كامل الكتاب على كتب التاريخ القديمة والقريبة من عصره .

ومن أهم مصادره التاريخية تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير ، وكتاب العقد الثمين للغاسي ، وتاريخ إتحاف الوري وكتاب الدر الكمين وهما لوالده النجم بن فهد ، وكان يعزو كل نص استفاده من المصادر إلى أصله .

ومن المهم في مصادر العز بن فهد أنه نقل وسجل لنا نصوصاً تاريخية هامة رغم ضياعها وعدم توفرها بين أيدينا مثل نقولاته المطولة عن تاريخ ابن محفوظ المكي^(١٣١) .

٣- كتاب (ترتيب طبقات القراء ، للذهبي) :

اختص طبقات خاصة محددة وهم القراء ، ولم يعرف له نسخة وإنما ذكره الغزي وابن العساق والكتاني ونسبوه إليه^(١٣٢) .

ARCHIVE

* محمد بن أبي السعود بن ظهيرة (ت- ١٥٣٤هـ / ١١٩٤م) ^(١٣٣)

http://archivebejaia.com

هو فقيه عالم وتُعد من المؤرخين الذين ألفوا في الطبقات ، تولى القضاء بمكة فكان قاضي القضاة بها إلى وفاته .

ذكر جبار الله بن فهد بعض أخباره في كتابه نيل المنى^(١٣٤) .

- كتابه هو (الأخبار المستفادة ، فيمن ولي مكة من آل قتادة) .

ومن عنوان الكتاب نفهم أنه وضعه لترجمة وتاريخ أمراء مكة من القناديين الذين حكموها بداية من سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م إلى عصر المؤلف^(١٣٥) ؛ ولم يعرف من الكتاب نسخة موجودة وإنما ذكره ونسبه إليه العصامي في مقدمة كتابه وحاجي خليفة في كشف الظنون^(١٣٦) .

* مؤلفات جبار الله بن فهد في الطبقات^(١٣٧) :

كما اهتم جبار الله بالكتابة في التراجم للشخص الواحد فقد اهتم أيضاً بالتأليف في الطبقات الخاصة ، فصنف منها ثمانية كتب تنوعت موضوعاتها وأغراضها وهي :

١- كتاب الأقوال المتبعة ، في بعض ما قبل في مناقب أئمة المذاهب الأربعة .

وهي رسالة انفراد بنسبتها لجار الله بن فهد الزركلي^(١٣١) وذكر بأنها مخطوطة من خمس ورقات حفظت بالمكتبة الظاهرية برقم ٢١٣ . وأنها عبارة عن تلخيص لمناقب الأئمة الأربعة فجاءت موجزة ملخصة من مصادر سابقة . ولم تتمكن من الاطلاع عليها . رغم حرصنا على ذلك .

٢- كتاب (بلوغ الأرب ، بمعرفة أي الأنبياء ، من العرب) .

ذكره ونسبه إليه حاجي خليفة^(١٣٢) ، وقال : ألفه سنة ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م .

وهو رسالة صغيرة مختصرة قال مؤلفها جار الله في مقدمتها : " فقد تكرر السؤال عن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - هل نسبتهم للعجم أو العرب ، وهل اسمهم ولفظهم أعجمي أو مُعرب ... فأستخرت الله في بيان ذلك فجمعت على أحسن الطرق والمسالك ... الذي ظهر لي من كلام العلماء والمفسرين وقصص الأنبياء ، وكتب النسب والتاريخ أن العروبة قبيهم تنقسم على ثلاثة أقسام عربي الاسم (وقد اعتبر أن اسم آدم عربياً من اديم الأرض) وعربي النسب وعربي اللسان " (١٣٣) .

عرض المؤلف في رسالته هذه أصول الأجناس البشرية من آسيا - نوح عليه السلام الساميين والهاميين وبني يافث ، بروايات متعددة تتماشى مع آراء وأقوال عصره ، وعرض أسماء الأنبياء من العرب معتمداً على نصي من فتاوى الشيخ أحمد العراقي متعلقاً بمعرفة الأنبياء والمرسلين المذكورين في الكتاب والسنة ، وفي نهاية الرسالة يقول : " لما قدم علينا شيخنا الإمام أبو الحسن محمد بن محمد البكري القاهري في ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وتسعمائة سألته نظم هذه الأقوال فقال في مجلسه بديهية :

إذا رُمت عدَّ الأنبياء من العرب فهم خمسة في قول جمع قد اقترب

محمد هود صالح وشعيب مع أخي المجد إسماعيل يا صاحب الأدب

وأكثرهم يُعزى ليعقوب غير من تقمعه أو للأخير قد انتسب^(١٣٤)

وقد اعتمد المؤلف في هذه الرسالة على العديد من المصادر الهامة سواء في الأسباب مثل تهذيب الأسماء واللغات للنووي ، وكتاب نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب للقلقشندي ، كما اعتمد على العديد من الكتب اللغوية من أهمها كتاب : المعرب للجواليقي وكتاب المزهري في علوم اللغة للسيوطي .

اعتمدنا في هذا التعريف على مخطوطة حُفِظت بمكتبة الحرم المكي ضمن المجموعة رقم ٤٢٣ حديث وقد وقع ترقيمها بالصفحات من ص ٣١-٣٩ . وهي نُقِلت من خط المؤلف كتبها علي الحسيني سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م .

٣- كتاب (تاريخ يُفيد في معرفة المترجمين في الضوء اللامع من الأحياء) .

جعله جار الله ذِيلاً لكتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي . فأكمل فيه تراجم العلماء الذين عاشوا بعد وفاة السخاوي ولم يذكرهم في كتابه . فأضاف جار الله العديد من المعلومات لتراجمهم .

إلا أننا لم نعثر على نسخة من الكتاب . وإنما وجدنا عنه نقولاً كثيرة في كتاب النور السافر للعيدروسي حيث اعتمد عليه في النقل عن سبعة عشر من تراجم العلماء .

وفي كتاب السحب الوايلة لابن حميد حيث نقل عنه في أربعة عشر ترجمة .

وتفاوتت هذه النقول في الكتابين بين النصوص الطويلة للترجمة^(١٤١) وبين النقول المتوسطة والقصيرة غالباً^(١٤٢) .

http://ArchiveBeta.Sakhril.com

ولقد تعددت التراجم التي نقل فيها العيدروسي أخباراً منقولة عن هذا الكتاب لجار الله بن فهد إلا أن أغلبها كانت تهم علماء المكيين من مختلف المذاهب الفقهية . في حين أن نقول ابن حميد في السحب الوايلة اقتصت بالحنابلة من الفقهاء . وأغلبهم من شبر المكيين .

نضيف إلى ذلك أن ابن حميد قد اعتمد في النقل على أكثر من نص عن جار الله^(١٤٣) ؛ وذلك في الترجمة لشخص واحد من الفقهاء . فنجده يقول في أول النقل : قال الشيخ جار الله بن فهد القرشي المكي في تذييله على الضوء . ثم يقول في نقل آخر : قال في الضوء . ويلحقها في نقل ثالث بقوله : قال جار الله^(١٤٤) .

وقد يرجع ابن حميد ما ينقله عن جار الله وبين الأسباب كقوله في ترجمة إبراهيم الشويهي :
ما ذكره الشيخ جار الله في تاريخ وفاته أصح لأنه أجزأه ستة أربع عشرة وهو أعرف بذلك^(١٤٥) .

وعلى كلٍ فإن النصوص التي نقلها الكتابان تعتبر هامة إذ احتوت على إضافات تاريخية لتراجم العديد من المكيين وغيرهم جُمعت من كتاب جار الله بن فهد الذي وضعه تكملة وملحقات على كتاب الضوء اللامع للسخاوي مع اعتمادهما على الكثير من المصادر الأخرى .

٤- كتاب تحفة اللطائف ، في فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف .

نسب هذا الكتاب لجار الله بن فهد حاجي خليفة وقال : " ألفه سنة ٩١٥هـ / ١٥٠٩م (٤٥) إلا أن مطالعة الكتاب تدلنا على أنه ألفه بعد ذلك التاريخ ، ففي ص٣٤ منه يذكر جار الله أنه زار الطائف سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م ويترجم على والده العز بن فهد المتوفى سنة ٩٢١هـ / ١٥١٥م مما يدل على أن الكتاب ألف بعد ذلك .

على الرغم من أن العنوان يدل على أن الكتاب تناول مدينة الطائف ووج ، وترجمة ابن عباس - ٤ - ، فإن واقع الأمر أنه يحتوي على تراجم ثلاثة ممن دقنوا بالطائف وهم : العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبر الأمة عبد الله بن عباس ، وأبي القاسم محمد ابن الحنفية . وبذلك اشتمل الكتاب على تراجم ثلاثة رجال لا شخص واحد كما دل عليه العنوان .

يذكر جار الله بن فهد في المقدمة أنه وضع كتابه على مقدمة وبابين وخاتمة .

فكانت المقدمة : في فضائل الطائف ووادي وج .

والباب الأول : في أخبار الطائف .

والباب الثاني : يحتوي على ثلاثة فصول <http://Archivebc>

١- فضائل العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- فضائل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس .

٣- فضائل ابن الحنفية (وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب ، وهو من التابعين) .

ويذكر المؤلف أنه أورد ترجمة محمد ابن الحنفية في كتابه هذا لأن نسب بني فهد يتصل به فيقول : " وما نقلت سلسلة نسبه إلا بسبب اتصال نسبي به ، لأنه من ذرية الشريف الفاضل أبي علي أحمد ... " (١) .

والخاتمة : في ذكر الآثار في وادي وج وقرى الطائف . وذكر شهداء يوم فتح الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عرض أشعاراً كثيرة في ذكر زيارة ابن عباس ومدحه وعرض فضائله .

وقد سلك جار الله متهجاً علمياً وثق فيه النصوص التي نقلها من مصادرهما المتنوعة . فقد اعتمد العديد من كتب طبقات الصحابة ، والكثير من كتب السيرة النبوية ، وكتب تاريخ

الطائف، بالإضافة إلى أمهات الكتب القديمة في التاريخ الإسلامي، ومصادر معاصرة له وخاصة كتاب شيخه السخاوي الذي وضعه في تاريخ المدينة نفسها.

وطُبع الكتاب بعناية نادي الطائف الأدبي (دون ذكر تاريخ الطبع) حققه وعلّق عليه وراجعه محمد سعيد كمال، ومحمد منصور الشقحا.

٥- كتاب تحقيق الصفا، في تراجم بني الوفاء.

ذكره حاجي خليفة وقال: جمع فيه الوقائبة والشاذلية ورتبهم على الحروف^(١١٧)، ولم نعرف منه نسخة.

٦- رسالة في كتاب السر في ديوان مصر.

لم نعر على نسخة من هذه الرسالة، وقد ذكرها المؤلف في كتابه تحفة اللطائف ونسبها إليه العديد من المؤرخين منهم حاجي خليفة ومرداد^(١١٨).

٧- القول المؤلف في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف.

ذكره ونسبه إليه المحيي والكتاني^(١١٩). تحتفظ مكتبة الحرم المكي بنسخة منه برقم ١١٨ تراجم، تقع في ثلاث ورقات. درسها د. الهيلة فقال عنها: "كتب جاز الله بن فهد رسالته هذه جواباً عن سؤال ورد عليه في ذلك فأجاب ذكراً العائلات المكية الخمسة: بيت الفاسي، بيت الطبري، بيت عبد القوي، بيت البخاري، بيت الطباطبائي... أثبت جاز الله بن فهد في رسالته هذه أن بيت الفاسي ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، أما بيت الطبري فهو حسيني. وذكر بعض مشاهيرهم كالمحب الطبري (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م) ومحدث عن أقدميتهم بمكة. ويؤن أن المؤرخ ابن جرير الطبري لا قرابة له مع هذا البيت... منكرًا انتساب البيوت الثلاثة الباقية وهم بنو عبد القوي، بنو البخاري، بيت الطباطبائي إلى السلالة النبوية، اعتمد جاز الله في رسالته هذه على مصادر كثيرة منها مؤلفات التقي الفاسي ومؤلفات جده النجم بن فهد (وهي كثيرة) ومن مصادره كتاب التشويق، إلى بيت الله العتيق تأليف جمال الدين الطبري^(١٢٠).

٨- كتاب معجم الشعراء.

جمعه جاز الله وخصه بالشعراء الذين سمع منهم الشعر، ولم نعرف منه نسخة وإنما ذكره الغزي ونسبه إليه في ترجمته لأحمد الباعوثي الحلبي الشاعر المعروف بابن الصراف، ونسبه إليه أيضاً الكتاني في كتابه^(١٢١).

* مؤلفات ابن حجر الهيتمي المكي في الطبقات الخاصة :

لقد ألف ابن حجر الهيتمي في التراجم التي اختصت بشخص واحد كما ألف كتاباً في الطبقات الخاصة بفئة معينة وهو .

كتاب معدن البواقيت الملتصعة في مناقب الأئمة الأربعة .

نسب هذا الكتاب لابن حجر ، البغدادي ومن نقل عنه ^(١٢١) ، ولم نعرف منه نسخة .

ومن الواضح اهتمام ابن حجر العالم المكي بمناقب الأئمة وفضائلهم لذا نراه يضع مؤلفاً خاصاً بأئمة المذاهب السنية كما كان يترجم لهم في ثنايا مؤلفاته الأخرى .

ومع أننا لم نحصل على نسخة من هذا المخطوط إلا أننا عثرنا على تراجم الأئمة الأربعة في معجم شيوخ ابن حجر المعنون بالإجازة ^(١٢٢) حيث وضع ترجمة مطولة للأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل .

كما وضع لهم ترجمات أخرى في كتابه الحديثي فتح الإله في شرح المشكاة وهي ترجمات واقية في فضائلهم .

* النهروالي : قطب الدين محمد ابن علاء الدين (ت ١٠٩٩هـ / ١٦٨٢م) ^(١٢٣) .

ينتسب لأسرة عدينية الأصل انتقلت إلى نهروالة من بلاد الهند فانتسبت إليها . ولد في مدينة لاهور الهندية ثم قدم إلى مكة مع والده وأقام بها وجمع زاده العلمي من شيوخها ومزريهها كجار الله بن فهد ، برع في الفقه وعلوم الدين واللغة والتاريخ وألف بالعربية والتركية والفارسية . كما استعان به الأمراء وكبار الشخصيات العثمانية في حجهم واعتماهم . تولى الإقناء والتدريس بمكة المكرمة .

تناول قطب الدين النهروالي الكتابة في التراجم والطبقات في مؤلفين له وهما : كتاب طبقات الفقهاء الحنفية ، وزيادته على كتاب دستور الأعلام لابن عزم .

١- كتاب طبقات فقهاء الحنفية :

لم نعرف منه نسخة وإنما يدل عنوانه على أنه كتاب طبقات لفقهاء المذهب الحنفي ، ذكره الغزي ونسبه إليه ونقل عنه . وقال عنه حاجي خليفة بأن النهروالي جمع كتاباً في أربع مجلدات في طبقات الحنفية ، كما ذكره البغدادي والكتاني ونسبوه للنهروالي ^(١٢٤) .

وعندما ترجم الغزي لقطب الدين النهروالي في كتاب الكواكب السائرة قال عنه : " وألم باللغتين التركية والفارسية . ومن مؤلفاته طبقات الحنفية احترقت في جملة كتبه " ^(١٢٥) .

٢- زيادات النهروالي على كتاب دستور الإعلام .

كتاب دستور الإعلام ، معارف الأعلام ألفه المؤرخ محمد بن عمر بن عزم التونسي المكي (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م) ^{١٧٧} ليكون جامعاً للعديد من تراجم العلماء في مختلف اختصاصاتهم وبلدانهم ، فجات تراجمه موجزة ومفيدة لا تزيد غالباً على بعض الجمل القليلة . وقد رتبته على خمسة أقسام بحسب الشهرة والكنية والنسبة إلى الحرفة أو البلد أو الجهد وغير ذلك .

انتشر الكتاب وظهرت فوائده وتعددت نسخ مخطوطاته ، وعلى الرغم من كثرة التراجم الواردة فيه فإن علماء التواريخ شاركوا بالزيادات فيه فوضع عليه أربعة من المؤلفين إضافات عديدة هامة .

فجات زيادة القطب النهروالي المكي (ت ٩٩١هـ/١٥٨٣م) .

زيادة زين الدين البصري (ت ١١٠٢هـ/١٦٩١م) .

زيادة إبراهيم الجيني (ت ١١٠٨هـ/١٦٩٦م) .

زيادة ابن حمزة (ت ١١٢٠هـ/١٧٠٧م) .

وفي أغلب المخطوطات وضعت علامات على كل تلك الزيادات ، فكانت علامة زيادات قطب الدين حرف (ق) ^{١٨٨} .

وعند تنهي لمخطوطة الكتاب المحفوظة بمكتبة خدا بخش بالهند (برقم ٢٣٧٦) مكنتي أن أحصي من إضافات النهروالي ٣٦ ترجمة في ٥٠ ورقة متفرقة من الكتاب . ورأيت أنه سار فيه على نفس أسلوب أصل الكتاب كما وضعه ابن عزم فكانت ترجماته موجزة تكتفي بإيراد اسم المترجم وتاريخ وفاته مع عرض اختصاصاته العلمية ومكانته في مجتمعه .

الخاتمة

تنوع الإرث الثقافي التاريخي الذي خلفه لنا المؤرخون المكيون فمن مؤلفات تاريخية على منهج الحوليات ، إلى مؤلفات تسجل الأحداث حسب الدول والمناطق ، إلى مؤلفات عديدة في تراجم الشخصيات وكتب الطبقات ، وغير ذلك من النصوص التاريخية ذات المجالات العديدة .

وتتنوع مؤلفات المكيبين في التراجم - في القرن العاشر الهجري - إلى نوعين :

١- كتب تراجم خصصت لشخص واحد سواء كان سياسياً أو عالماً أو ذا درجة عالية في دينه وخلقه .

٢- كتب طبقات يترجم فيها المؤرخ للعديد من الأشخاص الذين جمعهم صفة واحدة أو انتساب واحد كأن يكونوا من الأنبياء أو من آل البيت أو أن يكونوا من الملوك والحكام أو أئمة المذاهب الفقهية السنية أو فقهاء من أحد المذاهب أو أصحاب الوظائف الدينية الشرعية بمكة المكرمة .

وإن المتعمّن في أسباب وضع بعض هذه المؤلفات يلاحظ أنها أُلقت لغايات شريفة أهمها :

- التعرف برجال لعوا في مجتمعهم بعلو درجاتهم الدينية والعلمية والأخلاقية .

- محاولة إطفاء الفتن التي يمكن أن تحدث بين أتباع المذاهب السنية ، فترى أن العديد من المؤلفين يكتبون تراجم وفضائل كل الأئمة الأربعة في كتاب واحد ليعلموا الناس عدم تفاضلهم وعدم تمييز مذهب على آخر .

- كما نرى أن بعض هؤلاء المؤلفين يكون شيخاً كبيراً في مذهبه الشافعي فيضع المؤلفات العديدة في فضائل الإمام أبي حنيفة (كآب ن حجر الهيشي الشافعي) ولا يخفى ما في ذلك من تقوية أواصر الوحدة والمحبّة بين أتباع مختلف المذاهب الفقهية ، والرّد على ما قد يحدث من بعض الكتاب من تحريج وتناول بس أحد الأئمة .

- كما تعدد مؤلفات المؤرخين المكيين في تراجم بعض سلاطين الدولة العثمانية بحكم بسط سلطتها على مكة المكرمة في تلك الفترة ، وأثرها على المجتمع المكي بما أغدقته عليه من أموال وهبات .

- واعتنى بعض المؤلفين بتراجم أمراء مكة على مر العصور وجمع أخبارهم وإنجازاتهم في مكة .

وبسبب هذه الغايات والأسباب ظهرت مؤلفات عديدة في فن التراجم والطبقات لتكون مصادر تاريخية مفيدة وثريّة تعين على استجلاء العديد من الأخبار التي لم ترد في كتب التاريخ الكبيرة ، وتفتح آفاق لمعرفة شخصيات المجتمع المكي ودراسة خصائصه .

والله ولي التوفيق فله الحمد سبحانه ..

الهوامش

- ١- انظر : التمهيد الذي وضعته واليا عبد الستار الحلومي في رسالتها : كتب التراجم في التراث العربي . ص ٤٣-٥٧ .
- ٢- من هؤلاء المؤرخين الثمانية من ألق كتاباً واحداً فُتُرحم بالمؤلف عند ورود تأليفه . وبعض المؤرخين تعددت مؤلفاتهم في هذا المجال ؛ لذلك نُعرف بكل واحد منهم عند ورود أول كتاب له .
- ٣- انظر ترجمته في : العبدروسي : النور السافر ١٢٦-١٣٠ . ابن العباد : سفرات الذهب ٨ : ١٤١-١٤٢ . مراد : المختصر من نشر النور والزهر ص ١٠٧ .
- ٤- جاز الله بن فهد : نيل المنى ص ٢٩٧ . ٣٠١ .
- ٥- نقل عنه العز بن فهد في كتابه غاية المرام أشعاراً كثيرة بلغ عدد أبياتها ٣٦٥ بيتاً . انظر فهرس الأشعار في تحقيق كتاب غاية المرام ص ٦٦٤-٦٦٩ ، بالإضافة إلى تصديده التي وردت في كتابه الدر المنظم وبها ٦٣ بيتاً .
- ٦- حامي خليفة : كشف الظنون ص ٧٣٥ .
- ٧- اعتمدنا في التعريف بهذا الكتاب ونقلنا قسماً هاماً مما أُورد في الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٨١-١٨٢ . ونضيف عليه بعض ما ظهر لنا من التعريف بصاوره وبين أسلوبه .
- ٨- انظر ترجمته : السخاوي : الضوء اللامع ٢ : ٤ ، ابن حميد : السحب الوايعة ص ٨٠-٨١ ، مراد : المختصر من كتاب نشر النور والزهر ص ١٠٢ . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٨٤-١٨٥ . ويذكر د/ الهيلة أنه كان حياً سنة ٩٣٣هـ ولكن ما وجدناه في مصادر ترجمته يدل على أنه كان حياً سنة ٩٤٢هـ .
- ٩- تعددت مصادر ترجمة جاز الله بن فهد - انظر مثلاً : السخاوي : الضوء اللامع ٣ : ٥٢ ، العبدروسي : النور السافر ٢٤١-٢٤٢ ، الغزي : الكواكب السائرة ٢ : ١٣١ ، ابن العباد : سفرات الذهب ٨ : ٣٠١ ، كحالة : معجم المؤلفين ١٠ : ١٧٥-١٧٦ ، الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٩٥-١٩٧ .
- ١٠- الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص ٩٩-١٠٨ .
- ١١- انظر ترجمته : العبدروسي : النور السافر : ٢٨٧-٢٩٢ ، الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١١١-١١٢ ، ابن العباد : سفرات الذهب ٨ : ٣٧٠-٣٧٢ ، العصامي : سمط النجوم العوالي ص ٢٨٢ . الشوكاتي : البدر الطالع ١ : ٩-١٠ ، مراد : المختصر من نشر النور والزهر ١٢٢-١٢٤ . الكنتاني : فهرس الفهارس ١ : ٣٣٧-٣٤٠ . الهيلة : التاريخ والمؤرخون ٢٢٨-٢٢٩ . لبيا ، شافعي : ابن حجر الهيثمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية .

- ١٢- لهما شافعي : ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية ص ٣٨٩-٤١٠ . اعتمدت الدراسة على مؤلفات ابن حجر ومصادر ترجمته منها : ابن حجر : فتح الإله ، في شرح المشكاة ورقة ١٢ب-١٣ب ، رسالة في مناقب أبي حنيفة ورقة ٢ أ . : الإجازة ورقة ٥٧ب-٦٠ب . : الحيرات الحسان ص ٤-٨ . العبدروسي : النور السافر ص ٢٩١ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٧١ . مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ص ١٢٣ .
- ١٣- أحيل في استنتاجاتي لدراسة هذا المؤلف على ما ورد لي من دراسة سابقة عنه ضمن رسالتي للدكتوراه والتي عنوانها ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية ص ٣٥٢-٣٦٤ .
- ١٤- السيلفي : نفائس الدرر ورقة ٥ ب - كما أحال عليه ابن حجر نفسه في كتابه إخوان الصفايند من أخبار الخلفاء ورقة ١٩ ب . وأحال عليه حفيد ابن حجر خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس في فضائل زمزم ورقة ١٢ ب . ٢٣ أ . ونسب هذا الكتاب لابن حجر الكنتاني : فهرس الفهارس ص ٣٩٢ . البغدادي : هدية العارفين ١ : ١٤٦ ، سركريس : معجم الطيوريات ١ : ٨٢ ، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة ١ : ١٣٤ .
- ١٥- انظر ترجمة السلطان عمادون في : العبدروسي : النور السافر ص ٢٥٥ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٣٢٣ .
- ١٦- انظر ترجمته : الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١٦٩ . العبدروسي : النور السافر ص ٣٥٣ . الشوكاني : البدر الطالع ١ : ٣٦٠ ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ٢٧٢-٢٧٣ . البغدادي : هدية العارفين ١ : ٥٩٨ ، الزركلي : الأعلام ٤ : ٣٦ ، كعالة : معجم المؤلفين ٥ : ٢٨٣ .
- ١٧- مرداد : المختصر من نشر النور والزهر ص ٢٧٣ .
- ١٨- الشوكاني : البدر الطالع ١ : ٣٦٠ ، الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ١١٣ .
- ١٩- انظر ترجمة علي المنلي - العبدروسي : النور السافر ٣١٥-٣١٩ . والنقول عن الكتاب وردت في ص ٣١٧ ، ٣١٨ منه .
- ٢٠- انظر ترجمة عبد الرحمن العمودي في العبدروسي : المصدر السابق ص ٢٦٥-٢٦٦ . والنقول وردت في نفس الصفحات .
- ٢١- انظر ترجمته : السخاوي : الضوء اللامع ٤ : ٢٢٤ ، الغزي : الكواكب السائرة ١ : ٢٣٨ . ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ١٠٠-١٠٢ . البغدادي : هدية العارفين ١ : ٥٨٣ ، الكنتاني : فهرس الفهارس ص ٧٥٤-٧٥٦ ، الزركلي : الأعلام ٤ : ٢٤ ، والأساتذ فهم شلتوت في مقدمة تحفيقه لكتاب العزيز قهد : غاية القرام ، ص ٧ .
- ٢٢- المحيي : خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٧ ، الكنتاني : فهرس الفهارس ص ٧٥٥ .

- ٢٣- الهيئة : التاريخ والمؤرخون بمكة ص١٧٥-١٧٦ .
- ٢٤- بركات بن محمد بن بركات ولد بمكة سنة ١٤٥٧/٨٨٦م وحكمها منفرداً لمدة طويلة من سنة ١٤٩٨/٨٩٠م إلى أن توفي سنة ١٥٢٥/٨٩٣م غير الفترة التي حكمها مشاركاً لوالده وإخوانه .
انظر ترجمته : عارف عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ص٦٥٩-٦٩١ .
- ٢٥- العز بن فهد : غاية المرام ، المقدمة ص٤ .
- ٢٦- العز بن فهد : المصدر السابق ص٤-١٠ .
- ٢٧- العز بن فهد : المصدر السابق ١ : ١٣٩-١٧٥ .
- ٢٨- العز بن فهد : المصدر السابق ٣ : ٣٥-٣٣٩ .
- ٢٩- انظر فهرس كتاب غاية المرام ٣ : ٣٥٧ .
- ٣٠- الغزي : الكواكب السائرة ١ : ٢٣٩ ، ابن العاصد : شذرات الذهب ٨ : ١٠٠ ، الكتكتاني : فهرس الفهارس ص٧٥٥ .
- ٣١- انظر ترجمته : ابن العاصد : شذرات الذهب ٨ : ٢٤٣ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ص٣٠ ، كعالة : معجم المؤلفين ١٠ : ٢٤ .
- ٣٢- جاز الله بن فهد : نيل المتنى انظر فهارس الكتاب ص٨٢٤ <http://www.archive.org>
- ٣٣- عارف عبد الغني : تاريخ أمراء مكة المكرمة ص٤٦٢-٦٩١ .
- ٣٤- العصامي : سبط النجوم العوالي ١ : ١٦ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٣٠ .
- ٣٥- سبكت الترجمة لجاز الله بن فهد - انظر (ص ١٠) .
- ٣٦- الزركلي : الأعلام ٦ : ٢٠٩ .
- ٣٧- حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٢٥٣ .
- ٣٨- جاز الله بن فهد : بلوغ الأرب ص٣٢ .
- ٣٩- جاز الله بن فهد : بلوغ الأرب ص٣٧ .
- ٤٠- العبدروسي : النور السافر ص٢٠٦-٢٠٧ ، وما ورد في السحب الوابرة لابن حميد ص١٣٦-١٣٧ و ص١١٢-٢١٤ .
- ٤١- انظر : العبدروسي : النور السافر ص٢١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ . أما نقولات ابن حميد في السحب

- الوابة فجات في الصفحات ٢٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠١ ، ١٣٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ .
٢٥٣ ، ٤٧٢ ، ٤٨٧ .
- ٤٢- كثيراً ما يقع محقق كتاب السحب الوابلة ، طبعة دمشق في خطأ بأن يورد اسم جار الله بن فهد بلطف جار الله كما في الصفحات ٢٤ ، ١٠١ وغيرهما .
- ٤٣- انظر : ابن حميد : السحب الوابلة ص ٢٤ .
- ٤٤- المصدر السابق : نفس الصفحة .
- ٤٥- حاجي خليفة : كشف الظنون ص ٣٧٢-٣٧٣ .
- ٤٦- جار الله : تحفة اللطائف ص ١٣٧ .
- ٤٧- حاجي خليفة : كشف الظنون ١ : ٣٧٨ .
- ٤٨- حاجي خليفة : مصدر سابق ١ : ٨٨٥ ، مراد : المختصر من نشر النور والزهر ص ١٥٣ .
- ٤٩- المحصي : خلاصة الأثر ٢ : ٤٥٧ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٢٩٧ .
- ٥٠- الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص ٢٠٩-٢١٧ .
- ٥١- الغزي : الكواكب السائرة ١ : ١٣٩ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٦٢ .
- ٥٢- البغدادي : هدية العارفين ١ : ١٤٦ ، إيضاح المكتون ٢ : ٥١٠ ، ٥٤٣ ، الزركلي : الأعلام ١ : ٢٣٤ ، كحالة : معجم المؤلفين ٢ : ١٥٢ .
- ٥٣- ابن حجر : الإجازة ورقة ٥٧ ب - ٧١ ب .
- ٥٤- راجع ترجمته : النهروالي : البرق اليماني : مقدمة لمحقق حمد الجاسر والتي اشتملت على ٨٠ صفحة ، الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ٤٤-٤٨ ، العيدروسي : النور السافر ص ٣٨٣-٣٨٨ ، العصامي : سبط النجوم العوالي ٤ : ٣٣٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨ : ٤٢٠ ، الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص ٢٤٢-٢٤٥ ، ليا ، شافعي : تذكرة النهروالي المكي وأهمية رحلاته ص ٤١٠-٤١٢ .
- ٥٥- حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٠٨٩ ، البغدادي : إيضاح المكتون ٢ : ٧٨ ، الكتاني : فهرس الفهارس ص ٩٤٥ .
- ٥٦- الغزي : الكواكب السائرة ٣ : ٤٥ .
- ٥٧- انظر ترجمته : الهيلة : التاريخ والمؤرخون ص ١٦٣-١٦٥ .
- ٥٨- وعلامة (ها) للجيشيني ، وعلامة (ز) لابن حمزة ، وعلامة (اب) للبهروزي .

ثبت المصادر والمراجع

- البغدادي : إسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) :
- إيضاح المكتون ، في الذيل على كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون ، ط :
إسطنبول سنة (١٩٤٥م) - مجلدان .
- هدية العارفين ، في أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين ، ط : إسطنبول سنة (١٩٥١م)
مجلدان .
- ابن حجر : أحمد بن محمد الهيثمي المكي (ت ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) :
- الإجازة معجم شيوخ ابن حجر ، نسخة مكتبة برلين - ألمانيا - رقم (١٧٤) .
- تطهير الجنان واللسان ، عن المخطوط والتفوه بطلب معاوية بن أبي سفيان ، تحقيق
أبي عبد الرحمن المصري الأثري ، ط : دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر
(١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) .
- الحيريات الحسان ، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ، ط : دار الكتب العلمية ،
بيروت - لبنان (٣-١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، تقديم وتحقيق الشيخ خليل الميس .
<http://Archivebeta.Sakhrat.com>
- الحلومي : داليا عبد الستار (معاصرة) :
- كتب التراجم في التراث العربي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ٢٠٠٨م .
- ابن حميد النجدي :
- السحب الوايلة ، على أشرطة المناقلة ، ط : مكتب الإمام أحمد ، دمشق ، سنة
١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- خليفة : حاجي مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) :
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط : إسطنبول (١٩٤١م-١٩٤٣م) ،
نشر محمد شرف الدين ، مجلدان .
- الزركلي : خير الدين (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) :
- الأعلام ، ط : دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٠م ، ٨ أجزاء .
- السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) :

الضوء اللامع ، لأهل القرن التاسع ، نشر مكتبة حسام الدين المقدسي ، ط :
القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ١٢ جزءاً .

- شافعي : لمياء أحمد بن عبد الله :

تذكرة النهروالي المكي وأهمية رحلاته الست ، بحث منشور ضمن سلسلة مداورات
جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ص ٤٠٧-٤٤٥ ،
اللقاء التاسع ١٤١٩ هـ / ٢٠٠٨ م .

ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية ، رسالة دكتوراه منشورة ،
ط : مكتبة الغد ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

- الشوكاني : محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) :

اليدن الطالع ، بحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، القاهرة سنة
١٣٤٨ هـ ، جزآن .

- ابن شهيرة : أحمد بن عطية (كان حياً ٩٤٢ هـ / ٥٣٤ م) :

جواهر العقود ، في ترجمة القاضي جمال الدين أبي السعود ، مخطوط ، دار
الكتب المصرية ، تيسر ، رقم ٥٠٣٧ .

- عبد الغني : عارف :

تاريخ أمراء مكة المكرمة ، ط : دار البشائر ، دمشق ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .

- العصامي : عبد الملك بن حسين المكي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) :

سمط النجوم العراقي ، في أنباء الأوائل والتوالي ، ط : المطبعة السلفية ، القاهرة ،
١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م ، ٤ أجزاء .

- ابن العلي : أحمد بن الحسين (ت ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) :

الدرر المنظوم ، في مناقب با يزيد سلطان الروم ، مخطوط مكتبة فاتح - تركيا
- رقم ٤٣٥٧ .

- ابن العباد الحنبلي : عبد الحى بن علي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) :

شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب ، ط : دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٨٩ م ،
٨ أجزاء .

- العيدروسي : محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ٣٨٠ هـ / ١٦٢٨ م) :
النور السافر ، عن أخبار القرن العاشر ، تصحيح محمد رشيد أفندي الصغار ،
مطبعة الفرات - بغداد - (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م) .
- الغزي : نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت ٦١٠ هـ / ١٦٥١ م) :
الكواكب السائرة ، بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق جبر سليمان جبور ، دار الأفاق
الجديدة ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ م ٣ أجزاء .
- ابن فهد : جابر الله محمد بن عبد العزيز (ت ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م) :
تحفة اللطائف ، في فضائل الخير ابن عباس ووجج والطائف ، تعليق ومراجعة محمد
سعيد كمال ، ومحمد منصور الشقحاء ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، د.ت.
بلوغ الأرب ، في معرفة أي الأتبياء من العرب ، مخطوط ، مكتبة الحرم المكي ،
ضمن المجموع رقم ٤٢٣ حديث .
- الجواهر الحسان ، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان ، مخطوط مكتبة جامعة
إسطنبول (دار مكتوي رقم ٣٦) .
- القول المؤتلف ، في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف ، مخطوط مكتبة الحرم المكي
(رقم ١١٨ تراجم) .
- نبيل المني ، بذيل بلوغ القرى ، لتكملة إتحاف الوري ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ،
طبع مؤسسة دار الفرقان للتراث الإسلامي ، ط : بيروت ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .
جزآن .
- ابن فهد : العز عبد العزيز بن عمر الهاشمي المكي (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م) :
غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهم شلتوت ، ط : مركز البحث
العلمي التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ،
ثلاثة أجزاء .
- الكتاني : عبد المحي بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) :
فهرس القهارس والأنبات ، ومعجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات ، طبع باعشنا ،
وفهرسة إحسان عباس ، ط : دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ،
١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، في ثلاثة أجزاء .

- كحالة : عمر رضا :

معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق ، سنة ١٩٥٧م - ١٩٦١م ، ١٥ جزءاً .

- المحبى : محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) :

خلاصة الأثر ، في أعيان القرن الحادي عشر ، ط : دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ٤ مجلدات .

- مراد : أبو الخير عبد الله بن أحمد (ت ١٣٤٣هـ / ١٩٥٤م) :

المختصر ، من كتاب نشر النور والزهر ، في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي ، ط : عالم المعرفة ، جنة ، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- النهروالي : قطب الدين محمد بن علاء الدين المكي (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) :

البرق البعاني ، في الفتح العشاني ، طبع بإشراف حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
زيادات على كتاب دستور الإعلام لابن عزم ، نسخة مكتبة خدا بخش بالهند (رقم ٢٣٧٦) .

- الهيلة : محمد الحبيب (معاصر) :

التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر . نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة ، ط : دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني

(من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى ستينيات القرن العشرين)

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني (دولة الإمارات العربية المتحدة) منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، حتى ستينيات القرن العشرين. ويرجع السبب الرئيس في اختيار هذا الموضوع إلى التنافس الشديد الذي ظهر بصورة جلية بين الدولتين على هذه الامتيازات التي شكلت آنذاك استراتيجية واضحة في سياسة الدولتين، بريطانيا التي هيمنت على الخليج منذ القرن التاسع عشر، والولايات المتحدة التي ظهرت بوصفها قوة عملاقة، مع نهاية الحرب العالمية الثانية. ويجب أن نشير إلى أن الدراسة لا تهدف إلى تقديم دراسة عن النفط، ولكن عن امتيازات التنقيب عنه.

كما تكمن أهمية موضوع الدراسة في أن عمليات التنقيب عن النفط من قبل الشركات البريطانية والأمريكية لم تكن عملية اقتصادية بحت، ولكنها أثرت بشكل واضح في مسار العلاقات السياسية بين الدولتين، والأهم من ذلك أنها أثرت في الأوضاع الاقتصادية والسياسية في منطقة الخليج بصفة عامة، والإمارات بصفة خاصة. وقد ظهر ذلك جليا من خلال تدخل الدولتين في العلاقات التي حدثت بين الإمارات وعدد من دول الخليج، أبرزها

إيران، ليس بهدف مصلحة الإمارات، ولكن من أجل مصالح تلك الشركات، وذلك من خلال عملها كل ما في وسعها من أجل الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في الإمارات.

السيطرة البريطانية على إمارات الساحل العماني:

يقصد بإمارات الساحل العماني الإمارات السبع (*) التي شكلت فيما بعد دولة الإمارات العربية المتحدة، وكانت تعرف أيضا بساحل القرصنة (***) ومشيخات الساحل العماني والإمارات المتصاحفة والساحل المتهدان^(١١)، وكانت تابعة لعمان الكبرى (***) التي انقسمت من جراء تكالب القوى الاستعمارية والتناحر الداخلي إلى سلطنة مسقط وعمان الداخل^(١٢)، وعلى أثر التفكك السياسي في عمان، حدثت موجة من الهجرات القبلية إلى سواحل الخليج، تخض عنها ولادة كيانات سياسية جديدة في المنطقة^(١٣)، أهمها بنو ياس والقواسم، اللذان بسطا سيطرتهما على إمارات الساحل العماني^(١٤).

كان المشهد السياسي في منطقة إمارات الساحل يكشف هبنة القواسم على مقدرات الأمور في المنطقة^(١٥)، ولكن سرعان ما اصطدم القواسم بالنفوذ البريطاني المتغلغل في الخليج^(١٦)، ومع تعاطف الحظر القاسمي كتب المقيم البريطاني في البصرة إلى حكومته يحذر من خطر القواسم؛ لذا وجهت السياسة البريطانية وجهتها صوب السيطرة على الساحل العماني، والقضاء على قوة القواسم^(١٧)، فقامت بثلاث حملات للإجهاز عليهم^(١٨)، كانت الحملة الثالثة عام ١٨١٩م^(١٩) قمة الصراع بين القواسم وبريطانيا، وانتهت بتوقيع عدد من المعاهدات عام ١٨٢٠م^(٢٠) التي تحولت إلى معاهدة سلام عامة مع شيوخ الساحل الذين وقعوا عليها تباعا في مارس ١٨٢٠، وبدأت حقبة ما أسماه بريطانيا بالسلام البريطاني في المنطقة Pax-Britannica^(٢١) (١٠٠)، وقد وضعت تلك المعاهدة أسس سياسة التجزئة في المنطقة، من خلال تفتيت إرث القواسم وبقية إمارات الساحل إلى كيانات صغيرة، منحتها بريطانيا الاستقلال، فشجعت استقلال عجمان وأم القيوين والفجيرة وكلبا، واتسلاخ رأس الخيمة عن الشارقة، ومن ثم تمزق الساحل إلى إمارات صغيرة لا حول لها ولا قوة^(٢٢).

وعلى ضوء تزايد حدة التنافس الإقليمي والدولي للهبنة البريطانية على منطقة الخليج، أبرمت بريطانيا مع شيوخ الساحل الاتفاقية المانعة Exclusive Agreement عام ١٨٩٢م^(٢٣)، ومثلت هذه الاتفاقية تعهدا ضمينا من بريطانيا بالحماية والاضطلاع بالشئون الخارجية لإمارات

الساحل، وفرض إلزامية الرجوع إليها قبل الشروع في منح أية امتيازات لدول غيرها (١٣). وقد شكلت هذه الاتفاقية حجر الزاوية للسياسة البريطانية في المنطقة التي ارتكزت على عزل إمارات الساحل عن العالم الخارجي، وإبقائها في حالة من التفتك؛ ليسهل فرض السيطرة عليها، وعلى مواردها^(١٤). وبعد تصريح لانزدون Lansdowne في مايو ١٩٠٣ بمجلس اللوردات البريطاني، وزيارة نائب الملك في الهند اللورد كيرزون Curzon لساحل عمان في نوفمبر من العام نفسه، دليلاً دامغاً على تعاطف أهمية الخليج في الاستراتيجية البريطانية التي أقرت بأن العلاقة بين منطقة الخليج والأمن البريطاني في الهند علاقة لا انفصام لها. ويتضح من خلال ذلك التصريح وخطاب كيرزون، الرغبة القوية لدى بريطانيا في دعم النفوذ البريطاني في المنطقة، وفرض ستار حديدي عليها، وإبقائها بعيداً عن أية تيارات أجنبية أو عربية^(١٥).

التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب عن النفط في منطقة الخليج:

كان النفط - ولا يزال - عصب الحياة وشرائنها في السلم والحرب. وخير دليل على ذلك ما صرح به الفرنسي كلمنصو في مطلع القرن العشرين، حينما قال: إن "كل قطرة من النفط تساوي قطرة من الدم"^(١٦)، وكذلك الرئيس أيزنهاور عندما قال: "إن الخلقاء سبحوا نحو النصر على بحيرة من النفط"^(١٧). من هذا المنطلق، أدركت بريطانيا ضرورة السيطرة على امتيازات التنقيب عن النفط. وبالفعل، حصلت في عام ١٩٠١ على امتياز التنقيب عن النفط في إيران، حيث تدفق النفط بكميات تجارية، لأول مرة عام ١٩٠٨ من مسجد سليمان (مدينة صغيرة واقعة جنوب إيران). وقد مثل هذا الاكتشاف، منعطفًا مهماً في تاريخ البترول العالمي^(١٨).

ومنذ ذلك الحين، فرضت على مستعمراتها في الخليج - التي كانت تنبئ باحتمال وجود فرص عظيمة لظهور النفط بها - توقيع اتفاقيات تحرم عليها إعطاء حقوق التنقيب لأية شركة غير بريطانية قبل موافقة المقيم السياسي البريطاني. وتأسس على هذا، وقع شيخ الكويت على تعهد بهذا في عام ١٩١٣، وشيخ البحرين في عام ١٩١٤، وحاكم عمان في عام ١٩٢٠، وحاكم إمارات الساحل العماني في عام ١٩٢٣^(١٩).

وترجع إرهابات التنافس الأنجلو أمريكي على امتيازات التنقيب في الخليج إلى الفترة اللاحقة للحرب العالمية الأولى، حينما سعت فرنسا وبريطانيا إلى اقتسام بترول العراق بينهما، غير أن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت هذا الإجراء، وطالبت بحصة من هذه الكعكة، وبعد

جدل دام بضع سنوات وافق الحليفان على بيع نسبة ٢٣.٧٥٪ من أسهم الامتياز للأمريكيين. وقد ظفر بهذه الحصة ائتلاف يضم خمس شركات بزعامة موبيل وستاندرد نيوجرسى، فى نوفمبر ١٩٢٤.^{١٢٠}

ومع تدفق النفط فى البحرين، تطلعت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى الاستئثار بامتيازات التنقيب فى المنطقة^{١٢١}. وبالفعل توجهت الولايات المتحدة إلى البحرين، فى حين كانت إمارات الساحل العمانى حتى ذلك الوقت حكرا على الشركات البريطانية، وبدرجة أدنى، الفرنسية، التى تمتعت بهذه الامتيازات لسيطرة حكوماتها على بلدان المنطقة^{١٢٢}. وبدأ نشاط الولايات المتحدة الأمريكية من خلال شركة ستاندارد نيوجرسى^{١٢٣}. وفى ظل تزايد الاعتماد على النفط فى تحريك عجلة النشاط الاقتصادى الأمريكى، وتناقص الاحتياطات الأمريكية من النفط، التحم كثير من الشركات النفطية الأمريكية الكبرى للبحث عن النفط خارج حدودها، ومد الاستثمارات النفطية إلى العالم الخارجى. وزاد من ذلك، شعور الشركات الأمريكية الكبرى بالقدرة على توسيع نشاطاتها. وبالفعل بدأ التنافس الأجهلجول أمريكى على امتيازات التنقيب عن النفط فى المنطقة إلى عام ١٩٢٧، خاصة فى ظل تدفق النفط فى إيران، وظهوره فى عدة مواقع من العراق.

وفى ٢٤ إبريل ١٩٢٤، وقع البريطانيون والفرنسيون اتفاق سان ريو الذى تضمن ستة بنود تنظم تقسيم الحصص فى بتروال الشرق الأوسط^{١٢٤}؛ وهو ما أثار حفيظة الولايات المتحدة الأمريكية التى رأت فيه محاولة من بريطانيا للاستئثار بالسهم الأوفر من تركة المنطقة، بدون مراعاة شركائها الآخرين الذين قدموا لها كثيرا من الدعم والمساندة إبان الحرب، وقد ظهر ذلك فى الرسائل المتبادلة بين اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا، وسفيره فى واشنطن السير أ. جينس، والسفير الأمريكى فى لندن^{١٢٥}. التى توضح مدى الجدل والتنافس بين لندن وواشنطن حول النفوذ السياسى والمصالح البترولية فى الخليج؛ إذ أصبح الصراع على المصالح يدور الآن بين الحكومتين. بعد أن بقى مدة محضورا فى إطار الشركات البترولية التابعة لبلديهما. ولعل اتخاذ الموضوع بعدا سياسيا عائد إلى التأثير الحاسم للشركات الثلاث الرئيسية (الأنجلو فارسية، ورومال داتش شل، وستاندارد نيوجرسى)، فى صانعى السياسة فى البلدين، وطالبت واشنطن بريطانيا بضرورة تطبيق سياسة الباب المفتوح؛ فى رسالة من السفير باعتماد مبدأ الباب المفتوح، لإتاحة الفرصة أمام الشركات الأمريكية للعمل فى الأراضى العربية الواقعة تحت الانتداب البريطانى، أكد أن

عدم اعتماد هذا المبدأ يسيء إلى مصالح بلاده في الشرق، وأشار إلى أن الشركات الأمريكية لا تحصل على فرص متكافئة مع الشركات البريطانية التي تحظى بدعم حكومتها، على حساب بقية الشركات، على الرغم من إقرار بريطانيا، بإمكان إعطاء نسبة محدودة من الاستثمارات للشركات الأمريكية، كما أكد السفير أن بريطانيا تعمل في الحفاة للسيطرة على مصادر النفط في البلاد العربية، على الرغم من أنها اتفقت مع واشنطن على مبادئ عامة في مؤتمر الصلح، تتضمن الإقرار بأن استغلال هذه المصادر هو حق مشاع لكل الأمم، وليس حكراً على أمة واحدة^(١٢٦).

وعددت واشنطن الأسباب التي تؤكد أحقيتها في الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في مناطق الشرق الأوسط والخليج، نوجها فيما يأتي^(١٢٧):

أولاً- أن (ستاندارد نيوجرسى) الشركة البترولية الرئيسية في الولايات المتحدة، فقدت أسواقها المألوفة، إثر تركيز جهودها في ترمين قوات الحلفاء بالبترول في أثناء الحرب في أوروبا، لذا فمن الواجب على بريطانيا مساعدة الشركة ودعمها.

ثانياً- منع استثمار بريطانيا وفرنسا باستغلال الثروات الطبيعية للبلدان التي تحت الوصاية، إلا بموافقة الأسرة الدولية، المشثلة في عصبة الأمم.

ثالثاً- أن احتياطي البترول المؤكد وجوده في الأراضي الأمريكية أخذ في التقلص، وأنه يوشك - حسب الدراسات المتاحة - على النفاذ في خلال مدة تتراوح بين عشر وعشرين سنة.

رابعاً- أن بريطانيا تضع العقوبات والعراقيل في وجه بعثات التنقيب التي أرسلتها الشركات الأمريكية إلى الخليج^(١٢٨).

أنكر وزير الخارجية البريطاني هذه الادعاءات، وقال: إن بريطانيا لم تنتهج سياسة تمييز أو محاباة لصالح شركاتها ضد الشركات الأمريكية^(١٢٩)، وأكد الوزير كيرزون أن الموقف الأمريكي يعض في طبيته سياسات متناقضة، ففي الوقت الذي تطالب فيه واشنطن بتطبيق مبدأ الباب المفتوح في الخليج، تضع كثيراً من العقبات في وجه الشركات الأوروبية الراقية في استثمار احتياطيات النفط المتوافرة في الأراضي الأمريكية، كما أنها افتعلت المشاكل والصعوبات أمام الاستثمارات البريطانية في القارة الأمريكية الجنوبية، خاصة في كوستاريكا وهايتي، ولم يسفر ذلك الجدل عن نتيجة مهمة، وازداد شعور الأمريكيين بأنهم على وشك أن يخسروا مصالح مهمة، كانوا يتوقعون أن تصحح بين أيديهم^(١٣٠).

ومع رغبة الحكومة البريطانية في ترسيم الحدود الإقليمية لتركيا (٣١)، ووجود معارضة حادة من جانب الأطراف المشاركة في مؤتمر لوزان ١٩٢٣؛ وهو ما اضطرها إلى طلب الدعم السياسي من الولايات المتحدة، كان هذا الطلب عاملاً مساعداً في تليين الموقف البريطاني من قضية الامتيازات البترولية التي دار الصراع عليها مع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وعلى أثر ذلك أعطت الحكومة الضوء الأخضر لإدارة الشركة الأنجلو فارسية للبدء في البحث عن إطرارات المشاركة الأمريكية. وعلى أثر تلك التطورات الإيجابية في العلاقة بين المصالح الأمريكية والبريطانية، بدأت الشركات الأمريكية تدخل بقوة في حلبة المنافسة للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في كثير من بقاع مناطق الخليج^(٣٢).

وقد ظهر اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بساحل الخليج العربي واضحاً منذ عام ١٩٢٤، وفي عام ١٩٢٨ أخذ بعض الأمريكيين يجوسون في أنحاء المملكة العربية السعودية، بخاصة منطقة الإحساء، بحثاً عن البترول، نتيجة تناقص الاحتياطي الأمريكي^(٣٣).

وكانت أراضي المملكة العربية السعودية من أوائل المناطق التي مثلت ساحة لهذا الصراع والتنافس المحموم^(٣٤).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Baknrit.com

وعلى هذا، بدأ التنافس والصراع بين الشركات الأمريكية والبريطانية على التنقيب عن النفط في المملكة العربية السعودية، ودام الصراع والتنافس مدة قصيرة، انتهت باختيار الملك عبد العزيز للشركة الأمريكية "ستاندرد أويل أف كاليفورنيا (سوكال)"، بعد مفاوضات مطولة للفوز بامتياز التنقيب، كما أن اكتشاف البترول في البحرين عام ١٩٣٢ كان عاملاً مهماً زاد من شهية الشركات الأمريكية؛ وهو ما شجعها على دخول حلبة الصراع النفطي للحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل العماني، وكسر جناح العزلة الذي فرضته الشركات البريطانية للفوز بامتيازات النفط في تلك المنطقة^(٣٥).

التنافس الأنجلو أمريكي على الامتيازات في الإمارات حتى نهاية الحرب العالمية الثانية:

كان للخلفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تكتنف إمارات الساحل العماني أثر واضح في احتدام التنافس الأنجلو أمريكي حول الاستحواذ على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل، فالتتبع للأوضاع السياسية والاقتصادية للمنطقة يتجلى له كيف أن تلك

الأوضاع أسهمت في تأجيج حدة التنافس بين واشنطن ولندن، وأن الأوضاع السياسية التي مرت بها بريطانيا، ولاسيما عقب الحرب العالمية الثانية، كان لها تداعياتها بالنسبة إلى الاستمرار في السيطرة والهيمنة على مناطق الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا، بحكم علاقاتها التاريخية مع شيوخ إمارات الساحل.

لقد حازت إمارات الساحل العماني حيزا كبيرا في الاستراتيجية البريطانية، إثر اكتشاف البترول في إمارات الخليج المتاخمة لإمارات الساحل العماني^(٣٦)، ووجود الشركات الأمريكية بشكل مكثف في المنطقة خاصة في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى الدراسات التي قامت بها شركة النفط الإنجليزية الفارسية في منطقة الساحل العماني، والتي أكدت بقوة احتمالات وجود النفط في تلك الإمارات^(٣٧)، ومن ثم انجذبت بريطانيا إلى تكبير شيوخ الساحل بتعهدات اقتصادية وسياسية، تهدف منها في المقام الأول إلى احتكار امتيازات التنقيب عن النفط في كل إمارات ساحل عمان^(٣٨)، ومرجعيتها القانونية في ذلك أن مفاوضات التنقيب عن النفط بين الشركات والشيوخ تقع تحت بند العلاقات الخارجية المنوط بها إلى الإدارة البريطانية طبقا للاتفاقية المانعة التي وقعتها بريطانيا مع شيوخ الإمارات عام ١٨٩٢^(٣٩)، وبشكل واضح وصريح حصلت بريطانيا عام ١٩٢٢ على تعهدات تلزم شيوخ الساحل بعدم منح امتيازات التنقيب عن البترول في أراضيهم لأى شخص عدا الذي تختاره الحكومة البريطانية؛ وهو الأمر الذي يعد احتكارا سافرا من أجل الحصول على امتيازات التنقيب في الإمارات^(٤٠)، ويتضح من خلال صيغة التعهدات أنها قد أمليت على الشيوخ، ولم يكتبوها بحض إرادتهم^(٤١).

فلا شك في أن نجاح شركة ستندارد كاليفورنيا Standard Oil of California في الحصول على امتيازات التنقيب عن البترول في المملكة العربية السعودية (٤٢)، كان له صدى قوى لدى الدوائر الرسمية البترولية البريطانية؛ لذا أبرم المقيم السياسي في الخليج عام ١٩٢٢ اتفاقية مع حكام إمارات الساحل، منحها امتيازات التنقيب عن النفط في تلك المنطقة للشركات البريطانية^(٤٣)، وكان لحصول شركة ستندارد على امتيازات التنقيب عن النفط في البحرين عام ١٩٢٨^(٤٤)، وتمكن شركة Gulf Oil Cooperation من مشاركة الشركة الأنجلو فارسية Anglo - Persian Company في نفط الكويت، أثر قاعل في تزايد حدة التنافس بين الشركات الأمريكية والبريطانية في منطقة إمارات الساحل^(٤٥).

ونخلص إلى أن تعهدات عام ١٩٢٢ جاءت لتكرس امتيازات التنقيب عن النفط للشركات البريطانية، وهو ما سعت إليه بريطانيا منذ بدايات اكتشاف البترول في إمارات الخليج المتاخمة لإمارات ساحل عمان، ومن ثم شددت بريطانيا قبضتها على تعاملات الإمارات الخارجية، خشية تسلسل الشركات الأمريكية الطامحة للنفوذ ببعض امتيازات التنقيب عن النفط في الإمارات، مع التركيز على إمارتى أبوظبي ودبي، فقد أشارت معظم التقارير الجيولوجية إلى ارتفاع نسبة وجود النفط في المناطق البرية والبحرية لتلك الإمارات^{١٤٦}.

كان الوضع الاقتصادي لإمارات الساحل قبل الحقبة البترولية يتسم بالبداية والنمط التقليدي؛ إذ فرض الموقع الجغرافي والبيئة الصحراوية والظروف المناخية العمل فى النشاط البحرى، ومثلت صناعة اللؤلؤ وصيد الأسماك والتجارة أهم الأنشطة الاقتصادية لإمارات الساحل، فى حين كانت الزراعة والرعى والصناعات الحرفية أنشطة اقتصادية ثانوية^{١٤٧}.

وعلى ضوء تلك المعطيات الاقتصادية التى تضيف إليها تدرى الأوضاع أكثر إبان حقبة ثلاثينيات القرن العشرين، بسبب أزمة الكساد العالمى التى أدت إلى كساد تجارة اللؤلؤ؛ إذ حدثت تطورات ساعدت على تحسين الوضع المالى، والخروج من تلك الأزمة، كان أهمها البدء فى التنقيب عن النفط^{١٤٨}؛ إذ أبرمت بريطانيا عدداً من الاتفاقيات الخاصة بالامتيازات النفطية مع شيوخ إمارات الساحل فيما بين عامى ١٩٣٧ و١٩٣٩؛ وهو مما أسهم فى تحسين الوضع المالى لشيوخ الإمارات^{١٤٩}. والملاحظ أن امتيازات التنقيب عن البترول فى الساحل تكاد تتوازى مع اتفاقيات إنشاء الطريق البحرى الإمبراطورى التى بدأت فى أوائل الثلاثينيات^{١٥٠}.

ونستنتج مما سبق أن بريطانيا شرعت فى إبرام الاتفاقيات النفطية والجوية فى هذا الوقت لاستغلال الوضع الاقتصادى المتدهور لإمارات الساحل، على خلفية الأوضاع السابق ذكرها، بوصفها ورقة ضغط لإقناع حكام الإمارات بعقد مثل هذه الاتفاقيات، مقابل قدر من المال يسهم فى الخروج من تلك الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى أرخت بظلالها على المنطقة بأسرها. وبنهض دبلا على ذلك رصد المسئولين البريطانيين للوضع المالى لإمارات الساحل، مع زيادة إيقاع المباحثات بالنسبة إلى تلك الامتيازات فى خلال فترة الأزمة، وقد استخدمت بريطانيا كثيراً من الآليات لضمان الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل، مستغلة نفوذها التاريخى فى المنطقة، وعلاقاتها الضاربة بجذورها فى القدم مع شيوخ الساحل، فضلا عن استخدام سياسات التهديد والوعيد^{١٥١}.

التنافس الأنجلو أمريكي على الامتيازات في الإمارات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية:

أسهم الوضع السياسي والاقتصادي في بريطانيا الذي ألم بها في أعقاب الحرب العالمية الثانية في تزايد مزاحمة الشركات الأمريكية للشركات البريطانية، بغية الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل. فالملاحظ أنه بعد أن كبلت بريطانيا شيوخ الساحل بتعهدات لتضمن لنفسها امتيازات التنقيب في تلك المنطقة، كان الوضع العام لبريطانيا في حالة يرثى لها، فعقب الحرب العالمية الثانية، وهنت الهيمنة البريطانية في منطقة الخليج، ومن ثم ضعف الدعم الذي كان يقدمه المستولون البريطانيون للشركات البريطانية؛ وهو ما فتح المجال أمام الشركات الأمريكية للسعي للحصول على امتيازات التنقيب، وكان ذلك إبداناً بهدء فترة عرفت بالوجود الأنجلو أمريكي في منطقة الخليج، مارست في خلالها واشتطن ضغوطاً قوية على بريطانيا لقبول سياسة الباب المفتوح، والسماح للشركات الأمريكية بالحصول على بعض امتيازات التنقيب عن النفط في المنطقة^{١٢٢}. والأمر الذي لا مراء فيه أن البترول كان العامل الرئيسي للصراع بين الجانبين (٥٣)؛ لذا صارت العلاقات بين الدولتين في خط أكثر تعرجاً، ولكنها لم تصل إلى مرحلة العسامة المباشرة؛ لوجود مصالح حيوية في المنطقة لكلتا الدولتين^{١٢٣}.

فقد تشابهت سياستهما تجاه عدد من القضايا والأحداث؛ نذكر منها: أزمة تأمين النفط الإيراني (١٩٥١-١٩٥٣)، وما تبعها من انتقاص هبة النفوة البريطانية في الخليج، ومعارضة الولايات المتحدة فكرة استخدام بريطانيا القوة العسكرية ضد إيران في خلال الأزمة، خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى تدخل سوفيتي في شمال إيران، ومن ثم تصاعد وتيرة الحرب في المنطقة، واكتفت بتدبير انقلاب ضد الدكتور مصدق (رئيس الوزراء الإيراني) لإنهاء الأزمة^{١٢٤}. وهناك أيضاً النزاع الحدودي بين السعودية وأبوظبي على واحة البورمي^{١٢٥}، ورؤية الملك فيصل بأن الاعتراف بالدولة الجديدة لا بد أن يساير تسوية المنازعات الحدودية القائمة بين السعودية وأبوظبي^{١٢٦}.

وبرغم اختلاف الرؤى السياسية بين البلدين تجاه بعض قضايا المنطقة؛ فإنها كانا أكثر ميلاً لتسيق سياستهما لمواجهة الخطر الشيوعي، وتطبيق تيار القومية العربية. وجاء حلف بغداد عام ١٩٥٥ معياراً عن هذا الاتجاه^{١٢٧}. وقد قام نوري السعيد - رئيس الحكومة العراقية - في فبراير عام ١٩٥٥ بنشاط مكثف في منطقة الخليج للترويج لحلف بغداد، وبحث إنشاء حلف الخليج،

لمقاومة النفوذ المصري^{١٤١}، والزعف السوفيتي في المنطقة الذي كان يسعى لنشر الفكر الشيوعي في كل جنات المنطقة، عبر إيران، وسط سيطرته على بترول إيران والعراق^{١٤٢}. وقد شنت مصر والسعودية حرباً إعلامية ضد سياسة الأحلاف، خاصة بعد توقيع الميثاق العراقي التركي الذي عد إضعافاً للإرادة العربية^{١٤٣}، وحددت مصر موقفها من مسألة الأحلاف أملاً في تنظيم عملية الدفاع مع الدول العربية، وتعجيل نظام الدفاع العربي المشترك^{١٤٤}.

ونلاحظ أن انضمام إيران لحلف بغداد أحدث قدراً من الارتباك للسياسة البريطانية تجاهها؛ إذ فقدت القدرة على خلق توازن بين سياستها التقليدية تجاه إمارات الساحل؛ "أي التصدي للأطباع الإيرانية"، وكيفية التعامل مع إيران بعد أن أصبحت معها في بوتقة واحدة^{١٤٥}. ولمس هذا الارتباك في الموقف البريطاني الذي لم يعد متشدداً إزاء الادعاءات الإيرانية في الجزر الإماراتية الثلاث (طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وأبو موسى) وجزر البحرين^{١٤٦}.

وتستنتج مما سبق أن العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، لم تكن علاقة صراع على طول الخط، غير أنها شهدت فترات هدوء وجزءاً حسيماً تقتضية مصلحة كل منهما، وتؤكد أن سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية سجلت نهاية عهد قديم، وبداية عهد جديد في تاريخ المنطقة؛ إذ لاح في أفقها جملة من المتغيرات كانت كفيلاً بتقويض النفوذ البريطاني في الخليج.

وحدثت تطورات محلية وإقليمية ودولية، أرغمت بريطانيا على تبني استراتيجية الانسحاب شرق السويس، وقد حملت تلك التطورات بين ثناياها أوضاعاً سياسية واقتصادية واستراتيجية، لم تستطع بريطانيا في ظلها الاضطلاع بمهامها في المنطقة؛ لذا كان قرار الانسحاب بغية الحفاظ على ما تبقى لها من نفوذ. ولاشك أن العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الدافعة للانسحاب، وإن اختلف معدل تأثيرها؛ فإنها شكلت في مجملها مناخاً ضاغطاً على صانعي القرار البريطاني لإقرار سياسة الانسحاب. ومنذ ذلك الحين تنامى الاهتمام الأمريكي بمنطقة الخليج وأمنه ونقطه، مع العمل على استمرار تدفق النفط للغرب، ومواجهة أي مد سوفيتي في المنطقة^{١٤٧}.

وقعت شركة امتيازات البترول المحدودة البريطانية Petroleum Concessions Ltd Coast اتفاقيات التنقيب عن البترول مع حكام إمارات الساحل عام ١٩٣٩^{١٤٨} الذين قبلوا ذلك على مضض، تحت ضغط بريطاني، واتباع سياسة التهديد والوعيد؛ إذ هددت بريطانيا بعدم إصدار

وثائق السفر، وحجز السفن التابعة لإمارات الساحل، تحت ذريعة تفتيشها وحجزها، لمكافحة تجارة الرقيق، فضلا عن التلميح باستحقاقات اتفاقية عام ١٩٢٢^(١٣١). وقد حال اندلاع الحرب العالمية الثانية دون مواصلة الشركة أعمالها، حتى انتهت الحرب^(١٣٢)، فاستأنفت أعمال الاستكشاف والتنقيب. ومع تعثر اكتشاف البترول بكميات تجارية^(١٣٣)، تخلت الشركة عن امتيازها في كل الإمارات - ما عدا مناطق أبوظبي البرية، وأضحت تعرف باسم شركة بترول أبوظبي المحدودة^(١٣٤)، لذا منح حكام الإمارات امتيازات التنقيب عن البترول في إماراتهم لشركات جديدة، كان أهمها: شركة أبوظبي البحرية المحدودة للتنقيب عن البترول في المناطق البحرية بأبوظبي عام ١٩٥٣^(١٣٥)، وشركة بترول دبي للتنقيب عن البترول في المناطق البحرية عام ١٩٦٣، فضلا عن الامتياز الذي منحتهُ إمارة الشارقة عام ١٩٦٩ لشركة الهلال^(١٣٦).

وعقب توقيع امتيازات التنقيب عن النفط وُجدت ضرورة ملحة لتخطيط الحدود، لكي تتمكن الشركات البترولية من القيام بعمليات المسح الجيولوجي والتنقيب، ومن ثم طفت على السطح مشاكل الحدود، وكان من أبرزها مشكلة البورمي^(١٣٧) التي جسدت في جوهرها صراعا واضحا بين الشركات النفطية الأمريكية والبريطانية المتنافسة، أكثر من كونها خلافا بين السعودية وأبوظبي^(١٣٨)؛ إذ أثار تنقيب شركة تطوير بترول الساحل المهادن (البريطانية) في واحة البورمي حفيظة ابن سعود. وقد تزامن ذلك مع وجود شركة أرامكو الأمريكية في واحة البورمي لعمل مسح جيولوجي هناك^(١٣٩). ولما كانت بريطانيا المستولة عن الشؤون الخارجية لإمارات الساحل، بموجب الاتفاقية المانعة، طردت القوات السعودية التي دخلت قرية حناسا بواحة البورمي في أغسطس عام ١٩٥٥^(١٤٠).

وعلى هذا، قطعت السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا، وسعت لعرض القضية على مجلس الأمن. بيد أنها تراجعت، إثر قيام ثورة اليمن عام ١٩٦٢، وحدوث التقارب البريطاني السعودي، لمواجهة الوجود المصري في اليمن^(١٤١). وقد أوكلت بريطانيا إلى الملك حسين في خلال زيارته إلى منطقة الخليج في فبراير عام ١٩٦٧ مهمة القيام بدور الوساطة لحل مشكلة البورمي، ومن ثم حل الاشتباك الذي حدث بين الشركات الأمريكية والبريطانية على أحقبة أي منهم في التنقيب عن النفط. فادعاها السعودية بأحقبتها في واحة البورمي بمنح شركة أرامكو الأمريكية حق التنقيب، في حين أن حق أبوظبي في البورمي بمنح شركة تطوير بترول الساحل المهادن (البريطانية) الحق في التنقيب. ولا شك أن الذي أشعل فتيل الأزمة الحدودية بين المملكة العربية السعودية

وأبوظبي هي شركات النفط الأمريكية والبريطانية المتنافسة^{١٨٥}. ومع تزايد النزاعات الحدودية بين بعض إمارات الساحل وبعضها؛ مثل النزاع الحدودي بين أبوظبي ودبي عام ١٩٤٥. أعاق عمل شركات التنقيب^{١٨٦}؛ وسعت بريطانيا إلى إنشاء قوة كشافة ساحل عمان؛ لحماية المصالح النفطية البريطانية، ومنع النزاعات الحدودية بين الإمارات، والدفاع عن إمارات الساحل ضد الأطماع الإقليمية، كما حدث عند طرد القوات السعودية من البورمي^{١٨٧}.

وما يسترعى الانتباه أن بعض الإرساليات الأمريكية في الخليج التي كانت تقدم نوعاً من الرعاية الصحية لسكان إمارات الساحل^{١٨٨}، أثارت مخاوف لدى البريطانيين؛ إذ خشيت بريطانيا أن يستغل أطباء تلك الإرساليات في تيسير حصول الشركات الأمريكية على امتيازات البترول بإمارات الساحل؛ لذا طالب الوكيل السياسي البريطاني في البحرين بضرورة وجود إشراف طبي في ساحل عمان، وفرض قيود صارمة على زيارات البعثات الإرسالية الأمريكية للساحل^{١٨٩}. ومن منطلق تخوف البريطانيين من نشاط الإرساليات الأمريكية الطبية في المنطقة قدمت بريطانيا بعض الخدمات الطبية لسكان الساحل، وسعت ككافحة انتشار وباء الجدري والملاريا في المنطقة. ويرجع ذلك في المقام الأول إلى رغبة بريطانيا في استمرار عزلة إمارات الساحل، وضمان عدم خروج امتيازات التنقيب عن النفط بعيداً عنها^{١٩٠}.

وبما سبق نستنتج أن الإرساليات الأمريكية في إمارات الساحل كان لها دور في فتح باب للتفاوض مع شيوخ إمارات الساحل، للحصول على حق التنقيب عن النفط في أراضيهم؛ وهو الأمر الذي أرغم بريطانيا على تقديم قدر من الخدمات الطبية لإمارات الساحل، بعد تيقنها من دور أعضاء تلك الإرساليات في الدعاية لشركات النفط.

وانتهزت إيران حالة التخلف التي كانت تعيشها المنطقة، وبادرت بتقديم عدد من الخدمات التعليمية والصحية، وسعت لكسب ولاء سكان المنطقة، من خلال تقديم المساعدات الاقتصادية والاجتماعية^{١٩١}. ويُعتقد أن السعودية وإيران استخدمتا العامل الاقتصادي ورقة ضغط لتحقيق أغراض سياسية؛ إذ كانت تحركها أطماع إقليمية تجاه إمارات الساحل، متمثلة في البورمي بالنسبة إلى الرياض، والجزر الثلاث بالنسبة إلى طهران؛ لذا استغلا الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتخلف في المنطقة، لاستقطاب سكان إمارات الساحل، وكسب ولائهم.

ونلاحظ من خلال شركات النفط العاملة بإمارات الساحل (شركة نفط أبوظبي المحدودة، وشركة

مناطق أبوظبى البحرية المحدودة "أدما"^(١٨١)، وشركة نغف فيليبس، وشركة زيت الشرق الأوسط، وشركة توتال أبو البخوش، وشركة نغف البندق المحدودة، وشركة نغف أمبراداهيس، وشركة بترول دبي، وشركة مناطق دبي البحرية، وشركة بترول الهلال، فضلا عن شركة اتحاد نغف كاليفورنيا، وشركة الغاز الطبيعي الجنوبية) أن معظمها شركات أمريكية؛ إذ استطاعت الشركات الأمريكية أن تخترق الجدار الذى فرضته بريطانيا على المنطقة، وتستحوذ على أكبر قدر من الامتيازات فى إمارات الساحل السبع^(١٨٢).

وقد أثر شيوع إمارات الساحل العمانى منح امتيازات التنقيب عن النفط للشركات الأمريكية، بدلا من الشركات البريطانية التى كان لها سبق الحصول على الامتيازات فى بادئ الأمر؛ ويرجع ذلك إلى تركيز المفاوضات الأمريكى، فى خلال تلك المفاوضات، على عدم جدية الشركات البريطانية فى عرضها، وأن غاية ما يتتبعه الشركات البريطانية هو التأكد من وجود البترول فى الأراضى الإماراتية، ثم بيع الامتياز للشركات الأمريكية، والحصول على مبالغ طائلة من المال. ودعا بذل جهد كبير، كما فعل فرانك هولز الذى باع امتياز البحرين لشركة جلف أويل الأمريكية، قبل أن تشتريه منها ستاندارد كاليفورنيا، وتأكيد أن الشركات الأمريكية تمتلك إمكانيات مادية وتقنية كبيرة، وهى لهذا السبب قادرة على الاستمرار فى التنقيب، بدون الإخلال بالتزاماتها المالية. واستدل الوفد الأمريكى على ذلك بالنتائج الباهرة التى توصلت إليها شركة ستاندارد كاليفورنيا فى ذلك العام ١٩٣٦؛ إذ تدفق النفط فى البحرين^(١٨٣)، إضافة إلى كبر المقابل المادى الذى عرضته الشركات الأمريكية، مقارنة بعرض الشركات البريطانية التى كانت عاجزة عن تقديم عروض أكثر سخاء فى ظل الضائقة الاقتصادية التى كانت تمر بها بريطانيا، ولاسيما بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية، وخرجت منها بريطانيا منهكة اقتصاديا وسياسيا^(١٨٤). وهكذا عجزت الشركات البريطانية عن مجاراة الشركات الأمريكية التى حازت معظم امتيازات التنقيب فى إمارات الساحل السبع^(١٨٥).

وتعد أبوظبى أولى إمارات الساحل التى اكتشف بها البترول؛ إذ اكتشف بكميات تجارية فى حقل أم الشيف البحرى عام ١٩٥٨، وبدأ تصدير أول شحنة منه فى ٣ يونيو عام ١٩٦٢^(١٨٦)، وفى ديسمبر عام ١٩٦٣ صدر البترول من حقل الباب البرى^(١٨٧)، وجاءت إمارة دبي فى المكانة الثانية من حيث أهميتها البترولية، فقد اكتشفت شركة نغف دبي فى يونيو عام ١٩٦٦ البترول فى حقل فاتح البحرى، وصدرت أول شحنة منه فى سبتمبر عام ١٩٦٩^(١٨٨).

وهكذا يتضح أن الإمارات دخلت في ميدان الإنتاج النفطي عام ١٩٦٢، مع بداية تصدير النفط من حقل أم الشيف البحري، ثم تبع ذلك تصدير النفط من الحقول البرية بأبوظبي والبحرية بدبي، وفي عام ١٩٧٠ اكتشف البترول في حقل مبارك بإمارة الشارقة^(١١).

كما استأثرت الشركات الأمريكية بشراكة إماراتية على امتيازات الغاز الطبيعي؛ إذ تنتج إمارة أبوظبي الغاز من جميع الحقول المنتجة للبترول، سواء البحرية أو البرية، واضطلع بدور تصنيع الغاز في أبوظبي شركتنا أبوظبي لتسييل الغاز المحدودة "أدجاز"، وشركة أبوظبي لصناعات الغاز المحدودة "جاسكو"^(١٢).

خاتمة:

يتضح من خلال هذه الدراسة كيف أن الصراع بين الشركات الأمريكية والبريطانية انتقل من المجال الاقتصادي ليلقى بظلاله على العلاقات السياسية بين الدولتين؛ إذ وقفت كل دولة إلى جانب شركاتها النفطية، تدعمها بكل ما أوتيت من قوة، وتوفر لها كل السبل لتضمن لها التفرد بأكبر مساحة من امتيازات التنقيب عن النفط، وهذا يعد تطبيقاً واقعياً لتبرئة أيزنهاور الرئيس الأمريكي في خمسينيات القرن العشرين الذي أكد أن الشركات سيكون لها تأثير فاعل في قرارات الحكومات في خلال الحقبة القادمة.

وقد أدت الصراعات بين الشركات الأمريكية والبريطانية، ومن ثم صراع الحكومات، إلى تفجر مشاكل الحدود في المنطقة، فمشكلة البورمي والجزر الثلاث، يتهمان دليلاً على أن أساس تلك المشكلات كان صراعاً خفياً بين شركات التنقيب عن النفط في إمارات الساحل، كما أن العلاقات السياسية بين بريطانيا وإيران، ولاسيما ارتباطهما معا بحلف بغداد، جعل بريطانيا تغض الطرف عن الادعاءات الإيرانية في الجزر الثلاث، وما بهما من امتيازات للتنقيب عن النفط، ولاسيما جزيرة أبو موسى.

تضيف إلى ذلك أنه مع أفول القوة البريطانية السياسية، توارت معها الشركات البريطانية التي كانت تتمتع في خلال ثلاثينيات القرن العشرين بهيمنة واضحة من قبل شركاتها على معظم امتيازات التنقيب عن النفط، ليس في إمارات الساحل فحسب، بل في منطقة الخليج برمتها، لتفصح المجال للشركات الأمريكية التي كانت مدعومة من قبل قوى عظمى خرجت في أعقاب

الحرب العالمية الثانية، لتسيطر على مقدرات المنطقة، وتدفع شركاتها قدما للأمام نحو مزيد من امتيازات التنقيب عن النفط، وتحتى الشركات البريطانية جانبا، فى ظل وهن بريطانى سياسى واضح.

وعلى هذا فإن العلاقة بين الوضع السياسى للدولتين كان عامل الفصل فى سيطرة شركات كل جانب على الآخر.

وهنا نشير إلى مقولة هارولد لاسكى فى كتابه "تأملات فى ثورة العصر" أنه لا يمكن الفصل بين السياسى والاقتصادى والاجتماعى؛ لأن الفصل بينهم يعد تعسفيا.

ويتضح من ذلك أن الوضع الاحتكارى، والعزلة التى سعت بريطانيا جاهدة لفرزتها على إمارات الساحل، والقبضة الحديدية التى ظلت تحكم بها المنطقة، ما برىو على قرن ونصف، كل هذا أخذ يتهاوى، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية التى عصفت ببريطانيا بوصفها قوة عظمى لا تغيب عنها الشمس، وفتحت الباب على مصراعيه أمام قوة أمريكية طامحة تملك شركات بإمكانات مالية وإدارية وتقنية ضخمة، استطاعت أن تزيح بريطانيا عن عرشها لتؤرخ لحقبة جديدة من التنافس الأفتجولو أمريكى، استطاعت فى خلالها واشتبطن أن تقر سياسة الباب المفتوح، وتفسح المجال أمام الشركات الأمريكية، لتحصل على قدر من امتيازات التنقيب عن النفط، ثم أعقب تلك الحقبة فترة ما زلنا نعاصرها حتى هذه اللحظة؛ هى فترة التفرد الأمريكى بمعظم امتيازات التنقيب عن النفط فى إمارات الساحل العمانى (دولة الإمارات العربية المتحدة).

الهوامش

(*) الإمارات السبع هي: أبوظبي، دبي، والشارقة، ورأس الخيمة، وأم القيوين، والفجيرة، وعجمان. ولتتبع الأصل التاريخي لكل إمارة من إمارات الساحل السبع، ومساحة كل إمارة وموقعها، راجع:

Malakh R. EL., The Economic Development of the United Arab Emirates, London, 1981, pp. 5-9.

(**) ساحل القرصنة: ترجع تسمية المنطقة بساحل القرصنة إلى حقبة الوجود البرتغالي في الخليج؛ إذ أطلق هذا اللقب على أعمال أئمة دولة البعارة، إبان جهادهم من أجل تحرير عمان وساحل أفريقيا الشرقي، من الاحتلال البرتغالي في القرن السابع عشر، كذلك نعت الإنجليز القواسم بالقرصنة، إثر مهاجمتهم السفن البريطانية التي كانت تبحر في الخليج، ويمكن إرجاع هجوم القواسم على السفن البريطانية إلى عوامل اقتصادية ودينية وسياسية، وبهذا لم يكن لتلك الأعمال أية علاقة بأعمال القرصنة. ولعل لصاق تهمة القرصنة بالقواسم حسب الزعم البرتغالي والبريطاني، شبه بما يلحق في وقتنا الراهن بين يدافع عن أرضه ومقدساته بالإرهابي. لمزيد من التفاصيل عن ساحل القرصنة، راجع:

S. M. Al-Qasbi, The Myth of Arab Piracy in the Gulf, London, 1986, pp. 31-51. Sir R. Hays E. Rear, the Persian Gulf States, Washington D: 1959, p. 113.

(***) كانت عمان الكبرى خاضعة للقواسم البعارية من (١٦٢٤ - ١٧٤٣)، ولقد نجحت تلك الدولة في تحرير عمان من احتلال البرتغاليين، ولكن سرعان ما تشرذمت تلك الدولة، إثر الصراع الداخلي، ودعم القوى الأجنبية الطامحة في المنطقة لهذا الصراع، لمزيد من التفاصيل عن دولة البعارة، انظر: ج. ح. نوريز، دليل الخليج، ترجمة: مكتب أمير دولة قطر، القسم التاريخي، الجزء الثاني، ص ٦٢٦-٦٢٧.

(٢) عادل رضا: عمان والخليج العربي، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٠٠.

(٣) محمد عبد الله مرسى: دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها، ط ١، دار القلم، الكويت ١٩٨١، ص ١٢٠.

Long, E. A., The Persian Gulf An Introduction to its Peoples, Politics, and Economics, the Middle East, Colorado, 1978, p. 16.

Shaban, M. A. Arabia and the Gulf from Traditional Society to Modern States, London (5) 1986, p. 146.

(٦) جمال زكريا قاسم: دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١، مكتبة القاهرة، القاهرة ١٩٦٨، ص ٨٠.

(٧) يوسف أبو المهاجر: دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة تحليلية للملامح العامة، في: "دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مسحية شاملة"، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨، ص ٦٠.

(****) كانت الحملة البريطانية الأولى ضد الغواص عام ١٨٠٥، والثانية عام ١٨٠٩، ولزيد من التفاصيل عن الحملات البريطانية الثلاث ضد الغواص، انظر: ج. ج. لوريرا، مرجع سابق، ص ٩٢٦-١٠٢٣.

Anthony, J. D. Arab States of Lower Gulf. People Politics Petroleum, Washington, D. C. (٨) 1975, p. 240.

Mansfield, P. The Middle East: A Political and Economic Survey, Fifth, (٩) Edition, London, 1989, p. 240

(*****) ما أشبه الليلة بالبارحة؛ إذ أطلق مصطلح السلام البريطاني Pax-Britannica في منطقة الخليج تعبيراً عن هيمنة بريطانيا على مقدرات المنطقة في خلال القرنين ١٩ و ٢٠. ومع فرض أمريكا مظهرها على المنطقة وتسلم إرث الإمبراطورية البريطانية، أصبحنا نسمع عن Pax-Americana

Country Profile, The Economist Intelligence Unit, London, 1987, p. 3 (١٠)

(١١) أحمد فاسم البوريني: الإمارات السبع على الساحل الأخضر، دار الحكمة، ب.ت، ص ١٧٧.

Common House, Record of the Arab World, 13 Marsh, 1892, p. 44 (١٢)

Mansfield, P. op. cit, p. 184 (١٣)

(١٤) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٣٣- مصطفى عبد القادر الجبار: الحركة العربية السياسية، ص ١٣٨.

(١٥) سيد فاروق حسن، ترجمة: محمد عبد الغنى المسعودي: مسح تاريخي للمصالح الأوروبية في منطقة الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد ٢٥، ١٩٨٧، ص ٨٩؛ جمال زكريا فاسم: مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي، ص ٣٣.

(١٦) إبراهيم شرف: البترول أهم سلاح من أسلحة الحرب الحديثة - بحث مقدم إلى المؤتمر العربي الثاني، بيروت، أكتوبر ١٩٦٠، ص ٩، د. راشد البراوي: حرب البترول في الشرق الأوسط، ط ٥، ١٩٦٢، ص ٤٥.

(١٧) بيير فونتين: السياق الجديد نحو البترول، ترجمة: د. جلال صادق، ١٩٦٢، ص ٩.

-Hoskins Halford. Middle East Oil in United States Foreign Policy, Public Affairs, Bul (١٨) letin, 1977, p. 2

Roosevelt Kermit, Arabs, Oil and History, New York, 1955, p. 12 (١٩)

(٢٠) هارفي أكونورا: الأزمة العالمية في البترول، ترجمة: عمر مكاوي، مراجعة: د. راشد البراوي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧، ص ٨٧.

(٢١) محمد صبحي الإنترنت: مدخل إلى دراسة الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية، منشورات النفط والتنمية، بغداد ١٩٧٧، ص ٨.

FCO, British Embassy, Washington, to FCO, September, 7, 1973, U.S Policy in the (٢٢) Middle East

(٢٣) مجموعة من الباحثين: السياسة الأمريكية والعرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١، ص٢٧.

(٢٤) كان اتفاق (سان ريمو) محاولة لتنظيم تقاسم النفوذ والسيطرة بين فرنسا وبريطانيا. وقد خصصت أهم البنية الواردة فيه لتنظيم حصص البلدين في بترول العراق؛ إذ رفعت حصة فرنسا إلى ٢٥٪ في شركة البترول التركية، وفي المقابل سمحت فرنسا بتمديد خطوط الأنابيب التي تنقل بترول الموصل إلى شاطئ البحر المتوسط، مروراً بسوريا المحاذية لسيطرة الفرنسيين، ويمكن عقد اتفاق سان ريمو اتفاقاً بشأن النفط في الدرجة الأولى، أندريه نوسشي، الصراعات البترولية في الشرق الأوسط، ص(٧١-١٢٣).

(٢٥) المرجع السابق، ص١٢٥.

(٢٦) مجموعة من الباحثين: السياسة الأمريكية والعرب، مرجع سابق، ص٢٩.

(٢٧) أندريه نوسشي: مرجع سابق، ص١٥٨.

Arabian Gulf Concessions 1911-1953, Documents from the India Office, Recording the (٢٨) Negotiations and Agreements for the first Land- Based Oil Concessions in Kuwait,

Bahrain, Qatar, the Trucial States and Muscat and Oman, London, 1989, pp.77-79

(٢٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والمشرق العربي، عالم المعرفة العدد ٤، الكويت ١٩٦٥، ص١٤. أنتوني سامبسون، الشبكات السبع: شركات البترول الكبرى والعالم الذي صنعتها، ١٩٧٦، معهد الإنماء العربي، ص١٠٩.

(٣٠) أندريه نوسشي، مرجع سابق، ص١٥٩.

(٣١) وقعت معاهدة (سيفر) بين الحلفاء في أغسطس ١٩٢٠، وقد قضت بسلخ مجموعة من الأقاليم عن تركيا وإلحاقها بدول مجاورة، أو جعلها مملوكة تحت الانتداب، كما تنظم المعاهدة امتيازات رعايا الحلفاء في تركيا والأراضي العثمانية السابقة، لكن الأتراك قاموا بثورة وحاربوا الجيش اليوناني الذي سلمت إليه بعض أقاليم البلقان، فذبحوه في معركة سافاربه (سبتمبر ١٩٢١)، وهو ما أضعف من قيمة المعاهدة، وألغيت أخيراً في مؤتمر لوزان (سيفر ١٩٢٣).

Niblock, T. Social and Economic Development in the Arab Gulf London, 1980 . P (٣٢) 34-35

(٣٣) سيد نوفل: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، الكتاب الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٦-١٩٦٧.

(٣٤) أحمد مدحت إسلام، الطاقة ومصادرها المختلفة، ط١. مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٨، ص٥٧-٥٩.

Witchell K.S. T. Saudi Arabia with an Account of the Development of its Natural Resources - third edition - Greenwood Press 1969- p.222

سيد فتحى الخولى: اقتصاديات البترول، ط١، مكتبة دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٨، ص٣٤٧.

(٣٦) روزمارى سعيد زحلان: الوحدة والحكم البريطانى، حالة الإمارات العربية المتحدة، فى: "تجربة دولة الإمارات العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، بيروت ١٩٩٩، ص١١٧.

R. El. Malakh, op. cit, p.1

(٣٧) دكتور سيد نوفل: مرجع السابق، الكتاب الثانى، ص١٩٦-١٩٧.

(٣٨) محمد حسن العبدروس: التطورات السياسية فى دولة الإمارات العربية المتحدة، ذات السلاسل، الكويت، د. ت، ص١٧٤.

(٣٩) رياض نجيب الزين: صراع الواحات والنفط، هوم الخليج العربى ١٩٦٨-١٩٧١، ط١، بيروت، ١٩٧٣، ص٢٣٢.

(٤٠) وثيقنا تعهد من حاكمى الشارقة ودبى فى عام ١٩٢٢ حول امتيازات البترول، نقلًا عن سيد نوفل: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية، ص١٩٤-١٩٥.

(٤١) أحمد زكريا الشلق وآخرون: التاريخ السياسى لإمارات الخليج العربى، ص١٨٠.

(٤٢) H. Hoskins, The Middle East Problem Area in World Politics, New York, 1955, p.208

(٤٣) محمود على النابود: عوامل الوحدة والتجزئة فى الجزيرة العربية، فى: "تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة"، ط٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٨؛ روزمارى سعيد زحلان: مرجع سابق، ص١١٧.

R. F. Mikesell & Hollis. B. Cheney, Arabian Oil: Americans Stake in the Middle East, the University of North Carolina, 1949, p.60

(٤٥) بيتر ر. اوديل: النفط والقرعة العالمية، خلفية أزمة النفط، ترجمة، راشد البراوى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٠٨.

Sir R. Hay & E. Reaz, op. cit, p.93-94

(٤٦) إبراهيم إبراهيم: أثر النفط على قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، فى: "تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، بيروت، ١٩٩٩، ص١٨٣.

(٤٧) محمد ياسر شرف: مجتمع الإمارات، دار المنشى، أبوظبى ١٩٩٢، ص٢

(٤٨) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص١٤٥، ١٤٨-١٤٩.

- (٤٩) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٤٨-١٤٩.
- (٥٠) روزماری سعيد زحلان: مرجع سابق، ص ١٢-١٢١.
- (٥١) وزارة التخطيط: الملامح الرئيسية للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة في خلال المدة ١٩٧٥-١٩٨٥، ص ٢١-٢٥.
- (٥٢) محمود علي الداود: الخليج العربي في العلامات الدولية، ص ١٨١.
- (٥٣) ف. تروخاتوفسكي: سياسة بريطانيا الخارجية خلال الحرب العالمية الثانية، ترجمة: عبد الحميد الجمال، مراجعة وتقديم: عبد الحائق لاشين، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٨٨.
- (٥٤) لدم وهاوس: السياسة الخارجية البريطانية بعد الحرب الثانية، ترجمة: حسن القباي، المؤسسة الدولية للنشر، ب.ت، ص ٣١.
- (٥٥) وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة ٤٨٩، الملف الأول، تقرير حول الحديث الذي دار بين سفيرى مصر وواشنطن في ١٨/١٢/١٩٥٢، أرشيف سرى جديد.
- (٥٦) Fenslon, K.G: The Trucial States, p. 89
- (٥٧) International Journal of Middle East Studies, vol. 12, no. 4, Dec. 1980, pp. 541-542.; Melamid, A: op. cit, pp. 342-45
- (٥٨) وثائق الخارجية المصرية، محفظة ٥، ملف ١٠٣٨/١٠٣٧/١، ج ١، حلف بغداد، تقرير رقم ٢٥٨ من القائم بالأعمال المصرى بطهران إلى وكيل الخارجية بشأن حلف بغداد والهيكل التنظيمى للحزب ولجانه، في ١٦/١١/١٩٥٧ سرى للغاية.
- (٥٩) وثائق الخارجية المصرية، محفظة ١٤٠٦، ملف ٣٨/٢٧/١٧، ج ٤، حلف بغداد، مرفق بتقرير ١٨٤ من السفير المصرى ببغداد إلى وكيل وزارة الخارجية النائم بشأن اجتماع المجلس الوزارى لحلف بغداد فى طهران، فى ٢٢/٥/١٩٥٦، سرى للغاية.
- (٦٠) F.O 371/115514, Extract, From the Hearings before the Committee of Foreign Relation United States Senates, May, 6, 1955
- (٦١) F.O. 371/113579, Tele, No118, from, British Embassy Cairo to F.O, July, 18, 1955
- (٦٢) F.O. 371/113578, Tele, no. 72, from British Embassy Cairo to F.O, March, 29, 1955
- (٦٣) صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى، مكتبة الانجلو، القاهرة، د.ت، ص ٣٢٩.
- (٦٤) محمد حسن العبدروس: الجزر العربية والاحتلال الإيرانى: نموذج للعلامات العربية الإيرانية، دراسة وثائقية أرشيفية، ج ٣، محمد رضا خان والجزر العربية ١٩٤١-١٩٧٩، دار الكتاب الحديث، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٠١.

- (٦٥) هادي طعيمة: الخليج العربي والاستراتيجية الاستعمارية البريطانية الخاصة، القاهرة، ١٩٧١، ص ٥٦.
- (٦٦) دائرة التخطيط: مركز الإحصاء، أبوظبي، يوليو ١٩٨١، ص ٤.
- (٦٧) محمد مرسى عبد الله: مرجع سابق، ص ٩٠-٩١؛ روزماری سعيد زحلان، مرجع سابق، ص ١٢.
- (٦٨) H. Hoskeins, Op Cit, PP. 208,209, EL- Malakh, op. cit, p. 89
- (٦٩) K.G. Feneion, The United Arab Emirates, p.32
- (٧٠) EL- Malakh R., op. cit, p.89
- (٧١) R. F. Mikesell & H. B.Chenery, op. cit, pp.116-117
- (٧٢) موسوعة زايد: مرجع سابق، ص ١٦٢.
- (٧٣) كانت مشكلة البويهي من أكثر النزاعات الحدودية تعقيدا في منطقة الخليج؛ إذ شمل النزاع ثلاثة أطراف، السعودية وأبوظبي ومسلط، وقد تم التوصل إلى تسوية لتلك المشكلة عام ١٩٧٤، على ضوء الاتفاق الذي أبرم بين الشيخ زايد حاكم دولة الإمارات والملك فيصل السعودي. لتزيد من التفاصيل عن أزمة البويهي ومباحثات تسويتها ومؤتمر الدمام، ومسألة التحكيم في جنيف حتى اتفاق ١٩٧٤ بين فيصل وزايد، راجع: ابتسام حسون، مرجع سابق، ص ٢٦١-٢٩٢.
- (٧٤) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٨٧.
- (٧٥) Arabian Gulf Concessions 1911-1953, Documents from the India Office, Recording the Negotiations and Agreements for the first Land- Based Oil Concessions in Kuwait, Bahrain, Qatar, the Trucial States and Muscat and Oman, London, 1989, p.457
- (٧٦) Mikesell & H. B.Chenery, R. F., op. cit, pp.118-119
- (٧٧) ابتسام عبد الأمير حسون: مرجع سابق، ص ٢٨٩، ٢٩٢.
- (٧٨) عن زيارة الملك حسين إلى أقطار الخليج العربي (البحرين - قطر - أبوظبي - دبي - رأس الخيمة) في فبراير ١٩٦٧، وأهم المباحثات حول قضايا المنطقة، راجع:
- F O 17/299, Tele, no.98, from British Embassy, Amman to F.O, King Hussein's Visit, 27, January, 1967. F.O 17/299, Tele, from Political Agency, Bahrain to F.O, no.38, 20, January, 1967
- (٧٩) R. S. Zahlan, The Origin's of the United Arab Emirates, p.191
- (٨٠) إبراهيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ١٩٠.

- (٨١) عبد القوي فهمي: مرجع سابق، ص ٤١٩-٤٢٢.
- (٨٢) محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٦.
- (٨٣) عبد القوي فهمي: مرجع سابق، ص ٤٢٢.
- (٨٤) جمال زكريا قاسم: إمارات قديمة ودولة حديثة، ص ٦٩. محمد عبد الله مرسى: مرجع سابق، ص ٩٢.
- (٨٥) تقرير وزارة البترول والثروة المعدنية: البترول في دولة الإمارات، أبوظبي، ١٩٧٧، ص ٢-٧.
- (٨٦) محمد علي القرا: جغرافية البترول في دولة الإمارات العربية المتحدة، في: "دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مسح شاملة"، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٨، ص ٤٤، ٤٤٣، خزعل الجاسم: دور قطاع النفط والغاز في البرنامج الإنمائي لإمارة أبوظبي ١٩٨١-١٩٨٥، ودوره في تخطيط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، دائرة التخطيط، أبوظبي، يوليو ١٩٨١، ص ٤٤-٤٥.
- (٨٧) سيد فتحى الحولى: اقتصادات البترول، ط ١، مكتبة دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة ١٩٨٨، ص ٣٤٧.
- (٨٨) أنتوني سامبسون: المشتقات البترولية، شركات البترول الكبرى والعالم الذى صنعتها، معهد الإنماء العربى، ١٩٧٦، ص ١٣٥.
- (٨٩) قصة النفط، مرجع سابق، ص ٧٦، <http://Archivebeta.Boknr/>
- (٩٠) Fenelon, K. G.: The United Arab Emirates, pp. 38-39
- (٩١) جمال زكريا قاسم: إمارات قديمة ودولة حديثة، ص ٥٣.
- (٩٢) موسوعة زايد، مرجع سابق، ص ١٦٩.
- (٩٣) عبد الرحمن غنيم، محمد إبراهيم الشاعر: الاستراتيجية القومية لدولة الإمارات العربية المتحدة، ط ١، دمشق، ١٩٧٨، ص ٣٣، وزارة التخطيط: التقرير الاقتصادى لعام ١٩٩٢، إدارة التخطيط، أبوظبي، ١٩٩٢.
- (٩٤) موسوعة زايد، مرجع سابق، ص ١٦٤.

أضواء على الصحة العقلية في القاهرة العثمانية

٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠١ م

كثر الحديث في الآونة الأخيرة في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمربية عن الأمراض النفسية، كما تشجع الجامعات الباحثين على دراسة مثل هذه الموضوعات لما لها من تأثير على مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ولربط العلم بالمجتمع من خلال بحوث تؤدي إلى حل مشكلاته، بغية الوصول إلى أفضل النتائج في مجال التنمية البشرية. وعلى الرغم من عدم تخصصي في الطب أو الاجتماع، غير أنني أردت تناول الصحة العقلية في المجتمع المصري خلال العصر العثماني ٩٢٣ - ١٢١٦ هـ / ١٥١٧ - ١٨٠١ م، نظراً لأن المتخصصين في الطب أو الاجتماع لا يستطيعون الرجوع إلى هذه الأزمنة البعيدة لتنوع أنواع وأعراض الأمراض التي كانت تحمل أحيانا مسميات مختلفة عن مسميات الوقت الحاضر، وبالتالي لا يستطيعون معرفة ما استخدم من الأعشاب والنباتات لعلاج مثل هذه الأمراض، والتي ربما تكون أفضل مما هو مستخدم حالياً. ومن هنا ليس أمام الباحث في الطب أو الاجتماع إلا أن يقوم باستكمال ما وصل إليه الباحثون السابقون عليه. أما دراسة الباحث في التاريخ لمثل هذه الموضوعات فإن الهدف منها هو معرفة العوامل التي أدت إلى

(*) أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة

هذه الأمراض وطرق علاجها، والعلاقة بين الصحة العقلية والصحة البدنية، وأثر الصحة العقلية على السلوك الاجتماعي، ونسبة المصابين بالأمراض العقلية في المجتمع خلال تلك الفترة، وطرق العلاج، والجهة التي قامت بعلاج مثل هذه الأمراض.

ونظراً للارتباط الوثيق بين الصحة العقلية والتفسي لا بد أولاً من معرفة معنى الصحة النفسية.

فالصحة النفسية Mental Health هي قدرة الفرد على التوافق والتكيف مع نفسه ومع مجتمعه وعقد صلات اجتماعية تتميز بالأخذ والعطاء والتعاون والتسامح، واختيار الآمال والأهداف التي تتناسب مع واقعه وإمكاناته والقدرة على مواجهة الأزمات النفسية التي تطرأ عليه وإحساسه بالسعادة والرضا. ^(١١)

والمرض النفسي، والمرض العقلي، مظهران لاضطراب الشخصية، غير أن هناك اختلافاً بينهما؛ فالأمراض النفسية هي اضطرابات تكون العوامل النفسية صاحب البد الطولي فيها، وتتخذ شكل صراعات داخلية، وتصدع في العلاقات الشخصية تؤدي إلى مظاهر خارجية كالقلق Anxiety والتوتر Tension. وتعتبر الظروف البيئية السيئة التي يعيش فيها الفرد من أهم الأسباب التي تؤدي إلى مثل هذه الأمراض. ^(١٢)

<http://Archivwebeta.Baknrit.com>

أما المرض العقلي Psychosis (موضوع الدراسة) فهو اضطراب في الشخصية، وهو أخطر من المرض النفسي، حيث يبدو في صورة اختلال عنيف في القوى العقلية، وعجز ظاهر عن ضبط النفس، الأمر الذي يعوق قيام علاقات اجتماعية متوافقة بين الفرد وغيره. بل وعدم قيام توافق بين الفرد وذاته. ^(١٣)

وترجع مصادر العصر العثماني وجود مثل هذه الأمراض - التي نظر إليها على أنها ضرب من الجنون ^(١٤) - إلى ارتفاع درجة الحرارة في مصر وطبيعة أرضها التي أدت إلى جعل بعض سكانها سوداويين ^(١٥) كما أضاف داود الأنطاكي إلى هذه الأسباب الهموم معرفاً أياها بأنها (أشغال النفس بما ستلقاه من مكروه، فيغلي الدم) مما يؤدي إلى إفساد الحواس، وقد أوضح بأن أقل الناس هما ذو الأمزجة الباردة Cold Temperament، وأكثر الناس هما من (غزر عقله وصح حسده). لتوفر نظرة في العواقب، كما أوضح أنه يترتب على الهموم بدون مخرج لها قتل أصحابها، وأقل ما تحدثه في البدن سرعة الشيب والهزال والنسيان واختلال العقل ^(١٦)، يضاف إلى ذلك إقبال بعض المصريين أغنياً، أو فقراً، على تعاطي المخدرات بأشكالها المختلفة،

والتي كان مسرحاً يبيعها بمحلات خاصة بها ، ويطلق على بائعها ومحضرها المعجوني، والتي اعتقد المصريون أنها سبب السعادة والراحة^(١٢١) ، بالإضافة إلى إقبال البعض على شرب الخمر، إلا أن الإفاقة من هذه المواد المخدرة والمسكرة، مع عدم القدرة على شرائها عند الفقر - ربما يؤدي إلى تلك التوتبات العصبية التي نشاهدها في الوقت الحالي لحالات المدمنين المحاولين الإقلاع عن الإدمان والذهن يكون مأواهم المصححات النفسية والعقلية. ويؤكد على ذلك عبد العزيز القوصي، حينما أشار إلى أن (إدمان الخمر أو المخدرات يؤدي إلى تعطيل العمليات العقلية، وإفساد التفكير، واختلال الأحكام التي يصدرها الفرد، واضطراب إدراكاته ، فهي تدفع بعض الناس للبكا، وبعضهم للانتحاض، وبعضاً ثالثاً للمرح، وبعضهم للغضب والهياج ، كما أنها تؤدي إلى نتائج عقلية دائمة كضعف الذاكرة، وتأخر القدرة على التفكير المنطقي المنظم، وتسلب الأوهام والوساوس)^(١٢٢) نضيف إلى ذلك سبباً آخر وهو ما يشير أصحاب السلطة والنفوذ في مصر وبخاصة البكوات الماليك من الرعب والفرع لدى الفقراء، والتي يؤدي أحياناً إلى ذهاب العقل . وخير مثال على ذلك اتهام علي بك الكبير (ت ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م) لأحد الشباب بمدينة دمهور بتهرب السلاح للعرمان ، فأمر بقطع رأسه، إلا أنه اكتشف الحقيقة في اللحظة الأخيرة، وأطلق سراحه، ولكن ترتب على الرعب الذي عاش فيه هذا الشاب فقدانه لصوته.^(١٢٣)

وأخيراً كثيراً ما كان يتم الزواج بأحد الأشخاص بالبيمارستان^(١٢٤) طمعا في ماله، أو انتقاماً منه لسبب ما ، فقد شاهد ديجنت Desgenttes كبير الأطباء، في الحملة الفرنسية على مصر عند زيارته للبيمارستان المنصوري-^(١٢٥) وهو البيمارستان الوحيد الذي يأوى المرضى العقليين في مصر خلال فترة الدراسة - فتاة وصفها بقوله (شابة جميلة جالسة على أرض الحجر ترسف في أغلالها وهي تكاد تكون عارية في أسماها البالية الممزقة) ، وعند اقترابه منها فرحت برؤيته، وحاولت محادثته بعصبية شديدة، لم يفهم منها ديجنت شيئاً لاختلاف لغته الفرنسية عن لغتها العربية، غير أنه أشفق عليها ، وتتبع حالتها قائلاً : (خطر لي أنها ليست مجنونة، وأن بعض الأشرار قد زجوا بها في المستان ظلماً وكيداً) ، وتبين له بعد ذلك أنه كان محققاً فيما اعتقد ، وأخرجها من البيمارستان.^(١٢٦)

و قد أطلقت المصادر الطبية في العصر العثماني على الأمراض التي تصيب الرأس و تؤدي إلى زوال العقل، مسمى المايخوليا^(١٢٧)، ويندرج تحت هذا المسمى أنواع عديدة من الأمراض العقلية يوضحها الجدول التالي^(١٢٨):

البيانات	أنواع المالبطريا	القطرب	الماتريا	الصبار	الهدبان والجنون
سبب المرض	المعدة	السوداء	السوداء : إذا كان المرضى في حالة سكون ونعافه. الصفراء : مادون ذلك.		
وقت المرض	يشهد المرض وقت الجوع أو الهضم	—	—	—	—
أعراض المرض	العزلة، قلة الكلام، تخيلات	اختلاف مشية تقلب وجهه الظفر من الناس والأماكن.	اختلاط شبيه بالصب وحسكه بالباك، والعطش.	اختلاف الأفعال المضادة والرعونة والخوف والتكدر والصفا.	كل ما سبق مع فساد المخاط من الداخل أو الخارج
معلومات إضافية			يسمى هذا المرض أيضا بجانوبيا ودا. الكلب أو الداء السبعي لشبه أفعاله بأفعال الكلاب أو السياء.		

و قد أورد مؤرخو مصر في العصر العثماني نماذج من هذه الأمراض. فهناك من يدعي أنه نسى مرسل^(٤٤) أو المهدي المنتظر^(٤٥) أو يكون في حالة هدوء تام لفترة طويلة من الزمن قد تصل إلى اثنين وثلاثين عاما (وأحيانا يتكلم، وأحيانا أخرى لا يكلم أحداً ، وإن أتاه الوزير) ثم فجأة يصرخ ويبكي مدعياً أنه قد سلب حقه، وأنه يرغب في تخليص قريته (أوسيم) من المعتدين. ثم

يعود إلى هدوئه مرة أخرى ^(١٧٧) وهناك من تكون حالته هياجاً مستمراً ^(١٧٨) (وكانه يزرأ كالأسد، ثم يعود إلى الهدوء، وتعلو شفتيه ابتسامة بلها ^(١٧٩) وهناك من هو شارد ^(١٨٠) بصفة مستمرة ^(١٨١) وهناك من هو مصاب بالهوس ^(١٨٢) على الدوام ^(١٨٣).

وإذا كانت هذه أمثلة لبعض الحالات التي أودعت في البيمارستان المنصوري، إلا أن هناك العديد من المرضى يجوبون الشوارع والأسواق، ويصيحون، ويصرخون، وتعتقد فيهم العامة الولاية ^(١٨٤)، ومنهم «علي البكري» الذي اعتقد فيه العوام الولاية وأطلقوا عليه «الشيخ علي البكري» وقد وصفه الجبرتي بقوله إنه (رجل طويل، حليق اللحية، يمشي عريانا، وأحيانا يلبس قميصا وطاقيه، ويمشي حافيا) وقد تبعته امرأة، وصارت تمشي خلفه أينما توجه وتخلط في ألفاظها وتدخل معه البيوت واعتقدت بها النساء. وتبعهما الأطفال والصغار وهوام العوام، وصاروا يقبلون أيديهما، ويتبركون بهما. وعندما دخل الشيخ والمرأة ومن تبعهما بين القصرين وبه أحد أجناد الدولة العثمانية ودعى «جعفر كاشف»، قبض على الشيخ والمرأة ومن تبعهم، ثم أطلق الشيخ لخال سبيله ربما لاعتقاده هو نفسه في هذا الشخص، أما المرأة فقد أرسلها إلى البيمارستان، وأطلق باقي من تبعهما بعد أن ضربهم «وتأبوا ولبسوا ثيابهم». ويعلق على ذلك الجبرتي بقوله: (بعد أن طارت الشرية ^(١٨٥) من رؤسهم ^(١٨٦)).

وقد أدى تواجد الكثيرين من أمثال علي البكري في الشوارع إلى استفسار ناهليون بونايرت عنهم من مشايخ الأزهر خصوصاً مع (اعتقاد العامة فيهم، وهم لا يصلون ولا يصومون، هل هذا حلال أم حرام في الشريعة؟) فأجابهم المشايخ بأنه حرام. عندئذ أمر بونايرت بجمع من على هذه الشاكلة والكشف على عقولهم، وأدخل البيمارستان من ثبت عليه الجنون. ^(١٨٧)

وقد حاول المصرون آنذاك وقاية أنفسهم من الأمراض النفسية والعقلية، حيث حرصوا على الهدوء ^(١٨٨) واسترخاء الأعصاب ^(١٨٩) مع عدم شغل العقل بالتأمل والتفكير ^(١٩٠) وعدم الاستجابة للتفاعلات العنيفة، وتقبل الواقع بما فيه من محاسن ومساوئ وهو ما يعرف عند علماء النفس بالمنهج الوقائي Preventive Method ^(١٩١). كما سعوا إلى زيادة سعادتهم والاستمتاع بمباهج الحياة كالذهاب إلى الحدائق، وسماع الموسيقى، وقضاء وقت في الهواء الطلق ^(١٩٢) والمرح والعنك لإزالة التوتر وتخفيف آلامهم سواء كانت هذه الآلام، آلاماً بدنية أو نفسية ^(١٩٣)، وهو ما يعرف لدى علماء النفس حالياً بالمنهج الإنشائي Constructive Method ^(١٩٤). أما إذا أحس

المصريون بإعتلال في الصحة، عللوا ذلك بانسداد مسام الجلد ، وقلة إفراز العرق ، لهذا يتوجهون إلى الحمامات البخارية في محاولة لتبديد ما ظهر من تلك الأعراض.^(١٣١)

ولم يعتد أهل مصر استخدام الأدوية إلا في حدود ضيقة ، فالمرض يستخدم ما يناسبه من الأعشاب والنباتات^(١٣٢) ، ولا يستشر الطبيب إلا عند الأمراض الخطيرة وغير العادية^(١٣٣) .

و قد كانت وسيلتهم الأساسية للعلاج ما يطلق عليه (الطب الروحاني) ، وهو الرقي بآيات من القرآن الكريم ، و ما ورد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه الرقي بعضها للشفا. من الأمراض بصفة عامة، وبعضها الآخر للشفا. من الأمراض العقلية. غير أنهم أضاقوا إلى آيات الله وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، بعض الأدعية والكلمات غير المفهومة والتي ترتبط بالسحر والأحجية والتماثل^(١٣٤)، مثل كتابه تسعين صاداً في ثلاثة أسطر في كاغد ويعلق على الرأس ، و يكتب بعدها أ ح أ ك ك خ ج ح أ م ح وقوله تبارك وتعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء - لجعله ساكناً)^(١٣٥) ، وأيضاً (إن بكاد الذين كفروا لیزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين).^(١٣٦)

كما حرص المصريون من أجل شفاء المريض على معرفة مكان المرض، وما لذلك العضو من الحروف، والعضوين القريبين منه (فوقه وتحتة) ، ويقوسون بجسم حروف الأعضاء الثلاثة، ثم ينظرون في القرآن في أي آية جمعت تلك الحروف، ثم تكتب هذه الآية ، وتسقى للمريض ، أو تعلق عليه^(١٣٧) ، بالإضافة إلى حلقات الزار التي رأى فيها المصريون شفا. من الأمراض العصبية^(١٣٨)

أما إذا فشلت تلك الطرق مع المريض ، فعندئذ يلجأ المريض أو أقاربه للطبيب. و يبدأ مع المريض ما يعرف بالمنهج العلاجي Remedial Method الذي يكون الهدف منه عودة المريض إلى التوازن والاعتدال والتوافق النفسي والاجتماعي.^(١٣٩)

و تتم معالجة مريض المالبخوليا بعقاقير، بعضها بسيط مكون من نبات واحد، وبعضها الآخر مركب من عدة نباتات. ومن هذه العقاقير الأشربة والمعاجين والسفوف والحبوب والادهان والمفرحات.^(١٤٠)

لمن الأشربة، شراب أسطوخودس ويتكون من الأسطوخودس وعصير تفاح وسفرجل وحمض

ولسان ثور^(١٤٤). وشراب مركب من اللازورد والأفتيمون والسكنجبين بما ـ الجين، وشراب بسيط من نبات بزر قطو نامع السكر وما ـ الورد.^(١٤٥)

أما المعاجين وهي من أعظم المركبات قدرا وأجلها نفعا وأكثرها في التداوي، والقانون الجامع لسائر المعاجين أن تكون بالعسل؛ والجدول التالي يوضح المعاجين المستخدمة في علاج المالبخوليا:

اسم المعجون	مكونات المعجون	جرعة المريض اليومية	مدة صلاحية المعجون
معجون النجاج	أهليلج ^(١٤٦) - بليج - أفتيمون - اسطوخودس - بسفايج - غاريقون - حجر ارمي - مرجان - لؤلؤ - بادروج.	مقالان ^(١٤٧)	سنة واحدة
معجون الفائق	تريد - لوز - سقمونيا - قرنفل - مصطكي - جوزوا - دار صيني - زنجبيل - أنيسون	أربعة	سنة واحدة
معجون داود	أفتيمون - بسفايج - اسنق - صمبر - حب لسان - غاريقون - سنبل أحمر - بزر خشخاش - قنطريون - انيسون - رازيانج - مصطكي - صغ - لازورد - حجر ارمي - فاواتيا - مرجان - لؤلؤ	مقالان	عشر سنين
معجون الاقتيمون	أفتيمون - اهليلج - بليج - أمليج - بسفايج - بزر شاهترج - حجر ارمي - لازورد - غاريقون - انيسون - مصطكي	من خمسة إلى عشرة	مناقيل
—	سنا - حنظل - صبر - اسارون - أفتيمون - بسفايج - لؤلؤ - ازورد - مسك	—	—
—	زعفران - اسارون - دار صيني - صبر	—	— ^(١٤٨)

ومن السفوف، سفوف اللؤلؤ وتتكون من درونج، وبزر ربحان، وبذر توبة، ولازورد، ومصطكي، وحجر أرمي، وذهب، وقضة، ومرجان، وباقوت، ولؤلؤ. وسفوف أخرى مكونة من قرفة، وفرفرجمشك، وقرنفل، وجوز بوا، ومصطكي، واسارون، واهليلج، ونار مشك، ونار قيصر، ودار صيني، وزنجبيل.^(١٤٩)

ومن المبوب حبوب اصطمحيقون وهي يونانية، و معنى اصطمحيقون منقي الأخلاط الباردة. ويشكون من صبر وسفايح واقتيمون وسقمونيا وغارقون وحنظل وزعفران وحب بلسان وأسارون ومصطكي وزراوند ودار صيني. وحبوب تتكون من مسحوق كل من اللؤلؤ وحماض الأترج وصبر وسقمونيا واقتيمون ودار صيني وقصب ذيرة ولازورد وقرنفل^(١٤٠).

أما الأدهان ، فيقصد بها طبخ الدواء سواء كان على شكل أوراق أو عصير في دهن حتى يذهب الماء ويبقى الدهن . ومن أهم الأدهان، دهن اللبوب السبعة المكون من بندق وفستق ولوز وجوز وصنوبر وسسم وقرع لب. ودهن البنج وإن لم يذكر- المصدر مكوناته، غير أن تسميته تدل على أن تركيبة الأساسي من نبات البنج^(١٤١).

وإلى جانب هذه العقاقير، التي يرى البعض إنها أنواع معتادة من العلاج، استخدم أطباء العصر العثماني نوعا من العلاج يدل على عبقرية الأطباء . خلال فترة الدراسة ،ويطلق على هذا النوع الأخير مسمى (المفرحات) ، ويقصد به ما يسر القلب ،ويسيط النفس ،وينشط الحواس، ويصلل الذهن. فقد استخدم الأطباء . حيث كل ما يؤدي إلى تهدئة وإرضاء المريض كالأغذاء الجيد، والعقار الذي يخدر العقل والأعضاء . كما حاول الأطباء . الاستفادة من حواس الإنسان، و قدموا حاسة السمع على غيرها من الحواس^(١٤٢) لذلك كان يتم علاج مريض المالبخوليا في البيمارستان أولا بالموسيقى ورواية القصص المسلية للترويح عنهم^(١٤٣) وما إن ينتبه المريض إلى ما يدور حوله يتم الانتقال للاستفادة من الحاسة الثانية للمريض ألا وهي البصر، حيث يتم نقل المريض إلى غرفة أخرى للاستمتاع بمشاهدة الرقص والوان من الكوميديا^(١٤٤) . مع لفت نظر المريض بالألوان والأضواء . وقد رأى الأطباء . أن أكثر الألوان المفرحة هو اللون الأبيض. وأن أفضل الألوان المركبة هي الأبيض والأحمر متساويان مع أصفر بسيط. و في نفس الوقت استفاد الأطباء . من حاسة الشم عند المرضى، فأوصوا بإقامتهم وسط الورد والبنفسج والياسمين قرب المياه في الصيف للاستمتاع بالمنظر والروائح الجميلة. ولتجنب تيارات الهواء في الشتاء مع تعليق الفانانيا حول المريض^(١٤٥) . وقديما كان الأطباء . يصعدون كل يوم أعلى البيمارستان لمعرفة اتجاه هبوب الهواء . ثم يتم وضع المريض في المكان المناسب له، ولكن أبطل ذلك من البيمارستان المنصوري خلال العصر العثماني مما كان له أثره في تأخر شفاء المرضى. وكان أطيب الروائح المستخدمة للمرضى هو المسك والنعير. أما عند وصول الروائح الكريهة ، فإن الأطباء . كانوا ينصحون المرضى باستخدام السعوطات^(١٤٦).

كما استغل الأطباء حاسة اللمس عند الإنسان، حيث عالجوا بعض المرضى المحبين للمال بلمس الذهب والفضة طالما أن هذه المعادن تسر نفوسهم. ^(١٢٢) في حين أقام المرضى عموماً، بالبيمارستان المنصوري - خلال فترة ازدهار تلك المؤسسة العلاجية - على أسرة حريرية، وأعطيتهم الحفنة حريرية ^(١٢٣)

كما استفاء الأطباء من حاسة التذوق عند المريض، فأوصوا بإطعامه ألد الأطعمة، وبخاصة ما يناسب ميول المريض. كما صرح للمرضى بالدجاج واللبن والقرع. ^(١٢٤) وقد ذكر البعض أن الدجاج يزيد من جوهر العقل، ويصلح الأعصاب، وشحمه يسكن المالبخوليا والجنون، وغالب الأمراض السوداوية. ومرقه خصوصاً مرق الديك الهرم بالسفياج يستأصل السوداوية، وطبخه مع اللوز يصلح الفكر. واللبن يلين الطبع ويخرج الأخلاط السوداوية. كما أن شرب ماء القرع مفيد في إزالة الوسواس والجنون. ^(١٢٥) وقد أجمع الأطباء على أن الحلويات تحظي بقبول ورضا كافة المرضى وأضاف الأطباء أمراً مفرحاً آخر للمرضى، فإذ كان المريض ممن يحبون مهنتهم، تترك له حرية مزاولة هذه المهنة، لأنها تؤدي إلى إبعاده ^(١٢٦).

وبالإضافة إلى الاستفادة من حواس المريض، أعد الأطباء تركيبات كانت تستخدم أيضاً للتفريح عن المرضى. والجداول التالي يوضح المفرحات المستخدمة لعلاج المالبخوليا.

اسم المفرح وأصله	مكونات المفرح	جرعة المريض اليومية	مدة صلاحية المفرح
مفرح بطولا ماخس أصله رومي بمعنى جبار القلب	حليب بقر - بزر رحلة - صنندل - رازباج - دار صيني - كزبرة بابسة - بارنج - مرجان - لؤلؤ - حماض الاترج.	مشقال	سبع سنين
مفرح الياقوت	شاهترج - باذرنبوية - بهمن - لازورد - صنندل - فستق - مرجان - لؤلؤ - حماض الاترج - ماء ورد وسفرجل وتفاح - زعفران - درونج - زرنب - ذهب - فضة - ياقوت أحمر.		لا يبطل مفعوله بمرور الوقت.

مفرح العود	بزر خشخاش - أسارون - مصطكي - قرنفل - قرنجمشك - لؤلؤ - عنبر - ياقوت - ذهب - فضة - مسك - ليمون - ماء العناب والتفاح والريباس.	سنة واحدة
—	أشنة - أظفار طيب - نارمشك - قرنجمشك - قرقة - قرنفل - دار صيني - مصطكي - زعفران - سنبل طيب.	
—	اقتيمون - اسطوخودس - قرنفل - حب بلسان - سليخة - أسارون - زرنباد - درونج - لؤلؤ - مرجان - بهمن - سنبل الطيب - زنجبيل - مسك.	درهمان ^(١٧١) ثلاث سنين ^(١٧٢)

غير أن هناك حالات مستعصية تشكل خطورة على المجتمع استدعت الضرورة إبداعها بالبيمارستان للعلاج. لهذا كان لابد من الحصول على إذن من الباشا، وذلك لأن البيمارستان لا يقبل المريض إلا بأمر منه. لأن المريض يكلف الإدارة العثمانية قرشا^(١٧١) كل يوم حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر^(١٧٢)، في حين أصبح المريض يكلف الإيارة في أواخر القرن الثامن عشر ديناراً^(١٧٣) كل يوم^(١٧٤) <http://Archivebeta.Baknrt.com/>

وكان البيمارستان ينقسم إلى قسمين، الأول ويشمل كافة الأمراض، والثاني ويشغله المرضى العقليون. وانقسم هذا الأخير بدوره إلى ساحتين، إحداهما تضم ثماني عشرة حجرة للرجال، وثانيتها تضم عشرة حجرة للنساء^(١٧٥).

والمرضى العقليون من الرجال معزولون في حجرات ضيقة ذات قضبان، في أعناقهم السلاسل^(١٧٦) ويشرف على علاجهم عدد من الحكماء، يساعدهم أتباع من المرضى لهم طبع الجلادين ويصف أوليا جلبي قسرتهم بقوله: (بظعمون بعض الأخوان الفاقدي العقل خشاقا من عصا الشوم فيعقلون).^(١٧٧)

أما المريضات من النساء فكان عاريات أو شبه عاريات^(١٧٨) وحجراتهن ليست جميعها ذات قضبان ومع إنهن كلهن مقيدات فإنهن لسن مشدودات إلى الجدار كما هو الحال بالنسبة للرجال^(١٧٩) وجميع خدمة هذا القسم من النساء وليس به رجال غير الحكماء^(١٨٠) ولم يرحمن لمرضهن، تبعهن حملن في البيمارستان، فقد ولد غلام في عهد إبراهيم باشا (١٠٧٨ - ١٠٨٥ هـ / ١٦٦٧ - ١٦٧٤ م).^(١٨١) وسمي (شفاي).^(١٨٢)

وإلى جانب عدم رحمة بعض القائمين على العلاج. عانى المرضى أيضا - خاصة خلال القرن الثامن عشر - من سوء أحوال البيمارستان ذاته. ^(١٧١) ، فقد كان حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر على درجة كبيرة من الرقي. حيث وصفه أوليا جلبي، الذي زار مصر بين عامي (١٠٨٢ - ١٠٩١ هـ / ١٦٧٢ - ١٦٨٠ م) بقوله: (بناء عجيب لا نظير له في بلاد الترك والعرب والعجم، فقد بنى على أسلوب لو احتل عقل إمرئ عالجه الحكماء فارتد عاقلا) كما أوضح كيفية إقامة المرضى بالبيمارستان، و ما حظوا به من رعاية صحية متكاملة، فهناك اثنا عشر طبيبا مع تلاميذهم يحضرون لكل مريض، في مكان صرف الطعام، ما يوافق مرضه من الطعام والدواء. وإذا ما اقترب المريض من الشفاء، سمح له بالاستحمام في المياه الجارية داخل البيمارستان. وحوله المرضون يخدمونه كأنهم فراش حول الشمع. ^(١٧٢)

لكن أوضاع البيمارستان ساءت خلال القرن الثامن عشر بعد أن انتقل الإشراف عليه إلى البكوات الماليك، فأصبح بعض المرضى يرقد على أسرة خشبية مفروشة بالحصر أو مفروشة بمراتب مزقة، والبعض ينام على مصاطب مبنية من الحجارة أو الطين، وطعامهم الخبز والأرز وشورية العدس ^(١٧٣)، رغم كثرة الأوقاف المرصودة للإلتفات على هذه المؤسسة العلاجية ^(١٧٤) إلى جانب مصادر دخل أخرى للمؤسسة كالترتاق ^(١٧٥) الذي تخصص خصلة يبعه للعناية بالبيمارستان، لكن رغم ذلك لا يتفق على البيمارستان إلا القليل نتيجة لنهب البكوات الماليك لمعظم هذه الأموال. ^(١٧٦)

وقد استغل رجال البيمارستان حالات المرضى؛ فعندما وضع أحد المرضى بالبيمارستان لإدعائه النبوة، استغل البيمارستاني المشرف عليه ذلك، وأدخل عليه من يرغب في رؤيته من الناس. وأصفا المصدر المعاصر هؤلاء الناس بأنهم: (من لا عقل لهم، ويغلب عليهم الجهل)، وصار المارستاني يأخذ منهم مالا، كل على حسب حالته. ويعترف المارستاني بأنه خلال الثلاثة أيام التي أقام فيها المريض بالبيمارستان، استطاع كسوة نفسه وعباله، وعمل كعك العيد، واشترى النقل و دبر مصروفات رمضان. وصار يدعو لعثمان كتنحدا ^(١٧٧) الذي أرسل هذا المريض للبيمارستان ^(١٧٨).

وقد أشفق ديجنت، المكلف من قبل نابليون بونابرت بالإشراف على البيمارستان، على المرضى الموجودين به، وأوصى قائده بمنح هذه المؤسسة العلاجية إعانة مالية قدرها خمسون دينارا يوميا رحمة بالمرضى البؤساء. إلى أن يتم إنشاء المستشفى العسكري ^(١٧٩) المزمع إنشاؤه ^(١٨٠).

وختاماً لا بد من الإشارة إلى قلة نسبة المرضى العقلين في مصر العثمانية. فقد أشار كارستن

نيبور الذي زار مصر في الفترة من (١١٧٤ - ١١٧٦ هـ / ١٧٦١ - ١٧٦٢م) إلى قلة عددهم بالقياس إلى حجم مدينة القاهرة^(١٨٦) ، في حين حدد ديجنت عددهم في أواخر القرن الثامن عشر أربعة عشر مريضاً عقلياً^(١٨٧) كما أوضح كلوت بك في أواخر الربع الأول من القرن التاسع عشر، أن عدد المرضى العقلين يبلغ ما بين ثلاثين إلى أربعين مجنوناً من الرجال والنساء في مدينة القاهرة التي يبلغ عدد سكانها ثلاثمائة ألف نسمة^(١٨٨)

وقلة نسبة المرضى العقلين في القاهرة العثمانية، بدفعنا إلى وضع عدد من القروض، أولها أن هذه النسبة تؤخذ من البيمارستان المنصوري، وهذا البيمارستان لا يودع به إلا الحالات المستعصية التي تؤذي غيرها في المجتمع. وربما كان ميل المصريين للتدين والقبول بقضاء الله في كل أمور حياتهم المعيشة . مع عدم إجهاد العقل بكثرة التفكير قد أدى إلى قلة المرضى العقلين ، أو ربما كان لرفض البعض إيداع أقاربهم بالبيمارستان وإيقانهم في المنازل دون أن يعلم عنهم أحد شيئاً.

غير أن تتبع طرق العلاج التي اتبعها أطباء مصر في العصر العثماني لعلاج الأمراض العقلية تدل على تقدم علم الطب بصفة عامة، والطب العقلي و النفس بصفة خاصة، حيث يتضح عدم اكتفاء أطباء العصر بما وصل إليهم من الطب الإسلامي، إذ كانوا على دراية بتطور طرق العلاج في جهات العالم المختلفة. والمستخدم عند الفرس والروم واليونان، وتسمية كل نيات طبي بمسماه في كل بلاد العالم.

لكن رغم تقدم الطب في مصر العثمانية، إلا أن المصريين أنفسهم رفضوا الخضوع لكشف وعلاج الأطباء، وفضلوا العلاج بالطب الروحاني قبل الأقدام بعرض المريض على الطبيب. والذي كان يتم عند وصول المريض إلى حالة خطيرة ربما تؤدي به إلى الموت في النهاية.

فمعظم الحالات التي أشارت إليها المصادر المعاصرة، وتم إيداعها بالبيمارستان المنصوري، هي حالات تم تقييدها بالسلاسل، سواء أكانت من الرجال أو النساء، مما يدل على إيداعها لنفسها، أو لمن حولها ، كما أن معظمها كان في حالة هياج مستمر. مما اضطر الأطباء إلى علاجهم بالمهدئات المصنعة من النباتات المخدرة كبذر الخشخاش والبنج. فالمصريون لا يودعون مريضهم بالبيمارستان إلا عندما يياسون منه. وكأنهم قد أودعوه في قبره.

أما من فقد عقله، ولم يؤذ أحد من المجتمع، فقد نظر إليه المصريون على أنه مجنون، قد جذبته الله، إذ هم يتبركون به وينتفحون برؤيته مثل شخصية الشيخ علي البكري، وهناك العديدين من أمثاله في شوارع القاهرة.

ملحق عن

المواد الخام المستخدمة في عقاقير الأمراض العقلية

<p>أس :</p> <p>باليونانية أموسير، والفارسية مرزباح، والسريانية سن، والبربرية أحماض، والعبرية أخمام، والعربية ريحان، ومصر مرسين، وبالشام منه البستاني والبري، ورقة دقيق، مر الورق حلو الخشب، زهره وثمره أسود، غير أن ثمر البستاني كالعنب في الحجم، ويسمى تكمام، و ينفع في علاج الصداغ.</p>	
<p>أسارون :</p> <p>التاردين البري والأقريطي، وهو نبات مبرز، نحو ذراع، منبسط على الأرض، وغالبه تحت الأرض، وجميعه أغبر إلى الصفرة، وزهره دقيق الورق، صلب وعريض وهش، أجوده الأصفر الطيب الرائحة القليل المرارة المجتني في يوليو.</p>	
<p>أسطوخودس :</p> <p>يوناني بمعنى مرقف الأرواح، ويسمى أيضا الكمون الهندي، وهو كالشعير يميل إلى الحمرة، وأوراقه كالصنوبر، أجوده الحديث الطيب الرائحة المر المأخوذ في يونيو، وفائدته أنه يخرج السوداء، ويفرح ويقوي القلب، وينقي الدماغ لذلك يسمى المكتسة، والسعوط منه يماء العسل ينقي الدماغ، وشربه مع السكتجين يشفي من الصداغ والماليخوليا، وتقدر جرعة المريض ما بين اثنين إلى خمسة مثاقيل، وفي السعوط مرة واحدة.</p>	
<p>أشنه :</p> <p>يطلق عليها في العربية شبيه، و في اليونانية برون، وهي أجزاء شعرية تتخلق بأصول الأشجار، وأجودها ما على الصنوبر والجوز، تذهب الأعياء والنعب، وجرعتها إلى ثلاثة مثاقيل.</p>	
<p>أظفار الطيب:</p> <p>قشور صلبة على طرف من الصدف قد حشى تقعرها لحما رخا، تخرج من الأرض أواخر مارس، وأجودها الأبيض الضارب إلى الحمرة، وجرعته من واحد إلى ثلاثة مثاقيل، وبدله الفاوانيا.</p>	

<p>يوناني معناه دواء الجنون، وهو نبات شديد الحمرة، وفروعه كالحيط اللبية وأجوده المأخوذ في يونيو، يزيل أمراض الجنون السوداوي لاسيما إذا أضيف إليه الحبل وتقع منه رطل في ثلاثين رطلاً لمدة أربعين يوماً. ومتى استعمل منه خمسة أرطال في نصف رطل حليب وأوقيتين سكبجين أسبوعاً أذهب المالمخوليا.</p>	<p>أفتيمون:</p>
<p>يسمى بمصر السنابير، وفي فارس إذا نفع باللبن سمي شهر أملج؛ لأن الشبر هو اللبن الحليب، وأجوده ما يشبه الكمثرى الصغيرة، وإذا طبخ مع ورقه الأس، ثم طبخ مازدهن كالسبج والزيت، أفاد في نقوية الأعصاب، وجرعته من ثلاثة إلى خمسة مثاقيل.</p>	<p>أملج:</p>
<p>وهو أربعة أصناف: الهندي المعروف بمصر بالشعيري، والأسود المعروف بالصيني، والكابلي كالبخ، والأصفر كالتمر؛ وأكثرها نفعاً الكابلي فالأصفر فالصيني فالهندي. وهو يقوى الحواس والدماغ، ويساعد على سرعة الحفظ.</p>	<p>أهلج:</p>
<p>باليونانية أفسين، والغريبة حول، وعندنا يسمى بالريحان الأحمر أو السلعياني، لأن الجن جاءت به لسليتان فكان يعالج به، وجرعته إلى ثلاثة.</p>	<p>بادروج:</p>
<p>ويطلق عليه باذر نبوية، وباليونانية ليوفلن، وهو بقلة تنبت وتمشبت حضراء، عطرية ربيعية وصيفية، يستخدم في التفریح ونقوية الحواس والذكا، والحفظ، وجرعته إلى مثقالين.</p>	<p>باذر مجوية:</p>
<p>باليونانية تسليون، وهو ثلاثة أنواع: الأبيض وهو الأجود، والأحمر ويعرف بالبرلسية نسبة إلى البرلس، والأسود وهو الأردأ ويسمى بالصعيدي؛ لأنه يجلب من الصعيد الأعلى.</p>	<p>بزر قظونا:</p>
<p>باليونانية بولوديون، والفارسية سكرمال، والهندية والسريانية تتكار علا، ومعنى هذه الأسماء الحيوان الكثير الأرجل، وسمي هذا النبات به لكونه كاللدور الكثير الأرجل، ويدعى بمصر اشتيوان، وهو نبات طوله نحو شهر، دقيق الورق أغبر مزغب، في أوراقه نكت صفيرين صفره وحمره وهو الأجود، وأردأه الأسود، ربيعي يدرك في يونيو: يرى من الجنون ورداء الأخلاق والمالمخوليا.</p>	<p>بسفايح:</p>

بلبلج:	ثمر شجرة هندية، تجتى بيوليو ، وأجوده الأصفر الرخو يخرج السوداء . وجرعته إلى ثلاثة مثاقيل.
بنج:	بالعربية السكيران، وباليونانية أفيقوامس ، والسريانية أرمانبوس، والبربرية اقتبط . ويقال اسقيراسن. وهو نبات ينسبط على الأرض دائرة ، ويرتفع وسطه دون ذراع، شديد المحضرة، مزغب غليظ الورق مائي مشقق الأطراف، زهرة يخلف حبا أسود وأصفر وأحمر وأبيض، يدرك في الصيف في يونيو، وأجوده الذي لم يجاوز سنة، يسكن الصداع المزمع، وإذا دق بذره مع بذر خس وخشخاش ، واستخرج دهن ذلك كان ترياقا للمالبخوليا والجنون والوساوس وحدث النفس شرها ودهنا وسعوطا.
بهمن:	نبات فارسي جبلي، ساقه شبر، يبسط أوراقا كورق الأجاص، لكنها شائكة. أوراقه ملتفة بلا زهر. يدرك في يوليو.
تريد:	نبات فارسي، يخرج من جبال خراسان، يخلف ثمرًا كالثمن العصارير، ويدرك بيوليو ، وأجوده الأبيض الخفيف المجود المصغ الطرفين. مع الكابلي يشقى غالب أنواع الجنون ، وغالب المستعمل منه الآن بمصر عروق مجلب من أطراف الشام وديار بكر، وجرعته من ثلاثة إلى خمسة مثاقيل، وإذا طبخ تصل جرعته إلى عشرة مثاقيل.
جوزبوا:	يسمى جوز الطيب لعطريته، يخرج بجبال الهند وجزائر آسية، أجوده الحديث السالم من التآكل الهش الذي لم يبلغ ثلاث سنين من يوم قطعه.
حجر أرمني:	لا زوردي لكنه أغبر، وأجوده الهش الخالي من الملوحة، يتولد بأرمينيا وجبال فارس ينفع في السوداء . وأمراضها كالجنون والوساوس والمالبخوليا . وجرعته درهم.
حماض:	نبات كثير الأصناف منه نوع دقيق الورق محمر الأصول ، له سنابل بيض ، يخلف بذرا أسود براقا ، ونوع يولد بذره من غير زهر، وكلاهما حامض جيد. والمولد بذرا بلا زهر إذا سحق وشرب فرح النفس وقارب الخمر.

<p>باليونانية دوقوفينا، وقد يسمى أغريسوسس ، وحيه يسمى الهيبد، وهو نبت يمد على الأرض كالبطيخ ، إلا أنه أصغر ورقا. وفائدته إذا غلى بالماء والعسل والأفيتمون والقرفة يستأصل السوداء ، ويرى المالبخوليا والجنون.</p>	<p>حنظل:</p>
<p>الشنجار، خسرو دارو، الخولنجان، المشخاش:</p>	<p>خس الحمارة:</p>
<p>يقصد به النبات المعروف في مصر بأبي النوم، وأجوده الأبيض. أوراقه خشنة ، و طولها نحو ذراع ، ويخلف زهرا ذا رؤوس مستديرة ، غليظ الوسط يجمع آخره قمعا ، ويرزغ المشخاش في أواخر طوية إلى تمام أمشير. ويجمع ببرموده. ومنه يستخرج الأفيون بالشرط. وقشره إذا دق رطبا وقرص كان مفيدا لمرضى الأرق. ويصب طبيخة على الرأس فيشفى الصناع وأنواع الجنون والمالبخوليا.</p>	
<p>مغرب عن دار شين الفارسي، وبالبيوناني أفيتمونا، والسريانية مرملون ، و هو شجر هندي يتخيم الصين كالرمان، أوراقه كأوراق الجوز ألا أنها أدق، ولا زهر ولا بلبله ، والثار صيني هو قشر تلك الأغصان ، وأجوده الشحم المتخلخل بين حمرة وسواد وصفرة وحلاوة وملوحة ومرارة الكائن بالصين، فالباقوي الكائن بأشبية وجزائر الزنج، فالأسود البراق، فالأصفر الدقيق، وأردأه الأبيض. يستمر مفعوله خمس عشرة سنة، يمنع الحفلقان والوحشة والوساوس وضروب الجنون.</p>	<p>دار صيني:</p>
<p>نبت مشهور بجبال الشام خصوصا ببيروت يدرك بسبتمبر، يستمر مفعوله عشر سنين، مفرح ويقوي الحواس، وجرعته مثقال.</p>	<p>درونج:</p>
<p>هو الأثيسون، ويسمى الشمار بالشام ومصر، والشمرة بحلب، والبساس بالمغرب، وهو برى يستاني. عطري ذكي الرائحة، يجني بمصر في الربيع.</p>	<p>رازبانج:</p>
<p>نبت مشهور يسمى باليونانية رسطولوخيا معناه دواء، يبرى، وهو كثير الوجود بالشام، من الطعام، يستمر مفعوله ستين، يفيد في الوسواس والجنون، وجرعته إلى درهمين.</p>	<p>زراوند:</p>

<p>يسمى الملكي ورجل الجراد ، و هو نبات لا يزيد طوله على ثلثي ذراع ، له ورق أعرض من الصعتر ، وزهر أصفر ، يوجد بجبال فارس ، وهو الأجود ، وقد يوجد بالشام ، ولكنه لأحرافه فيه ، يدرك ببشنس ، و يستمر مفعوله أربع سنين . فيه شدة تفريح حتى أن عصارته تفعل فعل الحمر . يقضى على الصداغ سعوطا ، و جرعته إلى درهمين ، وبدله الدار الصيني .</p>	<p>زرنبا :</p>
<p>يسمى كافور الكعك ، وأهل مصر يسمونه الزرنبة وهو عطري ، ينبت بجبال بنكالة والدكن وجزائرها ، ويطول نحو شهرين ، وله أوراق تقارب ورق الزمان ، وزهر أصفر يخلف بذرا كبدر الورد ، يدرك بمسرى وتوت ، و يستمر مفعوله ثلاث سنين ، والمره الأجود ، والحلو ضعيف المفعول يذهب الوسواس لشدة تفريحة .</p>	<p>زرنباد :</p>
<p>بالسريانية الكركم ، والفارسية كركيشناس ، ويسمى بالجساد و الجاتد والرعبيل والدلهقان . وهو نبات بأرض سوس ، وينبت كثيرا بالمغرب زهرة كالباذنجان فيه شعر ، إذا فرك فاحت رائحته وصبيغ . وهذا الشعر هو الزعفران . يظهر في أكتوبر : وفائدته يفرح القلب ويشفي الأرق .</p>	<p>زعفران :</p>
<p>هي المحمودة ، وهي عبارة عن نبات ينبت بالأحجار والجبال . يطول نحو ثلاثة أذرع ، وله ورق كاللبلاب لكنه أدق وزهره أجوف مستدير أبيض . وطريقة أخذها بأن يشرط الأصل ، ويصفي في إناء ، فيسيل كاللبن ويجمد . وأجودها الخفيف الأسفنجي المائل إلى الزرقة والصفرة . ويستمر مفعوله ثلاثين سنة ، ويخلطها باللازورد يساعد في علاج السوداء ، وتزيل الوسواس والجنون ومبادئ المالمخوليا .</p>	<p>سقمونيا :</p>
<p>صمغ شجرة بفارس ، يخرج منها في يونيو ، أجوده الأبيض ، تظل قوته عشرين سنة .</p>	<p>سكتجيين :</p>
<p>باليونانية أسلبوس ، وهي قشر شجر هندي وعني ، يظل مفعوله سبع سنين ، وجرعته درهم ، وبدلها الدارصيني .</p>	<p>سليخة :</p>

سنا :	نبات ربيعي له زهر أزرق، وثمره داخلها حب مفرطح محزوز الوسط، ومنه نوع عرض الأوراق أصفر الزهر يسمى بالحجازي، يظهر بالصف، وفائدته أنه ينقي الدماغ من الصداع الشديد.
شاهترج :	فارسي بمعنى ملك البقول، ويسمى كزبرة الحمار، عرض الأوراق، وزهره إلى البياض. مر الطعم، يدرك في الربيع، وأهل مصر يسمونه شاتراج، والجرعة من مائة إلى خمسين مثقالاً.
صبر :	يطلق عليه صباره، أضلاعه كالقرنبيط وأعرض، وعلى أطرافه شوك، والصبر عصاره، ينقي الدماغ، ويشفي الجنون والوسواس والصداع.
صندل :	شجر بالصين يشبه الجوز، وهو من الأدوية التي يستمر مفعولها ثلاثين سنة، وأجوده الأبيض المعروف بالمقاصيري، وهو مفرح، وجرعته مثقال.
غاريقون :	رطوبات تتعفن في باطن ما نأكل من الأشجار، يستمر مفعوله أربع سنين، له خاصية عظيمة في علاج الأعصاب خصوصاً مع السكتينيين، وجرعته إلى مثقال.
فاوانيا :	يطلق عليه وقابوتا، والكهينا، وعمود الصليب، وفي المغرب ورد الحمير. نبت دون ذراع، ولا ينغي أن يؤخذ إلا يوم نزول الشمس الميزان. ويقطع بحلر، فإن اختل الشرط بطلت خواصه. ويبقى مفعوله سبع سنين. وهو يشفي من الكابوس، ويجلو الأثار السود، وهذه الشجرة بجملتها تشفى في الصرع والجنون والوسواس كيفما استعملت ولو تعليقا وبخوراً.
فرنجمشك :	القرنفل اليستاني، طيب الرائحة، ينبت ببساتين مصر كثيراً، ودهنه مفيد للأعصاب، وجرعته ثلاثة مثاقيل.
قصب ذريه :	نبت كالقش عقد محشو بشي. أبيض، وأجوده المتقارب العقد الياقوتي الضارب إلى الصفرة القابض المر.
قنطريون :	يوناني، شديد الحرارة، ساقه مزغب خشن، له زهر كحلي، يخلف بذر كالقرطم، مر الطعم، يدرك بالحرث، يستمر مفعوله عشر سنين، ينزل علل الأعصاب، ويذهب الإعياء والتعب.

لازورد:	معدن مشهور بجبال أرمينيا وفارس، أجوده الصافي الشفاف الضاربة زرقته إلى خضرة ما وجمره، ينفع في الجنون والوسواس والهلم ولساد العقل.
لسان الثور:	باليونانية فوغلفص، والفارسية كاوزبان، تبت ربيعي، غلبط الورق، خشن يخلف بذرا مستديراً، يستمر مفعوله سبع سنين، وموضعه جبال فارس والموصل، شديد التفريح، ويقوى الحواس، لهذا ينفع في علاج الجنون والوسواس والماليخوليا، فأوقيه ونصف منه تعادل رطلا من الحمر الحالمص في شدة التفريح مع حضور الزهن، وجرعته عشر دراهم.
لؤلؤ:	معدن أجوده الكبير الأبيض الشفاف الكائن ببحر عمان، وأرداه الصغير الأسود القلزمي، وهو يمنع الوسواس والجنون وتسعيطه بذهب الصداق.
ماء الجبن:	من لبن الماعز، ينفع في أمراض السوداء، كالوسواس والجنون والماليخوليا وخصوصاً إذا أضيف له اللازورد.
مسك:	دم يتعقد في حيوان دون الظبا، قصير الرجل بالنسبة إلى اليد، له نابان معقوفان إلى الأضراس، وفقرتان في رأسه معوجتان إلى ذنبه، شديد البياض، ويقيد في إزالة الفم.
مصطكي:	معرب عن مصطبخا اليوناني، يسمى العلك الرومي والمراد به الصمغ، وهو نوعان: أبيض ناعم طيب الرائحة فيه لدونة، حلو يسحق ويسمى المعلق، والثاني يؤخذ من العود الغض والورق بالطبخ، ولا يوجد إلا في رودس وأشبيلية بالأندلس. يستمر مفعوله عشرين سنة، يذهب الصداع والسوداء والوسواس وحديث النفس ومبادئ الماليخوليا مع الأهليجات، وزيادة الفهم مع الكندر.
نارقبصر:	تبت دقيق أحمر إلى صفره، يجلب من الروم، ويسمى بمصر سلق الحمام، وهو عطري طيب الرائحة، مفرح، وجرعته مثقال.
نارمشك:	فارسي معناه رمان بري، يوجد بخراسان، يزيل الوسواس والماليخوليا، وجرعته درهماً. ١٨٩١

من الملحق السابق يتضح :

براعة الأطباء في مصر العثمانية، فهم يعرفون كافة المواد الحام الموجودة في مختلف أنحاء العالم، واستخداماتها المختلفة.

اقتصرت عند ذكر تلك المواد الحام على فائدتها للأمراض العقلية، وإن كانت لكل مادة منها استخدامات لعلاج أمراض أخرى لم يتم ذكرها تركيزاً على موضوع الدراسة.

تشمل المواد الحام الأساسية في علاج المالبخوليا كلا من أسطوخودوس وأفتيمون وسفاج وبلبلج وبنج وتريد وحجر أرمني وحنظل وخشخاش ودار صيني وزراوندو زرنباد وسقسونيا وصبر وقاوانيا ولازورد ولسان الثور ولؤلؤ وماء الجبن ومصطكي ونار مشك؛ في حين إن باقي المواد استخدم لإستكمال تركيب المواد الأساسية أو للتفريح.

غير أن هناك قدرًا لا يستهان به من تلك المواد الحام يستخدم كمخدر لمرضى المالبخوليا، أو تفريح لهم كبديل عن الحشور مما يؤدي إلى عيش المريض في الخيال.

إلا أن كثرة استخدام الأحياء للمواد المخدرة والمفرحة تدل على تدهور حالات مرضى المالبخوليا مما يدفع أطباهم إلى استخدام تلك المواد لتهدئتهم، وربما لإجبارهم على الاستغراق في نوم عميق.

الهوامش

- (١) محمد السيد الهابط : حول صحتك النفسية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٣٢ - ٣٣
- (٢) عباس محمود عوض : الموجز في الصحة النفسية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٩١
- (٣) نفس المرجع السابق، ص ٩١ - ٩٢
- (٤) الجنون : مصدر جن وهو زوال العقل وفساده، والجنون في اصطلاح الفقهاء عبارة عن التصرف في المال بخلاف مقتضى الشرع والعقل، وعند الأطباء اختلال القوة المميزة بين الأمور الحسنة والقبيحة.. المزيد من التفاصيل أنظر بطرس البستاني : محيط المحيط، بيروت، ص ١٣٠ - ١٣١
- (٥) أوليا جلي : سياحتنامه مصر - ترجمة محمد علي عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام وآخرون، دار الكتب المصرية، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٣٤٧؛ كلوت بك : لحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود، الجزء الثاني، القاهرة د.ت، ص ٥٦٧.
- والسوداء : فساد الفكر، من اليونانية بمعنى الخلط الأسود. ونشير المراجع الحديثة إلى أن السوداء هو المالبخوليا Melancholia، وهو مصطلح يشمل جميع الاضطرابات العقلية الثابتة.. المزيد من التفاصيل أنظر بطرس البستاني : المرجع السابق، ص ١٤٣٩؛ أحمد محمد عبد الحائق : أصول الصحة النفسية، الإسكندرية ٢٠٠٣، ص ٣١٥ - ٣١٦، <http://Archivebeta>
- (٦) داوود بن عمر الأنطاكي (١٠٠٨ هـ) : تذكره أولى الأبواب الجامع للعجب للعجائب، الجزء الثاني، القاهرة ٢٠٠٨، ص ١٠٩.
- (٧) روية : التداوي بالأعشاب عند المصريين الحديثين، ضمن وصف مصر (قاهرة الممالك)، الجزء الحادي عشر، ترجمة منى زهير الشايب، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٥٦، ١٦٥.
- (٨) عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية، القاهرة د.ت، ص ٤.
- (٩) Sonnini, C.S : Voyage dans la Haute et Basse Egypte, Tome Second, Paris, P. 228
- (١٠) البيمارستان : لفظ فارسي مركب من بيمار أي مريض، وستان أي محل، أي دار المرضى، ويقال أحيانا البيمرستان، والمارستان : وهو مستشفى لمعالجة كافة الأمراض، ولكن بمرور الزمن اقتصر الاسم على المكان الذي يعد لإقامة المجانين. المزيد من التفاصيل أنظر معبد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٠٣ - ١٠٤، محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٥٥.

- (١١) البيمارستان المنصوري : نسبة إلى المنصور قلاوون، وقد شيده عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م. ويقع هذا البيمارستان بالقاهرة بين القصرين بخط المدارس الكاملية والصالحية والظاهرية .. أنظر محمد محمد أمين : المرجع السابق، ص ص ١٥٥ - ١٧٧.
- (١٢) ديجيت : تقرير عن المورستان أو مستشفى القاهرة، مقدم إلى القائد العام بونابرت، لاديهكاد إيجيبسين، العدد التاسع ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونابرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١، القاهرة د.ت، ص ١٣٢.
- (١٣) أبو النبي بن نصر بن حفاط المعروف بالكهرك العطار الإسرائيلي : منهاج الدكان ودستور الأعيان في معرفة العقاقير وطب الألمان، مخطوط بالهيئة العامة للكتاب، ل ٣٤٨٥، ميكرو فيلم ٢٢٩٤٢، بدون صفحة
- (١٤) أحد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي : ذيل تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجائب، القاهرة ٢٠٠٨، ص ص ١٨٤ - ١٨٥
- (١٥) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : أوضح الإشارات فمن تولي مصر القاهرة من الوزراء والباشاات الملقب بالتاريخ العتيق. تحقيق عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤، ص ٥٩٩، عبد الرحمن بن حسن الجبري : مخالفات الأكار في الدراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الأول، القاهرة ١٩٩٧، ص ٢٥٢.
- (١٦) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الخامس من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ هـ (١٥١٦-١٥٢٢م)، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩١، ص ٤٧٢.
- (١٧) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : المصدر السابق، ص ص ٥٦٤ - ٥٦٥
- (١٨) أوليا جلي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧.
- (١٩) بلد- بلها - بلاهة - بلها : الغفلة، ضعف العقل، قلة التمييز.. مزيد من التفاصيل أنظر الهيئة المصرية العامة للكتاب، المعجم الكبير، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨١، ص ٥٦٥، بطرس البستاني : المرجع السابق، ص ٥٥.
- (٢٠) جومار : وصف مدينة القاهرة، ضمن وصف مصر، ترجمة زهير الشاب وآخرون، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢-٣.
- (٢١) يسمى علما، النفس حاليا هذه الحالة بالاكئاب Depression ويكون المرض فيها في حالة خمول وبأس وحزن، و يشعر بالضعف، ويوجه عذوانه إلى نفسه، وقد يحاول الانتحار.. مزيد من التفاصيل أنظر عباس

محمود عوض : المرجع السابق، ص ٩٠٠ .

(٢٢) جومار : المصدر السابق، ص ٢٠٢ .

(٢٣) الهوس : Mania هو اضطراب حاد دون وجود حمى ، ويسمى هذا المرض العقلي الرطبي بالدهان الدوري أو التواب Manic- depressive psychosis ذلك إن المريض قد تتنابه حالة من الهوس، ثم حالة من الإكتئاب تختلف من حيث الشدة والاستمرار . والهوس، قد يكون هوسا حقيقيا Hypomania وهذا النوع يتسم بنشاط وتفاؤل زائدين، أو هوسا زائدا Hypermania وهنا يكون المريض في حالة هياج حاد . ويعرض نفسه وغيره للخطر، فالمريض في حالة الهوس يوجه عدوانه إلى العالم الخارجي .. المزيد من التفاصيل أنظر: عباس محمود عوض : المرجع السابق ، ص ٩٩ - ١٠٠

(٢٤) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٢٥) كلوت بك : المصدر السابق، ص ٥٦٧ .

(٢٦) الشربة : يقصد بها هوى النفس، بقولون- والحق الأمر مشربة أي هواء. والشربة أيضا الطريقة يقال مازال فلان على شربة واحدة أي طريقة واحدة .. المزيد من التفاصيل أنظر بطرس البستاني : المرجع السابق، ص ٤٥٨ .

(٢٧) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بتحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٥٥

(٢٨) نفس المؤلف : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، بتحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢١٤ نفس المؤلف : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بتحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الثالث، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٣١

(٢٩) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٥٦٨

(٣٠) Brown, Edward : Voyage en Egypte 1673 - 1674 caire 1974, P. 181

(٣١) Sonnini, C.S : OP. cit, Tome premier, P. 273

(٣٢) عباس محمود عوض : المرجع السابق، ص ١٦ محمد السيد الهابط : المرجع السابق، ص ٢٩ .

(٣٣) Sonnini, C.S : Op. Cit, Tome premier, P. 273

(٣٤) Ibid. P. 273

(٣٥) عباس محمود عوض : المرجع السابق ، ص ١٦ محمد السيد الهابط : المرجع السابق، ص ٣٠

(٣٦) كلوت بك : المصدر السابق، ص ٥٢٩ ، ٥٧٨ - ٥٧٩

(٣٧) روية : المصدر السابق ، ص ١٥١

(٣٨) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٥٧٨

(٣٩) سيرزول : مستخرج من ملاحظات للمواطن سيرزول الطبيب بالجيش عن رحلة له على الضفة الغربية للبلد من القاهرة إلى أسبوط، لاديكاد إيجيبيين، العدد الرابع، ضمن كتاب صلاح الدين البيستاني، المرجع السابق، ص ٧٦

(٤٠) القرآن الكريم، سورة الفرقان، آية ٤٥.

(٤١) القرآن الكريم، سورة القلم، آية ٥١.

(٤٢) أحمد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، ص ١٦٥

(٤٣) نفس المصدر السابق، ص ١١٦

(٤٤) عصمت محمد حسن : جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات الجبرتي، القاهرة ٢٠٠٣، ص ١٨٤ - ١٨٥

ARCHIVE

(٤٥) محمد السيد الهابط : المرجع السابق، ص ٣١

(٤٦) أبو النبي بن نصر بن حفاظ المعروف بالكرهن العطار الإسرائيلي : المصدر السابق، بدون صفحة.

(٤٧) أحمد تلاميذ داوود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، ص ١٩٣

(٤٨) داوود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢٤٢

(٤٩) مزيد من التفاصيل عن المواد الخام المستخدمة في العقاقير أنظر الملحق.

(٥٠) المنقال : واحد ونصف درهم، أي أربعة وعشرون قيراطاً أو اثنان وسبعون حبة شعير أو ست وتسعون حبة قمح. وكان المنقال يستخدم في تقييم الذهب والأحجار الكريمة والسلع والعقاقير الثمينة التي تباع بأوزان باللغة الصغرى.. مزيد من التفاصيل انظر، صامويل برنار : الحياة لاقتصادياً في مصر في القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، الموازين والتفرد، ترجمة زهير الشاهب، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٤ - ٢٦ سحر علي حنفي ، العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ١٠٥ - ١٠٦

Alpin, prosper : plantes d' Egypte 1581 - 1584, caire 1980, pp. 12 - 13 (511)

داوود بن عمر الانطاكي - المصدر السابق - الجزء الأول - ص ٣٤٥ - ٣٤٩، أحمد تلاميذ داود بن عمر

الأنطاكي : المصدر السابق ، ص ١٩٤

- (٥٢) أبو النبي بن نصر بن حفاظ المعروف بالكروقي العطار الإسرائيلي : المصدر السابق، بدون صفحة، داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ٢١٧ - ٢١٩
- (٥٣) داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ١٣٢
- (٥٤) نفس المصدر السابق ، ص ص ١٧٩ - ١٨٠
- (٥٥) نفس المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٣٦٠
- (٥٦) جومار : المصدر السابق، ص ٢٠١
- (٥٧) نفس المصدر السابق، ص ٢٠١
- (٥٨) داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول، ص ١٨١
- (٥٩) السعوط : اخترعه جالينوس للصداع، ثم توسع فيه لأمراض الأنف والعين، فإن جعل مائعا فهو السعوط أو مشتقا فالتشويق أو بابسا سحق وتفتح فنفرخ أو طبخ وكب المريض على بخاره فكبوب ، وكلها مختصة بأوجاع الرأس.. لمزيد من التفاصيل أنظر داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، الجزء الأول، ص ٢١٤.
- (٦٠) نفس المصدر السابق، ص ص ٣٥٨ - ٣٥٩
- (٦١) أوليا جلي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧
- (٦٢) أحمد تلاميذ داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، ص ١٨٥
- (٦٣) داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول - ص ص ١٧٢ ، ٢٩٢ ، ٣١٨
- (٦٤) نفس المصدر والجزء : ص ٣٦٠
- (٦٥) نفس المصدر والجزء : ص ص ٣٦٠ - ٣٦٥
- (٦٦) الدرهم : يساوي ستة عشر قيرطا أو أربعة وستين حبة قمح. لمزيد من التفاصيل أنظر .. صامويل برنار : المصدر السابق ، ص ص ٢٤ ، ٢٦ ، سحر علي حنفي : المرجع السابق ص ١٠٥
- (٦٧) داود بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق ، الجزء الأول ، ص ص ٣٦٦ - ٣٦٧
- (٦٨) القرش : هناك نوعان من القروش العثمانية، القرش الأسدي الذي ساد منذ عهد السلطان سليمان القانوني وتبلغ قيمته أربعين نصف فضة، والقرش العددي الذي ضرب في عهد السلطان سليمان الثاني (١٠٩٩ - ١١٠٢ هـ / ١٦٨٧ - ١٦٩١م) وتبلغ قيمته ثلاثين نصف فضة .. أنظر، صامويل برنار : المصدر السابق، ص ص ٨٨ - ٨٩، سحر علي حنفي : المرجع السابق، ص ١١٤

ARCHIVE

http://Archivebeta.Boknrit.com

(٦٩) أوليا جليي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧

(٧٠) الديتار : نقد من الذهب، ومن أهم أنواعه في العصر العثماني المحبوب والفندقي والطرلي و المنزير سامويل برنار : المصدر السابق، ص ٦٦ - ٦٧ - سحر علي حقي : المرجع السابق، ص ١١٣ .

(٧١) جومار : المصدر السابق، ص ٢٠١

(٧٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٣

(٧٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٦٣٦ .

(٧٤) أوليا جليي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧

(٧٥) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠٢

(٧٦) نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٣

(٧٧) ميكل وتر : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني . ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم . تعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ . القاهرة ٢٠٠١ . ص ٣٤٩ .

(٧٨) محمد مختار : التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجينة بالسنين الأفرنجية والقبطية . المجلد الثاني من سنة ٧٥١ إلى سنة ١٥٠٠ هجرية . الطبعة الأولى . المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٨٠ . ص ١١١٤ ، ١١٢١ .
<http://Archivebeta.Baknrit.com>

(٧٩) أوليا جليي : المصدر السابق ، ص ٣٤٨ .

(٨٠) كرسطوفر هيرولد : بونايرت في مصر . ترجمة فؤاد أندراوس . مراجعة محمد أحمد أنيس . القاهرة ١٩٦٢ . ص ٢٤٠

(٨١) أوليا جليي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧ .

(٨٢) ديجيت : المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٨٣) كارستس نيور : رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١ - ١٧٦٧ ، الجزء الأول . رحلة إلى مصر ١٧٦١ - ١٧٦٢ . ترجمة وتعليق مصطفى ماهر ، د ت ، ص ٢٢٢ : جومار : المصدر السابق، ص ٢٠٤

(٨٤) روية : المصدر السابق ، ص ١٥٧ . والترناق : يصنع من لحوم الثعابين والحياث، ويستخدم لعلاج العديد من الأمراض . . أنظر أوليا جليي : المصدر السابق، ص ٣٤٨ - ٣٦١ .

(٨٥) جومار : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ .

(٨٦) الكنخدا : يفتح الكاف وسكون التاء، وضم الحاء، في التركية كنخدا، من الفارسية كدخدا، والكلمة

الفارسية من كلمتين (كند) بمعنى البيت، و (خدا) بمعنى الرب والصاحب فالكنخدا هو في الأصل رب البيت، ويطلقها الفرس على السيد الموقر وعلى الملك، ويطلقها الترك على الموظف المشغول والوكيل المعتمد... أحمد السعيد سليمان : تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف د.ت، ص ١٧٦

(٨٧) أحمد شلبي بن عبد الغني : المصدر السابق، ص ٦٠٠.

(٨٨) مونيخ وآخرون : تقرير مقدم إلى الجنرال بونابرت، القائد الأعلى بشأن مشروع إنشاء مستشفى مدني في القاهرة، لأدهكاد إيجيبسين، العدد الأول، المجلد الثاني، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني : المرجع السابق، ص ص ١٥٣ - ١٥٧.

(٨٩) ديجيت : المصدر السابق، ص ١٣٣

(٩٠) كارستن نيبر : المصدر السابق، ص ٢٢٢

(٩١) ديجيت : المصدر السابق، ص ١٣١

(٩٢) كثوث بك : المصدر السابق، ص ٥٦٧

(٩٣) داورد بن عمر الأنطاكي : المصدر السابق، الجزء الأول، ص ص 330,325,321,316,300,284,280,277

255,253,235,228,223,222,219,202 Archivebeta.Bakhrst.com

374,342,340, 201,200,188,172,169,159,151,146,136,125,104,98,96,94,85,84,76,75,71,65,58,53

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً : المخطوطات

أبو النبي بن نصر بن حفاظ المعروف بالكهرق العطار الإسرائيلي : منهاج الدكان ودستور الأعيان في معرفة العقاقير وطب الأبدان. مخطوط بالهيئة العامة للكتاب، ج. ٣٤٨٥. م. ٢٢٩٤٢.

ثالثاً : المصادر العربية المنشورة :

أحد تلاميذ داود بن عمر الأنطاكي : ذيل تذكرة أولى الألباب الجامع للعجب العجاب، القاهرة ٢٠٠٨.

أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري : أوضح الأشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا، الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤ م.

داود بن عمر الأنطاكي (١٠٠٨ - ١٠١٠ هـ) : تذكرة أولى الألباب الجامع للعجب العجاب، الجزء الأول والثاني، القاهرة ٢٠٠٨ م.

عبد الرحمن بن حسن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الأجزاء الأولى والثاني والثالث، القاهرة ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م. : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ١٩٩٨ م.

محمد بن أحمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الخامس من سنة ٩٢٢ إلى سنة ٩٢٨ هـ (١٥١٦ - ١٥٢٢)، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٦ م.

رابعاً : المصادر الأجنبية المعربة :-

أوليا جلي : سياحتنا في مصر، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق عبد الوهاب عزام وآخرون، القاهرة ٢٠٠٥ م.

جومار : وصف مدينة القاهرة، ضمن وصف مصر، ترجمة زهير الشايب وآخرون، الجزء العاشر، القاهرة ٢٠٠٢ م.

ديجيتيت : تقرير عن المورستان أو مستشفى القاهرة مقدم إلى القائد العام بونايرت، لاديكاد إيجيسين، العدد التاسع، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ م، القاهرة د.ت.

روية : التداوي بالأعشاب عند المصريين المحدثين، ضمن وصف مصر (قاهرة الماليك)، الجزء الحادي عشر، ترجمة منى زهير الشايب، القاهرة ٢٠٠٢ م.

سيريزول : مستخرج من ملاحظات للمواطن سيريزول Ceresole الطبيب بالجنش عن رحلة له على الضفة الغربية للنيل من القاهرة إلى أسيوط، لاديكاد إيجيسين، العدد الرابع، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ م، القاهرة د.ت.

صامويل برنار : الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، الجزء الثالث، الموازين والنقود، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٠ م.

كارستن نيبور : رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ١٧٦١ - ١٧٦٧ م، الجزء الأول، رحلة إلى مصر ١٧٦١ - ١٧٦٢ م، ترجمة وتعليق مصطفى ماهر، د.ت.

كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، تعريب محمد مسعود بالجزء الثاني، القاهرة د.ت.

مونج وآخرون : تقرير مقدم إلى الجنرال بونايرت، القائد الأعلى، بشأن مشروع إنشاء مستشفى مدني في القاهرة، لاديكاد إيجيسين، العدد الأول، المجلد الثاني، ضمن كتاب صلاح الدين البستاني، صحف بونايرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١ م، القاهرة د.ت.

خامسا : المراجع العربية :

أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة د.ت.

أحمد محمد عبد الحائق : أصول الصحة النفسية، الإسكندرية ٢٠٠٣ م.

الهيئة المصرية العامة للكتاب : المعجم الكبير، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨١ م، بطرس البستاني : محيط المحيط، بيروت د.ت.

سحر علي حنفي : العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، القاهرة ٢٠٠٠ م.

سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢ م.

عباس محمود عوض : الموجز في الصحة النفسية، الإسكندرية ١٩٨٩ م.

عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية، القاهرة د.ت.

عصمت محمد حسن : جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتابات الجبرتي، القاهرة ٢٠٠٣ م.

كرستوفر هيرولد : بوتنبرت في مصر، ترجمة فؤاد أندراوس ، مراجعة محمد أحمد أنيس، القاهرة ١٩٦٢ م.

محمد السيد الهابط : حول صحتك النفسية، الإسكندرية ١٩٨٩ م.

محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠-١٥١٧، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٠ م.

محمد مختار : التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنجية والقبطية المجلد الثاني من سنة ٧٥١ إلى سنة ١٥٠٠ هجرية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠ م.

مبكل ونثر : المجتمع المصري تحت الحكم العثماني، ترجمة محمد إبراهيم، تعليق عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة ٢٠٠١ م.

سادسا : المصادر الأجنبية :

lpin, prosper : plantes d' Egypte 1581-1584, Caire 1980.

rown, Edward : Voyage en Egypte 1673-1674, Caire 1974.

nnini, C. S : Voyage dans la Haute et Basse Egypte, Tome I, II, Paris.